اللواء الركن المتقاعد
أ. د. ياسين سويد

موسوعة



تاريخ لبنان

التاريخ السياسي والعسكري

من المتصرفية إلى الانتداب (1)



جميع الحقوق محفوظة للناشر

إسم المجموعة : المقاطعات اللبنانية في إطار بلاد الشام

إسم الكتاب : - من المتصرفية إلى الإنتداب -١- (١٩١٨-١٩٢٠) -

المؤلّف : اللواء الركن المتقاعد أ. د. ياسين سويد

قياس الكتاب : 24 × 17

عدد الصفحات : 416 صفحة

مكان النشر : بيروت

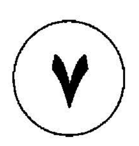
دار النشر والتوزيع : دار نوبِليس

تلفاكس : 961-1-583475

تلفون : 961-1-581121 / 961-3-581121

الطبعة الأولى : 2004

اللواء الركن المتقاعد
أ. د. ياسين سويد



المقاطعات اللبنانية في إطار بلاد الشام

التاريخ السياسي والعسكري

من المتصرفية إلى الإنتداب -١- (١٩١٨-١٩٢٠)

NOBILIS
2004

فهرس الجزء السابع

من المتصرفية إلى الإنتداب -١-

الموضوع	الصفحة

فهرس الصور والخارطات

الفصل الأول

إحتضار الرجل المريض

في «الأمر السامي» أو «فرمان الخالكانه» الذي أصدره السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ - ١٨٦١م) بتاريخ ٤ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٨٣٩، لم يتورع هذا السلطان عن أن يعلن، صراحة، ان السلطنة العثمانية قد بدأت تتقهقر وتنهار منذ «مائة وخمسين سنة» حيث «تبدّلت قوتها بالضعف، وثروتها بالفقر»، وأن عليه أن يتمّم ما بدأه سلفه، والده السلطان الغازي محمد خان (١٨٠٨ - ١٨٣٩م)، من إصلاحات داخلية تعيد للسلطنة مجدها التليد[١].

فما الذي أصاب تلك «السلطنة» التي كانت الشمس لا تغيب عن أملاكها؟

لقد قامت السلطنة العثمانية، بدءاً من القرن الميلادي الرابع عشر، على أنقاض السلطنة التي أقامها سلاجقة الروم في الأناضول، وعلى أنقاض باقي الإمارات التركمانية، التي خلفت تلك السلطنة، ثم على أنقاض الإمبراطورية البيزنطية في أوروبا الشرقية وبلاد البلقان، وعلى أنقاض دولة المماليك في مصر وبلاد الشام، وهكذا، لم يكد ينتهي القرن الميلادي السادس عشر، حتى كان للعثمانيين سلطنة، تمتد من حدود فيينا وبولندا وليتوانيا وروسيا شمالاً، إلى حدود بلاد الحبشة جنوباً، ثم إلى حدود دولة الصفويين وبحر قزوين شرقاً، وإلى حوض البحر المتوسط وما فيه من جزر (قبرص ورودس وكريت وصقلية وسردينيا) غرباً. وقد استمرت هذه السلطنة في تألقها زهاء أربعة

قرون، بدءاً بفتوحات آسيا الصغرى على يد السلطان اورخان (١٣٢١-١٣٦٠م)، إنتهاء بهزائم السلاطين: محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧م) وسليمان الثاني (١٦٨٧ - ١٦٩١) وأحمد الثاني (١٦٩١ - ١٦٩٥) ومصطفى الثاني (١٦٠٥-١٧٠٣) على يد التحالف المقدس (النمسا، والبندقية، وبولونيا، وروسيا) ما بين عامي ١٦٨٦ و١٦٩٧[٢].

ولم يكن الصليبيون قد نسوا هزائمهم، بعد، في حطين وبيت المقدس وعين جالوت، وباقي أنحاء بلاد الشام، على يد الأيوبيين والمماليك، عندما جاء العثمانيون ليهزموهم، وحلفاءهم البيزنطيين، في بلاد الأناضول والبلقان، ويخضعوا، لحكمهم، شعوباً وأقاليم أوروبية مسيحية، وهو ما لم يكن ليرضي الدول المسيحية الكبرى في أوروبا، إلاّ أن السلطنة العثمانية، الصاعدة حديثاً، استمرت في صعودها وقوتها، الأمر الذي لم يكن يتيح لتلك الدول التغلّب عليها.

إلاّ ان انتصارات العثمانيين توقّفت عند أبواب فيينا (عام ١٦٨٣م)، حيث بدأ القرن الميلادي الثامن عشر مترجرجاً بين انتصارات وهزائم متبادلة، ذلك ان قوتين كبريين وقفتا، بحزم، في وجه المد العثماني، بل طغتا عليه، وهما: النمسا وروسيا. وهكذا، كانت هاتان الدولتان الكبريان تتبادلان النصر والهزيمة، مع العثمانيين، منذ عام ١٦٩٩م حتى عام ١٧٩٢م. إلاّ ان حصيلة هذا القرن حملت خسائر فادحة للعثمانيين، إذ تخلوا عن العديد من ممتلكاتهم في بلاد البلقان وأوروبا الشرقية. ورغم ذلك، فقد ظلت السلطنة العثمانية تبسط نفوذها، حتى مطلع القرن الميلادي التاسع عشر، على جزء كبير من أوروبا وآسيا وافريقيا[٣].

ويمكن إيجاز أسباب انحسار نفوذ السلطنة العثمانية وتقهقرها بخمسة:

١ - إستبداد السلطان، فهو القائد العسكري الأعلى والسلطة المطلقة المستبدّة، بحيث لا تؤمّن المؤسّسات الدستورية، التي يقيمها، أية حصانة لرعايا ليس لها سوى أن تخضع وتطيع.

٢ - تمايز الرعايا، إذ ليس هناك شعب «عثماني» موحّد، بل هناك شعوب من أجناس وأعراق وأديان مختلفة، كلّها رعايا لم تستطع القيادة السياسية للسلطنة ان توحّد بينها. فكان الرعايا الأتراك (المسلمون) يشكّلون طبقة مميزة، تليها طبقة العثمانيين (المسلمين) من باقي البلدان الإسلامية التابعة للسلطنة، وتأتي الشعوب المسيحية (الأوروبية عموماً) في آخر درجات السلم، حيث كانوا يعتبرون «أهل ذمة». ولم تكن هذه الطبقات لتندمج، الواحدة بالأخرى، لتشكل «شعباً عثمانياً موحداً»، مما حدا بهذه الشعوب (المسلمة غير التركية منها، والمسيحية الأوروبية) إلى اقتناص فرصة ضعف هذه السلطنة للثورة عليها والانسلاخ عنها والتحرّر من نيرها[٤].

٣ - بعد السلطان سليمان الثاني، لم يعد السلطان يمارس القيادة العسكرية العليا، بل أناط هذه المهمّة بأحد وزرائه، وهو «ناظر الحربية»، مما أضعف همّة الجند واندفاعهم للقتال «ضد المشركين» والجهاد «في سبيل اللّه»، كما أن التفسّخ والفساد تفشيا في صفوف الجيش الذي ظل، على مدى قرون، قوياً متماسكاً.

٤ - فساد المؤسّسات العسكرية وانحلالها، وخصوصا «الانكشارية» التي أصبحت تشكّل إحدى أهم المؤسّسات التي أدّت إلى إضعاف السلطنة، إلى أن قضى السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) على جميع العسكريين الانكشاريين في عملية إبادة جماعية لم يسبق لها مثيل (عام ١٨٢٦م)[٥]، إلاّ ان إبادتهم كانت، كذلك، من أهم أسباب ضعف الدولة العثمانية وتقويض أركانها[٦].

٥ – تدهور الوضع المالي للسلطنة ، وإفلاس خزينتها، إذ سلكت السلطنة الطريق الخطر، منذ منتصف القرن التاسع عشر، وذلك عندما بدأت بالإستدانة من المصارف الأوروبية (في لندن وباريس وفيينا)، وفي عهد السلطانين عبد العزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦م) وعبد الحميد (١٨٧٦ – ١٩٠٩م)، حيث بلغت ديونها في عهد السلطان عبد العزيز «ما يقرب من مئتي مليون ليرة استرلينية» ذهباً[٧]. وقد نفدت مالية السلطنة العثمانية عام ١٨٧٤، فأعلنت تمنّعها عن دفع نصف الفوائد، وفي السنة التالية (١٨٧٥) تمنّعت عن دفع النصف الثاني مشهرةً، بذلك، إفلاسها[٨].

ا – خروج مصر والمغرب والخليج من يد السلطنة

ما أن حُفرت قناة السويس، على يد المهندس الفرنسي «فرديناند دي ليسبس» عام ١٨٦٩، حتى تحوّلت أنظار الدول الإستعمارية، وخصوصاً فرنسا وبريطانيا، نحو مصر، فقد كانت فرنسا ترى في مصر طريقاً إلى تجارتها في أفريقيا والهند، كما كانت ترى فيها طريقاً لاستعمار المشرق العربي، وكانت بريطانيا ترى فيها طريقها إلى الهند. وهكذا أصبح التنافس، على مصر، بين هاتين الدولتين الإستعماريتين، على أشدّه.

وكانت فرنسا سبّاقة إلى احتلال مصر، على يد نابوليون بونابرت، عام ١٧٩٨، إلاّ أن بونابرت ما لبث أن غادرها عام ١٧٩٩ مفسحاً في المجال لبريطانيا كي تحقّق أطماعها فيها[٩].

مهما حاول بونابرت أن يزيّن للمصريين وللعرب المشرقيين أهداف احتلاله لمصر، زاعماً أنه يريد أن يقيم، في الشرق، «إمبراطورية عظمى جديدة تكون موضع إعجاب الأجيال المقبلة»، وانه يريد أن ينفخ «روح الثورة في

سوريا»، بحيث ينضم إلى جيشه «المظلومون والموتورون»[١٠]، فإن توقّع باريس «قرب انهيار الامبراطورية العثمانية»، ورغبتها في ان تحتل مصر «قبل أن تحتلّها بريطانيا فتسيطر على البحر المتوسط والهند بصورة نهائية»، كانا يطغيان على أي زعم آخر، ولو كان صادراً عن بونابرت نفسه. ففي تقرير من «تارمن» إلى «تاليران» وزير الخارجية الفرنسية، في كانون الثاني/يناير عام ١٧٩٨، طلب «تارمن» من الوزير أن «تعدّ فرنسا العدة لاحتلال القسطنطينية، وقارنا على البحر الأسود» لأن انحلال «الامبراطورية العثمانية» أضحى وشيكاً. وقد أيدّ ذلك تقرير للنقيب «لازوسكي» الخبير الفني الفرنسي في وزارة الحربية العثمانية، إذ رأى هذا النقيب، خلال دراسته «لنظم الدفاع عن الحدود التركية - الروسية عام ١٧٩٧» أن «انهيار الامبراطورية العثمانية بات قريباً» وان على الحكومة الفرنسية أن تغتنم هذه «الفرصة السانحة لتجعل حصتها من التركة: جزر الأرخبيل والقطر المصري»[١١].

كلّ هذه الإشارات، بالإضافة إلى رغبة فرنسا في «إعادة فتح التجارة مع الهند» و«فتح مصر واحتلالها... وطرد البريطانيين من جميع المراكز التي يحتلونها فيها» وتدمير «متاجرهم على سواحل البحر الأحمر»، وقطع «طريق السويس» عليهم[١٢]، كلّ ذلك يؤكّد ، بصورة لا تقبل الجدل، ان فرنسا وإنكلترا كانتا على يقين بأن الرجل المريض قد أضحى في حالة احتضار، وأنه قد آن الأوان لتقاسم التركة، ولو كانت مثقلة بالديون.

بعد إبرار الحملة الفرنسية في الاسكندرية بعشرين يوماً، وفي ٢١ تموز/يوليو عام ١٧٩٨، إستقبل «تاليران»، في مكتبه «بباريس» سفير السلطنة العثمانية في العاصمة الفرنسية، وكان هذا قد جاء مستفسراً عن أسباب نزول الفرنسيين في مصر ، وأكّد الوزير الفرنسي للسفير العثماني ان مصر

ليست هدف الحملة الفرنسية، وان مالطة «هي الهدف الحقيقي» لهذه الحملة، «ولن يكون لها هدف آخر أبعد من ذلك». قال الوزير الفرنسي ذلك بكثير من «التحدي والاستهتار والنفاق»، وكتب إلى سفيره في الآستانة يقول: «وأخيراً انتهت المقابلة بتبادل عواطف الصداقة والإخلاص، وبدا لي ان السفير (العثماني)، وهو يودعني ويخرج مع ترجمانه، كان جد مرتاح إلى ما سمعه مني، وفي ظني انه سوف يطلع الباب العالي، بهذا البريد، على نتائج مسعاه»، ثم يخاطب سفيره قائلاً: «عليك أن تكون يقظاً شديد الإنتباه إلى ما يمكن ان يرشح أو يتسرب من تقريره، وأن تطلعني على كلّ ما تقف عليه». وقد ذيّل «تاليران» رسالته هذه، إلى سفيره، بتعليمات سرية جاء فيها: «... ولا أظنني بحاجة إلى أن أشرح، لفهمك النيّر، معنى الكلمات التي قلتها للسفير عن عدم وجود فكرٍ أو نيةٍ للاستيلاء على أرض غير مالطة»[١٣]. وهكذا تقتضي الدبلوماسية أن يكذب وزير خارجية دولة كبرى على سفير «إمبراطورية» عظمى، بقصد تغطية جريمة أكبر وأعظم وهي احتلال بلد واستعماره.

وقد تنبأ «تاليران»، في تقريره الذي رفعه إلى الحكومة الفرنسية بتاريخ ٢٧ كانون الأول/ديسمبر عام ١٧٩٨، ان السلطنة العثمانية «قد لا تمتد حياتها إلى أكثر من ربع قرن» وان «على الجمهورية (الفرنسية) ان تهيئ الوسائل التي تمكنها من الإستيلاء على ما تجده مناسباً من حطام تركيا» وان تكون حصّة فرنسا من هذا الحطام «القطر المصري وجزيرتي كريت ولمنوس»، معتبراً ان مصر «لا قيمة فعلية لها عند الباب العالي، لأن ليس للسلطان فيها إلاّ ظل ضئيل من السلطة والنفوذ» وان احتلالها «لا يمكن ان يفسّر بأنه الضربة الأولى المسدّدة إلى قواعد الإمبراطورية العثمانية»[١٤].

إلاّ ان الصراع الفرنسي البريطاني على مصر أضحى على أشده بين الدولتين الكبريين المتنافستين، وفي «أبو قير» التقى الأسطولان، البريطاني والفرنسي، في معركة اعتبرت مصيرية، وكان حظ «نلسون»، قائد الأسطول البريطاني، بالنصر، أكبر من حظ خصمه «برويس» قائد الأسطول الفرنسي المرابط في «أبو قير»، إذ انقضّ «نلسون» على الأسطول الفرنسي، صبيحة يوم ٢ آب/أغسطس عام ١٧٩٨ «أنقضاض المنتحر»، ودارت بين الفريقين معركة شرسة انتهت بانتصار الأسطول البريطاني وتحطّم الأسطول الفرنسي بكامله، ومقتل قائده الأميرال «برويس»[١٥].

بعد سنة تماماً من هزيمته في «أبو قير» على يد «نلسون»، وبعد نحو نصف عام من هزيمته أمام أسوار عكار على يد الجزار، قفل بونابرت عائداً، فجأة، عن أسوار المدينة التي كان يحاصرها، ومبحراً، سراً إلى فرنسا، (في ٢٢ آب/أغسطس عام ١٧٩٩) تاركاً لكبير أعوانه «الجنرال كليبير» أمر قيادة الحملة، ولكن «كليبير» ما لبث ان قتل على يد مصري يدعى «سليمان الحلبي» (بتاريخ ١٤ حزيران/يونيو عام ١٧٩٩) فخلفه، في قيادة الحملة، ضابط آخر هو «الجنرال مونو» الذي كان عليه أن يجابه، بقواته المحاصَرة براً وبحراً، قوات بريطانية وعثمانية مشتركة، إذ أبرّت الأولى في الإسكندرية، ووصلت الأخرى من فلسطين نحو القاهرة، عبر سيناء. وبدأت القوات المشتركة تقدّمها محاصرة القوات الفرنسية في مدينة الإسكندرية، ثم في مدينة القاهرة، مما أضطر الحاميات الفرنسية، في كلّ من المدينتين، وفي مواقع أخرى غيرهما، إلى التخلي عن مواقعها، والإنسحاب أو الاستسلام للقوات المهاجمة[١٦]. وقد تمّ الإتفاق، بعد ذلك، على أن تجلو القوات الفرنسية عن مصر، بعد أن فقدت كلّ أمل بإمكان

البقاء فيها، وسمح الأسطول البريطاني للجيش الفرنسي الذي كان في مصر أن يبحر إلى فرنسا بلا أية عوائق، معلناً، بذلك، إنتهاء الغزو الفرنسي لمصر، وفشل الآمال التي كان بونابرت قد بناها على هذا الغزو، منهزماً أمام الدهاء البريطاني. وقد كتب بونابرت، في ختام هذه الحملة، رسالة إلى السلطان سليم الثالث (في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٠١) جاء فيها: «إن الحملة كانت بريئة من كل روح أو فكرة عدائية، ولم يكن الدافع اليها والقصد منها إلحاق الأذى والضرر بالإمبراطورية العثمانية»، متمنياً ان «يسدل الستار، نهائياً وإلى الأبد، على ما كان بيننا، في الماضي القريب، ليقوم بين فرنسا والإمبراطورية العثمانية صلح دائم متين الأركان، وتجارة فيها الخير والرخاء والإزدهار للأمتين»[١٧]. وقد ردّ السلطان على «القنصل الأول بونابرت»، في رسالة (بتاريخ ١٦ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٠١) حملت إلى بونابرت القدر نفسه من العواطف والمجاملات، رغم ان «القنصل الأول» لم يكن صادقاً في عواطفه تجاه الباب العالي، بدليل انه حال دون اشتراك مندوب السلطان في مفاوضات الصلح الفرنسية البريطانية العثمانية التي جرت في العام التالي (عام ١٨٠٢) في «أميان» بفرنسا، مما جعل هذه المفاوضات تجري بين فرنسا وبريطانيا فقط، وكذلك توقيع المعاهدة بين هاتين الدولتين (في ٢٧ آذار/مارس عام ١٨٠٢)، بغياب السلطنة العثمانية[١٨].

وبتاريخ ٢ أيلول/سبتمبر عام ١٨٠١، إنسحبت القوات الفرنسية من مصر، نهائياً، عن طريق الإسكندرية بحراً، وذلك بعد ان حاصر البريطانيون والعثمانيون الإسكندرية ستين يوماً، وقد استمرّ احتلال فرنسا لمصر تسعة وثلاثين شهراً[١٩].

وبتاريخ ٢٥ حزيران/يونيو عام ١٨٠٢ وقّعت معاهدة مستقلّة، بين فرنسا والباب العالي، أعادت العلاقات بين الدولتين «إلى ما كانت عليه قبل عام ١٧٩٨»[٢٠].

أما القوات البريطانية التي أسهمت في إخراج الفرنسيين من مصر، فقد تحتّم عليها أن تنسحب، بدورها، تنفيذاً لمعاهدة «أميان»، وما لبثت ان انسحبت، في أواخر أيار/مايو عام ١٨٠٣، بضغط من الباب العالي وفرنسا[٢١]، تاركة حكم مصر إلى «محمد علي باشا» أول حاكم حقيقي وفعلي لها، منذ بدء الاحتلال العثماني.

بويع محمد علي زعيماً على مصر في ١٣ أيار/مايو عام ١٨٠٥، أي بعد عامين من خروج الجيش البريطاني، وقد نال المبايعة بعد مخاض طويلٍ وصراع بين الزعامات الشعبية المصرية التي اختارت محمد علي حاكماً، وبين الباب العالي والإنجليز «وصنائعهم» من المماليك[٢٢]، ولكن الخيار الشعبي هو الذي انتصر، فصدرت الإرادة السنية بتعيين محمد علي والياً على مصر. إلاّ أن الإنكليز أعادوا الكرّة وحاولوا احتلال مصر ثانية، وذلك بعد عامين فقط من ولاية محمد علي (عام ١٨٠٧)، ولكنهم أخفقوا بسبب المقاومة الصلبة التي أبداها محمد علي وجيشه ضدهم[٢٣].

لا شك في أن الصراع المسلّح، على مصر، بين كلّ من فرنسا وإنكلترا والسلطنة، قد أضعف سلطة هذه الأخيرة في تلك البلاد، وقد كانت ضعيفة أصلاً، وزاد في ضعفها أن السلطنة تغاضت عن شروع محمد علي في تعزيز موقعه العسكري بتأسيس جيش وطني عصري، قوي وحديث، منظّم تنظيماً أوروبياً يتلاءم مع طموحه في الحكم والتوسع، بل إنها اعتمدته لإخماد العديد من الثورات في أنحاء السلطنة، (وربما كان ذلك سبب تساهلها معه)، فكلّفته

إخماد ثورة الوهابيين في الحجاز (عام ١٨١١ - ١٨١٩)، وثورة كريت (عام ١٨٢٢ - ١٨٢٣) وفتح السودان (عام ١٨٢٠ - ١٨٢٢). وثورة «المورة» في اليونان (عام ١٨٢٤ - ١٨٢٧)[٢٤]، وقد انتصر في هذه الحروب كلّها، مما كان سبباً في ذيوع صيته واتساع شهرته، في آسيا وأوروبا، وهو ما أثار، عندئذٍ، خشية الباب العالي من طموحات محمد علي ونزعته التوسعية. وقد صدق حدس الباب العالي عندما أقدم محمد علي على غزو بلاد الشام عام ١٨٣١ (في جيش بقيادة إبنه إبراهيم باشا) حيث هزم جيوش السلطنة العثمانية في هذه البلاد، وتمكّن، خلال عامين فقط (١٨٣١ - ١٨٣٢) من الإستيلاء على بلاد الشام كلها، وطرد العثمانيين منها، بل إنه هدّد الباب العالي في عقر داره، فهزم جيشه في قونية (كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٣٢) ثم احتلّ كوتاهية (شباط/فبراير عام ١٨٣٣)، وكاد أن يدقّ أبواب الآستانة لولا ان سارع السلطان محمود الثاني (عام ١٨٠٨ - ١٨٣٩) إلى عقد صلح معه في معاهدة سميت «معاهدة كوتاهية» (نيسان/أبريل - أيار/مايو ١٨٣٣). وقد تدخّلت الدول الأوروبية الكبرى، بعد ذلك، إلى جانب السلطنة، خصوصاً بعد هزيمة جيش السلطان في معركة «نصيبين» (حزيران/يونيو عام ١٨٣٩)، وخسارة السلطنة لقوتها البحرية بسبب التحاق أسطولها بمصر واستسلامه لمحمد علي، فشكّل تدخّل تلك الدول عملية إنقاذ متعمّدة للسلطنة، إذ أعادت الدول المتدخلة، مع ما تبقى من جيش السلطان، إبراهيم باشا إلى داخل مصر، وأجبرت والده (محمد علي) على توقيع معاهدة، في لندن، (تموز/يوليو عام ١٨٤٠) تخلّى، بموجبها، عن كلّ الأراضي التي احتلّها خارج حدود مصر، كما أجبرته، على العودة إلى داخل مصر[٢٥]، باعتبار ان ساعة الإجهاز على «الرجل المريض» لم تكن قد أزفت بعد، في نظر تلك الدول.

إلاّ أن الخدمة التي قدّمتها الدول الأوروبية للسلطان العثماني لم تكن بلا ثمن، فهي كانت تنتظر الوقت المناسب للإجهاز على السلطنة، ولكن إسهامها في الدفاع عن الدولة العثمانية، ضد محمد علي، أتاح لها التدخل في شؤون هذه الدولة فيما كان قد سمي، حينئذ، بالمسألة الشرقية. وهكذا نرى هذه الدول تتدخّل، في بلاد الشام، بعد رحيل إبراهيم باشا ونشوب النزاع المسلّح بين الموارنة والدروز في جبل الشوف وجبل لبنان، (عام ١٨٤٠ - ١٨٤٢)، لكي تشكّل، بما يشبه الوصاية على الباب العالي، لجنة خاصة من الدول الخمس (روسيا وبروسيا والنمسا وإنكلترا وفرنسا) ومعها ممثل للباب العالي، تهتم بدراسة الأوضاع في هذه البلاد، وتنشئ ما سمي «بنظام القائمقاميتين»، ثم تعود فتهتم، من جديد، بهذه البلاد، عند نشوب النزاع المسلح، من جديد كذلك، بين الدروز والموارنة (عام ١٨٦٠ - ١٨٦١) فتنشئ ما سمي «بالمتصرفية». والجدير بالذكر ان الدول الأوروبية نفسها، وخصوصاً فرنسا وبريطانيا وروسيا، تقاسمت النفوذ على الطوائف، في هذه البلاد، فكانت فرنسا ترعى الطائفة المارونية، بينما كانت بريطانيا ترعى الطائفة الدرزية، وكانت روسيا ترعى الطائفة الأرثوذكسية، أما الطائفة السنية فكانت تحسب على الدولة العثمانية دون ان يكون لهذه الطائفة، في الواقع، أي امتياز لدى هذه الدولة.

يتبين لنا، مما تقدّم، ان الغرب استطاع، خلال القرن الميلادي التاسع عشر خصوصاً، ان يفرض نفسه كوصي على السلطنة العثمانية التي كانت سلطتها تضعف في الأقاليم الواقعة في أطرافها، وذلك بدءاً من مطلع القرن الميلادي الثامن عشر. وكانت، كلّما ضعفت سلطتها، إمتدّت يد الغرب (الدول الأوروبية) إلى تلك الأقاليم، إما لتسلخها عن جسم السلطنة وتدخلها تحت

سيطرتها، أو لتحرّضها على الثورة والإنفصال عن السلطنة، وهذا ما حدث، خصوصاً، مع الأقاليم الواقعة في أوروبا الشرقية وبلاد البلقان.

ولم تنجُ الأقاليم العربية التابعة للسلطنة، في المغرب العربي وفي الخليج، من دسائس الغرب ومؤامراته، خصوصاً أن اتفاقاً كان قد تمّ بين الدول الأوروبية الإستعمارية الكبرى (فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وإيطاليا) على تقاسم تلك الأقاليم فيما بينها، وكانت كلّ من الجزائر وتونس وليبيا قد حقّقت إستقلالها الذاتي تحت الحكم العثماني، في القرن الميلادي الثامن عشر، حتى انها أبرمت إتفاقيات، مع بضع الدول الأوروبية «دون الرجوع إلى الآستانة»[٢٦].

وفي القرن الميلادي التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين (حتى عشية الحرب العالمية الأولى وتقسيم تركة السلطنة العثمانية المنهزمة)، إحتلّت الدول الأوروبية العديد من الأقاليم العربية، في المغرب خصوصاً، فاحتلّت فرنسا الجزائر (عام ١٨٣٠) وتونس (عام ١٨٨١) وذلك بعد مؤتمر برلين الذي عقد بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا (عام ١٨٧٨) وتمّ الإتفاق فيه، بين هذه الدول، على أن تعطى تونس لفرنسا[٢٧]، كما احتلّت فرنسا موريتانيا (عام ١٩٠٢) بعد اتفاق بينها وبين إسبانيا عام ١٩٠٠ على أن تحتلّ إسبانيا الصحراء الغربية[٢٨]، ثم احتلّت فرنسا مركش (عام ١٩٠٧ - ١٩١١)، بعد اتفاق تمّ بينها وبين المانيا «على ان تعترف المانيا بحق فرنسا في المغرب، نظير تنازل فرنسا لها عن جزء من مستعمراتها في إفريقيا الاستوائية»[٢٩]. وكانت بريطانيا قد عقدت معاهدة مع سلطان مسقط (عام ١٧٩٨) فكانت أول معاهدة لها في الخليج، ثم عقدت مع مسقط معاهدة أخرى (سياسية واقتصادية هذه المرّة) عام ١٨٠٠، فكانت عُمان «أول وحدة سياسية (في الخليج) تكبّل بقيود

الإستعمار البريطاني»[٣٠]. ومن عُمان، إنطلقت بريطانيا في تكبيل الإمارات والمشيخات الخليجية بقيود مماثلة، فعقدت معاهدة مع مشايخ رأس الخيمة «القواسمة» (عام ١٨٢٠)، ثم مع مشيخات ساحل عمان (عام ١٨٤٣، وعام ١٨٥٣)، ثم مع مشيخات أبو ظبي والشارقة ودبي وعمان وأم القيوين (عام ١٩٠٢)[٣١].

ولم تلبث بريطانيا أن مدّت سيطرتها إلى قطر، التي كانت قد استقلّت عن البحرين ونالت نوعاً من الإستقلال الذاتي «تحت سيادة الدولة العثمانية» عام ١٨٧٢، فتنازل العثمانيون عنها للإنكليز (عام ١٩١٣). وفي العام ١٩٢٠ وقّعت بريطانيا «معاهدة حماية» مع البحرين كذلك، وذلك بعد ان كانت السلطنة العثمانية قد اعترفت لبريطانيا بهيمنتها «على منطقة الخليج العربي» بموجب معاهدة عام ١٩١٣. كما كانت السعودية قد تعهّدت لبريطانيا، بموجب «معاهدة القطيف» الموقعة بينهما عام ١٩١٥، بعدم الإعتداء «على إمارات الكويت والبحرين وقطر ومشيخات ساحل عمان، مقابل إعتراف بريطانيا بعبد العزيز آل سعود سلطاناً على نجد وملحقاتها»[٣٢].

وكان «الشيخ مبارك»، شيخ الكويت، قد عقد اتفاقية سرية مع بريطانيا عام ١٨٩٩، باعتباره «قائمقاماً تابعاً لمتصرفية الاحساء التابعة لولاية البصرة العثمانية» وذلك بسبب عدم ثقته بالعثمانيين. وقد احتجّت السلطنة العثمانية على هذا الاتفاق وقرّرت إرسال جيش إلى الكويت باعتبارها جزءاً من السلطنة، ولكن بريطانيا سارعت إلى إرسال وحدات من جنودها البحريين لحماية الكويت من أي تدخّل أجنبي، حسب زعمها، مما جعل السلطنة تحجم عن الإقدام على خطوة ربما تؤدّي إلى حرب بينها وبين بريطانيا، لن تكون في مصلحتها. وقد اعترفت السلطنة العثمانية بهذه الإتفاقية عام ١٩١٢ عندما

وقّعت، مع بريطانيا، «إتفاقية الخليج» التي تنازلت، بموجبها، عن حقوقها ومطالبها في قطر والبحرين، بالإضافة إلى الكويت، إلاّ أنها احتفظت بالكويت «تحت السيادة العثمانية» حيث لا تتدخّل السلطنة «في شؤون الكويت الداخلية والخارجية، ويرفع شيخ الكويت العلم العثماني ، وله، إن شاء، ان يضيف إلى زاويته كلمة (الكويت)»[٢٣]. ولكن بريطانيا لم تمهل الكويت ولا السلطنة العثمانية طويلاً، إذ انها سرعان ما أعلنت الكويت «دولة مستقلة تحت الحماية البريطانية» وذلك عام ١٩١٤، ثم احتلّتها «لإحكام الحصار على العثمانيين في حائل والعراق»[٢٤].

وكانت بريطانيا قد احتلّت جنوب اليمن (عدن) عام ١٨٣٩ بالقوة، بعد ضربها بالقنابل، إلاّ ان سلطانها لم يستسلم، بل انسحب إلى لحج، ولكن البريطانيين أجبروه على الإستسلام، بعد شهر، وعلى توقيع معاهدة معهم. ثم استكمل البريطانيون احتلالهم لعدن بأكملها (عام ١٨٥٧)، وعقدوا سلسلة «معاهدات حماية» مع سلاطين الجنوب الغربي ومشايخه «من حدود الصبيحة ولحج غرباً حتى حضرموت شرقاً». وفي عام ١٩١٤، عشية الحرب العالمية الأولى، وقّعت بريطانيا، مع الدولة العثمانية، معاهدة لحماية حضرموت، بعد أن تخلّت الدولة العثمانية عن حقوقها ومطالبها في هذه المحمية، ثم عقدت بريطانيا عام ١٩١٨ معاهدة مع حضرموت نفسها[٢٥].

وفي عام ١٨٨٢ احتلّت بريطانيا مصر من جديد، بعد معارك دامية مع الجيش الوطني المصري بقيادة وزير الدفاع «أحمد عرابي»، وخصوصاً معركة «التل الكبير» التي انتهت بهزيمة عرابي ودخول الجيش البريطاني إلى القاهرة. وفي عام ١٨٩٩، إحتلّت بريطانيا السودان، وأكرهت مصر على توقيع إتفاقية «الحكم الثنائي» له، من قبل مصر وبريطانيا معاً، ولكن بريطانيا انفردت، في

الحقيقة، لوحدها، بحكم هذا القطر وإدارته، وذلك بعد أن عيّنت عليه حاكماً من قبلها، هو «اللورد كيتشنر»(٣٦).

أما إيطاليا، فقد احتلّت ليبيا (عام ١٩١٢)، وذلك بعد أن عقدت اتفاقاً مع بريطانيا، (عام ١٨٨٧)، تعهّدت بموجبه «أن تؤيّد سياسة بريطانيا في مصر، لقاء تأييد هذه لها في السيطرة على ليبيا»، ثم عقدت اتفاقاً سرياً مع فرنسا (عام ١٩٠٠) اعترفت فرنسا، بموجبه «بحق إيطاليا بوضع طرابلس الغرب تحت نفوذها، لقاء إطلاق يد فرنسا في المغرب»، وعقدت إتفاقاً سرياً مع روسيا (عام ١٩٠٩) إعترفت روسيا، بموجبه «بحقوق إيطاليا في طرابلس الغرب» لقاء اعتراف إيطاليا «بمصالح القيصر (الروسي) في البلقان»(٣٧).

وأما إسبانيا، فقد مُنحت، بموجب الاتفاق الذي تمّ بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩٠٤، منطقتي «سبته ومليله» في شمال المغرب العربي «ترضية لها»، بينما تعهّدت كلّ من الدولتين المتعاقدتين بأن لا تقدم إحداهما «على أي عمل يتعارض مع سياسة» الدولة الأخرى في المنطقة التي تحتلّها، فلا تقدّم فرنسا «على أي عمل يتعارض مع سياسة بريطانيا في مصر، وتمتنع عن المطالبة بتحديد وقت لجلاء جيوشها عنها» على ان «تعترف بريطانيا لقاء ذلك، بسيادة فرنسا على المغرب، وتلتزم بما لا يمسّ مصالح فرنسا فيه»(٣٨).

في العام ١٨٨٨، كتب أحد مستشاري الأمبراطور غليوم الثاني، امبراطور المانيا، في تقرير له، ما يلي: «لقد نالت فرنسا قسطها من العالم الإسلامي في افريقيا الشمالية وافريقيا الغربية، ونالت بريطانيا نصيبها منه في مصر والسودان وافريقيا الشرقية والهند، كما نالت روسيا المناطق الإسلامية الواقعة على البحر الأسود وفي القفقاس. وللشعب الألماني الحق كلّه ليداعي بنصيبه من هذا العالم...، والدول الأوروبية تحاول، اليوم، أن تتقاسم ما تبقى من

الإمبراطورية العثمانية، فيعطى العراق لبريطانيا، ولروسيا أرمينيا والقسم الشمالي من آسيا الصغرى، وتمنح سوريا لفرنسا، وطرابلس الغرب لإيطاليا»(٣٩).

وهكذا تقاسمت أوروبا العالم الإسلامي والعربي والسلطنة العثمانية، حينما كانت هذه السلطنة تلفظ أنفاسها الأخيرة على عتبة القرن العشرين.

في الجانب الأوروبي،كان العثمانيون يمدّون سلطانهم على مساحات شاسعة من أوروبا ويحكمون عدّة شعوب مسيحية، وهو ما لم يكن مقبولاً لدى الدول الأوروبية المسيحية الخارجة حديثاً، من حرب صليبية، في الشرق، استمرت قرنين كاملين.

وكما حملت نهاية القرن الميلادي السابع عشر نهاية التوسع العثماني شمالاً، على الجانب الأوروبي، عند أسوار فيينا (عام ١٦٨٣ م)، فقد حملت بداية القرن الميلادي الثامن عشر بداية التقهقر العثماني في هذا الجانب.

II – حروب السلطنة مع التحالف المقدس:

كان التقهقر العثماني، في البدء، متقطعاً، إلاّ انه حسّاس ومؤثّر، وقد بدأ هذا التقهقر على يد دولٍ أوروبية مجاورة للدولة العثمانية، أهمها: النمسا وروسيا، اللتان شكلتا، مع البندقية وبولونيا، ما سمي «بالتحالف المقدس»، (ومع هذه الدول: البابا ورهبنة مالطة والقوزاق وتوسكانة).

أنشئ هذا التحالف، ضد الدولة العثمانية، عام ١٦٨٤م، في عهد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ – ١٦٨٧م)، وقد زحفت جيوش التحالف على الدولة العثمانية، من عدّة جهات. ففي عام ١٦٨٥ تقدّمت جيوش بولونيا نحو

مولدافيا (بلاد البغدان) واحتلّت حصوناً وقلاعاً شهيرة أهمها «قلعة نوهزل»، وفي عام ١٦٨٦، تقدّمت جيوش النمسا نحو المجر (هنغاريا) واحتلّت مدينة «بست» وحاصرت «بود» (التي كانت تدعى ترس الإسلام). وهدّدت سفن البندقية سواحل اليونان وبلاد المورة، كما احتلّت جيوشها أغلب مدن اليونان مثل أثينا وكورنتيا. وفي عام ١٦٨٧، احتلّت جيوش النمسا مدينة «بود» بعد حصار طويل، كما هزمت جيوش «التحالف المقدس» العثمانيين في معركة جرت في سهل «موهاكز»، واحتلّت إقليم «ترنسلفانيا» وبعض قلاع إقليم «كرواتيا»[٤٠]. إثر هذه الهزائم، ثار الجند في الآستانة والأقاليم، وتمّ عزل السلطان محمد الرابع (عام ١٦٨٧) وتولّى العرش مكانه السلطان سليمان الثاني (١٦٨٧ - ١٦٩١)، ولكن السلطان الجديد لم يتمكّن من تهدئة ثورة الجنود وإخمادها. واستغلّ التحالف المقدس الفوضى الناشبة في ديار السلطنة، فتابعت جيوشه تقدّمها في الأقاليم العثمانية حيث احتلّت جيوش النمسا قلاع «آرلو» و «لبا»، واحتلّت جيوش البندقية مدينة «ليبه» اليونانية وسواحل «دلماسيا» (عام ١٦٨٧م)، كما احتلّت جيوش النمسا مدن «سمندريه» و«كولمباز» و«بلغراد» (عام ١٦٨٨م)، ومدن «نيش» و«ودين» من بلاد الصرب (عام ١٦٨٩). إلاّ ان السلطان سليمان استطاع ان يعيد تنظيم جيشه ويوقف الزحف «المقدس» على بلاده، بل إنه استطاع ان يستردّ مدن «نيش وودين وسمندريه وبلغراد» وإقليم «ترانسلفانيا» (عام ١٦٩٠)، ولكن المنية وافته وهو في الخمسين من عمره، فتوفي في العام التالي (١٦٩١م) وخلفه على العرش السلطان أحمد الثاني (١٦٩١ - ١٦٩٥) الذي لم يعمّر، بدوره، طويلاً، فتوفي عام ١٦٩٥، دون أن يحدث ، خلال ولايته، ما يستحقّ الذكر، باستثناء احتلال البنادقة لجزيرة «ساقز» (عام ١٦٩٤)[٤١].

خلف السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥ - ١٧٠٣) سلفه المتوفى (السلطان أحمد الثاني)، ورغم ان هذا السلطان اتصف «بالشجاعة ورباطة الجأش» ورغم انه بادر بالهجوم على البولونيين والروس في محاولة لصدّهم، وتمكن من وقف تقدّمهم في مواقع عدّة (عام ١٦٩٥م)، كما انه تقدّم في بلاد المجر واستردّ حصن «لبا» من يد الجيش النمساوي، وهزمه في موقعة «لوجوس» جنوب غربي رومانيا (عام ١٦٩٥م)، ثم في موقعة «اولاش» (في رومانيا) (عام ١٦٩٦)، إلاّ انه هزم، على يد الجيش النمساوي نفسه (وكان قد تسلّم قيادته القائد الشهير الأمير أوجين دي سافوا) في موقعة «زنتا ZINTA» (عام ١٦٩٧)، وهو ما أتاح للقائد النمساوي الفرصة لدخول بلاد البوسنة واحتلالها. كما أن انشغال السلطان بمحاربته للنمسا في المجر (وكان يقود الجيش بنفسه) أتاح للقيصر الروسي (بطرس الأكبر) ان يهاجم ميناء «آزوف AZOV» ويحتلّه، فيجد لبلاده، بذلك، منفذاً على البحر الأسود. إلاّ ان الجيش النمساوي لم يمكث طويلاً في البوسنه، إذا استطاع الجيش العثماني (بقيادة الصدر الأعظم كوبريلي حسين باشا) إرغامه على الإنسحاب منها، إلى ما وراء نهر الساف SAVE، (من أنهار يوغوسلافيا بالقرب من حدود رومانيا)، كما استطاعت البحرية العثمانية إرغام بحرية البندقية على الإنسحاب من جزيرة «ساقز».

ودخلت الدول المتحاربة، بعد ذلك، بمفاوضات انتهت بتوقيع معاهدة صلح بينها، وهي معاهدة ««كارلوفيتز KARLOWITZ» التي وقعت بين كلّ من روسيا والنمسا والبندقية وبولونيا من جهة، والباب العالي من جهة ثانية، في ٢٦ كانون الثاني/يناير عام ١٦٩٩م، وقد قضت هذه المعاهدة بتنازلات مهمة من قبل الدولة العثمانية إلى فريق «التحالف المقدس» وهذه التنازلات هي:

- تخلّت الدولة العثمانية عن كلّ بلاد المجر وإقليم ترانسلفانيا للنمسا.

- وتخلّت عن جزء من إقليم دلماسيا (على البحر الأدرياتيكي) وكلّ جزيرة «المورة» للبندقية.

- وتخلّت عن مرفأ «آزوف» لروسيا.

- وتخلّت عن مدينة «كامينيك» وإقليمي «بودوليا» و «اوكرين» لبولونيا. وكان ذلك أول تنازل عن الأرض تقدّمه السلطنة العثمانية لدول أوروبا المسيحية[٤٢].

خلف السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) السلطان مصطفى الثاني، وقد خاض هذا السلطان غمار حروب متعدّدة ضد البندقية والنمسا، حيث استطاع ان يسترد «بلاد المورة» من البندقية (عام ١٧١٥)، ولكنه خسر الحرب أمام النمسا والبندقية مجتمعتين، وهُزم أمام الجيش النمساوي (بقيادة الأمير اوجين نفسه) في معركة «بيتر ڤارادين PETER VARADIN» (عام ١٧١٦)، وفي عام ١٧١٧، خسر ««بلغراد«« نفسها. إثر هذه الهزائم، إضطر السلطان إلى ان يوقّع، مع النسما، معاهدة «باساروفيتز Passarowitz» (عام ١٧١٨) حيث تنازل للنمسا عن «ولاية تمسوار Temesvar» ومدينة «بلغراد»، وعن كلّ بلاد المجر (هنغاريا) العثمانية، وعن «جزء عظيم من بلاد الصرب، وآخر من بلاد الفلاخ» (فالاشيا Valachie الغربية)، كما تنازل للبندقية عن «ثغور شاطئ دلماسيا»، (وكان هذا هو التنازل الثاني للأرض تقدّمه السلطنة العثمانية لدول أوروبا المسيحية)، واحتفظت السلطنة، وفقاً لهذه المعاهدة ،ببلاد «المورة». مقابل ذلك، كان السطان قد شنّ الحرب على روسيا فهزمها عام ١٧١١، وعقد معها معاهدة «فلكزن» التي تنازلت روسيا، بموجبها، عن ميناء آزوف، ثم عاد فحاربها عام ١٧١٢ وهزمها، وعقد معها

معاهدة «أدرنة» التي تنازلت بموجبها «عما لها من الأراضي على البحر الأسود، حتى لم يبق لها عليه موانئ أو ثغور»[٤٣].

وفي عهد السلطان محمود الأول (١٧٣٠ - ١٧٥٤) أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية (عام ١٧٣٦) واحتلّت ميناء «آزوف» على البحر الأسود، ثم هاجمت بلاد القرم واحتلّت بعض الثغور البحرية، كما قامت النمسا (عام ١٧٣٧) بالهجوم على بلاد البوسنة والصرب والفلاخ، ولكن الجيوش العثمانية تصدّت للجيوش النمساوية المهاجمة وصدّتها، واستردّت (عام ١٧٣٧) ما كانت النمسا قد احتلّته، في هذه الحرب، من بلاد الصرب، ودفعت بالجيوش النمساوية إلى ما وراء نهر الدانوب. وفي عام ١٧٣٩، عقدت معاهدتا «بلغراد»: الاولى بين كلّ من النمسا والباب العالي، والثانية بين الباب العالي وروسيا، وقد استردّ الباب العالي، بموجب هاتين المعاهدتين:

- من النمسا: مدينة بلغراد، وما اعطي للنمسا من بلاد الصرب والفلاخ (Valachia) بموجب معاهدة «باسا روفيتز».

- ومن روسيا: كلّ ما كانت الدولة العثمانية «قد فتحته من الأقاليم والبلدان»، كما تعهّدت روسيا «بهدم قلاع ميناء آزافا وعدم تجديدها في المستقبل، وبعدم إنشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الأسود أو بحر آزاف»[٤٤].

وفي عام ١٧٦٨، في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ - ١٧٧٤)، أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا (بتحريض من فرنسا)، فدخلت الجيوش الروسية مدينتي «باش» أو «ياشي Jassy» و«بخارست» في فالاشيا (أو الافلاق) (عام ١٧٦٩)، وظهر أسطول روسي في البحر المتوسط، وحرّض بلاد اليونان على الثورة (ولكن العثمانيين قمعوها بشكل دموي). واستطاع الأسطول الروسي، في البحر المتوسط، ان يدمّر الأسطول العثماني في ميناء «جشمه

«Tchesmé» على سواحل آسيا الصغرى، (عام ١٧٧١)، كما احتلّت جيوش الروس بلاد القرم، (عام ١٧٧١).

وقد أوقفت هذه الحربَ (عام ١٧٧٢) هدنةٌ قامت بين المتحاربين، دعيت «هدنة جورجيو» (إحدى مدن بلغاريا)، ولكن الحرب لم تلبث ان استؤنفت، بمبادرة من الدولة العثمانية، بسبب تصلّب الروس في المفاوضات، واستطاع العثمانيون ان ينزلوا الهزيمة بالجيش الروسي أمام مدينتي «روستجوق» و«سيليسترا» (وتدعى روستجوق اليوم رازغار Razgard، وهي مدينة على نهر الطونة، جنوب غربي سيليسترا Silistra الواقعة جنوب شرقي بخارست على نهر الطونة كذلك)، وذلك عام ١٧٧٣. وفي هذه الأثناء، توفي السلطان محمود الأول (عام ١٧٧٤) وخلفه على العرش السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٤ - ١٧٨٩)، فاغتنم الجيش الروسي (بقيادة المارشال رومانزوف) الفرصة واجتاز نهر الطونة قاصداً مدينة «فارنا» ببلغاريا، على البحر الأسود، والتقى الجيشان، الروسي والعثماني، عند مدينة «قوز ليجق» (في تموز/يوليو عام ١٧٧٤)، حيث هزم الجيش العثماني، وتابع الجيش الروسي تقدّمه «قاصداً معسكر محسن زاده الصدر الأعظم» مما حدا بهذا الأخير إلى طلب الهدنة من القائد الروسي والتفاوض معه على الصلح، فعقدت (في ٢١ تموز/يوليو ١٧٧٤) معاهدة «روتشوك قينارجيه Ruchuk-Kainardji» (وقينارجيه هو إسم البلدة التي تمّ التفاوض فيها). وقد تضمّنت هذه المعاهدة تنازلات من قبل الدولة العثمانية أهمها:

- إستقلال بلاد القرم وإقليم بسارابيا Basarabi، (ويقع هذا الإقليم بالقرب من مدينة كونستنزا الرومانية، على البحر الأسود)، وقوبان (إقليم في بلاد القفقاس، يحدّه من الغرب بحر آزوف ومن الجنوب البحر الأسود).

- تسليم جميع البلاد والأقاليم التي احتلّتها روسيا إلى بلاد القرم (ما عدا قلعتي كريش ويكي قلعه).

- إعادة ما أخذته روسيا من أملاك الدولة من الكرج ومنكريل (في جزيرة القرم) ومن جزر الروم (ما عدا الإقليم الواقع شمال شرقي البحر الاسود من بلاد القفقاس)، وإعادة ما أخذته من الفلاخ (فالاشيا) والبغدان، وأزاق(أزوف) وقلبورن.

- منح إمبراطور روسية لقب «باديشاه» في المعاهدات والمحرّرات الرسمية مع السلطنة العثمانية.

- بناء كنيسة روسية في الآستانة، ومنح روسيا الحق في حماية المسيحيين التابعين للمذهب الأرثوذكسي من رعايا الدولة العثمانية.

- إلغاء جميع المعاهدات السابقة.

- وهناك بندان سريان، في المعاهدة، تدفع الدولة العثمانية، بموجبهما، لروسيا، مبلغ ١٥ ألف كيس كغرامة حربية «على ٣ أقساط متساوية»، كما تقدّم لها ما يتطلّبه جلاؤها عن جزر الروم من مساعدات. وكان استقلال بلاد القرم (وما ألحق بها من أقاليم) ومنح روسيا حماية الأرثوذكس أخطر ما في هذه المعاهدة على الدولة العثمانية.

إلاّ ان روسيا ما لبثت، في العام نفسه، ان احتلّت بلاد القرم، وضمّتها إلى أملاكها، ناقضة، بذلك، معاهدة «قينارجيه» التي لم يكن حبرها قد جفّ بعد. وكانت روسيا قد عقدت اتفاقية سرية مع النمسا، تعهّدت الدولتان، بموجبها، بما يلي:

- إقامة حكومة مستقلّة تفصل بينهما وبين الدولة العثمانية.

- تتكوّن هذه الدولة من «الفلاخ والبغدان وإقليم بسارابيا» (وكلّها من أملاك الدولة العثمانية) وتسمى «مملكة داسي».

- يعين لهذه الدولة ملك مسيحي، أرثوذكسي المذهب.

- تأخذ روسيا «ميناء أوتشاكوف» وهو «ميناء أوزي» على البحر الأسود، وبعض جزر الروم.

- تأخذ النمسا بلاد الصرب وبلاد البوسنة والهرسك (من أملاك الدولة العثمانية) وبلاد دلماسيا (من أملاك البندقية).

- تُعطى البندقية، عوضاً عن دلماسيا، بلاد المورة وجزيرتا كريت وقبرص.

- تُعطى باقي الدول الأوروبية أجزاء من الدولة العثمانية تحدّد فيما بعد.

- إذا ما أتيح للتحالف الروسي النمساوي النصر ودخول مدينة «الآستانة»، فإن التحالف المذكور سيعيد «مملكة بيزنطية الأهلية كما كانت قبل الفتح العثماني، ويعين الغراندوق الروسي قسطنطين بن بولس ملكاً عليها، بشرط أن يتنازل عن حقوقه في مملكة روسيا، حتى لا يتفق وجود المملكتين، الروسية والبيزنطية، في قبضة ملك واحد»(٤٥). ويبدو أن فرنسا هي التي حذّرت الدولة العثمانية من مغبّة مجابهة هذا الحلف ونصحتها بأن تتخلّى عن فكرة الحرب ضدّه، وأن تعمد إلى التفاوض لاسترداد حقّها منه. وعملت الدولة العثمانية بنصيحة فرنسا، واعترفت بضم القرم لروسيا (عام ١٧٧٤)، ولكن روسيا تمادت في تحدي الدولة العثمانية، وذلك بأن باشرت بتحصين ميناء سيباستوبول (في جزيرة القرم)، وانشأت عمارة بحرية ضخمة في البحر الأسود، وأرسلت عملاءها إلى بلاد اليونان وإلى الفلاخ والبغدان لتحريض المسيحيين على السلطنة، كما انها أدخلت بلاد «الكرج» تحت حمايتها، مقدّمة

لضمّها إليها نهائياً. وزادت الإمبراطورة «كاترين» إمبراطورة روسيا، من تحديها للسلطنة، بأن جالت في بلاد القرم، متعمدة إظهار سلطانها على هذه البلاد، حيث نصبت لها أقواس النصر وقد كتب عليها «طريق بيزنطية»، وقابلت، في تجوالها، ملك بولونيا وامبراطور النمسا، في إشارة إلى تحالف الدول الثلاث ضد السلطنة، فما كان من السلطنة إلاّ ان بادرت إلى إعلان الحرب على روسيا، وذلك في شهر آب/أغسطس عام ١٧٨٧، وكان عليها ان تحارب، في الوقت نفسه، كلا من روسيا والنمسا معاً، خصوصاً أن النمسا ما لبثت أن أعلنت الحرب ضد السلطنة، تضامناً مع حليفتها روسيا التي احتلّت (عام ١٧٨٨) مدينة «اوتشاكوف» أو «اوزي» عند مصب نهر الدنيبر، على البحر الأسود. وفي العام ١٧٨٩ توفي السلطان عبد الحميد الأول، وخلفه على العرش السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) . واتحد الجيشان، الروسي والنمساوي، وخاضا، معاً، ضد العثمانيين، معارك منتصرة، فاحتلّ الجيش الروسي مدينة بندر، كما احتلّ مدينة «إسماعيل» عند دلتا الدانوب، على البحر الأسود، ومعظم بلاد الفلاخ والبغدان وبسارابيا، واحتلّ الجيش النمساوي مدينة بلغراد، وبلاد الصرب، كما احتلّ مدينة «اورسوفا القديمة»، وقد تمّ ذلك كلّه في عام واحد (عام ١٧٨٩)، ولم يكن أمام الدولة العثمانية إلاّ ان تعترف بالهزيمة وتوقّع مع المنتصرين معاهدتي «زشتوي» و«ياش».

عقدت معاهدة «زشتوي» أو «سيستوا Sistova» (نسبة إلى إسم المدينة التي عقدت فيها) عام ١٧٩١، مع النمسا (وكان ملك النمسا قد انهمك بالثورة الفرنسية التي نشبت عام ١٧٨٩ ضد الملك لويس السادس عشر ملك فرنسا، وخاف ان يطال لهيبها عرشه، فعمد إلى التساهل مع الدولة العثمانية المنهزمة)، وقد استردّت الدولة العثمانية، بموجب هذه المعاهدة، بلاد

الصرب ومدينة بلغراد، ومعظم الأراضي التي كانت النمسا قد احتلّتها، بحيث لم تستبقِ، من تلك الأراضي، سوى مدينة «اورسوفا القديمة».

أمّا معاهدة «ياش» أو «ياشي Jassy» (نسبة إلى إسم المدينة التي عقدت فيها) فقد عقدت عام ١٧٩٢ بين الدولة العثمانية وروسيا، ولم تسلك روسيا طريق النمسا في تعاملها مع الدولة العثمانية، بل إنها استمرّت في حربها ضدها حتى أنهكتها، وتوسّطت بعض الدول (إنكلترا وبروسيا وهولندا) بين الدولتين إلى ان تمّ الصلح بينهما وفقاً لهذه المعاهدة التي قضت بما يلي:

- تمتلك روسيا بلاد القرم نهائياً، وجزءاً من بلاد القوبان، وبسارابيا، والأقاليم الواقعة بين نهري بوج «Boug» و «دنيستر Dniester» بحيث يكون نهر «دنيستر» فاصلاً بين الدولتين.

- تتنازل الدولة العثمانية لروسيا عن مدينة «أوزي» (أوتشاكوف) عند مصب نهر الدنيبر على البحر الأسود(٤٦).

كان للحروب التي عصفت بالكيان العثماني، في القرن الميلادي الثامن عشر، أثر كبير في زعزعة الإستقرار داخل السلطنة، فصور الضعف والانهزام التي بدت عليها، في هذا القرن، والتي أدّت إلى تراجعها أمام أعدائها، وتخلّيها عن العديد من «ممتلكاتها» لهم، بالإضافة إلى عجزها عن إقامة «كيان» سياسي جامع وموحّد، وإلى تعمّد هؤلاء الأعداء إستغلال «نقاط الضعف» في السلطنة، وتحريض الشعوب المحكومة التي لا يربطها بالسلطنة أي رابط، ديني أو قومي أو مصلحي، على الثورة في سبيل الإستقلال والتحرّر، بالإضافة إلى «الإفلاس المادي» للسلطنة، كلّ ذلك أدى إلى بدء ظهور بوادر التفكك والإنحلال في جسم السلطنة المنهك والمريض.

لقد جمعت «السلطنة» تحت عباءتها، أقواماً وشعوباً وأجناساً مختلفة، بل متنافرة أحياناً، دون أن تتمكّن، طوال قرون، من توحيدها، وذلك أمر بديهي ولا شك، تماماً كما جرى لامبراطوريات قديمة، عريقة في التاريخ، وكما جرى «لامبراطورية» حديثة (ان جازت التسمية) هي «الإتحاد السوفياتي» الذي جمع، تحت عباءته، طوال نحو قرن، أمماً وشعوباً مختلفة، باسم العقيدة الشيوعية، إلاّ أنه ما لبث أن أنهار وتفكك دون ان يبقى «للعقيدة الجامعة» أي أثر في تلك الأمم والشعوب.

وهكذا، ما أن أطلّ القرن الميلادي التاسع عشر، حتى بدأت عناصر «الامبراطورية» أو «السلطنة العثمانية» تتفكك إلى جزئيات، وفقاً لأجناسها وعناصرها المختلفة، فقامت، في معظم أرجائها، ثورات يمكن الحديث عن أهمها، وليس كلّها، في هذا البحث، ففي عام ١٨٠٣، ثار «الصرب» بقيادة «جورج بتروفيتش» (أو جورج الأسود) ضد جنود «الانكشارية» الذين كانوا يسومونهم العذاب والاضطهاد، وسبب ذلك ان العديد من رجال الصرب انحازوا إلى التحالف الروسي النمساوي في أثناء حروبه مع الدولة العثمانية، حيث شاركوا في القتال ضد العثمانيين وتمرّسوا في فنونه، وعادوا إلى ديارهم وهم قادرون على حمل السلاح، فاضطهدهم جنود الانكشارية بسبب ذلك. واشتكى الصرب إلى الآستانة التي أمرت واليها في بلغراد بمعاقبة المعتدين وإخراجهم من بلاد الصرب، فحاربهم الوالي وقتل قائدهم «ولي أحمد»، ولكن هؤلاء لم يمتثلوا، بل إنهم سيطروا على بلغاريا الشمالية، بزعامة «بازونا أوغلي»[٤٧] وحاصروا بلغراد وأخذوا يفتكون بالصرب في أي مكان يصلون إليه، فثار الصرب في وجههم (بقيادة بتروفيتش) وطاردوهم، وأمر الباب العالي والي البوسنة «بكير باشا» ان يتعاون مع «بتروفيتش» على ضرب الانكشارية

وإخراجهم من البلاد، ففعل ذلك، وعاد إلى بلاده، ولكن الصرب استمروا في عصيانهم، متألبين حول زعيمهم، ومطالبين بالاستقلال[٤٨].

وفي الوقت نفسه، ثار الأرناؤوط في ولاية «يانيه»، وأعلن واليها «علي باشا» استئثاره بالسلطة، وكانت الدولة قد سبق ان كلّفته إخماد ثورة قامت في «مقدونيا» طلباً للاستقلال، فأخمدها وأدخل أهل مقدونية في طاعته، مما زاد من نفوذه، ومن شعوره بالغرور، فاستحسن ان يستقل، في ولايته، لنفسه، ولكن الدولة أرسلت إليه جيشاً قتله (عام ١٨٢٢) وأنهى التمرّد.

وفي عام ١٨٠٤، ثارت بلاد «الروملي»، وهدّد الثائرون باحتلال عاصمتها «ادرنة»، فأرسل السلطان، إلى تلك البلاد، جيشاً استطاع إخماد تلك الثورة.

وفي عام ١٨٠٥ أمر السلطان سليم الثالث جميع ولايات السلطنة، تركيةً وأوروبيةً، بأن تجمع الشبان الذين بلغوا الخامسة والعشرين من عمرهم، بما فيهم الإنكشارية، وتدخلهم في الجيش بغية تدريبهم وفقاً للنظام الجديد، ولكن الإنكشارية رفضوا ذلك وتمرّدوا على أوامر السلطان، مما دفعه لأن يجرّد عليهم جيشاً بقيادة والي بلاد القرمان «عبد الرحمن باشا» الذي عجز عن إخضاعهم، وكانوا قد اعتصموا في مدينة «أدرنة» وأحكموا إغلاق أبوابها عليهم، فعاد إلى الآستانة خالي الوفاض. وكانت الثورة قد بدأت تنتشر في صفوف «العلماء والطلبة» ضد النظام الجديد، مما اضطر السلطان إلى الإذعان لمطالب الانكشارية وإعادتهم إلى واجهة الحياة العسكرية[٤٩]. وفي عام ١٨٠٦ ثارت بلاد الصرب، من جديد (بقيادة بتروفيتش) مطالبة بالاستقلال، وجرت بين الثوار وعساكر الدولة العثمانية معارك دامية لم يحرز أي من الفريقين، فيها، نصراً حاسماً، ولم تؤد المفاوضات بين الفريقين إلى نتيجة مرضية لأي منهما. وكان ان اندلعت الحرب بين روسيا والسلطنة عام

١٨٠٧ واحتلّت روسيا بلاد الافلاق والبغدان، وتحالفت إنكلترا مع روسيا، كما تحالفت فرنسا مع السلطنة، وحاول الإنكليز مهاجمة الآستانة بأسطولهم عن طريق الدردنيل إلاّ ان الاستعدادات العسكرية العثمانية الفرنسية المشتركة حالت دون وصول الإنكليز إلى غايتهم، فتراجعوا.

إلاّ ان ثورةً قامت في الآستانة، من قبل أعداء النظام الجديد، وأدت إلى عزل السلطان سليم الثالث، عام ١٨٠٧، وتولية السلطان مصطفى الرابع مكانه، إلاّ ان هذا الأخير لم يلبث طويلاً على العرش، إذ خلع في العام التالي (عام ١٨٠٨) ثم قتل.

كان السلطان مصطفى الرابع ضعيف الشخصية، وقد استغلّ أعداء النظام الجديد ضعفه فألغوا ذلك النظام، وعاد الانكشارية إلى سابق سلطانهم. وفي هذه الأثناء ، كانت الحرب لا تزال مستعرة بين روسيا والدولة العثمانية (عند نهر الطونة)، مما أثّر في معنويات الجيوش العثمانية المنهمكة في هذه الحرب، وكان من الممكن ان تستغل روسيا هذه الفرصة المتاحة لتتقدّم، بجيوشها، نحو الآستانة، لولا انهماكها بالحرب مع نابوليون الأول الذي كان يخوض معارك ظافرة ضد جيوشها على الجبهة الروسية - الفرنسية (وخصوصاً موقعة فريد لاند عام ١٨٠٧).

إلاّ أنه، وفي العام نفسه (عام ١٨٠٧) عقد صلح بين فرنسا وروسيا، بموجب معاهدة «تلسيت» (قرية على نهر «نيمن» الفاصل بين روسيا وبروسيا، إجتمع فيها نابوليون الأول مع إسكندر الأول امبراطور روسيا للاتفاق على تقسيم أوروبا بينهما). وقد جاء في البنود السرية لهذه المعاهدة ان تنال فرنسا حصتها من إرث الدولة العثمانية، فيكون لها «بلاد البوسنة» وألبانيا (الارناؤوط) وأبيروس وبلاد اليونان ومقدونيا، وللنمسا «بلاد الصرب»،

ولروسيا «الأفلاق والبغدان وبلغاريا وإقليم تراس لغاية نهر ماريتسا»، وتبقى «الآستانة وما حولها» خارج هذا التقسيم. واتفق الطرفان على ان يتمّ تنفيذ ذلك بعد توقف الحرب بينهما، وبعد ان تخلي روسيا «ولايتي الافلاق والبغدان»، وان تقوم فرنسا بالوساطة بين روسيا والدولة العثمانية، فإن لم تقبل السلطنة بالوساطة الفرنسية، أو إن «لم يتم المقصود، بكيفية مرضية، بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوماً» تعمد الدولتان إلى تنفيذ البنود السرية من المعاهدة. ولكن هذه الإتفاقية لم تنفذ، ليس بسبب عدم قبول السلطنة بالوساطة الفرنسية، فهي قد قبلتها، بل لأن روسيا لم تنفذ الشرط الجوهري فيها، وهو إخلاؤها لولايتي الأفلاق والبغدان(٥٠).

وقد عرف عصر محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) الذي خلف مصطفى الرابع، موجة من الثورات في السلطنة، أهمها:

III – ثورة الصرب عام ١٨١٥:

كانت روسيا قد أعلنت الحرب على السلطنة عام ١٨٠٩ واحتلّت مدن «إسماعيل وسلسترية وروستجق ونيكوبلي وبازارجق» (عامي ١٨٠٩ و ١٨١٠)، وبعد نزاع طويل بين الدولتين كثر فيه «الكروالفر»، حتى عام ١٨١١، توصّل الفريقان إلى معاهدة للصلح سميت «معاهدة بخارست»، وقعت في أيار/مايو عام ١٨١٢، وقضت بإبقاء ولايتي الافلاق والبغدان للسلطنة، وإعادة بلاد الصرب إليها، على ان تحتفظ روسيا لنفسها «بأقليم بسارابيا واحد مصبات الدانوب».

وأثارت هذه المعاهدة الصرب الذين كانوا لا يرغبون بالعودة إلى حكم العثمانيين، خصوصاً انهم كانوا قد نالوا نوعاً من الإستقلال الإداري، فثاروا

على تلك المعاهدة، ولكن السلطنة وجّهت إليهم جيشاً تمكّن من إخضاعهم وإعادتهم إلى طاعتها.

إلاّ انه، في عام ١٨١٥، عاد الصرب إلى الثورة من جديد، وقد تزعّمهم رجل يدعى «ميلوش أوبرينوفيتش» الذي قادهم إلى العصيان والتمرد، وعمت الثورة بلاد الصرب كلّها، واستمرّت نحو سنتين لم يتمكّن العثمانيون، خلالهما، من الانتصار على الثوار انتصاراً حاسماً، وقد تمّ الإتفاق، في النهاية، مع الثوار الصرب، على ان يعودوا إلى حمى الدولة «شرط ان لا تتدخّل في شؤونهم الداخلية، ولا في تحصيل الضرائب»، وان يعيّن لتوزيع الضرائب وتحصيلها «مجلس مؤلّف من ١٢ عضواً ينتخبهم الأهالي» الذين ينتخبون، بدورهم، رئيساً لهم يكون حاكماً عليهم، وان تنحصر سلطات الدولة في «المراقبة، واحتلال الحصون والقلاع». ووافق الباب العالي على ذلك (عام ١٨١٧)، وانتخب «ميلوش اوبرينوفيتش» رئيساً لمجلس الصرب (الذي كان بمثابة مجلس النواب)، وعين مرعشلي باشا والياً عثمانياً على بلاد الصرب، التي مارس «اوبرينوفيتش» السلطة فيها باستقلالية تامة، بحيث لم يعد للوالي العثماني سلطة عليها[٥١].

١٧ – ثورة اليونان عام ١٨٢١:

كانت مبادئ الثورة الفرنسية قد انتشرت في معظم البلدان الأوروبية. وقد نشأت في اليونان، إثر ذلك، جمعيات وحركات سرية تنشد الإستقلال والحرية، وكان أهم هذه الجمعيات «الجمعية الأخوية»، أو «هيتيري» التي أنشئت عام ١٨١٤، وكان هدفها السعي لتخليص بلاد اليونان من الحكم العثماني، وتأسيس دولة مستقلّة. وقد ظلّت هذه الجمعية سرية حتى عام ١٨٢١ حين

ظهرت إلى العلن، وكان المشجع الأول لها والمحرّك لنشاطها قيصر روسيا إسكندر الأول، لذا، كان مركزها، في بدء نشأتها، مدنية «أدويسا» ثم مدينة «كييف» وكلتاهما في روسيا، مما يشير إلى أن هذه الجمعية قد نشأت وترعرت برعاية روسية. وقد زاد عدد أعضاء هذه الجمعية، عام خروجها إلى العلن، على العشرين الفاً من الرجال القادرين على حمل السلاح(٥٢).

ظهرت هذه الثورة إلى العلن عام ١٨٢١، وبدأت نشاطها بقتل الجنود العثمانيين الذين كانوا يحتلّون قلاع اليونان وحصونها، فوجّهت الدولة لقتالهم جيشاً (بقيادة خورشيد باشا) ولكنهم هزموه (في وقعة الترموبيل في آب/أغسطس عام ١٨٢٢)، مما أذكى أوار الثورة فامتدّت إلى أقاليم البيلوبونيز وأواسط اليونان وجزيرة كريت. واحتلّ الثوار جزيرتي ساموس وساقز، ومدن أثينا وتيبس وميسولونجي. واستمرّت الثورة في تأجّجها، وفي انتصاراتها، حتى عام ١٨٢٤، حين أدرك السلطان محمود (الثاني) انه يستحيل على جيوشه القضاء عليها في جبال اليونان الوعرة، فأوكل أمرها إلى محمد علي، باشا مصر، لعلّه يستطيع ان يقوم بما لم يستطع جند الآستانة القيام به. وصدر (بتاريخ ٦ آذار/مارس عام ١٨٢٤) فرمان بتعيين محمد علي باشا «والياً على جزيرة كريت وإقليم المورة»، وكانا مصدراً أساسياً للثورة. وانطلق إبراهيم باشا (النجل الأكبر لمحمد علي وقائد الحملة) على رأس حملة عسكرية، في سفن حربية مصرية، إلى اليونان (في ١٦ تموز/يوليو عام ١٨٢٤)، واحتلّ جزيرة كريت، ثم انتقل إلى سواحل المورة، فأنزل جنده في ميناء «مودون» التي كانت لا تزال بيد العثمانيين، ثم اتجه إلى مدينة «كورون» التي كان الثوار يحاصرونها، فأمدّها بالسلاح والرجال والذخائر (آذار/مارس ١٨٢٥)، ثم احتلّ مدينة (نافارين) (أيار/مايو عام ١٨٢٥) ثم مدينة «كلاماتا»، ثم مدينة «تريبوليستا»

(أيار/مايو عام ١٨٢٥)، ثم مدينة «ميسولونجي» (نيسان/أبريل عام ١٨٢٦) ثم مدينة أثينا (نيسان/أبريل عام ١٨٢٧).

ومما يجدر ذكره ان ثورة اليونان لم تكن يونانية فقط، بل كانت أوروبية أيضاً، إذ هبّ الأوروبيون ليدعموا هذه الثورة بالمال والرجال والسلاح، وشكّلت، في اوروبا، جمعيات دعت نفسها «جمعيات محبي اليونان» كانت تجمع المال وترسله إلى الثوار اليونان مع الأسلحة والذخائر، كما انها كانت تقبل المتطوعين للقتال في اليونان وترسلهم إلى تلك البلاد. وكان الثوار اليونانيون قد عيّنوا «اللورد كوشران»، وهو قائد بحري إنكليزي، قائداً عاماً لقواتهم البرية والبحرية، وقد هزم هذا القائد أمام الجيش المصري الذي احتلّ أثينا وقلعتها الشهيرة «الأكروبول». ولما رأت الدول الأوروبية ان الثورة اليونانية على وشك ان تخسر الحرب، إجتمعت كلّ من إنكلترا وفرنسا وروسيا ووجهت إلى الدولة العثمانية إنذاراً تطلب بموجبه منح اليونان «قدراً من الحكم الذاتي في إطار التبعية الإسمية للسلطان العثماني»، ولم تكن الدولة العثمانية قد أرسلت، بعد، جواباً على هذا الإنذار، حين فوجئت بإنذارين آخريين، شديدي اللهجة، من القيصر الروسي نقولا الثاني (الذي خلف إسكندر الأول بعد وفاته عام ١٨٢٥)، ويطلب القيصر ، في هذين الإنذارين ، ان ينفذ الباب العالي معاهدة بخارست في ستة أسابيع، وخصوصاً ما يتعلّق منها «بإعادة الحقوق الروسية في ولايتي: الافلاق والبغدان، واستقلال الصرب»، مما اضطر السلطان العثماني إلى تلبية مطالب روسيا وتوقيع معاهدة «آق كرمان» وفيها : حق السفن الروسية بالملاحة في البحر الأسود، وحقها بالمرور في المضايق دون تفتيش، وحق روسيا في انتخاب حكام ولايتي الآفاق والبغدان لمدّة سبع سنوات، ولا يعزلون إلاّ بموافقتها، واستقلال ولاية الصرب على ان تحتفظ الدولة العثمانية بقلعة

بلغراد و٣ قلاع أخرى، وتتعهّد روسيا بإعادة ما كانت قد احتلّته في الحرب من حصون وقلاع عثمانية. وقد وقّعت هذه المعاهدة من كلّ من روسيا والباب العالي في ١١ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٢٦ (٥٣).

إلاّ أن الدول الأوروبية نحت منحىً آخر في اتجاه المسألة اليونانية، إذ طلبت إنكلترا، رسمياً، من الدولة العثمانية، أن توافق على وساطة تقوم بها الدول الأوروبية بينها وبين الأقاليم التابعة لها والثائرة عليها، ولكن الدولة العثمانية رفضت هذا الطلب، مما أزّم الوضع بينها وبين تلك الدول التي اتفقت فيما بينها (وهي فرنسا وإنكلترا وروسيا) أن تلزم الباب العالي بوجوب منح بلاد اليونان استقلالاً إدارياً، على ان يتمّ ذلك بالقوة، إذا لزم الأمر، وان تدفع اليونان للدولة العثمانية جزية يتفق على مقدراها بين الطرفين. وقد أمهلت هذه الدول الباب العالي شهراً لكي يقبل هذا العرض وإلاّ فإنه سيتم إلزامها به بالقوة. ولكن الباب العالي رفض هذا التهديد، من جديد، وما أن مرّ الشهر حتى أمرت تلك الدول أساطيلها بالتوجّه إلى ميناء «نافارين» اليوناني حيث يرسو الأسطولان العثماني والمصري، فقامت تلك الأساطيل بحصار الميناء وضربت الأسطولين المذكورين فدمّرتهما تدميراً تاماً (١٩ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٢٧). واحتج الباب العالي على هذا التصرف واعتبره متعمّداً وموجهاً ليس ضد الدولة العثمانية كدولة، وإنما ضد هذه الدولة باعتبارها «الدولة الإسلامية الوحيدة»، واعتبر ان الباعث على هذا الحقد المتعمد والمبيت من قبل هذه الدول ضد الدولة العثمانية هو «الدين لا السياسة» مما أثار حنق روسيا التي أعلنت الحرب، فوراً (في ٢٦ نيسان/أبريل عام ١٨٢٨) على الباب العالي. أمّا محمد علي فإنه، لما أرى تكالب الدول الأوروبية عليه وتكاتفها ضده، وأن فرنسا أمرت بإرسال جيش إلى اليونان

لاستكمال استقلالها عن الدولة العثمانية (في آب/أغسطس عام ١٨٢٨)، أمر ابنه إبراهيم بالانسحاب من المورة، فنفّذ إبراهيم أوامر أبيه وبدأ بالإنسحاب (في ٧ أيلول/سبتمبر عام ١٨٢٨)، وكان الجنود الفرنسيون يحلّون محل المصريين في كلّ موقع يتركه هؤلاء، وكان الفرنسيون قد نزلوا في اليونان بتاريخ ٢٩ آب/أغسطس ١٨٢٨ (بقيادة الجنرال ميزون) وتسلّموا حماية تلك البلاد من أية محاولة عثمانية (أو مصرية) لاستعادتها. وفي ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٨٢٨، إجتمعت الدول الثلاث (فرنسا وروسيا وإنكلترا) في لندن (ودعوا الباب العالي لهذا الاجتماع فرفض الإشتراك به) وقرّرت هذه الدول منح «المورة وجزر سكلاده» (وهي جزر تقع شرق جزيرة المورة) الاستقلال وتشكيل «حكومة مستقلّة يحكمها أمير مسيحي تنتخبه تلك الدول ويكون تحت حمايتها»، وان تدفع اليونان للباب العالي «جزية سنوية قدرها ٥٠٠ ألف قرش»، ولكن الباب العالي رفض قرار الدول هذا، فأعلنت روسيا الحرب عليه، وهاجمت بلاده، واحتلّت مدينة «ياش» عاصمة البغدان، ثم احتلّت «بخارست» عاصمة الأفلاق، وتوغّلت حتى نهر «الطونة» حيث احتلّت عدة مدن على ضفتيه، واجتازته لتحاصر مدينة «ڤارنا»، واحتلّت هذه المدينة في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٢٨، ثم احتلّت عدّة قلاع وحصون أهمها قلعة «قارص»، ثم تقدّمت إلى مدينة «أدرنة» واحتلتها، وأصبحت الطريق مفتوحة أمامها لاحتلال الآستانة دون عوائق، و لكن الدول الأوروبية لم تكن لتوافق على أن تسقط الآستانة بيد الروس، فتدخّلت، في الوقت المناسب، وسعت، بواسطة بروسيا، لكي يتمّ الصلح بين الدولتين المتقاتلتين، وقد تمّ ذلك وعقدت معاهدة «أدرنة» التي وقّعها الطرفان المتحاربان في ١٤ أيلول/سبتمبر عام ١٨٢٩. وأهم ما في هذه المعاهدة:

- تعاد إلى الباب العالي: إمارتا البغدان والأفلاق ومقاطعة قره جه أدوه، وإقليم البلغار، وإقليم دوبروجه «من الدانوب لغاية البحر»، وجميع بلاد البلقان، والإقليم الممتد من بلاد البلقان إلى البحر الأسود، «وعموماً، جميع الأمكنة التي احتلّها الجنود الروس من بلاد الرومللي».

- يعتبر نهر الروث هو الحد الفاصل بين الدولتين «من النقطة التي يمس فيها تخوم البغدان لغاية التقائه مع الدانوب».

- تعتبر مقاطعات الكرج والأمريثيا ومنكريل وجوريل وغيرها من مقاطعات القوزاق تابعة لروسيا.

- تحتفظ إمارتا الافلاق والبغدان «بجميع الامتيازات والاختصاصات التي ضمنت لهما»، وتتمتعان «بالحرية الدينية وبالأمن العمومي» مع «إدارة أهلية مستقلة بحرية التجارة».

- يعيد الباب العالي الأقسام المنفصلة عن الصرب، إلى هذه البلاد (وفقاً للعقد المنفصل المختص بالصرب) وذلك كي «تتمتع هذه الامّة الصادقة الطائعة بالراحة والرفاهية».

- «يتمتع الرعايا الروس في سائر أنحاء المملكة العثمانية، براً وبحراً، بحرية التجارة التامة التي تكفلها لهم المعاهدات المبرمة سابقاً بين الدولتين». اما المراكب الروسية «فلا يحصل بها مطلقاً أي تفتيش من جهة الحكومة العثمانية، لا في شاسع البحار ولا في داخل أي ميناء... مما يدخل تحت حكم الباب العالي». وفي المعاهدة ملحق خاص «بولايتي الافلاق والبغدان، تاريخه ١٤ أيلول/سبتمبر عام ١٨٢٩»[٥٤].

V – ثورة الافلاق والبغدان:

إلاّ ان ثورة قامت في ولايتي الافلاق والبغدان بهدف «الاستقلال والانضمام إلى سكان ترانسلفانيا وبكوفين، لتكوين مملكة رومانية جديدة»، وقد اطاحت هذه الثورة واليي الولايتين اللذين اضطرا إلى الفرار، وأقامت في البلاد «حكومة موقتة»، فأرسل الباب العالي جيشاً لإخضاع الولايتين الثائرتين وإعادتهما إلى طاعته، ولكن روسيا تدخّلت لمصلحة الثوار وأرسلت جيشاً إلى البغدان (في ١٣ حزيران/يونيو عام ١٨٤٨)، وقد طرد هذا الجيش الحكومة الموقتة واحتلّ ولاية الأفلاق، واعترضت الدولة العثمانية على التدخل الروسي، وكادت الحرب أن تقع بين الدولتين، لولا ان اتفقتا على التفاوض فيما بينهما لحلّ هذه المسألة، واتفقتا (في أيار/مايو عام ١٨٤٨) على ما يلي:

- يبقى حق تعيين ولاة هاتين الولايتين للدولة العثمانية.
- يحتل البلاد جيش روسي - عثماني مشترك، وذلك لمدة ٧ سنوات «حتى يستتب الامن».

وقد دعي هذا الاتفاق «باتفاق بلطه ليمان» نسبة إلى الموقع الذي تمّ التوقيع فيه (وبلطه ليمان قرية على بوغاز البوسفور بالقرب من الآستانة) (٥٥).

VI – حرب القرم:

وما لبثت «حرب القرم» ان اشتعلت، عام ١٨٥٤، بين فرنسا وإنكلترا والدولة العثمانية من جهة وروسيا من جهة أخرى، وأهم أسبابها ان روسيا أنست في نفسها قوة وفي الدولة العثمانية ضعفاً، فراحت تطالب الدول الأوروبية بتقسيم تركة «الرجل المريض»، محاولة أن تحتفظ، لنفسها، بحصّة

في بلاد الشرق، وخصوصاً الأراضي المقدسة في فلسطين (القدس)، وفاتحت إنكلترا بذلك فلم تجد لديها جواباً شافياً. وكان القيصر نقولا الأول، قيصر روسيا، قد فاتح «السير هاملتون سيمور» سفير إنكلترا في روسيا، بشأن «الرجل المريض» الذي لا يرجى شفاؤه، وعرض عليه أن تأخذ إنكلترا «القطر المصري وجزيرة كريت» على أن يتحدا معاً (إنكلترا وروسيا) لإضعاف نفوذ فرنسا في الشرق «وأخذ الاحتياطات لتجزئة بلاد الدولة العلية»، فكان رد السفير الإنكليزي على عرض القيصر الروسي سلبياً، إذ رأى أن من الأفضل «معالجة هذا المريض وتعهّده بالعناية كي ينقه من مرضه، لأنه لو مات لحصلت حروب تهدر فيها الدماء أنهاراً عند تقسيم تركته»، ولم يكن ذلك اقتناعاً من السفير (وهذا هو رأي حكومته) بوجوب الاعتناء «بالرجل المريض»، بقدر ما كان سعياً لإبعاد روسيا عن الشرق وعن «المياه الدافئة» في حوض البحر المتوسط، تلك المياه التي تتطلع روسيا للنفاذ إليها، منذ قرون. ولم يكن رد السفير الفرنسي «كستلباجاك» على قيصر روسيا (الذي عرض التساهل مع فرنسا في امتلاك تونس) أفضل من رد زميله الانكليزي. يضاف، إلى هذا السبب المباشر، أسباب أخرى عديدة، سياسية ودينية واقتصادية، لا مجال لذكرها في هذا البحث[٥٦].

ولكن روسيا لم تكتف بذلك، بل إنها دفعت بقواتها البرية والبحرية (بقيادة الأميرال البرنس منتشيكوف قائد الأسطول الروسي في بحر البلطيق) إلى الحدود بينها وبين الدولة العثمانية، مع القيام بتظاهرات حربية (برية وبحرية)، وإنذارٍ وجهه البرنس المذكور إلى الآستانة، يتضمّن المطالبة بتجديد شروط معاهدة (خونكار سكله سي) التي تقضي بأن تحمي روسيا جميع المسيحيين في الدولة العلية، وان يرد الباب العالي على هذا

الإنذار خلال خمسة أيام، ثم خلال ٨ أيام أخرى، ولكن الباب العالي رفض هذا الإنذار رفضاً قاطعاً، ولم يردّ عليه، بل إنه اتصل بكلّ من فرنسا وإنكلترا وأبلغهما الأمر، فقررت الدولتان الاتحاد مع الباب العالي للدفاع عنه، وصدرت الأوامر إلى الأسطولين الإنكليزي والفرنسي بالاقتراب من بوغازالدردنيل، ووضع الأسطول العثماني في وضع الاستعداد للقتال. وكررت روسيا إنذارها للباب العالي بوجوب قبول مقترحاتها، وإلاّ فإنها سوف تعمد إلى احتلال «ولايتي الافلاق والبغدان» حتى ترضخ الدولة العثمانية لمطالبها. وأجيبت روسيا بالرفض مجدداً، وأجتاز الجيش الروسي نهر «البروث» الفاصل بين الدولتين، واحتلّ الولايتين المذكورتين (تموز/يوليو عام ١٨٥٣).

وانتصرت كلّ من فرنسا وإنكلترا للباب العالي، ضد روسيا، وبادرت النمسا وبروسيا لإصلاح ذات البين، ودعت النمسا إلى مؤتمر في «ديانة» لإيجاد حلّ للمشكلة، وعقد المؤتمر في آب/أغسطس عام ١٨٥٣ ولكنه انفضّ بلا جدوى. ولم تكن نار الحرب قد اشتعلت، بعد، بين الطرفين المتنازعين، وأرسل الباب العالي إلى قائد الجيوش الروسية التي تحتلّ الأفلاق والبغدان بوجوب الخروج منها خلال ١٥ يوماً (في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٥٣)، وأعطى، في الوقت نفسه، الأوامر لجيشه المرابط عند نهر الطونة باجتيازه وبدء الحرب إن لم تُخل روسيا الولايتين المحتلتين.

ولم تردّ روسيا على الإنذار العثماني، فاجتاز الجيش العثماني النهر (تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٨٥٣)، وجرت معركة انتصر فيها الجيش العثماني، كما تقدّم العثمانيون من جهة بلاد القفقاس وأنزلوا بالروس ضربة قاسية، إذ احتلّوا قلعة «سان نقولا» ودحروا الجيش الروسي إلى مسافة طويلة،

ولكن الشتاء والبرد القارس أوقف المعارك على الجبهتين. ولما رأى قيصر روسيا هزيمة جيوشه أمام العثمانيين حاول استمالة النمسا لجانبه ولكنه لم يوفق، وظلت النمسا على رأيها بوجوب الصلح بين الدولتين.

وتقدّم الأسطولان الفرنسي والإنكليزي إلى بوغاز البوسفور، ولكن الأسطول الروسي سبقهما وضرب الأسطول العثماني في ميناء «سينوب» على البحر الأسود، ودمّره تدميراً كاد ان يكون تاماً. وعندها دخل الأسطولان الإنكليزي والفرنسي البحر الأسود (كانون الثاني/يناير عام ١٨٥٤)، وتوقفا قبالة مدينة «أوديسا» ثم أمطراها بالقنابل «حتى دمّرت قلاع المدينة والتهمت النيران جزءاً منها»، واستدار الأسطولان، بعدها، واصطفا أمام ميناء «سيباستوبول» وبدءا «بضرب الثغور الروسية الواقعة على البحر الأسود». وكان القتال قد بدأ، فعلاً، في البحر الأسود، عندما أعلنت كلّ من إنكلترا وفرنسا الحرب على روسيا (٤ آذار/مارس عام ١٨٥٤) ووقّعتا إتفاقية تحالف، مع الباب العالي، ضد روسيا (١١ آذار/مارس عام ١٨٥٤). وفي ١١ نيسان/أبريل عام ١٨٥٤، أعلن القيصر الروسي الحرب على الدول المعادية(٥٧).

وفي حزيران/يونيو عام ١٨٥٤، اتفقت كلّ من إنكلترا والدولة العثمانية على ان تحتلّ النمسا ولايتي الافلاق والبغدان في حال انسحاب روسيا منهما، وبمقتضى ذلك الإتفاق، دخلت النمسا هاتين الولايتين وأخذت جيوشها تحتلّ المواقع التي كانت روسيا تنسحب منها تدريجياً. واجتمع قادة الجيوش المتحالفة (فرنسا وإنكلترا والباب العالي) في فارنا (في يوليو/تموز عام ١٨٥٤) للتنسيق فيما بينهم بصدد متابعة الحرب ضد روسيا، وقرروا إرسال حملة إلى بلاد القرم ومحاصرة أهم مرافئها «سيباستوبول»، ونزلت جيوشهم في ثغر «إيباتوريا» غرب جزيرة القرم، على طريق سيباستوبول (في

أيلول/سبتمبر عام ١٨٥٤) حيث جرت أول معركة بين هذه الجيوش والجيش الروسي، وكان النصر فيها للحلفاء الذين دفعوا بجيوشهم، بعدها، نحو سيباستوبول. واستمر القتال، بين كرٍّ وفرٍّ، حتى أواخر العام ١٨٥٤ حين نشطت الديبلوماسية النمساوية، وتقدّمت للفريقين، بمذكرة تضمنت ما يلي:

«١ - إستبدال الحماية الروسية على ولايتي الأفلاق والبغدان وعلى الصرب بضمان أوروبي، وبموافقة الباب العالي.

«٢ - حرية الملاحة لجميع الدول في نهر الدانوب.

«٣ - إعادة النظر باتفاقية المضايق لعام ١٨٤١ لصالح التوازن الأوروبي.

«٤ - تخلّي روسيا عن حقوقها في رعاية مسيحيي البلقان بشكل منفرد»[٥٨].

وقد قبلت الدولة العثمانية هذه المذكرة ولكن روسيا رفضتها، مما دفع بالحلفاء إلى تشديد الضغط العسكري عليها، ودفع بالنمسا إلى عقد تحالف مع الحلفاء لقاء اعترافهم «بمركزها في إيطاليا»، ولكن النمسا لم تفعّل نشاطها في الحلف لأنها لم تكن راغبة في خوض الحرب ضد روسيا، بل فضلت ان تلعب، دائماً، دور الوسيط، بين الطرفين. واستمرّ القتال بين الفريقين طوال عام ١٨٥٥، يتأجّج تارة ويخبو أخرى، ولم يزد في أواره دخول «سردينيا» مع الحلفاء، في الحرب ضد روسيا (كانون الثاني/يناير عام ١٨٥٥). وفي مطلع عام ١٨٥٦، أعادت النمسا الكرة على روسيا عارضة عليها، من جديد، المذكرة التي تتضمّن البنود الأربعة السابقة، فوافقت عليها، وعقد، في باريس، مؤتمر (في شباط/فبراير عام ١٨٥٦) انتهى بمعاهدة دعيت «معاهدة باريس». وقد اعتبرت هذه المعاهدة انتصاراً لكلّ

من إنكلترا وفرنسا في سياستيهما تجاه الدولة العثمانية، وإنقاذاً لهذه الدولة من شبح التقسيم الذي كان مسيطراً عليها، وإضعافاً لروسيا التي كانت تدعو إلى ذلك.

إلاّ أن تدخّل الدول الأوروبية، إلى جانب الدولة العثمانية، في حرب القرم، أضعف، بالفعل، من سلطة هذه الدولة وهيبتها، وأعطى تلك الدول الحق في التدخّل بشؤونها الداخلية، ساعة تشاء، وهكذا نرى فرنسا وروسيا ترسلان جيوشهما إلى سواحل الجبل الأسود (عام ١٨٥٨) لمنع الجيوش العثمانية من دخول هذا الإقليم لمعاقبة أميره على مساعدته للثورة في البوسنة والهرسك، «حتى خيّل، للمتأمل، ان سفراء الدول، بالآستانة، صاروا شركاء للوزارة في جميع الأعمال»[٥٩]. وكان من نتائج المعاهدات التي وقّعتها الدول الأوروبية والدولة العثمانية، ومنها معاهدة باريس عام ١٨٥٦، أن مُنحت بلاد الصرب، وولايتا الأفلاق والبغدان، حكماً ذاتياً (تحت سيادة الباب العالي)، على ان لا يكون للدولة العثمانية الحق في أن تضع حامية من جندها، في بلاد الصرب، إلاّ في ست قلاع، منها قلعة بلغراد، وان لا يسكن المسلمون خارج هذه القلاع. إلاّ أنه، وعلى أثر قتال طائفي وقع بين الصرب والمسلمين، عقد، في الآستانة، مؤتمر من مندوبي الدول التي اشتركت في مؤتمر باريس عام ١٨٥٦، وتقرّر، بالأغلبية، أن يتم إخلاء قلعتين من هذه القلاع الست التي يشغلها الجنود العثمانيون، بحيث لا يبقى للعثمانيين سوى أربع قلاع، بينها قلعة بلغراد (إتفاق وقع في أيلول/سبتمبر عام ١٨٦٢)، وأن لا يقطن المسلمون خارج هذه القلاع الأربع. أما المسلمون الذين يقطنون خارج هذه القلاع فعليهم ان يبيعوا ممتلكاتهم ويسكنوا ضمن حدود القلاع أو أن يهاجروا من البلاد، وعلى حكومة الصرب ان تدفع لهم تعويضات مقابل ذلك.

كما كان من نتائج هذه المعاهدات ان تمّ توحيد ولايتي الأفلاق والبغدان في إمارة واحدة هي إمارة «رومانيا»، وقد انتخبت هذه الإمارة أميراً عليها، واعترف الباب العالي بهذا الانتخاب، وأصدر، في أواخر عام ١٨٦١، فرماناً يجيز لأمير تلك البلاد توحيدها. وفي عام ١٨٦٦ اجتمع مندوبو معاهدة باريس نفسها وأقرّوا، بالأغلبية، إنتخاب أمير جديد لإمارة رومانيا هو الأمير شارل دي هوهنزولرن، من أصل بروسي ملكي، وقد سمي، فيما بعد، ملكاً على هذه البلاد[٦٠].

ولم يلبث الصرب أن أخذوا يطالبون بانسحاب الجيش العثماني من بلادهم، وكانت الثورة قد اندلعت في جزيرة كريت، فرضخت السلطنة للمطلب الصربي وسحبت ما كان قد تبقّى لها من جند في قلاع الصرب (آذار/مارس عام ١٨٦٧)، وهكذا أتمّت بلاد الصرب استقلالها التام والناجز. وقد جرى الشيء نفسه بالنسبة إلى إمارة رومانيا، إذ اعترفت السلطنة، وبسبب ضغط ثورة كريت أيضاً، بالأمير شارل دي هوهنزولرن، مكرّسة، بهذا الإعتراف، إستقلال الأفلاق والبغدان، أو إمارة رومانيا، إستقلالاً تاماً وناجزاً كذلك. وأما كريت، فيبدو انه لم يكن للدول الأوروبية، المهتمّة بالشأن العثماني، مصلحة في تأجيج ثورتها، لذا، فهي قد منعت اليونان من مساعدة الثوار فيها، مما أتاح للسلطان العثماني عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) إرسال جيش (عثماني ومصري) لإخماد تلك الثورة. وفي مؤتمر عقد بباريس (في أيلول/سبتمبر عام ١٨٦٩) منح السلطان العثماني الجزيرة بعض الامتيازات، وأعفى أهلها من ضرائب متأخّرة عليهم، لمدة سنتين. وهكذا انتهت ثورة جزيرة كريت، ولكن إلى حين.

إلا ان منح السلطنة الاستقلال لبلاد الصرب وإمارة رومانيا حرّض باقي الأقاليم، في بلاد البلقان، على المطالبة باستقلالها، وكان أولها إقليم

«الهرسك» الذي ثار (في مطلع العام ١٨٧٥) مطالباً بالاستقلال الإداري، وكانت مطالب هذا الإقليم ، في البداية، مطالب إجتماعية بسيطة (كتخفيض الضرائب، وبدل الخدمة الإجبارية، وعدم فرض ضرائب جديدة، وتشكيل بوليس خاص به) واستطاع السلطان عبد العزيز إخماد تلك الثورة، إلا انها لم تلبث ان اندلعت، من جديد (في الشهر الأخير من العام ١٨٧٥)، وطالب الثائرون بجلاء الجيوش العثمانية عن بلادهم، وكان الصرب وأهل الجبل الأسود، وربما النمسا، يساعدونهم بالمال والسلاح، ولكن الباب العالي قمع ثورتهم، من جديد، بشدّة. ولما رأت النمسا ان الثورة لن تتمكّن من الإستمرار وتحقيق أهدافها، طلبت من بروسيا (ألمانيا) وروسيا التضامن معها وتقديم لائحة (لائحة الكونت أندراسي الوزير الأول في النمسا) إلى الباب العالي تتضمّن مطالب الثائرين، وانضمّت كلّ من فرنسا وإنكلترا إلى هذا المطلب. وأرسلت اللائحة رسمياً إلى الباب العالي (عن طريق السفارة الإنكليزية في الآستانة)، وجاء فيها المطالبة بتشكيل «لجنة» من الأهالي (نصفها من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين) لمراقبة تنفيذ الفرمان السلطاني الذي سبق أن صدر (في ١٢ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٧٥) والذي يفصل بين السلطتين القضائية والتنفيذية في البلاد، ويفرض تعيين قضاة من الأهالي عن طريق الانتخاب، ويوحّد الضرائب ويساويها بين المسلمين والمسيحيين. وقد وافق السلطان على المطالب الواردة في اللائحة، وأضاف إليها إصدار عفو عام عن الذين اشتركوا في الثورة من أهل البلاد، ولكن أهالي الهرسك رفضوا ذلك العفو وأصروا على المطالب التالية:

- جلاء الجيوش العثمانية عن البلاد، أو إقتصار وجودها على بعض القلاع فقط.

- تمليك ثلث أراضي الهرسك للمسيحيين وإعفاؤهم من الضرائب لمدة ٣ سنوات.

- دفع تعويض للمسيحيين عما تهدّم، أثناء الثورة، من بيوتهم وكنائسهم، على أن يتمّ دفع هذه التعويضات بواسطة لجنة أوروبية[٦١].

كان واضحاً، إذن، أن المطلب الأساسي للهرسك هو الإستقلال، وبتحريض من الدول الأوروبية نفسها، إذ إنه، ما أن وافق السلطان على ما جاء في اللائحة من مطالب، حتى صعّد الثوار مطالبهم، وأذكى نار الفتنة ما جرى في «سالونيك»، في أيار/مايو عام ١٨٧٦، إذ اعتنقت فتاة بلغارية مسيحية الإسلام وأتت إلى سالونيك لإثبات إسلامها، فتعرّض لها بعض الاروام واختطفوها، وثار المسلمون لهذا التصرّف وتجمّعوا في أحد المساجد استنكاراً، وما أن حضر قنصلا بروسيا وفرنسا إلى حيث الحشد حتى اعتدي عليهما وقتلا، بذريعة ان الفتاة قد أخفيت في منزل القنصل الالماني.

إثر ذلك، اجتمع وزراء مندوبون عن النمسا وروسيا وبروسيا وتداولوا الأمر فيما بينهم، وانتهوا إلى قرارٍ برفع لائحة إلى الباب العالي (سميت بلائحة برلين)، وقد أيّدت كلٌّ من فرنسا وإيطاليا هذه اللائحة التي جاء فيها:

- ضرورة تنفيذ الفرمان السلطاني الصادر في ١٢ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٧٥ وتعيين مجلس دولي لمراقبة التنفيذ.

- إصلاح حال المسيحيين في الولايات.

- إبرام هدنة مع الثوار لمدة شهرين (أو ٦ أسابيع على الأقل) للوصول إلى اتفاق معهم.

- إن لم يتمّ الإتفاق مع الثوار، ستكون الدول الموقّعة على هذه اللائحة مضطرة لاستعمال القوة وإجبار الباب العالي على تنفيذ هذه اللائحة. ويلاحظ

أن إنكلترا لم تكن في عداد الدول الموقّعة على لائحة برلين هذه. وطبيعي ان لا يقبل الباب العالي بهذه المطالب التي اتخذت شكل إنذار وتهديد من قبل الدول الموقعة عليها[٦٢].

وفي أول أيار/مايو عام ١٨٧٦ ثار البلغار، بالاتفاق مع رومانيا، وبتحريض من النمسا، وأقدموا على ارتكاب مذابح عديدة بحق الكثير من المسلمين في نحو ١٦٠ موضعاً في مدن «أدرنه» و«فيليبه» و«بازارجق». واستطاع الوالي العثماني ان يقمع هذه الثورة، ولكن زعيم حزب الأحرار الانكليزي «غلادستون» استغلّها أسوأ استغلال، مما أثار الرأي العام البريطاني، فأرسل وزير الخارجية البريطانية «اللورد دربي» (في ١٨ أيلول/سبتمبر عام ١٨٧٦)، إلى سفيره في الآستانة يطلب التحقيق في «الفظائع» المنسوبة إلى المسلمين في بلغاريا. وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد تسلّم عرش السلطنة (في ٧ أيلول نفسه) خلفاً لأخيه السلطان مراد الخامس الذي كان قد أصيب بعاهة في عقبه، فعزل من منصبه بسبب ذلك، فطلب السفير البريطاني من السلطان عبد الحميد، باسم ملكة إنكلترا «التعويض على الثائرين، وبناء ما هدم من الكنائس والبيوت... ومساعدة الأهالي... ومجازاة المأمورين الذين أمروا بإجراء هذه الفظائع، وإناطة إدارة هذه البلاد بوالٍ عادل... شرط ان يكون مسيحياً، وإن كان مسلماً فيكون له مستشارون من المسيحيين...»[٦٣]. ولم تؤدّ الثورة في البوسنة والهرسك وبلغاريا إلى النتائج التي كان يتوخاها الثوار أو محرضوهم.

وكانت روسيا قد حرّضت كلاً من بلاد الصرب والجبل الأسود لإعلان الحرب على الدولة العثمانية، على أن لا تتخلف عن الدخول في هذه الحرب إلى جانب حلفائها، إن هم انهزموا. وباشر أميرا الصرب والجبل الأسود استعداداتهما للحرب، فحشدا الجيوش واشتريا السلاح والمعدات، وأمدّتهما

روسيا بأحد قادتها (الجنرال تشرنايف) مع عدد من الضباط العاملين في الجيش الروسي، ولما طلب الباب العالي منهما تفسيراً لما يجري، لم يتلق جواباً مقنعاً. وعندما أتمّ الأميران استعداداتهما العسكرية، طلب أمير الصرب من الباب العالي تكليفه قمع ثورة البوسنة والهرسك، لأن وجود الجيش العثماني في تلك البلاد يهدّد أمن بلاده هو، كما طلب أمير الجبل الأسود ان تتنازل له الدولة عن أجزاء من أراضي الهرسك، ولما رفض الباب العالي هذه المطالب اجتاز الجيش الصربي حدود الدولة العثمانية بقيادة الجنرال الروسي (تشرنايف)، كما اجتازها جيش الجبل الأسود بدوره، ودارت، بين الجيش العثماني وجيشي الصرب والجبل الأسود، معارك استمرّت من أول تموز/يوليو عام ١٨٧٦ حتى ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر من العام نفسه، وقد مني الجيشان: الصربي والجبلي، بهزائم مريرة، وهدّدت الجيوش العثمانية عاصمة الصرب «بلغراد».

وهنا، بدأ التدخّل الروسي، إذ أرسلت روسيا إلى الباب العالي، بواسطة سفيرها في الآستانة، وبتاريخ ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٧٦، برقية تطلب منه فيها وقف القتال «ومهادنة الصرب والجبل الأسود مدّة ٦ أسابيع أو شهرين»، وإن لم يمتثل، فعلى السفير الروسي أن يهدّد الباب العالي بالانسحاب، مع جميع موظفي السفارة، من الآستانة. وقد لبى الباب العالي طلب روسيا هذا، وأعلن هدنة لمدّة شهرين، مدّدت، فيما بعد إلى شهر آذار/مارس عام ١٨٧٧.

في هذه الأثناء، كان وزير الخارجية البريطانية يسعى إلى عقد مؤتمر، في الآستانة، من الدول المهتمة بالشأن العثماني، لدراسة الوضع، وقد عقد هذا المؤتمر في ٢٣ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٧٦ في الآستانة، وضم مندوبين

عن كلّ من: الباب العالي، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، والمجر، والنمسا، وروسيا، وإنكلترا. ولم يتوصّل هذا المؤتمر إلى نتائج مرضية، فعاد وانعقد، من جديد، في ٢٠ كانون الثاني/يناير عام ١٨٧٧، وأعلن مندوب الباب العالي (صفوت باشا، ناظر الخارجية العثمانية) ان الدولة العثمانية «مستعدة لقبول تشكيل مجالس انتخابية في البوسنة والهرسك والبلغار يكون انتخابهم لمدة سنة فقط، ويكون نصف أعضاء هذه المجالس من المسلمين، والنصف الآخر من المسيحيين»، ولكنه رفض، رفضاً باتاً، «اللجان المختلطة» التي كان الصرب قد اقترحوها لمراقبة تنفيذ الفرمان السلطاني الصادر في ١٢ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٧٥، لما في ذلك من عدم الثقة بوعود السلطان، كما انه رفض إعطاء الصرب والجبل الأسود أي جزء من أراضي البوسنة والهرسك. وقد اختتم المؤتمر أعماله دون التوصّل إلى نتائج مرضية.

وبينما كانت الدول الأوروبية (التي اجتمعت في الآستانة) تتشاور حول ما يجب عمله تجاه الباب العالي، تمّ إبرام الصلح بين الباب العالي وإمارة الصرب وفق شروط أهمها:

«أن تخلي العساكر العثمانية بلاد الصرب» وان «لا تبني الإمارة (الصربية) قلاعاً جديدة». اما الجبل الأسود فظلّ على موقفه المطالب بالتنازل له عن بعض الأراضي (لكي يصير له مرفأ على البحر الأدرياتيكي) ولكن الهدنة مدّدت معه.

وإنقاذاً لماء الوجه، رأت الدول الكبرى (التي اجتمعت في مؤتمر الآستانة) ان تضع لائحة دعيت «لائحة لندره» وترسلها إلى الباب العالي (بعد ان صدّق عليها سفراء هذه الدول في ٣١ آذار/مارس عام ١٨٧٧)، وقد تضمّنت هذه اللائحة مطالب بتحسين أحوال النصارى في السلطنة، وإجراء إصلاحات

في البوسنة والهرسك، وتعيين حدود الجبل الأسود. وقد وقّع على هذه اللائحة مندوبون عن إنكلترا وألمانيا والنمسا وفرنسا وإيطاليا وروسيا. وردّ الباب العالي على هذه اللائحة بملاحظات تفصيلية رافضاً إياها، جملة وتفصيلاً[٦٤].

عندها، أعلنت روسيا الحرب على الباب العالي، وانضمّت إليها رومانيا (الافلاق والبغدان) بعد أن وقّع البلدان معاهدة سرية (في ١٦ نيسان/أبريل عام ١٨٧٧) وضعت رومانيا، بموجبها، أرضها وكلّ مخازنها وذخائرها ومؤنها بتصرّف روسيا. أما دول أوروبا، فهي، وإن لم تدخل الحرب إلى جانب روسيا، فإنها لم تقدّم أية مساعدة للباب العالي، كما انها لم تتوسّط بينه وبين روسيا.

بدأت الحرب بهجوم شنّته روسيا على الباب العالي، مخترقة أرض رومانيا، بتاريخ ٢٧ أيار/مايو عام ١٨٧٧، وتقدّمت في أراضي الدولة العثمانية، إلاّ أن الجيوش العثمانية تمكّنت من صدّها وإيقاع الهزيمة بها في أكثر من معركة، وعلى أكثر من جبهة. واستطاعت روسيا ان تحتل مدينتي (قارص) (في ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٨٧٧)، وبلفنه (في ١٠ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٧٧)، وعندها، رأت إمارة الصرب ان تدخل في الحرب إلى جانب روسيا، وتبعها، في ذلك، الجبل الأسود. وتقدم الروس حتى أضحوا في ضواحي الآستانة ، وحركت إنكلترا أسطولها باتجاه الآستانة لمنع روسيا من احتلالها، وعندها طلب الباب العالي الصلح. وقد نتج عن المفاوضات إتفاق مبدئي (في ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٨٧٨) على:

- منح الإستقلال الإداري للبلغار، والإستقلال السياسي لرومانيا والجبل الأسود، مع إعطائهما بعض أراضي الدولة العثمانية، وتقرير غرامة مالية

لروسيا تدفعها الدولة العثمانية أو تستعيض عن دفعها بالتنازل عن بعض القلاع والحصون. وقد أوقف القتال في ٣١ كانون الثاني/يناير عام ١٨٧٨، وتمّ توقيع الهدنة ومقدمات الصلح في مدينة «أدرنه».

وفي «سان اسطفا نوس» وقّعت المعاهدة المسماة بهذا الإسم، بين روسيا والباب العالي، بتاريخ ٣ آذار/مارس عام ١٨٧٨[٦٥].

يمكن القول، من قراءة هذه المعاهدة، ان روسيا قد أنهت الوجود العثماني في اوروبا، فهي:

١ - اضطرتها للتنازل عن غالبية ممتلكاتها في أوروبا، بحيث لم يبق لها سوى أربع مناطق صغيرة:

الاولى: مدينة الآستانة وضواحيها.

والثانية: مدينة سالونيك وجزيرة «الحيث» القريبة منها.

والثالثة: بلاد أبيروس وجزء من بلاد الأرناؤوط (ألبانيا).

والرابعة: إقليم البوسنة والهرسك.

وتتواصل المناطق الثلاث الأولى منها عن طريق البحر، أما الثالثة والرابعة فتتواصلان بواسطة طريق ضيقة بين بلاد الصرب والجبل الأسود، مما يتيح لإحدى هاتين الإمارتين ان تقطع هذه الطريق متى شاءت.

أما باقي ممتلكات الدولة العثمانية في أوروبا، فقد أعطي قسم منها إلى إمارة الصرب وقسم آخر إلى الجبل الأسود، وانشئ في القسم الثالث إمارة مستقلّة هي بلغاريا.

٢ - أخذت منها، في آسيا، قلاع قارص وباطوم وبايزيد، إلى حدود أرضروم تقريباً.

٣ - إعترف الباب العالي باستقلال كلّ من: إمارة الصرب، وإمارة الجبل الأسود، ورومانيا.

٤ - تنازل الباب العالي عن إقليم «الدوبرجه» لرومانيا، وتمّ سلخ إقليم بسارابيا وضمّه إلى روسيا.

٥ - أضيف إلى إمارة البلغار مناطق غالبية سكانها من الاروام والصرب، وإلى الصرب والجبل الأسود مناطق فيها الكثير من المسيحيين والمسلمين.

وقد اختلفت مواقف الدول من هذه المعاهدة، فعارضتها إنكلترا لأنها جعلت روسيا على حدود البوسفور، وعارضتها النمسا لرغبتها في ضم إقليم البوسنه والهرسك إليها أملاً في امتلاك ميناء سالونيك فيما بعد، ورحّبت بها ألمانيا، وبقيت فرنسا منها على الحياد، وكذلك إيطاليا.

أمام كلّ هذه الاحداث وتلك التي كانت تجري، في الوقت نفسه، في المشرق والمغرب وحوض البحر المتوسط، كان «بسمارك» يتأمّل مراقباً، ويفكّر بحلول تتيح له ان يظهر كبطل للسلام العالمي، فدعا إلى مؤتمر عام لحلّ مشاكل أوروبا والدولة العثمانية، بلا قتال، وعقد المؤتمر في برلين، واستمر طوال شهر بكامله، من ١٢ حزيران/يونيو، إلى ١٣ تموز/يوليو عام ١٨٧٨، ونتج عنه معاهدة دعيت «معاهدة برلين» وأهم ما تضمّنته هذه المعاهدة:

١ - تكوّن البلغار إمارة مستقلّة، لها حكومة مسيحية وجيش وطني، وعليها أن تدفع خراجاً سنوياً للباب العالي، وتكون تابعة له. ورسمت المعاهدة حدود هذه الإمارة، وطريقة انتخاب أميرها، وألغت وجود الجيش العثماني فيها، وأقرّت هدم حصونها وقلاعها على حسابها.

٢ - تقوم ولاية جديدة جنوب البلقان باسم ولاية الروم إيلي (الروماللي) الشرقية، وتكون تابعة للسلطان تبعية سياسية وعسكرية، إلاّ انها مستقلّة إدارياً، ويكون واليها نصرانياً. ورسمت المعاهدة حدود هذه الولاية، وشروط استدعاء الجيش العثماني إليها، ومدّة ولاية الوالي وكيفية تعيينه (من قبل الباب العالي وباتفاق الدول).

٣ - توضع قوة عسكرية روسية في البلغار وفي ولاية الروماللي الشرقية، وحدّدت المعاهدة تشكيل هذه القوة وعديدها (٦ فرق مشاة وفرقتا خيالة، على ان لا يزيد عديدها جميعاً عن خمسين ألف جندي ، وتكون نفقاتها على حساب الولايات التي تتمركز فيها).

٤ - يجري تنظيم جزيرة كريت وفقاً لما تقرر عام ١٨٦٨، ويقوم الباب العالي بهذا التنظيم، كما في باقي الولايات، ووفقاً لما تقتضيه المصالح الداخلية لهذه الولاية.

٥ - تقوم النمسا وهنغاريا بإرسال عساكر إلى ولايتي البوسنة والهرسك، ويناط بهذه العساكر أمر إدارة هاتين الولايتين.

٦ - يعترف الباب العالي باستقلال إمارة الجبل الأسود، كما تعترف بقية الدول الموقّعة على هذه المعاهدة باستقلالها. واشترط الموقعون ان يكون استقلال هذه الإمارة مرتبطاً بالحرية الدينية لسكانها ولجميع الأهالي التابعين لها وللأجانب أيضاً، وحدّدت المعاهدة كذلك حدود هذه الإمارة.

٧ - تضمّ «انتيفاري» إلى إمارة الجبل الأسود، على ان تعاد إلى الدولة العثمانية الأراضي الواقعة جنوب تلك الجهة، وحدّدت المعاهدة هذه الأراضي وفقاً لخارطة مرفقة بالمعاهدة.

٨ - حدّدت المعاهدة علاقة إمارة الجبل الأسود بالسلطنة العثمانية.

٩ - يعترف الموقعون على المعاهدة بإمارة الصرب، بشروط حدّدتها المعاهدة نفسها، كما حدّدت المعاهدة حدود هذه الإمارة.

١٠ - يعترف الموقّعون على المعاهدة بإمارة رومانيا، بشرطين اثنين حدّدتهما المعاهدة نفسها (أهمهما حرية المعتقدات الدينية).

١١ - حدّدت المعاهدة وسائل زيادة تأمين حرية السفر في نهر الطونة.

١٢ - تعيد روسيا إلى الدولة العثمانية: أودية الشغراد ومدينة بايزيد التي سلمت لروسيا بموجب معاهدة سان اسطفانوس. ويرغب قيصر روسيا ان يكون ميناء (باطوم) مرفأ حراً.

١٣ - حدّدت المعاهدة ما هو مطلوب من الباب العالي تجاه الدول الموقعة عليها، وأهمّه: «يؤذن لجميع الناس بأن يؤدوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز أحد في الدين. ويكون استعمال سائر الأمور الدينية بحرية الخ...».

ووقّعت هذه المعاهدة في برلين بتاريخ ١٣ تموز/يوليو عام ١٨٧٨.

أمّا الدول الموقّعة على هذه المعاهدة فهي: إنكلترا، وفرنسا، وبروسيا (ألمانيا)، والنمسا (بوهيميا وهنغاريا)، وإيطاليا، وروسيا، والدولة العثمانية[٦٦].

ويستنتج من هذه المعاهدة ما يلي:

١ - لم تتعدّ حدود إمارة البلغار جبال البلقان.

٢ - فُصلت ولاية الروملِّي عن الدولة العثمانية وحظر إقامة الجيوش العثمانية على أرضها.

٣ - رُدّت سواحل الأرخبيل، بما فيها ميناء «قوله»، إلى الدولة العثمانية.

٤ - سُلّمت ولايتا البوسنه والهرسك إلى مملكة النمسا.

٥ - أضيف جزء من الأراضي إلى مملكة اليونان.

٦ - وُسعت حدود إمارتي الصرب والجبل الأسود، وأعطيت إمارة الجبل الأسود مرفأ على بحر الأدرياتيك.

٧ - تعرض المؤتمر لإجراءات تحسين أحوال المسيحيين وخصوصاً الأرمن.

٨ - أُلزمت الدولة العثمانية بإفادة الدول الأوروبية، دوريا، عن الإجراءات التي تتخذها لتنفيذ هذه القرارات، وعلى الدول الأوروبية مراقبة ذلك.

٩ - أعطت هذه المعاهدة كثيراً من الأراضي إلى الدول التي لم تشترك في الحرب، مثل اليونان وإيران (العجم)، وإلى دولة النمسا التي هزمت أمام الدولة العثمانية في البداية، ولم تستطع الصمود إلا بمساعدة عسكرية من روسيا[٦٧].

ما أن أشرف القرن الميلادي التاسع عشر على نهايته، حتى كانت السلطنة العثمانية قد جردت من ممتلكاتها الشاسعة، في أوروبا، على يد النمسا وروسيا خصوصاً، ومعهما، فيما بعد، الجبل الأسود ورومانيا وصربيا، ومن ممتلكاتها الشاسعة في مصر والسودان، والمغرب والخليج العربيين، على يد فرنسا وإنكلترا ومعهما إيطاليا وإسبانيا.

وبينما كانت الدول الأوروبية تنهش الجسد المريض للدولة العثمانية من كلّ ناحية، كانت هذه الدولة نفسها، وفي الداخل، تأكل أحشاءها، ورغم ذلك، حاول العديد من السلاطين استنهاضها فلم يستطيعوا، فقد حاول السلطان

سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) أن يجري إصلاحات داخلية في السلطنة، فأجرى تنظيماً جديداً للجندية يغنيه عن تنظيم الإنكشارية الذين كانوا قد عاثوا فساداً في الدولة ولم يعودوا صالحين للحرب ولا للسلم، ولكن الانكشارية تغلّبوا عليه واستطاعوا تأليب الغوغاء ضده، ولم يستطع الجند النظامي، الذي كان قد أنشأه حديثاً، الدفاع عنه وعن النظام الجديد الذي عاد السلطان فألغاه بهدف تهدئة ثورة الانكشارية، ولكن هؤلاء لم يكتفوا بذلك بل عزلوا السلطان واستعادوا سلطاتهم كاملة.

وأعاد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) الكرّة، واستطاع ان يفعل، بالإنكشارية، ما عجز سلفه السلطان سليم الثالث عن فعله، فقضى على الإنكشارية وأنشأ، بدلاً منهم، جيشاً نظامياً على الطراز الأوروبي الحديث ، كما أنه عمد إلى إصلاح الإدارة من الفساد الذي كان مستشرياً فيها، فعزل المفسدين وقضى على البيروقراطية التي كانت معششة في أجهزة الحكم، ولكن الحروب التي شنّت ضده من الدول الأوروبية لم تمهله لكي يستكمل إصلاحاته تلك، فمات دونها. وحاول إبنه السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ - ١٨٦١) ان يتابع مسيرة أبيه الإصلاحية، فأصدر «فرمان الكالخانه» الشهير (عام ١٨٣٩) الذي أبدى، من خلاله، خوفه على السلطنة التي بدأت بالضعف والتقهقر «منذ مائة وخمسين سنة»، لذا، فقد نهد، هو نفسه، إلى محاولة إنهاضها وإعادتها إلى سابق مجدها وقوتها، فسعى لإصلاح جباية الخراج (الضريبة) واستكمل تنظيم الجند ومحاربة الرشوة والفساد. وما أن انتهت حربه مع روسيا (حرب القرم) حتى أصدر ما سمي «بالاصلاحات الخيرية» (عام ١٨٥٦) التي كانت تهدف إلى استكمال تلك التي بدأها «بفرمان الكالخانه»، ولكن الضعف الذين كان قد انتاب الدولة العثمانية جعلها هدفاً

سهلاً للتدخل الأوروبي في شؤونها الداخلية، وعرقل كلّ المساعي التي كان يمكن ان تؤول إلى إصلاحها وإعادة استنهاضها. وكانت الحروب قد عادت لتشغل السلطان من جديد، فتوفي دون ان يستطيع استكمال إصلاحاته.

وجاء السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) ليستكمل ما بدأه أسلافه، فسنّ العديد من القوانين الإصلاحية، في كلّ المجالات، مقتبساً إياها عن القوانين الفرنسية، «مع مراعاة نصوص الشريعة الإسلامية»، ونظّم المحاكم، كما نظّم إدارات الدولة جميعها، ووضع للبلاد قوانين عصرية حديثة كان يمكن، لو طبّقت، ان تنتقل، بالسلطنة، من حال التخلّف والتحجّر إلى حال النهضة والعصرنة.

إلاّ ان عهده تميز ببروز النزعة القومية لدى شعوب البلقان الذين بدأوا يطالبون بالإنفصال عن السلطنة، وكانت هذه الشعوب قد نالت نوعاً من الإستقلال الذاتي «تحت سيادة الباب العالي» (بموجب معاهدة باريس عام ١٨٥٦). لذا، أضحى من الصعب أبقاؤها تحت حكم السلطنة، ولم يغيّر من توجّهات تلك الشعوب ما سعى إليه السلاطين اليقظون من إصلاحات، كما ان عبد العزيز لم يستطع، بما أراد أن يدخله من جديد على شرائع السلطنة في عهده، أن يغيّر ما هو مألوف، لدى العامة والعلماء معاً، من تقاليد وعادات تتمسّك بما هو جامد ومتحجّر، وترفض كلّ تقدّم وتطوّر، ورافق ذلك إنفاق مالي ربما بلغ حدّ الإسراف، نسب إليه، مما أدى إلى عزله[٦٨].

وتسلم السلطان مراد الخامس الحكم (١٨٧٦ - ١٨٧٦)، إلا أنه لم يلبث فيه سوى شهور معدودة خلع، إثرها، لخللٍ في عقله، حيث تسلم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم بعده (١٨٧٦ - ١٩٠٩)، فبعث، في السلطنة، آمالاً جديدة في التقدّم والتحرّر، معلناً انه سوف يستكمل ما سبق أن باشر به أسلافه من

سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) أن يجري إصلاحات داخلية في السلطنة، فأجرى تنظيماً جديداً للجندية يغنيه عن تنظيم الإنكشارية الذين كانوا قد عاثوا فساداً في الدولة ولم يعودوا صالحين للحرب ولا للسلم، ولكن الانكشارية تغلّبوا عليه واستطاعوا تأليب الغوغاء ضده، ولم يستطع الجند النظامي، الذي كان قد أنشأه حديثاً، الدفاع عنه وعن النظام الجديد الذي عاد السلطان فألغاه بهدف تهدئة ثورة الانكشارية، ولكن هؤلاء لم يكتفوا بذلك بل عزلوا السلطان واستعادوا سلطاتهم كاملة.

وأعاد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) الكرّة، واستطاع ان يفعل، بالإنكشارية، ما عجز سلفه السلطان سليم الثالث عن فعله، فقضى على الإنكشارية وأنشأ، بدلاً منهم، جيشاً نظامياً على الطراز الأوروبي الحديث ، كما أنه عمد إلى إصلاح الإدارة من الفساد الذي كان مستشرياً فيها، فعزل المفسدين وقضى على البيروقراطية التي كانت معششة في أجهزة الحكم، ولكن الحروب التي شنّت ضده من الدول الأوروبية لم تمهله لكي يستكمل إصلاحاته تلك، فمات دونها. وحاول إبنه السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ - ١٨٦١) ان يتابع مسيرة أبيه الإصلاحية، فأصدر «فرمان الكالخانه» الشهير (عام ١٨٣٩) الذي أبدى، من خلاله، خوفه على السلطنة التي بدأت بالضعف والتقهقر «منذ مائة وخمسين سنة»، لذا، فقد نهد، هو نفسه، إلى محاولة إنهاضها وإعادتها إلى سابق مجدها وقوتها، فسعى لإصلاح جباية الخراج (الضريبة) واستكمل تنظيم الجند ومحاربة الرشوة والفساد. وما أن انتهت حربه مع روسيا (حرب القرم) حتى أصدر ما سمي «بالاصلاحات الخيرية» (عام ١٨٥٦) التي كانت تهدف إلى استكمال تلك التي بدأها «بفرمان الكالخانه»، ولكن الضعف الذين كان قد انتاب الدولة العثمانية جعلها هدفاً

سهلاً للتدخل الأوروبي في شؤونها الداخلية، وعرقل كلّ المساعي التي كان يمكن ان تؤول إلى إصلاحها وإعادة استنهاضها. وكانت الحروب قد عادت لتشغل السلطان من جديد، فتوفي دون ان يستطيع استكمال إصلاحاته.

وجاء السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) ليستكمل ما بدأه أسلافه، فسنّ العديد من القوانين الإصلاحية، في كلّ المجالات، مقتبساً إياها عن القوانين الفرنسية، «مع مراعاة نصوص الشريعة الإسلامية»، ونظّم المحاكم، كما نظّم إدارات الدولة جميعها، ووضع للبلاد قوانين عصرية حديثة كان يمكن، لو طبّقت، ان تنتقل، بالسلطنة، من حال التخلّف والتحجّر إلى حال النهضة والعصرنة.

إلاّ ان عهده تميز ببروز النزعة القومية لدى شعوب البلقان الذين بدأوا يطالبون بالإنفصال عن السلطنة، وكانت هذه الشعوب قد نالت نوعاً من الإستقلال الذاتي «تحت سيادة الباب العالي» (بموجب معاهدة باريس عام ١٨٥٦). لذا، أضحى من الصعب أبقاؤها تحت حكم السلطنة، ولم يغيّر من توجّهات تلك الشعوب ما سعى إليه السلاطين اليقظون من إصلاحات، كما ان عبد العزيز لم يستطع، بما أراد أن يدخله من جديد على شرائع السلطنة في عهده، أن يغيّر ما هو مألوف، لدى العامة والعلماء معاً، من تقاليد وعادات تتمسّك بما هو جامد ومتحجّر، وترفض كلّ تقدّم وتطوّر، ورافق ذلك إنفاق مالي ربما بلغ حدّ الإسراف، نسب إليه، مما أدى إلى عزله[٦٨].

وتسلم السلطان مراد الخامس الحكم (١٨٧٦ - ١٨٧٦)، إلا أنه لم يلبث فيه سوى شهور معدودة خلع، إثرها، لخللٍ في عقله، حيث تسلم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم بعده (١٨٧٦ - ١٩٠٩)، فبعث، في السلطنة، آمالاً جديدة في التقدّم والتحرّر، معلناً انه سوف يستكمل ما سبق أن باشر به أسلافه من

تجديد وتطوير في قوانين الدولة ومؤسّساتها، واستهلّ نشاطه هذا بإصدار «خط همايوني» نشر في أيلول/سبتمبر عام ١٨٧٦[٦٩]، وهو كناية عن رسالة وجهها إلى «الصدر الأعظم محمد رشدي باشا» وتضمّنت وعداً قاطعاً وصريحاً بمتابعة طريق الإصلاح، ثم ما لبث أن أصدر (في كانون الأول/ديسمبر من العام نفسه) «إرادة سنية» بالسير في طريق الديمقراطية الصحيحة عن طريق تشكيل «برلمان» من مجلسين هما: مجلس المبعوثان، وينتخب أعضاؤه من الأهالي، ومجلس الأعيان، ويسمي أعضاءه السلطان نفسه. وكانت هذه «الارادة السنية» موجّهة، بشكل رسالة، إلى الصدر الأعظم الجديد «مدحت باشا» أول من نادى بالحرية وبإصدار «قانون أساسي» يعتبر دستوراً ينظم حياة «الأمة العثمانية»[٧٠]، وكان هو واضع هذا القانون.

ورغم ان «مدحت باشا» (الذي لقب برئيس الأحرار) لم يستمر طويلاً في منصبه، إذ أنه عزل منه، بعد شهرين فقط من تسلّمه له (شباط/فبراير عام ١٨٧٧)، فقد تمّ تشكيل البرلمان المنشود (من مجلسي المبعوثان والأعيان) وافتتح السلطان هذا البرلمان (بتاريخ ١٩ آذار/مارس عام ١٨٧٧)، بخطبة أثارت الكثير من الآمال بسبب ما حملته من وعود[٧١]. ولكن لم يلبث السلطان عبد الحميد أن تراجع عن كلّ تلك الوعود، بل إنه لم يلبث ان حلّ المجلس، بعد اجتماعه الأول، وبدأ، في السلطنة، عهد استبدادي لم تعرف السلطنة له مثيلاً.

ولكن رياح الحرية التي زرعها «مدحت باشا» في عهد السلطان مراد الخامس (عام ١٨٧٦) وفي مطلع عهد السلطان عبد الحميد الثاني، لم تلبث ان انتشرت في كلّ أرجاء السلطنة، واستغلّت «لجنة الإتحاد والترقي» مشاعر الجماهير هذه، واستطاعت ان تجمع، حولها، بعض القطعات العسكرية

(الفيالق: الثاني والثالث والرابع) مما جعلها تتحدى السلطان نفسه، وتهدّد باحتلال عاصمته، الآستانة، مما دفع بالسلطان للرضوخ وإعادة العمل بالدستور والبرلمان.

ولم تلبث «لجنة الإتحاد والترقي» هذه ان أضحت تسيّر أمور السلطنة كما تشتهي، فعزلت السلطان عبد الحميد الثاني (عام ١٩٠٩) وتوّجت مكانه السلطان محمد رشاد الخامس (١٩٠٩ - ١٩١٨) الذي حكم بالعدل، ووفقاً لنصوص الدستور، إلا انه كان مطواعاً «للجنة الإتحاد والترقي» التي ما لبثت ان تسلمت، بنفسها، الحكومة وإدارة البلاد، في ظله.

وكما سبق أن قدمنا، كانت أوروبا قد تمكّنت من انتزاع غالبية الأقاليم الأوروبية، من السلطنة، كما تمكنت من انتزاع غالبية الأقاليم الشرقية (العربية) منها، عندما بدأت «لجنة الإتحاد والترقي» تسلك، في سياستها، سلوكاً انطوائياً عنصرياً يقوم على دعوة «طوارنية» متعصبة. وكانت رياح التحرر قد استطاعت ان تحرك المشاعر القومية في بلدان المشرق العربي التي كانت لا تزال تحت الحكم العثماني، فكانت «فكرة القومية العربية» و «التحرر العربي» وكانت فكرة «الدولة الإسلامية - التركية - العربية» وكانت فكرة «الخلافة الإسلامية التركية - العربية»، وغيرها من الأفكار التي تدعو إما إلى التحرّر نهائياً من نير الأتراك وطغيان «الدعوة الطورانية»، وإمّا إلى «لقاء» ما بين الشعبين المسلمين: التركي والعربي، إمّا عن طريق «دولة» مزدوجة القومية أو عن طريق «خلافة إسلامية» مزدوجة العنصر (عربي وتركي)، كما برزت أفكار تدعو إلى رؤى إنفصالية، تماماً، عن كلّ ما هو عربي وإسلامي (مثل الدعوة إلى إقامة دولة مسيحية في جبل لبنان).

وسوف نبحث هذه الأفكار والدعوات في فصول لاحقة.

حواشي الفصل الأول

(١) فريد بك المحامي، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٤٨٠ - ٤٨١.

(٢) أنظر، لذلك: - مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٤٤- ٣٥٠ ،

وفريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٢٨٩-٣١١. وانظر، كذلك،

- Laffont, Robert, Histoire universelle des Armées, vol. 2, pp. 20 - 21.

- Quillet, dictionnaire encyclopédique, pp. 7087 - 7091 (Turquie).

-Brice, William, An Historical Atals of Islam, (under the patronnage of the encyclopaedia of Islam), pp. 30 - 34.

(٣) - Quillet, dictionnaire encyclopédique, p. 7089.

(٤) Quillet, Ibid, p 7088. إلاّ أننا لا نرى الرأي الذي أوردته موسوعة «كييه Quillet» بهذا الصدد، وهو أن الشعوب الإسلامية «التركية وغير التركية» كانت تشكّل شعباً واحداً يتمتع، لوحده، بمزايا «الشعب العثماني» بينما تعتبر الشعوب المسيحية «رعايا» أي «قطعانا» كما ورد في الموسوعة. أالحقيقة هي انه، وإن كان المسيحيون يُعتبرون، في الدولة العثمانية «أهل ذمة»، فإن المسلمين غير الأتراك لم يكونوا، إطلاقاً، بمنزلة المسلمين الأتراك.

(٥) فريد بك، المرجع السابق، ص ٤٢٩ - ٤٣١.

(٦) م. ن. ص. ٧٧٠.

(٧) زين، زين نور الدين ، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ص٤٧ - ٤٨.

(٨) زين، م. ن. ص ٤٨، وإسماعيل، عادل، السياسة الدولية في الشرق العربي، ج ٤: ٢٢.

(٩) غادر بونابرت مصر عن طريق الاسكندرية، بحراً، في ٢٢ آب/أغسطس عام ١٧٩٩، بعد أن كلّف كبير أعوانه «الجنرال كليبير» قيادة الحملة في مصر، وقد غادر بونابرت مصر على متن بارجة فرنسية دون أن يعترضه الأسطول البريطاني الذي كان منتشراً في البحر المتوسط بشكل كثيف. وكانت البارجة «مويرن» التي اقلّت بونابرت محمية ببارجة أخرى «البارجة كارير» وبسفينتين حربيتين أخريين (خوري، إميل، وإسماعيل، عادل، السياسة الدولية في الشرق العربي، ج ١: ١٢٩).

(١٠) قال بونابرت، في حديث له مع مساعده الأول بوريان: «سأنفخ روح الثورة في سوريا التي أرهقتها مظالم الجزار، وأزحف إلى دمشق فحلب، فينضم المظلمون والموتورون إلى جيشي. في كلّ مدينة وقرية أصل إليها. ثم أدق باب القسطنطينية، وأطيح الإمبراطورية التركية، وأنشئ في الشرق إمبراطورية عظمى جديدة تكون موضع إعجاب الأجيال المقبلة، وتحدّد مركزي في التاريخ» (الخوري وإسماعيل، المرجع السابق، ج ١: ٧٣).

(١١) م. ن. ج ١ : ٧٩.

(١٢) م. ن. ج ١ : ٧٩ و ٨٧.

(١٣) م. ن. ج ١ : ٩٦ - ٩٧.

(١٤) م. ن. ج ١ : ٨٠.

(١٥) م. ن. ج ١ : ٩٨ - ١٠٢.

(١٦) أخلت الحامية الفرنسية مدينة القاهرة بتاريخ ١٢ تموز/يوليو عام ١٨٠١ (م.ن. ج ١: ١٨١).

ويذكر «فريد بك المحامي» ان الفرنسيين أخلوا القاهرة في ١٠ تموز/يوليو ثم ساروا إلى «ثغر رشيد» حيث أبحروا منه على مراكب إنكليزية (المرجع السابق، ص ٣٧٨).

(١٧) خوري وإسماعيل، المرجع السابق، ج ١: ١٨٤ - ١٨٥.

(١٨) راجع: م. ن. ج ١: ١٩٢ - ١٩٤.

(١٩) الترك، نقولا، ذكر تملك جمهور الفرنساوية للأقطار العربية والبلاد الشامية، تحقيق: ياسين سويد، ص ١٦٦ .

(٢٠) خوري وإسماعيل: المرجع السابق، ج ١: ١٩٤.

(٢١) طقوش، محمد سهيل، العثمانيون، من قيام الدولة، إلى الانقلاب على الخلافة، ص ٢٢٠.

(٢٢) الرافعي، عبد الرحمن، عصر محمد علي، ص ١٦.

ويذكر «الرافعي» ان المماليك كانوا يسعون لإيصال زعيمهم «محمد بك الالفي» إلى السلطة.

(٢٣) م. ن. ص ٤٦ - ٧٣. ويذكر «الرافعي» ان الحملة الإنكليزية قدمت إلى مصر بدعوة من الألفي، إلاّ أن الألفي توفي قبل وصولها (م.ن. ص ٤٩).

(٢٤) م. ن. ص ١٢٣ - ٢٤٣.

(٢٥) م. ن. ص ٢٧٨ - ٢٩١ وص ٣١٦ - ٣٢٦، وانظر نص معاهدة لندن في م.ن. ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

وقد ظلت فرنسا خارج إتفاق الدول الأربع الكبرى المتعاطفة مع الباب العالي ضد محمد علي.

وتجدر الإشارة إلى اننا اعتبرنا روسيا (الآسيوية) من عداد الدول الاوروبية، في حديثنا عن هذه الدول.

(٢٦) طربين، أحمد، التجزئة العربية، كيف تحققت؟ ص ٥٥.

(٢٧) م. ن. ص ٧٩.

(٢٨) الكيالي، عبد الوهاب (مؤسّس)، موسوعة السياسة، مجلد ٦، ص ٤٢٦ -٤٢٧. وانظر Encycl. Quillet, p. 4130, (Mauritanie).

(٢٩) طربين، المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٣٠) م. ن. ص ١١٢، وقلعجي، قدري، الخليج العربي، بحر الأساطير، ص ٣٩٤ - ٣٩٨.

(٣١) طربين، م. ن. ص ١١٢ - ١٢١. وانظر نصوص المعاهدات البريطانية الخليجية في (قلعجي، قدري، م. ن. ص ٤٢١ - ٤٥١).

(٣٢) طربين، م. ن. ص ١٢٨ - ١٢٩ . وانظر: قلعجي، م. ن. ص. ٤٩٢ - ٤٩٤.

(٣٣) طربين، م. ن. ص ١٣٠ - ١٣١. وانظر: إسماعيل، المرجع السابق، ج ٤: ١١٦.

(٣٤) طربين، م. ن. ص ١٣١.

(٣٥) م. ن. ص ١٣٤ - ١٣٦.

(٣٦) الرافعي، عبد الرحمن، الزعيم الثائر أحمد عرابي، ص ١٨٧ - ١٩٠ وعرابي، أحمد، مذكرات أحمد عرابي، ج ٢: ٢١ - ٢٣. وإسماعيل، المرجع السابق، ج ٤: ١٢٣.

(٣٧) إسماعيل، المرجع السابق، ج ٤: ١٤١ - ١٤٢.

(٣٨) م. ن. ج ٤: ١٢٤.

(٣٩) م. ن. ج ٤: ١١٢.

(٤٠) فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص ٣٠١ - ٣٠٣ و: سرهنك، اسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٨٠ - ١٨١.

وانظر: - Quillet, Encyclopédie, p. 7089.

(٤١) فريك بك المحامي، م. ن. ص ٣٠٥ - ٣٠٧.

(٤٢) م. ن. ص. ٣٠٨-٣١٠ و: سرهنك، المرجع السابق، ص ١٩٢ - ١٩٣. و

- Quillet, op. cit. p. 7089.

(٤٣) فريد بك، م. ن. ص ٣١٣ - ٣١٦ و: سرهنك، م. ن. ص ٢٠٣ - ٢٠٥. و - Quillet, Ibid.

(٤٤) فريد بك، م. ن. ص. ٣٢٠ - ٣٢٢ و: سرهنك، م. ن. ص ٢١٠ - ٢١١. و Quillet, Ibid. -

(٤٥) فريد بك، م. ن. ص. ٣٥٩ - ٣٦٠ وسرهنك، م. ن. ص ٢١٦ - ٢٢٩ و Quillrt, Ibid. -

(٤٦) م. ن. ص. ٣٦٠ - ٣٧٠ وسرهنك، م.ن. ص ٢٢٨ - ٢٢٩، وانظر: و Quillet, Ibid. -

(٤٧) كان «بازوند أوغلي» أو «عثمان باشا» والياً على «ودين» وقد قاد عصياناً ضد الدولة (عام ١٧٩٧) ساعده الصرب فيه، وانتهى العصيان بأن أقرّته الدولة، على ولايته، مدى الحياة (فريد بك، المرجع السابق، ص ٢٧٢).

(٤٨) م. ن. ص ٣٨٣ - ٣٨٤، وكان السلطان سليم الثالث قد أجرى، بعد انتهاء حربه مع روسيا والنمسا، إصلاحات داخلية ، عسكرية خصوصاً، في السلطنة، وقد اعتبرها الانكشارية ماسة بهم وبصلاحياتهم، مما أثار استياءهم ، وكان أحد الدوافع لتمرّدهم.

(٤٩) م. ن. ص. ٣٨٦ - ٣٨٧، وكان ذلك من أسباب عزل السلطان عام ١٨٠٧.

(٥٠) م. ن. ص. ٣٨٧ - ٣٩٦.

(٥١) فريد بك، م. ن. ص. ٤٠٠ - ٤٠٣، و:طقوش، المرجع السابق، ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .

(٥٢) فريد بك، م. ن. ص ٤١١ - ٤١٢، وطقوش، م. ن. ص ٣٣٩ - ٣٤٠ والرافعي، عبد الرحمن، عصر محمد علي، ص ٢١٠. وقد سمى فريد بك هذه الجمعية «هيتيري» (ص ٤١١) وسماها الرافعي «هيتريا» (ص ٢٠٩)، ووردت عند طقوش باسم «فيلكي إيتريان» أي «الجمعية الأخوية» (ص٣٣٩). ويذكر الرافعي ان هذه الجمعية «وضعت، بادئ الأمر، برنامجاً واسع النطاق مؤداه إستقلال إمارات البلقان كلّها، وطرد الأتراك من أوروبا، وإحياء الدولة البيزنطية القديمة» (الرافعي، ص ٢١٠). ولا شك في أن هذا البرنامج لا يخرج عن الأهداف التي رسمها «بطرس الأكبر» قيصر روسيا الأسبق في وصيته والتي تقضي «بجعل مدينة القسطنطينية مفتاح الممالك الروسية» (فريد بك، المرجع السابق، ص ٤١٢).

(٥٣) فريد بك، م. ن. ص ٤١٢ - ٤٢١، وطقوش، م. ن. ص ٣٤٠ - ٣٤٥، والرافعي، عصر محمد علي، ص ٢١٤ - ٢٢٧. ويذكر الرافعي (ص ٢١٤)، ويأخذ عنه طقوش (ص ٢٤٣) ان محمد علي أرسل عمارة عسكرية من الإسكندرية إلى كريت لإخضاعها ، وكان ذلك عام ١٨٢٢، وكان قائد هذه الحملة «حسن باشا» الذي «أنزل جنوده إلى البر في حزيران/يونيو عام ١٨٢٢، واستمرّت الحرب سجالاً إلى سنة ١٨٢٣»، وقد قتل حسن باشا في هذه الحملة التي قضت على الثورة في هذه الجزيرة. ولم يذكر الرافعي شيئاً عن حملة إبراهيم باشا على كريت عام ١٨٢٤، وهو ما ذكره محمد فريد بك المحامي (ص ٤١٤).

(٥٤) فريد بك، م. ن. ص. ٤٢٦ - ٤٤١ وطقوش، م. ن. ص. ٣٤٥ - ٣٤٨، وسرهنك ، المرجع السابق، ص ٢٩١ - ٢٩٩.

(٥٥) فريد بك، م. ن. ص. ٤٩٠ - ٤٩١.

(٥٦) فريد بك، م. ن. ص ٤٩٣ - ٤٩٤، وانظر محادثات القيصر الروسي مع السفير البريطاني عند: إسماعيل، المرجع السابق، ج ٢: ٩٤ - ٩٥، وراجع اسباب حرب القرم، بالتفصيل، عند: طقوش، المرجع السابق، ص ٣٨٥ - ٣٩٤، وانظر موسوعة «كييه» Quillet, op. cit. p 1603، (crimée)، وقد ورد في هذه الموسوعة ان بلاد «البييمونت Piémont» (الواقعة شمال غربي إيطاليا، والممتدة على الحوض الأعلى لنهر اليو Pô) شاركت، في هذه الحرب، إلى جانب فرنسا وإنكلترا والباب العالي.

(٥٧) فريد بك، م. ن. ص. ٤٩٤ - ٥٠١، وطقوش، م. ن. ص ٣٩٤ - ٤٠٢. وسرهنك. المرجع السابق، ص ٣١٤ - ٣٢١.

وراجع مهمة منتشيكوف في الآستانة عند: إسماعيل، المرجع السابق، ج ٣: ١٠٣ - ١١٥.

(٥٨) طقوش، المرجع السابق، ص ٤٠١ - ٤٠٣.

(٥٩) فريد بك، المرجع السابق، ص ٥٢٤.

(٦٠) م. ن. ص ٥٣٥ - ٥٣٩.

(٦١) م. ن. ص. ٦٠١ - ٦٠٣.

(٦٢) م. ن. ص. ٦٠٣ - ٦٠٤.

(٦٣) م. ن. ص. ٦٠٥ - ٦٠٧.

(٦٤) أنظر نص «لائحة لندره» والردّ العثماني المفصل عليها، في: فريد بك، م. ن. ص ٦٢٠ - ٦٢٧.

(٦٥) راجع تفاصيل الأعمال الحربية في: فريد بك، م. ن. ص ٦٢٩ - ٦٤٠، وطقوش، المرجع السابق، ص ٤٤٢ - ٤٤٨، وهرسنك، المرجع السابق، ص ٣٦٠ - ٢٧٥. وراجع النص الكامل لمعاهدة «سان اسطفانوس» في: فريد بك، م. ن. ص ٦٥١ - ٦٦٤.

(٦٦) أنظر نص المعاهدة في: فريد بك، م. ن. ص ٦٧٨ - ٦٩٨ وطقوش: م. ن. ص ٤٥٣ - ٤٥٨.

(٦٧) فريد بك، م. ن. ص ٦٩٨ - ٦٩٩.

(٦٨) فريد بك، م. ن. ص ٥٣٢ - ٥٧٧ وطقوش، م. ن. ص ٤١٨ - ٤٢٢.

(٦٩) أنظر نص هذا «الخط الهمايوني» في: فريد بك، م. ن. ص ٥٨٧ - ٥٨٩.

(٧٠) أنظر نص هذه الرسالة في: م. ن. ص. ٥٩٠ - ٥٩٣.

(٧١) أنظر الخطبة في: م. ن. ص ٥٩٤ - ٦٠٠.

الفصل الثاني

اليقظة العربية

حملت رياح القرن الميلادي التاسع عشر، إلى أوروبا، أفكاراً جديدة لم تعرفها من قبل، هي الأفكار «القومية» التي تنزع إلى توحيد الكيانات ذات الأصول القومية الواحدة، بحيث تشكّل كياناً قومياً يجسّد «الأمة»، فكانت «الأمة الألمانية» و«الأمة الإيطالية»، وهو ما كان من أسباب تفكّك الإمبراطوريات الكبرى التي كانت مكوّنة، في ذلك الحين، من قوميات، أو «أمم» أو «أجناس» مختلفة، كالأمبراطورية النمساوية والسلطنة العثمانية[١].

وبينما كانت «الأعضاء» الأوروبية في «الجسد» العثماني المنهك تنفصل عنه، مشكّلة دولاً مستقلة هي: رومانيا وبلغاريا واليونان وألبانيا، كان الإستعمار الأوروبي يفترس «الأعضاء» العربية في هذا الجسد، في المغرب العربي خصوصاً، فيفصلها عن «الكيان» القومي العربي الذي كان يمكن ان يتشكّل، من الوطن العربي كلّه، في المغرب والمشرق، إذا ما انهارت سلطنة بني عثمان انهياراً تاماً.

إلاّ ان الأفكار القومية التي اجتاحت أوروبا، وفعلت فعلها في المجتمعات الأوروبية، في القرن التاسع عشر، لم تصل إلى الشرق إلاّ بعد قرن من الزمن، أي في أواخر القرن التاسع عشر أو مطالع القرن العشرين، حيث تلقفها

الأتراك الطورانيون كما تلقفها العرب القوميون، وكان من نتيجة ذلك ان سار كلّ من الفريقين في طريق مختلف، رغم اشتراكهما، معاً، في عقيدة الإسلام(٢).

بدأت إهلالات الفكر القومي، في الدولة العثمانية، في اللغة والأدب والشعر العثماني، حيث برز التعصّب التركي، قوياً، في مواجهة اللغتين: العربية والفارسية، اللتين كانت اللغة التركية تستعير الكثير من مفرداتهما، مما حدا ببعض الأدباء والشعراء الأتراك إلى الدعوة الصريحة لنبذ كلّ ما هو عربي وفارسي وأجنبي في اللّغة التركية. قال الشاعر التركي «ضيا باشا» في ذلك: «الذين يبغون اللغة العربية، فليذهبوا إلى بلاد العرب، والذين يبغون اللغة الفارسية، فليرحلوا إلى إيران، والذين يبغون اللغة الإفرنجية ، فليذهبوا إلى بلاد الفرنجة. إن كلّ من لا يدرك هذه الحقيقة، هو جاهل: نحن أتراك، وينبغي أن تكون لنا لغة تركية»(٣).

وتعدّت «حركة التتريك» هذه مجالات اللغة والأدب والشعر إلى مجال البحث التاريخي والسياسي، إذ أخذ المؤرّخون الأتراك يعودون، في أبحاثهم التاريخية، إلى ما كان عليه الأتراك قبل اعتناقهم الدين الإسلامي، ويستنبطون، من ذلك التاريخ، تياراً فكرياً قومياً يميّزهم عن سواهم من المسلمين. وهكذا، بدأت «الفكرة القومية» التركية، أو الطورانية، تتبلور وتتجسّد في اللغة والأدب والشعر والأبحاث التاريخية، وتنمو باطراد، حتى استطاعت ان تحتلّ مكاناً بارزاً في سياسة الدولة، خصوصاً بعد الإنقلاب الدستوري الذي جرى ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨، حيث استطاع حزب «الإتحاد والترقي» ان يُكره هذا السلطان على إعادة العمل بدستور «مدحت باشا» وبالنظام البرلماني، ثم ما لبث أن عزله في العام التالي

(عام ١٩٠٩) ليولّي مكانه السلطان «محمد رشاد» الخامس، فكان هذا السلطان لعبة بيد الحزب الذي ما لبث ان تسلّم الحكم بنفسه.

وكان العقل المدبّر لهذا الحزب، ولعملية التتريك برمتها، هو «مصطفى كمال» أو «اتاتورك» (ابو الاتراك)[٤]، الذي أصبح، فيما بعد، أول رئيس لأول جمهوية تركية علمانية.

ما أن تسلّم حزب «الاتحاد والترقي» الحكم في السلطنة العثمانية، في ظلّ السلطان محمد رشاد الخامس، حتى بدأت سياسة الدولة العثمانية تتجه، صراحة وعلناً، نحو التتريك، أو الدعوة الطورانية، مما زرع بذور الشك والإرتياب ، لدى العرب والمسلمين، في توجهات هذا الحزب، خصوصاً بعدما تبين أن يهود سالونيك «جزء لا يتجزأ منه»، وان معظم قادته من «البنّائين الأحرار» الذين يتبعون مبادئ «الحركة الماسونية» ومعتقداتها. يقول الباحث الإنكليزي «ستون وتسون Seton-Watson» في ذلك: «إن الحقيقة البارزة في تكوين جميعة الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية، فمنذ تأسيسها، لم يظهر ، بين زعمائها وقادتها، عضو واحد من أصل تركي صاف، فأنور باشا، مثلاً، هو إبن رجل بولندي مرتد، وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة بالدونمه، وكَرَاسو (Carasso)، من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيكا، وكان طلعت باشا بلغارياً من أصل غجري اعتنق الإسلام ديناً، أما أحمد رضا، أحد زعمائهم في تلك الفترة، فكان نصفه شركسياً والنصف الآخر مجرياً»، ويضيف «ستون وتسون» قائلاً: «إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة (الطورانية) كانوا يهوداً أو مسلمين من أصل يهودي، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيكا الأثرياء»[٥]. ويرى «اودري هيربرت Audrey Herbert» ان يهود سالونيكا كانوا

«يعرفون (بالدونمة) أي المرتدون» وانهم كانوا «شركاء الثورة التركية الحقيقيين، وهؤلاء هم من العرق اليهودي، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهودياً أصلاً. والإعتقاد الشائع بين الناس هو انهم مسلمون بالإسم، اما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى»، إلى ان يقول: «في تلك الفترة التي نحن بصددها، لم يعرف احد من الناس شيئاً عنهم سوى قلّة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ ان يتنبأ ان هذه الفئة اليهودية المغمورة المعروفة (بالدونمة) ستلعب دوراً رئيسياً في ثورة كان لها نتائج خطيرة في التاريخ»(٦).

وهكذا، وعن طريق الشك نفسه، بدأ التيار القومي العربي يقوى ويتعزّز في صفوف النخبة العربية ليشكّل، بالتالي، حركة قائمة بذاتها.

إلاّ ان «الفكرة القومية» العربية لم تكن وليدة هذا الشك، كما انها لم تكن تمثل «ردّة فعل» عربية على التوجّه الطوراني في السياسة العثمانية، كما رسمها حزب الإتحاد والترقي، ذلك ان بذور هذه الفكرة كانت قد بدأت بالإنتشار في صفوف النخب العربية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما سنرى. ويمكن لأي باحث ان يجد أسباب انتشار «الفكرة القومية» في المجتمع العربي، في تلك الحقبة من الزمن، في تأثيرات ثلاثة:

الأول: رياح النهضة القومية الحديثة، في أوروبا، التي حملت بذور الفكر القومي إلى بلاد العرب، كما حملتها إلى باقي الأقاليم التي كانت تشكل السلطنة العثمانية.

والثاني: الأرض العربية الخصبة التي كانت معدّة لتقبل بذور الفكر القومي الآتي إليها من الغرب والتي كانت تختزن، في الوقت نفسه، فكراً عقيدياً لا يميّز بين العروبة والإسلام.

والثالث: الحركة الطورانية التي كانت قد نمت وترعرعت في أحضان الحزب الحاكم في السلطنة (حزب الإتحاد والترقي)، والتي كانت تمثل، بدورها، حركة قومية تركية منفصلة عن «الفكرة العثمانية» وما تحمله من «قومية إسلامية»، إن لم تكن معادية لها.

بدأت «اليقظة العربية»، إذن، في المشرق العربي خصوصاً[٧]، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واستمرّت تأججاً وتألقاً طوال عقود، إلى ان جزّأ الغرب المستعمر هذا المشرق دويلات، وفقاً لمؤامرة «سايكس بيكو» الشهيرة (عام ١٩١٦). وسوف نحاول، فيما يلي، إبراز بعض ملامح هذه اليقظة:

- الجمعيات العربية التي أنشئت في الحقبة الأخيرة من الحكم العثماني:

ا - ربما كانت «الجمعية العلمية السورية» التي أنشئت في بيروت عام ١٨٥٧، أول جمية عربية في الشكل والمضمون، فأعضاؤها، جميعاً، عرب سوريون، يمثلون مختلف الطوائف، منهم: الدرزي الأمير محمد ارسلان، والسني حسين بيهم، والمسيحي إبراهيم اليازجي، و«أحد أبناء البستاني». وقد بلغ عدد أعضائها نحو ١٥٠ عضواً، جميعهم من العرب. وكانت ذات توجّه عربي سليم، بل كانت «أول صوت ظهر لحركة العرب القوميين» و«أول مظهر للوعي الوطني الجماعي» كما يقول «انطونيوس»، ففي إحدى جلساتها التي لم تضم أكثر من ثمانية أعضاء، وفي جو حميم، في منزل أحد أعضائها، ألقى عضوها البارز «إبراهيم اليازجي» قصيدته الشهيرة:

«تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طغى الخطب حتى غاصت الركب»

ورغم ان الجلسة كانت «سرية»، وكان الأعضاء متشبثين بسرّية جمعيتهم وغير جاهزين للإعلان عنها والجهر بها، فقد ذاع صيت هذه القصيدة وتناقلتها الألسن، حتى، ان الكثيرين قد حفظوها عن ظهر قلب، وكانت، في مضمونها، دعوة للثورة على الحكم التركي، وإشادة بأمجاد العرب، ورفضاً للمشاعر الطائفية، ودعوة للاتحاد بين العرب جميعاً، وذلك كلّه بأسلوب شعري يثير المشاعر ويلهب حماسة الجماهير، حتى أمكن القول إنه كان لهذه القصيدة نصيب وافر في تغذية الحركة القومية، وهي في مبدئها»، بل انها كانت «أول نشيد لحركة التحرر السياسي»، و«الثمرة المباشرة لأول تكتل اتحدت فيه جميع العقائد لإحياء ثقافتهم القديمة»(٨)، وهي الثقافة العربية.

إلاّ ان هذه الجمعية لم تعمّر طويلاً، إذ داهمتها «أحداث عام ١٨٦٠» فانفرط عقدها.

II – نشأت «جمعية بيروت السرية»، وهي أول حركة سرّية عربية، في بيروت عام ١٨٧٥، على يد خمسة من «النخبة المسيحية المفكّرة»، من خريجي «الكلية السورية الإنجيلية (البروتستانتية)» (الجامعة الأميركية فيما بعد)، ببيروت، وهم: فارس نمر ويعقوب صروف وإبراهيم الحوراني وإبراهيم اليازجي وشاهين مكاريوس(٩). وقد اختلفت الآراء حول الأهداف الأساسية لهذه الجمعية، فبينما يذكر «زين نور الدين زين» انها بدأت «مسيحية» وانتهت عربية»، مستنداً، في رأيه هذا، إلى حديث أجراه مع أحد أعضائها البارزين «فارس نمر» الذي شدّد، في حديثه، على ان «فكرة القومية لم تكن، بعد، قد وجدت طريقها إلى وجدان العامة في الشرق الأدنى» وان «ولاء الناس» كان يقوم «على أساس ديني لا طائفي»، مما جعل قيام «الوحدة القومية، في مثل هذه الظروف» أمراً مستحيلاً، وان اجتماع هؤلاء الشباب في «جمعية ثورية سرية»

كان الهدف منه تلافي الأخطار الناجمة عن «احتقار الأتراك لهم» كمسيحيين، باعتبارهم «أدنى شأناً منهم، مما جعلهم يشعرون بالإهانة»، كما أوجد ذلك، لدى المسيحي العثماني، شعوراً دائماً بأن الحكومة التركية «لا يمكن لها ان تكون حكومته». ويتابع «زين» تحليله لحديثه مع نمر، فيرى ان هؤلاء الشباب «النصارى» قد شعروا، بعد فترة قصيرة، انهم لن يتمكّنوا من بلوغ أهدافهم إلاّ بالتعاون مع إخوانهم من العرب المسلمين، وان القاسم الوحيد المشترك «بين المسلمين العرب والمسيحيين العرب» هو «العروبة»، وهذا ما جعل هؤلاء الشباب، في «الجمعية الثورية السرية» يقتنعون بأن السبيل الوحيد «للتحرر من الحكم التركي» هو «تأليف جبهة عربية موحدة تقوم على فكرة العروبة وتستطيع ان تقف في وجه الاتراك»[١٠]. وكان ما أورده «زين» في تحليله هذا لحديثه مع نمر، هو ردّ على «زعمين» يبدو ان «انطونيوس» قد اعتمدهما، وهما: إن هذه الجمعية هي التي بدأت بنشر «بذور الفكرة القومية العربية»، وإنها ، أي هذه الجمعية، هي التي بدأت «أول محاولة منظمة لبعث الحركة العربية القومية»، واعتبر «زين» ان «هذين الزعمين مبالغ فيهما كثيراً»[١١].

ومهما يكن من أمر هذه الجمعية، فهي قد لعبت دوراً مهماً في إيقاظ الوعي القومي العربي، في بلاد الشام خصوصاً، إذ إنها أنشأت فروعاً لها في العديد من المدن المهمة في سوريا، مثل دمشق وطرابلس وصيدا وبغداد، بالإضافة إلى بيروت، حيث كان مركزها الرئيسي، وانضم إليها العديد من المؤمنين بقضيتي التحرر من سلطة العثمانيين ووحدة العرب، حتى بلغ عدد المنتمين إليها، خلال السنوات السبع التي عاشتها (١٨٧٥-١٨٨٢) نحو ٢٢ عضواً من «مختلف الطوائف الدينية، ويمثلون الصفوة المختارة المستنيرة في البلاد». إلاّ ان ما يؤخذ على هذه الجمعية هو انها توسلت «الماسونية» سبيلاً

لضم الانصار والمؤيدين، حيث استطاع مؤسّسوها، ان «يستميلوا اليهم المحفل الماسوني، الذي كان قد أنشئ منذ عهد قريب، ويشركوه في أعمالهم»(١٢).

وقد نشطت هذه الجمعية، منذ إنشائها، حيث وزّعت العديد من المناشير الثورية التي كان يكتبها أعضاؤها، بخط أيديهم، ويوزّعونها في مختلف المدن السورية، يدعون، من خلالها، إلى الثورة على الحكم التركي، واستنهاض الروح القومية لدى المواطنين العرب. ومن أهم مطالبها تلك التي وردت في «المنشور الثالث» الذي وزّع ليل ٣١ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٨٠ والذي اعتبر «أول بيان مدوّن لبرنامج العرب السياسي»، ويحدّد هذا البيان - البرنامج المطالب التالية:

«١ - منح سوريا الإستقلال، متحدة مع جبل لبنان.

«٢ - الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد.

«٣ - رفع الرقابة والقيود الأخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم.

«٤ - إستخدام القوات المجنّدة من أهل البلاد في المهام العسكرية الداخلية فيها فقط»(١٣).

وقد لفتت هذه المناشير التي كانت تلصق، ليلاً، على جدران الأحياء في تلك المدن، وبالقرب من قنصليات الدول الأجنبية فيها، أنظار قناصل تلك الدول، فأرسل «جون ديكسون John Dikson» وكيل القنصل العام البريطاني، إلى سفيره في الآستانة «ج. ت غوشن G.T. Goshen»، بتاريخ ٢٨ حزيران/يونيو عام ١٨٨٠، برقية يطلعه، من خلالها، على تلك المناشير التي «ظهرت على جدران مدينة بيروت»، ثم أردف تلك البرقية برسالة، بتاريخ ٣ تموز/يوليو عام ١٨٨٠، يتحدّث فيها عن تكرار ظهور تلك المناشير في بيروت،

وعن مضمون هذه المناشير التي تدعو الأهالي للثورة على الأتراك. ويضيف وكيل القنصل العام البريطاني: «لست أشك في أن هناك جمعية سرية في سوريا تعمل منذ خمس سنوات، وأن لها فروعاً في بغداد وفي الآستانة... وقد تكون هذه الجمعية هي التي تصدر هذه المناشير»[١٤]. كما أرسل القنصل العام الفرنسي في بيروت «سينكيويتز Sienkiwiz» رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسية «فريسينيه Freycinet» بتاريخ ١٢ أيار/مايو عام ١٨٨٠، يصف فيها الحالة البائسة التي تعيشها ولاية سوريا، ويلفت النظر إلى ان لدى واليها «مدحت باشا» طموحاً بالإستقلال بهذه الولاية «بمساعدة إنكلترا وحمايتها»، على غرار ما جرى في مصر[١٥]، ثم كتب، في رسالة تالية، إلى وزير الخارجية نفسه، بتاريخ ٢ حزيران/يونيو، من العام نفسه، يصف الحالة في سوريا بأنها «تزداد خطورة يوماً بعد يوم»، وذلك بسبب «حالة العداء المسيطرة، دائماً، بين العرب والأتراك»، وان «الحرب الروسية - التركية، وما تبعها من تقطيع أوصال الامبراطوية العثمانية» أحيت «طموحات السوريين إلى نوع من الاستقلال الذاتي» وحوّلتها إلى «آمال حية جداً»، ذلك ان جلّ ما تطلبه سوريا هو «الخلاص من الحكم التركي» وبكلمة أخرى «الإستقلال الذاتي»[١٦]، كما أشار، في الرسالة، إلى ان «مناشير ألصقت، في دمشق وبيروت، سرعان ما نزعتها السلطة، وكانت تطالب، بحرارة، بالاستقلال الذاتي لسوريا، مستلهمةً تاريخ الزمن الغابر، ومطالبة بمثل الامتيازات التي منحها الباب العالي للولايات الاخرى[١٧].

نضيف إلى ذلك ما كان قد أورده القنصل العام الفرنسي ببيروت «دي لابورت Delaporte» في رسالته إلى وزير الخارجية الفرنسية «وادينغتون Waddington» بتاريخ ٩ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٧٩، من ان «مؤامرة عربية

واسعة لها فروعها في حلب والموصل وبغداد والمدينة ومكة»، وان هدف هذه المؤامرة: «إنشاء مملكة عربية تضم ولايات حلب ودمشق وبغداد واليمن الخ... وتكون برئاسة عربي ، وقد ورد إسم الأمير عبد القادر الجزائري كسلطان على هذه المملكة». ورغم ان القنصل العام الفرنسي لم يستطع تأكيد هذه الأنباء أو نفيها، فإنه يعترف انه «في حالة الفوضى والفساد التام التي تعيشها الامبراطورية العثمانية، في هذه الآونة، يظل تحقيق مشروع مماثل ممكناً وغير مستبعد»(١٨).

ويشير «ديكسون»، وكيل القنصل العام البريطاني ببيروت، في رسالة بعث بها إلى «سانت جون St. John» القائم بأعمال السفارة البريطانية في الآستانة، بتاريخ ٣ كانون الثاني/يناير عام ١٨٨٠، ان مناشير مشابهة ألصقت على جدران مدينة بيروت (في ٣١ كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٧٩)، وأرفق رسالته هذه بنسخة من هذه المناشير مع ترجمتها إلى الإنكليزية ، مشيراً، في الوقت نفسه، إلى ان تلك المناشير هي من عمل «جمعية سرية لها فروع في سائر أنحاء البلاد»(١٩). وقد ظلّت هذه المناشير تظهر على جدران المدن الرئيسية في سوريا حتى أواخر عام ١٨٨٠، كما ظلت هذه «الجمعية الثورية السرية» تعمل سراً دون ان يعرف أحد شيئاً عن تحرّكاتها ونشاطها وأسماء أعضائها، إلا ان خلافاً دب بين أعضائها حول «الهدف الأعلى للجمعية»، وهو «طرد الأتراك من سوريا التي كانت تشمل، آنذاك، سنجق لبنان المستقل ذاتياً» فبدأت تضعف وتتلاشى، إلى ان أوقفت نشاطها وحلّت نفسها «واحرقت وثائقها» (بين عامي ١٨٨٢ و١٨٨٣). وقد قال أحد مؤسّسيها البارزين «فارس نمر» تعليقاً على ما آلت إليه تلك الجمعية، انها أضاعت «سانحة قلّ ان يجود الزمان بمثلها»(٢٠).

وقد استطاع المؤرخ المعروف «زين نور الدين زين» الذي تابع موضوع هذه الجمعية، ان يحظى ببعض هذه المناشير وينشرها في كتابه «نشوء القومية العربية» الذي رجعنا إليه في بحثنا هذا، وكانت كلّها تستصرخ أبناء سوريا وأبناء الأمة العربية لكي يثوروا على الحكم العثماني ويستعيدوا المجد الغابر لأمتهم العربية، وقد وجد معظم هذه المناشير في المحفوظات البريطانية، حيث كان القنصل البريطاني، ببيروت، يرفق نسخاً منها برسائله وتقاريره إلى وزارة الخارجية البريطانية[٢١].

III - حدثنا المناضل القومي «عادل الصلح» في كتابه «سطور في الرسالة» وعن لسان والده «منح الصلح»، عن «**الحركة الإستقلالية**» التي قامت في المشرق العربي عام ١٨٧٧، وكان رائدها «احمد الصلح» (والد «منح الصلح» نفسه)، الذي انطلق من بيروت إلى صيدا فجبل عامل فدمشق فدمّر، حيث اجتمع بزعماء هذه البلدان وتدارس معهم أوضاع سوريا التي كان «الوعي القومي» ينمو فيها بإطراد، وخصوصاً في الظروف الصعبة التي كانت تعيشها السلطنة، حيث يتحللّ جسدها الواهي، وتنفصل بعض أعضائه عنه (البلغار والجبل الأسود والصرب والافلاق والبغدان)، فكان على القادة السوريين ان يتبصّروا أمور بلادهم وأمتهم، وان يبذلوا كل جهد «لتجنيب وطنهم المصير السيء، ومن أفجع صوره وقوع احتلال أجنبي». وفي «دمّر» مصيف الأمير عبد القادر الجزائري، اجتمع أحمد الصلح ومن رافقه، في هذه الرحلة، من زعماء صيدا وجبل عامل، ومعهم وجهاء دمشق وأهل الرأي فيها، بالأمير عبد القادر، وتشاوروا جميعاً بما يجب عمله، ثم عاد الصلح إلى بيروت حيث انطلق منها، للمهمة نفسها، إلى حلب وحمص وحماة واللاذقية، ثم إلى حوران وجبل العرب (الدروز)، حيث دعا جميع زعماء هذه البلدان وقادتها إلى مؤتمر عام يعقد في

دمشق، وقد تمّ، في هذا الإجتماع، تدارس الأوضاع التي تمر بها سوريا والدولة العثمانية، وتقرر «العمل لتحقيق استقلال البلاد الشامية»، كما تقرّر «ترشيح الأمير عبد القادر الجزائري ليتولّى الملك على هذه البلاد». وقد تمّ الإتفاق، كذلك، على الأمور التالية:

١- ان يظل الإرتباط قائماً بين الكيان العربي الجديد (المملكة العربية السورية) والدولة العثمانية، وذلك عن طريق «الخلافة»، إذ يجب أن «يبقى الخليفة العثماني خليفة للمسلمين».

٢ - أن تتمّ بيعة الأمير عبد القادر، كملك على سوريا، «من اهل البلاد جميعاً».

٣ - ان يتمّ التريّث في تحديد «ماهية الاستقلال المنشود» لسوريا، إلى ان ينجلي وضع الدولة العثمانية ومصيرها.

وقد اتفق المؤتمرون على الإستمرار في السعي والإعداد لإعلان استقلال سوريا عندما تصبح الظروف ملائمة والأسباب مكتملة، كما اتفقوا على القيام بجولات في باقي البلاد الشامية وفي أوروبا لهذا الغرض[٢٢].

ومن روما، حيث كان الزعيم الماروني (من جبل لبنان) يوسف بك كرم منفياً، أرسل هذا الزعيم رسائل تأييد للأمير عبد القادر الجزائري (أوردها «عادل الصلح» في كتابه)، حيث أبدى كرم حماسة بالغة لقيام «اتحاد عربي» بقيادة الأمير عبد القادر ورئاسته، كما اقترح إرسال وفود إلى أوروبا لهذه الغاية، والاتصال بالدولة العثمانية للإتفاق معها على حلول ترضي الطرفين، وإلاّ ، فيجب العمل على سلخ البلدان العربية عن السلطنة. ولا يتردّد كرم في التصريح بأنه مستعد للتضحية بحياته، إذا لزم الأمر، لبلوغ هذا الهدف[٢٣].

إلاّ ان السلطة العثمانية استطاعت اكتشاف هذه الحركة، فنفت بعض أقطابها، ومنهم السيد محمد الأمين، من كبار رجالات جبل عامل، (وقد نفته إلى طرابلس)(٢٤)، كما أنها فرضت الإقامة الجبرية على آخرين منهم، وفرضت رقابة شديدة على المؤيّدين لهذه الحركة، ومنعت أي إتصال بين أحمد الصلح والأمير عبد القادر(٢٥).

أما القنصليات الأجنبية في بيروت ودمشق، فسرعان ما اكتشفت هذه الحركة، وأخذ القناصل الأوروبيون ينقلون إلى حكوماتهم، في تقارير مسهبة، كلّ ما يصل إلى مسامعهم من تفاصيل عنها(٢٦).

IV - وفي العام ١٩٠٤ أسس المواطن العربي «نجيب عازوري»، في باريس، جمعية قومية دعاها «**جامعة الوطن العربي**» «Ligue de la Patrie Arabe»، وقد أصدرت هذه الجمعية عدة نداءات دعت فيها الشعب العربي في الشام والعراق إلى الثورة على الأتراك والتخلّص من الحكّم العثماني. وبعد أن أصدر كتابه «يقظة الأمة العربية» (Le Réveil de la Nation Arabe) عام ١٩٠٥، أصدر نجيب عازوري، في باريس كذلك، مجلّة دعاها «الإستقلال العربي» (L'Indépendance Arabe)، وقد استمرّت هذه المجلّة في الصدور عاماً واحداً فقط (١٩٠٧-١٩٠٨)، إذ إنها توقّفت بعد صدور الدستور العثماني عام ١٩٠٨.

وانتقل نجيب عازوري، بعد ذلك، من فرنسا إلى مصر، حيث نشر العديد من المقالات التي تدعو إلى الثورة العربية وتنمية الوعي القومي لدى الأجيال العربية، واشترك بتنظيم العديد من المؤتمرات العربية أهمها «المؤتمر العربي الاول» الذي عقد بباريس عام ١٩١٣، كما أيّد ثورة الشريف حسين عام ١٩١٦(٢٧).

وقد سعى عازوري، في كتاباته ومراسلاته، ومن خلال اتصالاته السياسية، إلى إقامة «إمبراطورية عربية تمتد من الفرات ودجلة إلى خليج السويس، ومن المتوسط حتى بحر عُمان» على ان يتخذ شكل الحكم، في هذه الامبراطورية «شكل السلطنة الدستورية المرتكزة على حرية كافة المذاهب، ومساواة كافة المواطنين أمام القانون»، وعلى ان تحترم «مصالح أوروبا وكافة الامتيازات والمزايا التي منحها إياها الأتراك» كما يحترم «الحكم الذاتي في (جبل) لبنان، واستقلال إمارات اليمن ونجد والعراق».

أما «عرش الامبراطورية العربية» فيمنح إلى «أمير من العائلة الخديوية المصرية». وتتخلّى «الجامعة» عن فكرة «الجمع بين مصر والامبراطورية العربية في ظل ملكية واحدة» وذلك لأن المصريين، في نظر عازوري، «لا ينتمون إلى العرق العربي» بل انهم من «البرابرة الإفريقيين» وكانت لغتهم، قبل الإسلام، «لا تشبه العربية قط»، كما ان قيام «حدود طبيعية بين مصر والامبراطورية العربية» يوجب الفصل بينهما كي «لا تدخل، في الدولة الجديدة، بذور التنافر والهدم»، ثم ان الخلفاء العرب «لم ينجحوا في السيطرة، طويلاً، على هذين البلدين»(٢٨) مجتمعين.

ورغم ان المشروع القومي الذي طرحه «عازوري» في كتابه وكتاباته، ناقص ومبتور، فهو يظل، بالنسبة إلى ذلك الزمن، خطوة متقدّمة على طريق استكمال نظرية «الوحدة» التي استكملت، فيما بعد، في نظريات أحزاب قومية عقيدية (مثل حزب البعث العربي الإشتراكي) وفي كتابات قوميين عرب محدثين (أمثال ساطع الحصري وقسطنطين زريق وغيرهما)، بل ان «عازوري» يظل، في نظريته القومية هذه، أقرب إلى «أنطون سعادة» منه إلى «ميشال عفلق»، خصوصاً ان مصر كانت، في الفترة التي طرح خلالها

«عازوري» مشروعه القومي، قد «انفصلت عن الحركة العربية، واتبعت سياسة وطنية خاصة بها»، ويرجع ذلك إلى عهد الخديوي إسماعيل، (عهد السلطان عبد الحميد الثاني)[٢٩]، وتحديداً، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

٧ - في الثاني من شهر أيلول/سبتمبر عام ١٩٠٨، أقيم إحتفال رسمي في الآستانة، بمناسبة إنشاء أول جمعية عربية باسم «**جمعية الإخاء العربي العثماني**»، وقد حضر هذا الإحتفال عدد من أعضاء جمعية «الإتحاد والترقي»، وكان من أهداف «جمعية الإخاء» هذه: «المحافظة على الدستور، وتوحيد جميع العناصر في الولاء للسلطان، وتحسين أوضاع المقاطعات العربية على أساس المساواة الحقيقية مع الأجناس الأخرى في الدولة، ونشر التعليم باللغة العربية، وتنمية الشعور بالمحافظة على العادات العربية واتبّاعها»[٣٠]. وقد سمح للعرب، على اختلاف طوائفهم، بالانتساب إلى هذه الجمعية، كما تقرّر إنشاء فروع لها في جميع الأقاليم العربية، وإصدار جريدة باسمها[٣١].

ومن الذين انتموا إلى هذه الجمعية: شفيق المؤيد وصادق باشا المؤيد وندره مطران وعارف بك المارديني وعبد الكريم الخليل وجميل الحسيني وعبد الوهاب الإنكليزي وحقي العظم وعبد الحميد الزهراوي ورضا بك الصلح والدكتور حسين حيدر ورفيق العظم والشيخ رشيد رضا وعبد الغني العريسي وسيف الدين الخطيب وشكري بك الحسيني ويوسف بك شتوان وشكري باشا الأيوبي. إلاّ ان الحكومة العثمانية ما لبث ان أمرت بحل هذه الجمعية وفروعها[٣٢].

ويذكر «انطونيوس» ان «شهر العسل التركي العربي» الذي كان قد بدأ بين هذه الجمعية و«الاتحاد والترقي»، ثم «تركيا الفتاة»، لم يلبث ان انتهى بعد ان تسلّمت «تركيا الفتاة» الحكم في السلطنة وانقلبت على مبادئها الأساسية

التي كانت تساوي بين جميع العناصر التي تتكوّن منها السلطنة، وخصوصاً العنصر العربي منها، وانحازت صراحة نحو تفضيل العنصر التركي على سواه[٣٣].

VI - ويحدّثنا المفكّر القومي «أسعد داغر» عن «**المنتدى الأدبي**» الذي انشئ في القسطنطينية صيف عام ١٩٠٩، بعد حل «جمعية الإخاء»، وكان يهدف ال خلق «رابطة ثقافية بين الطلاب العرب» ثم بدأ يتحوّل إلى «مركز سياسي منذ ان تبدّلت سياسة جمعية الاتحاد والترقي مع العرب»[٣٤]. وقد انتسب إلى هذا المنتدى نخبة من الشبان العرب المتحمّسين، وعلى رأسهم «عبد الكريم الخليل» الذي كان «معتمداً للشبيبة العربية» ومنهم: «سليم الجزائري وتوفيق البساط وجلال البخاري ورفيق رزق سلوم وعارف الشهابي وسيف الدين الخطيب ورشدي الشمعة وشكري العسلي وعبد الوهاب الإنكليزي، وعزيز علي (المصري) وشكري القوتلي والأمير عادل ارسلان وجعفر العسكري وسعيد حيدر ونجيب شقير وثابت عبد النور وعبد الله الدملوجي، وصالح حيدر وجميل الحسيني ويوسف مخيبر»، وكثيرون من «آل الشهابي والصلح والعظم ومردم، الذين كانوا لا يزالون رافعين لواء النهضة العربية»[٣٥]. ويذكر «داغر» انه قد رافق نشوء المنتدى ظهور عدّة جمعيات وأحزاب سياسية في البلاد العربية، وكانت هذه الجمعيات والأحزاب تطالب باللامركزية، باعتبار ان ذلك يتيح لكلّ قطر من أقطار السلطنة ان ينمو ويتحصّن حتى يضحى مستعداً «للدفاع عن نفسه». ومن هذه الجمعيات والأحزاب: «**حزب اللامركزية** في مصر برئاسة رفيق بك العظم، **وجمعية الاصلاح البيروتية**...، **وجمعية البصرة الإصلاحية** ورئيسها السيد طالب النقيب»، وقد اتفقت هذه الجمعيات والأحزاب، كلّها، على المطالبة بالإدارة اللامركزية في السلطنة. وكان

«المنتدى الأدبي» أهمها، فهو الذي كان يبث الروح الوطنية في نفوس العرب جميعاً، كما كان يدعو إلى «الوحدة العثمانية على أساس اللامركزية»، إلاّ أنه، ما أن لمس تبدّلاً في سياسة «الإتحاد والترقي» نحو العرب حتى اندفع يطالب، صراحة، «بالانفصال عن الترك، وإعلان الاستقلال العربي»[٣٦].

ويبدو ان «شاعر المنتدى» كان «رفيق رزق سلوم» الذي قال، في أحد اعترافاته (أمام المحققين الأتراك) انه كان يكتب أشعاراً تحث على «بعث الحضارة واستعادة السيادة العربية» كما كان من خطبائه ومحاضريه «ندره مطران وعبد الحميد الزهراوي وعزيز علي وسليم بك الجزائري»[٣٧]. وكان للمنتدى «تعليمات سرية» لا يعرفها سوى الأعضاء المؤسّسين، إذ إنه كان يهدف إلى «جمع الشباب العربي وتربيته على الفكر القومي وعلى نزعة الاستقلال»، كما كان يريد ان يجعل من الولايات العربية «مصنعاً للموظفين والدعاة المقتنعين بهذه الافكار والقادرين على نشرها»[٣٨].

وكان للمنتدى صلات بكلّ الحركات العربية الأخرى، في مصر (اللامركزية)، وفي بيروت (الإصلاح)، ومع عزيز علي المصري (العهد)[٣٩].

وقد استمرّ «المنتدى الأدبي» أطول فترة بالنسبة إلى باقي الجمعيات والأحزاب العربية، إلا انه انحلّ، من تلقاء نفسه، وبسبب الحاجة إلى المال، في آذار/مارس عام ١٩١٥[٤٠].

VII - في الرابع عشر من تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٠٩، أسس ثلاثة من الطلاب العرب في باريس جمعية دعوها «**الجمعية العربية الفتاة**» أو «**جمعية الفتاة**» أو «**الفتاة**»، وهي جمعية عربية إسلامية ظلت سرّية، وقد دعاها مؤسّسوها، في البداية «جمعية الناطقين بالضاد» ثم عادوا فبدّلوا إسمها

بالإسم الجديد، ومؤسّسوها هم: الدكتور أحمد قدري وعبد الغني العريسي وجميل مردم بك. وقد انتقلت هذه الجمعية إلى بيروت بعد عودة مؤسّسيها إلى بلادهم وذلك عام ١٩١٢، فصار مقرّها الرئيسي ببيروت، ولها فرع في دمشق، وانضم إليها، قبل الحرب العاليمة الأولى وبعد نقل مقرها إلى بيروت:

نسيب البكري والأمير عارف الشهابي وتوفيق الناطور ومحمد الشريقي وعمر حمد وتوفيق البساط ورفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب وصالح حيدر وإبراهيم حيدر والشيخ كامل القصاب، كما انضمّ إليها بعد إعلان الحرب: فيصل بن الحسين وعلي رضا باشا الركابي وياسين الهاشمي[٤١].

وكانت أهم أهداف هذه الجمعية:

- السعي إلى «نيل الاستقلال العربي داخل إطار الامبراطورية العثمانية» بحيث يتعايش العرقان: العربي والتركي، في كيان سياسي واحد، كما هو الحال بالنسبة إلى الامبراطورية النمساوية الهنغارية.

- السعي إلى «رفع شأن الأمة العربية إجتماعياً وتربوياً» لكي تضاهي، في تقدّمها ورقيها، الأمم الأوروبية الغربية.

وكانت هذه الجمعية ترى ان يتمّ ذلك «دون مساس بوحدة الامبراطورية العثمانية أو القضاء عليها»[٤٢]، كما انها كانت تمثل، في جوهرها، رداً على جمعية «تركيا الفتاة» ذات التوجّه الطوراني. وكان من النشيطين في هذه الجمعية: توفيق الناطور (الذي حكم عليه العثمانيون بالإعدام شنقاً، وكان قد أصيب، وهو على باب زنزانته في السجن، برصاص أطلق عليه فجرح جرحاً بليغاً، وكان في المستشفى العسكري ببيروت عندما صدر عليه الحكم بالإعدام، فنفي إلى الأناضول وتوفي هناك)، وخالده أديب، التي كانت تنتقد سياسة «تركيا الفتاة» صراحة وتنادي بالتفاهم والتعاون التامين بين الاتراك والعرب[٤٣].

VIII - أسّست «**الجمعية القحطانية**» في الآستانة، في أواخر عام ١٩٠٩، وقد اختلف في تحديد اسم مؤسّسها، فقيل إنه «عبد الكريم الخليل» وقيل «خليل باشا حماده» بالاتفاق مع «عبد الحميد الزهراوي»، كما قيل إنه «سليم بك الجزائري». وجاء في الكتاب الصادر عن قيادة الجيش العثماني الرابع ان مؤسّسي هذه الجمعية هم: خليل حماده باشا وعبد الحميد الزهراوي وعزيز علي المصري وسليم بك الجزائري(٤٤). وقد ظلّ عمل هذه الجمعية سرياً ويهدف إلى «بث المبادئ الصحيحة بين الأمة، وجمع الكلمة، وتوحيد الصفوف»(٤٥). وقد بلغت من السّرية حداً جعل أعضاءها يتفقون على «رمز» يتعارفون من خلاله، فيكون التعارف بواسطة حركةٍ بأصابع اليد، أو بتهجية كلمة «هلال» عند التخاطب(٤٦). وقد انخرط في هذه الجمعية العديد من شباب العرب ومن ضباطهم في الجيش العثماني، وممن انضم إليها: الدكتور عزت الجندي، وحسن حماده وعبد الكريم الخليل، وعلي النشاشيبي، وعادل ارسلان، وأمين لطفي حافظ(٤٧)، وحقي العظم، وقد شكّلت هذه المجموعة «اللجنة المركزية» للجمعية. وترى قيادة الجيش العثماني الرابع ان أهداف هذه الجمعية هي «متابعة تطور العرب وتقدمهم وتحسين أوضاعهم، وإيقاظ الشعور القومي عندهم»(٤٨).

وتؤكد التحقيقات العثمانية مع أعضاء الجمعية ان معظم هؤلاء كانوا يعملون لتحقيق استقلال بلادهم وإعادة الخلافة الإسلامية إلى العرب(٤٩).

ويتبين، من أسماء الأعضاء في كلّ من «المنتدى الأدبي» و«الجمعية القحطانية»، أن معظمها كان مسجّلاً في كلتا الحركتين، رغم ان «القحطانية» كانت تمارس نشاطها «بجرأة واتساع»، لم يألفهما المنتدى(٥٠).

وقد استمرّت هذه الجمعية حتى الحرب العالمية الأولى، حيث فقدت معظم قادتها، إلاّ انها أنجبت ثلاث حركات مهمّة هي: **العهد**، بزعامة عزيز علي المصري، وكان قد أوقف وسجن إلاّ انه استطاع الفرار بمساعدة حزب اللامركزية ، حيث عاد إلى مصر، وأسّس حركة جديدة هي «**الجامعة العربية**»، بينما أسّس عبد الحميد الزهيري، والشيخ رشيد رضا ورفيق العظم وحقي العظم، في مصر ايضاً، «**اللامركزية**»، وكان بين هذه الحركات جميعها، صلة نسب وطيدة(٥١).

IX - بعد عودته من الآستانة (عام ١٩٠٩ - ١٩١٠)، وإدراكه ان التعاون والإتحاد بين العرب والأتراك، في عهد الإتحاد والترقي، أضحى مستحيلاً، بسبب انقلاب هؤلاء على العثمانية، وانحيازهم العلني إلى الطورانية، أسّس الشيخ رشيد رضا، صاحب مجلة «المنار» جمعية عربية دعاها «**جمعية الجامعة العربية**»، وكان يبغي، من وراء تأسيس هذه الجمعية، السعي «لجمع كلمة العرب والتأليف بين أمرائهم، وتأسيس ملك جديد لهم» وفقاً للمبادئ التي قامت الجمعية عليها، (وكما هو وارد في نص القَسَم الذي وضعه الشيخ رضا لمن يريد ان ينتمي إلى هذه الجمعية)، كما كان يبغي «التعاون على عمران البلاد (العربية) والدفاع عنها، وإيجاد صلة بين الجمعيات العربية في سوريا والعراق وغيرهما»(٥٢).

وقد اتصل الشيخ رضا بكلّ من «الإمام يحيى حميد الدين» في اليمن، «والإمام عبد العزيز آل سعود» في نجد، و«الأمير عبد الله بن الحسين» في الحجاز، فوافقوه وباركوا مسعاه، حتى ان الأمير عبدالله، وكان في القاهرة، انخرط في الجمعية وأقسم اليمين أمامه. وكان من الأعضاء العاملين، في الجمعية، في مصر: الشيخ علي يوسف صاحب جريدة

«المؤيد»، ورفيق العظم، والدكتور عبد الرحمن شهبندر، وشريف الفاروقي، وغيرهم[٥٣].

X - في أواخر عام ١٩١٢، إجتمع، في القاهرة، نخبة من المفكرين السوريين منهم: الدكتور شبلي شميّل واسكندر عمون وسامي جريديني والشيخ محمد رشيد رضا، وعبد الحميد الزهراوي، ورفيق العظم ومحب الدين الخطيب وحقي العظم، وآخرون مقيمون في مصر، وقرّروا تأسيس حزب سياسي دعوه «**حزب اللامركزية الإدارية العثماني**»[٥٤].

وفي حديث جرى بين «عبد الغني العريسي» والشيخ محمد رشيد رضا، يقول العريسي (ويبدو ان قوله قد جاء في معرض التحقيق معه من قبل السلطات العثمانية في الجيش الرابع) ان السبب الأساسي في تأسيس هذا الحزب، كما حدده الشيخ رضا، عن مصادر «زعم انها رسمية»، هو ان حرب البلقان سوف تؤدي إلى «تفكيك الامبراطورية العثمانية»، وان القسم من سوريا الواقع بين «حيفا واسكندرون» سيكون «تحت السيطرة الفرنسية»، بينما يكون القسم الواقع بين «العراق والجزيرة العربية» تحت سيطرة الإنكليز. وان هدف هذا الحزب هو إسقاط «حكومة الاتحاد والترقي» بالتعاون مع المعارضة العثمانية (وخصوصاً حزب الائتلاف)[٥٥].

ويبدو ان ذلك قد دفع تلك النخبة إلى زيارة «رؤوف باشا» المفوض العثماني في مصر لكي تطلب منه تعزيز الدفاع عن سوريا في وجه أي غزوٍ إنكليزي وفرنسي محتمل، بحيث تنشأ «مستودعات للأسلحة» في البلاد، وتوزّع هذه الاسلحة على الأهالي عند حصول أي هجوم. وقد توصّلت تلك النخبة، بعد ذلك، ومن خلال المداولات بين أفرادها، إلى تأسيس الحزب واختير «رفيق العظم» رئيساً له، بينما اختير «اسكندر عمون» نائباً

للرئيس و«حقي العظم» أميناً للسر و«محب الدين الخطيب» مساعداً لأمين السر(٥٦).

ويبدو ان السلطات العثمانية كانت موافقة، في البدء، على تأسيس هذا الحزب، ومطلّعة على مبادئه وبرنامجه وأهدافه الظاهرة، فقد كان يدعو إلى «الحفاظ على الامبراطورية من الأخطار الخارجية، ومن المنازعات الداخلية»، وإلى «خلق الشعور بالولاء لوحدة الامبراطورية العثمانية» و«للعرش العثماني» الذي يوحّد بين كلّ المواطنين العثمانيين، ولذا، فقد كان الدخول إلى هذا الحزب متاحاً لكلّ مواطن عثماني، عربياً كان أم غير عربي، وقد وضع الحزب برنامجاً محدداً ومفصّلاً يتألف من ٣٣ مادة(٥٨).

إلاّ ان أحلام «حزب اللامركزية» قد تبدّدت، نهائيا، عندما استولت «تركيا الفتاة» على الحكم، وجاهرت بتوجّهها الطوراني العنصري، مما دفع بالنخبة إلى السير في الإتجاه المعاكس والمطالبة بالاستقلال والسيادة.

XI - وفي شهر أيلول/سبتمبر من العام ١٩١٢، انشئت، في الآستانة، جمعية دعيت «**العلم الاخضر**»، وكانت تهدف إلى تمتين أواصر «الروابط الوطنية بين الطلاب العرب» في الآستانة وتوجيههم لمساعدة أمتهم على الخروج من «الوهدة التي سقطت فيها». وقد أسّس هذه الجمعية كلّ من: «الدكتور إسماعيل الصفار والدكتور فايق شاكر والدكتور داود الديواني، وعلي رضا الغزالي وعبد الغفور البدري وأحمد عزت الأعظمي وعاصم بسيسو ومسلّم العطار ومصطفى الحسيني وشكري غوش». وقد أصدرت هذه الجمعية مجلّة دعيت «لسان العرب»، ثم اصبحت تدعى فيما بعد، مجلة «المنتدى الأدبي» وقد استمرت هذه الجمعية حتى مطلع الحرب العالمية الأولى(٥٩).

XII - وفي الشهر الأول من عام ١٩١٣، اجتمع «أعيان بيروت وكبارها ونوابها» وشكّلوا «**جمعية بيروت الإصلاحية**»، وتقدّموا من الوالي العثماني «أدهم بك» بمطالب إصلاحية وفقاً لبرنامج أقروه في اجتماع لهم بدار البلدية بتاريخ ٣١ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٣، وكان عدد المندوبين ٩٠ مندوباً. وقد تضمن هذا البرنامج «مادة أساسية» مضمونها ان «الحكومة العثمانية حكومة دستورية برلمانية»، بينما تحدّثت باقي المواد عن إصلاحات واسعة منها: تشكيل «مجلس عمومي» في الولاية، ومجلس للأوقاف (لكلّ ملة)، ومجلس استشاري، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية «في جميع المعاملات داخل الولاية» وكذلك «في مجلس النواب والأعيان» إلى جانب اللغة التركية، وتخفيض الخدمة العسكرية إلى سنتين، على ان يقضيها المجنّد في الولاية نفسها، وتخفيض قيمة البدل النقدي لهذه الخدمة (المسماة بالنظامية)[٦٠].

XIII - وفي العام نفسه، أنشئت «**جمعية البصرة الإصلاحية**»، وقد أنشأها «طالب النقيب» وهو نائب البصرة في مجلس المبعوثان بالآستانة «وأحد زعماء حزب الإئتلاف»، وقد انضمّ إليها العديد من زعماء البصرة وبغداد والعراق كافة، وكانت جريدة «النهضة» البغدادية، ناطقةً باسم هذه الجمعية.

وحاولت السلطات العثمانية اغتيال طالب النقيب رئيس الجمعية إلاّ انها فشلت في ذلك، فعمدت إلى التودد إليه واستمالته، وعاد طالب إلى مهادنتها، وأذاع بياناً يعلن فيه عودته إلى حظيرة «حكومتنا السنيّة»[٦١].

XIV - وفي العام نفسه أيضاً، أسس، في بغداد «**النادي الوطني العلمي**» ليكون فرعاً «لحزب اللامركزية العثماني» الذي أسّس في مصر، في أواخر العام ١٩١٢، وقد رأس هذا النادي «مزاحم الباججي» الذي استطاع، بواسطته، ان ينشر أفكاره القومية في صفوف الشباب العراقي، وكان هذا النادي «يستظل

بظل» طالب النقيب، رئيس «جمعية البصرة الإصلاحية»، وكان «الباججي» يشرف بنفسه على إصدار جديدة النهضة حتى إغلاقها من الدولة وملاحقته، ففرّ إلى البصرة واحتمى بطالب النقيب، وانفرط عقد أعضاء النادي الذي كان قد أسّسه[٦٢].

XV - لقد رفض «شكيب ارسلان» حضور «**المؤتمر العربي الأول**» الذي عقد بباريس عام ١٩١٣، إذ رأى ان «مؤتمراً كهذا لا ينبغي ان يعقد في عاصمة كباريس، لها ما لها من المطامح في سوريا، ولا يجوز ان يعقد بينما الدولة (العثمانية) مشغولة بالحرب البلقانية، وقد فقدت قسماً عظيماً من السلطنة، وسقطت أهميتها العسكرية والسياسية»[٦٣]، كما أنه رأى، في عقد هذا المؤتمر بباريس، وفي الظروف الصعبة التي تمرّ بها السلطنة، إهانة للدولة العظمى نفسها، وافتئاتاً على الإسلام والمسلمين، فسقوط «أهمية» الدولة العثمانية لا يضير، فقط، الأتراك وحدهم، بل إنه يوقع الضرر الفادح بالمسلمين كافة[٦٤].

عقد هذا المؤتمر بباريس من ٦/١٨ لغاية ١٩١٣/٦/٢٣ وحضره نخبة من المفكرين القوميين العرب من مختلف الأقطار العربية ومن بلاد الاغتراب، نذكر منهم: عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون وسليم سلام وأحمد مختار بيهم، وخليل زينيه والشيخ أحمد طباره والدكتور أيوب ثابت وألبير سرسق وتوفيق السويدي وسليمان عنبر ومحمد وإبراهيم حيدر ونجيب دياب ونعوم مكرزل والياس مقصود، وعباس بجاني وشكري غانم وعبد الغني العريسي وندره مطران وعوني عبد الهادي، وشارل دباس وخيرالله خير الله وجميل مردم ومحمد المحمصاني وعبد الكريم الخليل[٦٥]. وقد اتخذ المؤتمر، في ختام مداولاته ومناقشاته التي استمرّت اسبوعاً كاملاً، القرارات التالية:

«١ - إن الإصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية، فيجب أن تنفّذ بوجه السرعة.

«٢ - من المهم ان يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية، وذلك بأن يشتركوا في الإدارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً.

«٣ - يجب ان تنشأ، في كل ولاية عربية، إدارة لا مركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها.

«٤ - كانت ولاية بيروت قد قدّمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثاني/يناير سنة ١٩١٣ بإجماع الآراء، وهي قائمة على مبدأين أساسيين هما: توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين أجانب. فالمؤتمر يطلب تنفيذ هذين المطلبين وتطبيقهما.

«٥ - يجب ان تكون اللغة العربية معتبرة في مجلس النواب العثماني، ويجب ان يقرّر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية.

«٦ - تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية، إلا في الظروف والأحيان التي تدعو للإستثناء الأقصى.

«٧ - يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ان تكفل لمتصرفية (جبل) لبنان وسائل تحسين ماليتها.

٨ - يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على اللامركزية.

«٩ - سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية.

«١٠ - وتبلغ أيضاً هذه القرارات للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية.

«١١ - يشكر المؤتمر الحكومة الفرنساوية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها».

ثم ألحقت بهذه القرارات، القرارات التالية:

«١ - إذا لم تنفّذ القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر، فالأعضاء المنتمون إلى لجان الإصلاح العربية يمتنعون عن قبول أي منصب كان في الحكومة العثمانية إلاّ بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين إليها.

«٢ - ستكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين، ولا يمكن مساعدة أي مرشّح في الإنتخابات التشريعية إلاّ إذا تعهّد، من قبل، بتأييد هذا البرنامج، وطلب تنفيذه.

«٣ - يشكر المؤتمر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازرتهم له، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم».

وقد انفضّت الجلسة الأخيرة لأعمال المؤتمر يوم الاثنين في ١٨ رجب عام ١٣٣١ هـ الموافق له ٢٣ حزيران/يونيو عام ١٩١٣م، في الساعة الثامنة مساءً[٦٦].

XVI - كان البكباشي «عزيز علي المصري» من أكثر الضباط العثمانيين كفاءة ومقدرة، كما انه كان من أكثر الضباط العرب، في الجيوش العثمانية، وطنية وثورية، وكان قد حارب في اليمن (عام ١٩١٠)، ثم تطوّع للدفاع عن طرابلس الغرب أثناء الإحتلال الإيطالي لها (عام ١٩١١-١٩١٣)[٦٧]. ولما عاد إلى الآستانة، في صيف عام ١٩١٣، فجع بالتوجه الطوراني العنصري لحزب «الاتحاد والترقي»، وهو الذي كان قد أسهم في تأسيس «الجمعية القحطانية» فأسّس، بتاريخ ٢٨ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩١٣، جمعية عربية سرّية سمّاها «جمعية العهد»، وقد انضمّ إلى هذه الجمعية نخبة من الضباط العرب الذين كانوا في الجيش العثماني، منهم «محمد إسماعيل الطباخ، ومصطفى وصفي، وسليم الجزائري، ونوري السعيد، ويحيى كاظم أبو الشرف، وعارف النوام،

ومحي الدين الجبان، وعلي النشاشيبي، وياسين الهاشمي، وطه الهاشمي، وجميل المدفعي، وتحسين علي، وإسماعيل الصفار، وعلي رضا الغزالي، ومولود مخلص، وأمين لطفي الحافظ، وعلي جودت الأيوبي، وعبدالله الدليمي، والدكتور عبد القادر سرّي»[٦٨].

وكانت مبادئ هذه الجمعية هي، نفسها، مبادئ «الجمعية القحطانية»، إلاّ انها «مفرغة بأسلوب عسكري»، ومن هذه المبادئ:

١ - جمعية سرية غايتها «السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب، على ان تظل متحدة مع حكومة الآستانة».

٢ - «ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية... بأيدي آل عثمان».

٣ - ضرورة الدفاع عن الآستانة للمحافظة على سلامتها، باعتبارها «رأس الشرق».

٤ - على العرب أن يسعوا لكي يكونوا قوّة إحتياطية تصلح للوقوف في «المخافر الأمامية» للشرق، ضد الغرب، إلى جانب الأتراك.

٥ - على «العهديين» ان يسعوا «للتمسّك بالأخلاق الحميدة»، وذلك لأن الأمة «لا تحتفظ بكيانها السياسي القومي» إن لم تتمسّك بهذه الأخلاق[٦٩].

وفي عام ١٩١٥ اتصلت جمعية العهد «بالجمعية العربية الفتاة» في دمشق واتفقتا على ان تعملا، معاً، في سبيل الإعداد للثورة في البلاد العربية[٧٠].

إلاّ ان السلطات العثمانية لاحظت النمو المتصاعد لهذه الجمعية، على الصعيد القومي العربي، فرأت في بقائها خطراً على الدولة العثمانية، رغم ما تضمّنته مبادئها من تمسّك واضح بالبقاء ضمن هذه الدولة، خصوصاً انها

شهدت إقبالاً منقطع النظير من الشباب العربي في كلّ الأقاليم العربية، وفتحت فروعاً لها في بغداد والموصل، وفي اجتماع خاص عقدته تلك السلطات بتاريخ ٢٤ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٤، في وزارة الحربية بالآستانة، لدرس أوضاع هذه الجمعية، قررت ما يلي:

١ - إبعاد الضباط العرب المقيمين في الآستانة وتوزيعهم في أنحاء متفرّقة من البلاد، بحيث يستحيل عليهم الإتصال بالمركز الرئيسي لهذه الجمعية في العاصمة. و كان عدد الضباط العرب، في الآستانة، ٤٩٠ ضابطا، منهم ٣١٥ ضابطاً منتمين إلى هذه الجمعية.

٢ - إقصاء الضباط العرب عن قيادة الوحدات العسكرية العثمانية المتمركزة في البلاد العربية وتسليم قيادة هذه الوحدات إلى ضباط أتراك.

٣ - الإسراع في تنفيذ سياسة التتريك وتكليف جمال باشا بهذه المهمة.

٤ - مقاومة التيارات الإصلاحية القومية (العربية) التي بدأت تظهر في باريس وبيروت.

٥ - إلغاء جميع الأحزاب العربية ومراقبة تصرفات القادة والزعماء والضباط العرب لمنع أية حركة إنفصالية، واحتواء من يمكن احتواؤه منهم، أمّا الباقون فيبعدون من الآستانة.

٦ - السعي لتعزيز نفوذ «جمعية الإتحاد والترقي» والعمل على ضم أكبر عدد ممكن من العرب إلى عضويتها.

وفي ٩ شباط/فبراير (عام ١٩١٤) صدر أمر بإلقاء القبض على عزيز علي المصري وإحالته أمام محكمة عسكرية، وبدأت محاكمته، بشكل سري، بتاريخ ٢٥ آذار/مارس (عام ١٩١٤)، حيث حكم عليه بالإعدام، إلاّ ان

المظاهرات والإضرابات والإحتجاجات عمّت البلاد العربية كلّها مطالبة بالإفراج عنه، مما حمل الحكومة العثمانية على التراجع عن تنفيذ الحكم، وإطلاق سراحه، بتاريخ ٢١ نيسان/أبريل (عام ١٩١٤)، شرط أن لا يقيم في الآستانة، وان لا يتعاطى في الشؤون السياسية، وقد عاد عزيز، بعدها، إلى مصر[٧١].

XVII - أُسّست «الجمعية الثورية العربية» بعد تأسيس «العهد» وقد أسسها «عزيز علي المصري» بعد عودته من الآستانة إلى مصر. وجاء على لسان «عبد الغني العريسي»، أثناء التحقيق معه من قبل السلطات العثمانية، ان هذا الإسم «الجمعية الثورية العربية» أعطي «للعهد»، وان «عزيز علي» هو الذي أعطى «العهد» هذا الاسم. وقد اتحدت هذه الجمعية مع «حزب اللامركزية الادارية العثماني»، وكان من أبرز مؤسّسيها: حقي العظم وفؤاد الخطيب والضباط العرب الفارون من الجيش العثماني إلى مصر. والفرق بين هذه الجمعية وغيرها من الجمعيات العربية انها، (أي الجمعية الثورية)، بدأت سرية، ثم ما لبثت ان أظهرت نشاطها للعلن، وما ان اتحدت مع «حزب اللامركزية» حتى صارت البلاغات الصادرة عن «حزب اللامركزية» هي نفسها الصادرة عن «الجمعية الثورية» باعتبارهما يخدمان الأهداف نفسها[٧٢].

ونجد، في نماذج من هذه البلاغات، دفاعاً عن «عزيز علي» الضابط العربي الذي ظلمه العثمانيون بأنهم «لم يكتفوا بحرمانه من المراتب العليا، ولا بعدم مكافأته على ما أحسن عليهم به مدة عشرين سنة... بل ... حكموا على هذا الشهم العربي بالإعدام». ويتهم العثمانيون «عزيز علي» بأنه سعى إلى «إيجاد اختلال في الجيش، وفصل قطعة من البلاد عن الوطن»، كما يتهمون الجمعيات التي لها صلة بحزب «اللامركزية» ومنها «الجمعية الثورية»، بأنها

تسعى إلى «تأسيس الخلافة، في مصر، تحت حماية الإنكليز، مع قلب الخديوية إلى الخلافة، وجعل قطعة سورية، من حيفا إلى مصر، تحت حماية الإنكليز، ومن حيفا إلى اسكندرون، تحت حماية الفرنسيس، وإيجاد أمير مسلم مستقل في سوريه». وتستطرد السلطة العسكرية العثمانية، في اتهاماتها، قائلةً: «ولبعضهم مقاصد أخرى وهي إلحاق بيروت بجبل لبنان وتوسيع حدود الجبل إلى البقاع، وتكون سورية تحت احتلال فرنسا»، معرّضةً، بذلك، بجمعية «النهضة اللبنانية» التي اتهمها العثمانيون بالسعي لتوسيع جبل لبنان على حساب سوريا الطبيعية، ومقدمةً وثائق تدين هذه الجمعية[٧٣].

وفي بلاغ مهم أصدرته «الجمعية الثورية العربية» بعنوان: «بلاغ إلى العرب من بني قحطان»، نجد دعوة علنية إلى اليقظة العربية وإلى التحرر من الحكم التركي وإعادة «الحكومة الراقية في بغداد ودار السلام»، كما نجد تحديداً واضحاً لأهداف هذه الجمعية وغاياتها ومبادئها، على الوجه التالي (كما وردت بالنص الحرفي):

- «أيها العرب عموماً، إعلموا انه تأسّست جمعية فدائية تقتل كلّ من يقاتل العرب ويقاوم الإصلاح العربي... وذلك على مبدأ:

«- الاستقلال التام...

«- تأليف دولة عربية لا مركزية....

«- حكم البلاد حكماً ذاتياً في كلّ مقاطعة، بما يليق بها»[٧٤].

ومما جاء في هذا البلاغ، كذلك، دعوة إلى العرب جميعاً، مسلمين ومسيحيين وموسويين، للتضامن والاتحاد ونبذ الفرقة والتعصب الطائفي، إذ جاء فيه:

«تساعدوا واتحدوا وتعاضدوا، ولا تقولوا: أيها المسلمون، هذا نصراني وهذا موسوي، فكلّكم عيال اللّه والدين للّه وحده»[٧٥].

وجاء في مكان آخر من البلاغ نفسه: «أيها العرب المسلمون، تخطئون خطأً عظيماً إذا ظننتم ان هذه الحكومة (العثمانية) الظالمة الغاشمة إسلامية... فكلّ حكومة ظالمة هي عدو وخصم للإسلام... وأنتم، أيها العرب، من النصارى والموسويين، ضعوا أيديكم في يد إخوانكم المسلمين العرب»[٧٦].

XVIII - إشترك الآلاف من العرب السوريين في ثورة الشريف حسين التي اندلعت، ضد السلطنة العثمانية، وبالاتفاق مع الحلفاء الغربيين (وخصوصاً فرنسا وإنكلترا)، في حزيران/يونيو عام ١٩١٦، لقاء وعد من هؤلاء الحلفاء بإقامة «المملكة العربية السورية»، إلاّ ان الحلفاء نقضوا العهد وخانوا التحالف وتآمروا على الشريف حسين وعرب سوريا والعراق، بعد ان اتفقوا، فيما بينهم، على تقسيم هذه البلاد إلى مناطق نفوذ لهم، وفقاً لاتفاقية «سايكس بيكو»[٧٧]. وسوف نعود إلى تفاصيل هذه الثورة في فصل مستقل لاحق.

XIX - نشرت جريدة «الشمس» في عددها الصادر بتاريخ ١٢ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٧، رسالة من «**اسكندر عمون**» تتعلّق بنظرته إلى مستقبل البلدان العربية، وقد جاء في الرسالة ما يلي: «واما من خصوص رأيي عن مستقبل سوريا ولبنان وعن أمر الدعوة لتطوّع اللبنانيين في الحرب فأقول: عرف العنصر العربي الذي كان، حتى اليوم، تحت النير التركي، ان الحرب لا تنتهي إلاّ بفوز الحلفاء فوزاً تاماً مبيناً يمكّنهم من تقرير الصلح على الشروط التي يريدونها، وهو قد علم أيضاً بما أعلنه الحلفاء عن عزمهم على تحرير

الشعوب المغلوبة على أمرها، وترك الخيار لها في تعيين مصيرها، ووثق بهذا الوعد، فهو سيختار، حتماً، الانضمام إلى الدولة العربية، فيكون للعرب دولة تشمل سوريا والعراق، وربما انضمّت إليها، في القريب العاجل، سائر البلدان العربية في جزيرة العرب، وستكون كلّ ولاية أو إمارة عربية متمتّعة باستقلالها الإداري، فيكون من مجموعها ولايات عربية متحدة على مثال الولايات المتحدة الأميركانية، واني أرجّح، بل أعتقد، ان الأمر سيتم على هذا الوجه، على الرغم من مساعي حزب الاستعمار الفرنساوي. اما نحن اللبنانيين، فمع محافظتنا على حبنا لفرنسا وتعلّقنا الشديد بها، نفضّل الإستقلال التام على الإستقلال الإداري تحت سيادتها...»(٧٨).

XX - على أثر الإتفاق الذي تمّ بين الشريف حسين، شريف مكة، والحلفاء الأوروبيين، في الحرب العالمية الأولى (عام ١٩١٦)، والذي تقرّر، بموجبه، أن يعلن الشريف حسين الثورة على السلطنة العثمانية، وبعد انتصار الحلفاء في الحرب ودخول الأمير فيصل دمشق (عام ١٩١٨)، وفي المؤتمر السوري الذي عقد في دمشق، بتاريخ السادس من آذار/مارس عام ١٩٢٠، الذي حضره مندوبون عن مناطق سوريا الثلاث: الداخلية (سوريا) والساحلية (لبنان) والجنوبية (فلسطين)، ألقى الأمير فيصل، خطاباً جامعاً، افتتح به المؤتمر، داعياً إلى حرية العرب واستقلالهم «بفضل الدم الطاهر الذي سفكوه، وبفضل ما قاسوه من أنواع العذاب والقهر» ومعلناً ان «الأمة العربية لا تقبل اليوم ان تستعبد»، ثم طالب المؤتمرين بوضع «الخطة السياسية التي سنسير عليها، والأعمال التي سنقوم بها في المستقبل، فدولتنا الجديدة... هي في حاجة، اليوم، إلى تقرير شكلها أولاً، ثم إلى وضع دستور يعيّن لكلّ آمر ومأمور منا حقوقه ووظائفه في حياتنا المستقلّة، التي

أرجو ان يكون ملؤها الجد والعمل والإقدام»[٧٩]. وقد قرّر المؤتمر، في ختام جلساته، إستقلال سوريا ومبايعة الأمير فيصل ملكاً عليها. و«كان أروع حدثٍ ابتهجت له النفوس، في هذا الميدان، قيام وفد من نواب جبل لبنان ، وفي مقدّمتهم سعدالله الحويك، شقيق غبطة البطريرك الماروني، برحلة إلى دمشق في العاشر من تموز/يوليو، لمبايعة الملك فيصل بعرش سورية الموحدة أو التي ستتوحّد على أساس الإحتفاظ باستقلال لبنان، إدارياً، كما كان في العهد العثماني»[٨٠].

وبالفعل، فقد نص القانون الأساسي «**للمملكة العربية السورية**»، في مادته الثالثة، على أن «المقاطعات مستقلّة استقلالاً إدارياً، بمقتضى هذا القانون، ويسنّ المؤتمر قانوناً خاصاً يبين فيه حدود هذه المقاطعات»[٨١]، كما جاء في القرار الذي وافق عليه المؤتمر بتاريخ ١٩٢٠/٣/٨ وأعلن فيه مبايعة الأمير فيصل ملكاً على سوريا، أن المؤتمر يعلن:

-«إستقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ، ومنها فلسطين، إستقلالاً تاماً لا شائبة فيه، على الأساس النيابي، على ان تراعى أماني اللبنانيين الوطنية في كيفية إدارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب (أي جبل لبنان)، بشرط ان يكون بمعزل عن كلّ تأثير أجنبي، ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطن هجرة لهم».

- «إنتهاء الحكومات الإحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث (أي سوريا وفلسطين ولبنان) على ان يقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس في كلّ ما يتعلّق بأساس استقلال البلاد التام، إلى ان تتمكن من جمع مجلسها النيابي، على ان تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية».

- أما فيما يتعلّق بالعراق، فقد طالب المؤتمر «باستقلال القطر العراقي استقلالاً تاماً ، على ان يتكوّن بين القطرين الشقيقين (أي السوري و العراقي) إتحاد سياسي إقتصادي»(٨٢).

وهكذا يتبين لنا ان اليقظة العربية كانت متأجّجة في الوقت الذي كانت السلطنة العثمانية في النزاع الأخير، وقد انحاز «الاتحاد والترقي» إلى العصبية التركية «الطوارنية»، بينما كان الغرب الاستعماري يتآمر على حليفه الهاشمي لكي يقطّع أوصال «مملكته» الموعودة، بعد ان قطّع أوصال المغرب العربي، فيسقط الحلم العربي، وتسقط معه، كلّ آمال العرب في الاتحاد أو الوحدة.

حواشي الفصل الثاني

(١) أنظر دراسة وافية لساطع الحصري في هذا المجال، في: مركز دراسات الوحدة العربية، القسم الأول من: سلسلة التراث القومي، الأعمال القومية لساطع الحصري (٥)، محاضرات في نشوء الفكرة القومية.

(٢) كانت القومية لا تنفصل عن الدين، في العصور العثمانية، فكانت «القومية العثمانية» قومية إسلامية فقط، لذا، كانت «الملّة» هي التعبير الجامع الذي يعبّر عن الجنس والعرق والدين في السلطنة، ويحمل معنى «الأمة»، لذا، كان يقال: «الدين والملّة شيء واحد»، كما كان يعبّر عن «القومية» بتعبير «الملّة». (أنظر: الحصري، المرجع السابق، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، المحاضرة الرابعة، ص ٩٠ - ٩١، وزين، زين نور الدين، نشوء القومية العربية، ص ٣٩ - ٤٠).

(٣) الحصري، م. ن. ص ٩٨.

(٤) م. ن. ص ٩٨ - ١٠٥ و: انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ص ١٤٨، وزين، زين نور الدين، نشوء القومية العربية، ص ٧٦ - ٧٩.

(٥) زين، م. ن. ص ٨٦ و ٢٠٧ (حاشية ١٤)، نقلاً عن كتاب «ستون ووستو» (Seton - waston):

- (The Rise of Nationality in the Balkans, London, 1917, p.p. 134 -136).

(٦) زين، م.ن. ص ٢٠٧ - ٢٠٨ حاشية (١٤)، نقلا عن كتاب «أوبري هيربرت» (Aubray Herbert):

- (Ben Kendim, p.p. 15 - 16).

(٧) لن نتحدث عن «اليقظة العربية» في المغرب العربي، لأن ذلك لا يدخل في نطاق بحثنا الذي نمهد، من خلاله، لعهد الانتداب الفرنسي على لبنان.

(٨) انطونيوس، المصدر السابق، ص ١١٩ - ١٢١.

(٩) سمّاها زين زين «الكلية السورية الانجيلية» وسمّاها جورج انطونيوس «الكلية البروتستانية السورية» (زين، المرجع السابق، ص ٦٠ وص ١٩٦ حاشية (١٦)، وانطونيوس، المصدر السابق، ص ١٤٩).

(١٠) زين، المرجع السابق، ص ٦٠ - ٦١.

(١١) يقول «أنطونيوس»: «يرجع أول جهد منظم في حركة القومية العربية إلى سنة ١٨٧٥... حين ألّف خمسة شبان، من الذين درسوا في الكلية البروتستانية السورية ببيروت، جمعية سرية، وكانوا جميعاً نصارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضمّوا إلى الجمعية نحو ...». (انطونيوس ، المصدر السابق، ص ١٤٩).

(١٢) انطونيوس، م. ن. ص ١٤٩ - ١٥٠.

(١٣) م. ن. ص ١٥٤ - ١٥٥.

(١٤) زين، المرجع السابق، ص ٦٢ - ٦٣.

(١٥) Ismaïl Adel, Documents diplomatiques et consulaires, T. 14, p. 180.

(١٦) Ibid, pp. 191 - 192 et 195.

(١٧) Ibid, p. 192.

(١٨) Ibid, pp. 114 - 115.

(١٩) زين، المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢٠) م. ن. ص ٦١.

(٢١) أنظر : م. ن. ص ١٦٣ - ١٦٩.

(٢٢) الصلح، عادل، سطور في الرسالة، ص ٩١ - ١٠١. وقد أورد المؤرّخ العاملي محمد جابر آل صفا، في كتابه «تاريخ جبل عامل»، أسماء الزعماء العامليين الذين اشتركوا في مؤتمر دمشق عام ١٨٧٧ (انظر: آل صفا، محمد جابر، تاريخ جبل عامل، ص ٢٠٨ - ٢٠٩).

(٢٣) راجع هذه الرسائل عند: الصلح، المصدر السابق، ص ١٠٥ - ١٢٣.

(٢٤) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ٤٣: ٣٠٠.

(٢٥) الصلح ، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٢٦) م. ن. ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢٧) انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٧٢ - ١٧٣، وعازوري، نجيب، يقظة الأمة العربية، تعريب وتقديم: أحمد بو ملحم، مقدمة للدكتورة زاهية قدوره، ص ٥ - ٦. ويوجد في «المكتبة الوطنية» بباريس مجموعة من ١٥ عدداً من مجلّة «الاستقلال العربي» (انطونيوس، م. ن. ص ١٧٣).

(٢٨) عازوري، المصدر السابق، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢٩) انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٧٣ - ١٧٤، إلاّ ان مصر انحازت إلى العروبة كلياً، منذ مطالع القرن العشرين، بل إنها تزعّمت الحركة القومية العربية، خصوصاً في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

(٣٠) م. ن. ص ١٧٧.

(٣١)م. ن.. ص. ن.

(٣٢) Cdt de la 4e Armée,(ottomane), la vérité sur la question syrienne, pp 11 - 13. وانظر: سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، ص ٧ - ٨. والجيش العثماني الرابع (4e Armée) هو ذلك الذي كان مرابطاً في سوريا ما بين عامي ١٩١٥ و١٩١٧ بقيادة جمال باشا الذي مارس الظلم والطغيان في هذه البلاد حتى عرف بالسفاح، وأعدم الكثير من الوطنيين القوميين العرب في سوريا.

(٣٣) انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٧٧ - ١٨١.

(٣٤) داغر، أسعد، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص ٣٥ و

Cdt de la 4e Armée, op cit p 14.

(٣٥) داغر، م. ن. ص. ن. ويضيف كتاب قيادة الجيش الرابع (la vérité sur la question syrienne) انه لم يكن لدى مؤسّسي المنتدى، عند تأسيسه، سوى ستين ليرة تركية، إلا انهم بدأوا، بعد ذلك، بتلقي المعونات المالية، فأعطاهم «عزت باشا حلو» ١٥٠ ليرة وذلك بواسطة «عبد الحميد الزهراوي» الذي كان المحرض الأول على تأسيس هذا المنتدى. ثم يعدد الكتاب أسماء: عبد الكريم الخليل ويوسف سليمان حيدر وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني وعبد الحميد الزهراوي وشفيق المؤيد ورضا بك الصلح والشيخ رشيد رضا وحقي العظم ورفيق العظم والدكتور حسني حيدر وطالب النقيب والمقدم عزيز علي المصري وعزت الجندي وندره مطران ونخله باشا مطران ورشدي الشمعة كمؤسسين لهذا المنتدى، وكان هؤلاء «يوفرون للمنتدى دعمهم المعنوي ونفوذهم السياسي». (Cdt de la 4e Armée, op. cit. pp. 14 - 15)، وانظر: سعيد، أمين، المصدر السابق، ص ٨ - ٩. وانطونيوس، المصدر السابق، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٣٦) داغر، المصدر السابق، ص ٣٥ - ٣٦. وقد وردت، خطأ «جمعية الإطلاع البيروتية» (ص ٣٦) والصحيح «جمعية الإصلاح البيروتية».

(٣٧) Cdt de la 4e Armée, op. cit. p. 16.

(٣٨) Ibid, p. 18.

(٣٩) Ibid, p. 21

(٤٠) Ibid, p. 22، ويذكر «أمين سعيد» ان الحكومة العثمانية هي التي أغلقت «المنتدى» (سعيد، أمين، المصدر السابق، ص ٨ - ٩). وانظر فصلاً خاصاً عن «المنتدى الأدبي» في:

Cdt de la 4e Armée, Ibid, pp. 14 - 22.

(٤١) زين، المرجع السابق، ص ٩١ وسعيد، المصدر السابق، ص ٩ - ١٠.

(٤٢) زين، م. ن. ص. ن.

(٤٣) م. ن. ص. ن. ص ٢٠٩ حاشية ٢٧.

(٤٤) سعيد، المصدر السابق، ص ٢٠ و Cdt de la 4e Armée, op. cit. p. 23.

(٤٥) سعيد ، م. ن. ص. ن.

(٤٦) يقول أمين سعيد إن أحدهم كان يضغط «على أحد أصابع يد» الثاني، ثم «يضع الشاهدة والوسطى على الذراع الأيسر، ويخفي بقية الأصابع». أما تهجية كلمة «هلال» عند التخاطب، فكانت تتم بأن يقول واحد «هاء» فيقول الثاني «لام». ثم يقول الأول «ألف» فيقول الثاني «لام» (م. ن. ص ١٠). ويشرح كتاب قيادة الجيش العثماني الرابع هذه الحركات بشكل مماثل، فيذكر ان أحدهم، إذا صافح الآخر، يسند أصابعه على راحة هذا الآخر، وإذا كانا في مجتمع، يضع أحدهم السبابة والوسطى من اليد اليمنى على الذراع اليسرى. وعند الحديث، يلفظ أحدهم الحرف الأول من كلمة (هلال) بينما يلفظ الآخر الحرف الثاني ويلفظ الأول، بعدها، الحرف الثالث من الكلمة نفسها، ثم يلفظ الآخر الحرف الاخير منها. ويذكر هذا الكتاب ان «كلمة التعارف» هذه هي «لأعضاء الدرجة الاولى» أما باقي الأعضاء فيتعارفون بتهجية كلمة (ابو بكر)، Cdt de la 4e Armée, op. cit. p. 24.

(٤٧) سعيد، المصدر السابق، ص ١٠.

(٤٨) Cdement de la 4e Armée, op. cit. p. 23.

(٤٩) Ibid.

(٥٠) Ibid, p. 24.

(٥١) Ibid, p. 25.

(٥٢) سعيد، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٥٣) م. ن. ص ٥٠.

(٥٤) Cdt de la 4e Armée, op, cit. p. 58.

وانطونيوس، المصدر السابق، ص ١٨٥، وسعيد، المصدر السابق، ص ١٤. وورد في كتاب قيادة الجيش الرابع المشار إليه أعلاه ان هذا الحزب أسس عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠م) (Ibid, p 85).

(٥٥) Cdt de la 4e Armée, op. cit. p. 58.

(٥٦) سعيد، المصدر السابق، ص ١٤.

(٥٧) زين، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٥٨) يمكن مراجعة هذا البرنامج عند: سعيد، المصدر السابق، ص ١٤ - ١٨.

(٥٩) سعيد، المصدر السابق، ص ١١.

(٦٠) م. ن. ص. ١٨ - ٢٤.

(٦١) م. ن. ص. ٢٤.

(٦٢) م. ن. ص ٢٤ - ٢٥.

(٦٣) ارسلان، شكيب، سيرة ذاتية، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٦٤) م. ن. ص ١٠٩.

(٦٥) ويمثل كلّ من هؤلاء فئة أو قطراً أو مجلساً أو صحيفة الخ...
(انظر، خوري، يوسف، المشاريع الوحدوية العربية، ص ٤ - ٥).

(٦٦) خوري، م. ن. ص ١ - ٢.

(٦٧) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٤: ٢٣١. و: انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٩٦.

(٦٨) سعيد، المصدر السابق، ص ٤٦. وانطونيوس، م. ن. ص ١٩٧.

(٦٩) سعيد، م. ن. ص. ٤٦ - ٤٧. وانطونيوس، م. ن. ص ١٩٧.

(٧٠) انطونيوس، م. ن. ص. ن.

(٧١) سعيد، المصدر السابق، ص ٤٧ - ٤٨، وانطونيوس، م. ن. ص ١٩٧ - ١٩٨.
وانظر: Cdt de la 4e Armée, op, cit, pp. 26 - 28.
واقرأ عن «عزيز علي» في : داغر، المصدر السابق، ص ٢٧ - ٢٩.

(٧٢) قائد الجيش الرابع (العثماني)، إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه، ص ٢٠ - ٢١، وانظر: Cdt de la 4e Armée, op, cit, pp. 29 - 30, et pp. 6 - 7.

(٧٣) Ibid, p.p. 30 - 34، و: إيضاحات ، م. ن. ص ٢٢ - ٢٣ وص ٥.

وجمعية «النهضة اللبنانية» هي جمعية سرّية أسّسها رجال من آل الخازن، في جبل لبنان، واتحدت «مع حزب اللامركزية» وكان لها عدّة فروع، ومن أعضائها المؤسّسين: دعيبس المر، ويوسف الغلبوني، وخليل زينيه، وتزعم السلطة العثمانية ان قنصل فرنسا ببيروت كان يمدّ هذه الجمعية بالمال. أما فروعها فهي (حسب اعترافات عبد الغني العريسي):

- فرع مصر، ويرأسه اسكندر عمون، ومن أعضائه: داود عمون وقسم كبير من اللبنانيين المقيمين في مصر.

- في باريس، ويرأسه شكري غانم، وكاتبه خير الله خير الله، ومن أعضائه، الكونت جريصاتي، وزوين الخوري، واللبنانيون المقيمون بباريس.

- في اميركا، ويرأسه نعوم مكرزل صاحب جريدة الهدى.

أما أهداف هذه الجمعية، كما ورد في الاتهام العثماني، فهي ، (حسب اعترافات العريسي كذلك):

إلحاق بيروت بجبل لبنان، وتوسيع حدود الجبل إلى البقاع، و«تمهيد السبيل لفرنسا إلى سوريا» (دائماً حسب الإتهام العثماني المسند إلى اعترافات العريسي)، (إيضاحات، ص ٣٠ - ٣١، و Cdt de la 4e Armée, op. cit. pp. 38 - 40). وراجع، للموضوع نفسه، تقرير «كوجيه Couget» القنصل العام الفرنسي ببيروت إلى «جونار Jonnart» وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ ١٨ آذار/مارس عام ١٩١٢، عن مطالب «اللجنة التنفيذية لوضع مشروع إصلاحي لولاية بيروت» والمؤلفة من: ميشال تويني ويوسف الهاني وبترو طراد وأيوب ثابت ورزق الله ارقش وخليل زينيه، إذ تتطابق هذه المطالب مع ما ورد على لسان العريسي

(Ismail, op. cit. T. 19, pp. 364 - 365).

(٧٤) إيضاحات، م. ن. ص ٢٩ و Cdt de la 4e Armée, Ibid, pp. 40 - 41.

(٧٥) م. ن. ص ٢٧ و Ibid, p. 35.

(٧٦) م. ن. ص ٢٨ و Ibid, p. 35.

(٧٧) كان الأمير شكيب ارسلان رافضاً للثورة على السلطنة العثمانية، وظل مثابراً على الاستمرار في منصبه كعضو في مجلس الأمة العثماني (إرسلان، المصدر السابق، ص ٢١٩ - ٢٣٦).

(٧٨) Service historique de L'Armée de Terre, Section ancienne, Dossier côte 7n 1640, vincennes, France.

(٧٩) الحكيم، يوسف، سوريا والعهد الفيصلي، ص ١٣٥ - ١٣٧.

(٨٠) م. ن. ص ١٦٤، إلاّ ان «مجلس ادارة (جبل) لبنان» رفع إلى المفوض السامي، الجنرال غورو، إحتجاجاً على القرار الذي اتخذه «المؤتمر السوري» بإعلان «المملكة العربية السورية» وفقاً لحدود «سوريا الطبيعية»، معتبراً أن هذا القرار يمس «بحرية لبنان وحقوقه»، وان «ليس للمؤتمر السوري، ولا لسواه من الحكومات المجاورة، صلاحية البحث أو التدخل بأمور لبنان وإدارته» (خوري، المرجع السابق، ص ٣٥).

(٨١) خوري، م. ن. ص. ٣٦. وراجع النص الكامل للقانون الأساسي للمملكة العربية السورية في : م. ن. ص ٣٥ - ٤١.

(٨٢) م. ن. ص ٣٥، وراجع النص الكامل للقرار في : م. ن. ص ٣٤ - ٣٥.

ملحق الفصل الثاني

وثيقة

رسالة من اسكندر عمون إلى جريدة «الشمس» بتاريخ ١٢ أيلول/ سبتمبر عام ١٩١٧.

المستند:

Service historique de l'Armée de Terre Section ancienne, Dossier côte 7n 1640, Vincennes, France.



يوسف بك كرم

المستند: الصلح، عادل، سطور في الرسالة، ص ١٥.

الفصل الثالث

مشروع فرنسي لاحتلال سوريا (١٩٠٢ و ١٩٠٥)

لقد أكرمني زميلي وصديقي، المؤرّخ والباحث، الدكتور عبد الرؤوف سنو(*)، بأن أهداني وثيقةً مهمة تتضمّن مخططاً لمشروع فرنسي لاحتلال «سوريا وفلسطين»، وقد عثر عليه في المحفوظات الألمانية في «الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الالمانية - ملف لبنان».

وبما ان هذا المشروع لم يكن معروفاً من قبل، على ما أظن، رأيت ان أفرد له فصلاً خاصاً، في هذا الجزء، لتبيان مدى قدم النوايا الأوروبية وشهوتها لاستعمار المشرق العربي.

وقد طلبت من الصديق الدكتور سنو، أن يعرّب، بنفسه، المقدمة التي وضعت، لهذا المشروع، باللغة الألمانية التي يجيدها، فتكرّم بالقيام، بذلك، مشكوراً.

وقد اعتمدت ، لتعريب هذا المشروع:

(*) مؤرّخ وباحث لبناني، عميد كلية التربية، وأستاذ التاريخ الحديث في الجامعة اللبنانية، تلقى دروسه الجامعية في ألمانيا حيث نال، من جامعاتها، شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.

١ - المصادر والمراجع:

- المعجم العسكري الموحّد، الصادر عن «لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية»، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠.
- مجموعة «بلادنا فلسطين» لمصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة، بيروت، ورابطة الجامعيين، محافظة الخليل، ١٩٦٥ - ١٩٧٦.
- موسوعة فلسطين الجغرافية للدكتور قسطنطين خمار، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٩.
- أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠.
- الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، الفهارس، الفهرس الثاني، (فهرس الأماكن)، رئيس التحرير: د. أنيس صايغ، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٨٩.
- إحصاء نفوس فلسطين لسنة ١٩٢١، الذي أجري من قبل سلطات الانتداب البريطاني، ونشر في حزيران/يونيو عام ١٩٣٢.

٢ - الخارطات:

- خارطة فلسطين عام ١٩٤٨، تخطيط وتدقيق وإخراج: سعيد الصباح، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، مقياس ١/٢٥٠،٠٠٠.
- خارطة فلسطين بالتضاريس والمواقع الجغرافية كما كانت عام ١٩٤٥، والتطورات والتغيرات التي طرأت عليها عام ١٩٨٨. تنظيم ورسم: جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٨.

Bartholomew's Quarter - Inch. Map of Palestine, published at the Edinburg – Geographical Institute, N.D.

– خارطة سوريا ولبنان، مقياس ١/٥٠٠٠٠٠، إعداد دائرة العسكرية، دمشق، ١٩٨٢.

– خارطة لبنان، مقياس ١/١٠٠،٠٠٠ إعداد: مصلحة الشؤون الجغرافية في الجيش، لات.

فعسى أن أقدم، في نشر هذه الوثيقة المهمّة في كتابي هذا، خدمة للقارئ العربي يستطيع ، من خلالها، ان يتبين مدى الخطر المحدق بوطنه وأمته، من جرّاء الأطماع الاجنبية، القديمة والمستمرة، بسوريا خصوصاً، وبالوطن العربي عموماً.

وزارة الخارجية
دائرة A
الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية

C 2873

ملف: لبنان

من ١ حزيران ١٩١٥ حتى ٣٠ نيسان ١٩١٦

مجلّد ١٢

يتبعه: مجلّد ١٣

الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية

R14033

تركيا رقم: ١٧٧

لبنان

A 19494 تابع لتاريخ ٣١ حزيران ١٩١٥

نيابة القنصلية الإمبراطورية الألمانية — حيفا في ٢٦/١٩١٥

الرقم السنوي ٩٠٥ — قيادة الأركان الحربية

رقم: ٤٠ — A 20645/ 7/ 4

مرسل من بيرا بواسطة طائرة مقاتلة

بتاريخ ١٧ حزيران

بيرا ١٥ حزيران ١٩١٥

أتشرّف بأن أضع، بكلّ احترام، بين أيديكم خطة قيادة الأركان الفرنسية المنجزة في الأعوام ١٩٠٢ و١٩٠٥ بهدف احتلال سوريا. وقد حصلت عليها من قبل أحد المقيمين هنا (حيفا)، والذي كان يعمل مع قيادة الأركان الفرنسية. وقد قام هذا الشخص بتسليم الخطة أيضاً إلى جمال باشا، قائد الجيش العثماني الرابع.

إن هذه الخطة لم تعد حديثة، حيث وضعت في ظروف سياسية لم تعد متوافرة خلال الحرب العالمية الدائرة(*). فوقتئذ، بين حرب البوير والأزمة المراكشية، كانت علاقة فرنسا بألمانيا وبريطانيا مختلفة، إضافة إلى اختلاف أوضاع تركيا السياسية والعسكرية ومواصلاتها الحديدية إختلافاً كلياً عما هي عليه اليوم. وفي كلّ الأحوال، تشكّل تفاصيل الخطة أهمية عسكرية على الأقل.

وكما يظهر من الخطة، فإن منطقة الإهتمام الفرنسية تنحصر بين غزة وطرابلس، والتي ينبغي أن تُحتل دفعة واحدة من قِبل أربع وحدات عسكرية.

(*) المقصود: الحرب العالمية الأولى.

وعلى الوحدة الأولى، وهي الأقوى، أن تقوم بالإبرار بين غزة وميناء روبين، وأن تحتل، إلى جانب الطريق الساحلية الرئيسية، القسم الجنوبي من هذه الطريق الرئيسية لسوريا، والتي تمتدّ على طول سلسلة جبال الأردن، أي بين بئر السبع والخليل والقدس. أما الوحدة الثانية، التي عليها الإبرار بين أرسوف وعثليت، فمهمتها إحتلال المنطقة الساحلية لحيفا والمناطق المجاورة لنابلس، وسهل يزراعيل (مرج بني عامر) مع العفولة والناصرة، وسهل الأردن مع بيسان وجيشر (جسر المجامع) ووادي اليرموك مع الحمة. أما الوحدة الثالثة، فعليها الإبرار بين عكا وصيدا واحتلال الجليل الأعلى وجنوب (لبنان)(*)، بينما تقوم الوحدة الرابعة، وهي الأضعف بين الوحدات الأربع، بالإبرار بين جونيه وطرابلس بهدف إحتلال بيروت وشمال لبنان وحمص وحماة.

التوقيع

ي. لويتفد هاردغ

صاحب السعادة مستشار الرايخ

ووزير الدولة الدكتور فون بتمان هولفيغ

برلين

A 3616 تركيا 177

(*) المقصود: متصرفية جبل لبنان.

أمر عمليات
لاحتلال سوريا وفلسطين
١٩٠٢ و ١٩٠٥

يتألّف جيش الإحتلال من:

١٢٤ كتيبة مشاة

٤٥ سرية خيّالة

١٨ بطارية مدفعية جبلية

٣٠ بطارية مدفعية ميدان (منها ٨ محمولة)

١٦ بطارية مدفعية ثقيلة (وإن لم تكن كافية، تعزّز بالمدفعية البحرية).

١٠ كتائب هندسة

٢٠ سرية نقل

المجموع: ما بين ١٤٠ و١٥٠ ألف رجل.



الإبرار: يتمّ الإبرار في أربع قطاعات:

الأول : غزة – ميناء روبين

الثاني: أرسوف – عثليت

الثالث: عكا – صيدا

الرابع: جونيه – طرابلس

❖ ❖ ❖

ا- القطاع الأول (غزه – ميناء روبين):

نقاط الاجتياح:

الاولى: غزة.

الثانية: عسقلان .

الثالثة: ميناء القيلاع.

الرابعة: ميناء روبين.

اولاً: غزه: توزيع القوات:

- المشاة : ٩ كتائب
- الخيالة : ٧ سرايا

المدفعيــة:

- بطاريتا ميدان
- ٤ بطاريات جبلية

الهندســة: سريتان

النقــل: ٣ سرايا

موضع القوات بعد الإبرار:

- ٦ كتائب مشاة: على طريق يافا - العريش، جنوب غزة.
- ٣ كتائب مشاة: شمال المدينة، في محيط المشاهرة - جبالية.
- مدفعية الميدان: قرب طريق يافا، أمام جبالية.
- الهندسة والنقل: قرب (تلّة) علي المنطار.
- الخيالة: ٥ سرايا في ميدان أبو سعيد، وسريتان قرب بيت لاهيا.
- المدفعية الجبلية: قرب وادي حليب، على طريق بيت داراس.

أوامر التقدم:

١ - **الرتل الأول: سيرحثيث**، لخمس سرايا خيالة، وبطارية جبلية، وسرية نقل، إلى تل عراض، ثم إلى يطّه.

أ - **المرحلة الأولى:** من ميدان أبو سعيد، عبر خربة البير فخربة الرسيم، فخربة حُراب دياب، فخربة الجندي، فوادي الشريعة (حيث يوجد ماء في عيون الشريعة وعيون السّادة (*)Ayounes Sadeh)، فخربة الخسيف، فخربة أبو سماره عند بئر السبع، وإقامة **معسكر** (حيث يوجد ماء).

ب - **المرحلة الثانية:** من بئر السبع، يُتبع وادي بئر السبع، عبر تل السبع، فخربة أبو الطلول، فخربة المدباح، ثم وادي الملح حتى تل الملح، وإقامة **معسكر** (وتتابع سريتا خيالة حتى تل عراض).

ج - **المرحلة الثالثة:**

١ - من تل الملح عبر خربة ديريه، فخربة الأسفير، فسوسية، فيطّه، وإقامة **معسكر** في وادي الخليل قرب عيون السّادة،

٢ - من تل عراض عبر خربة بيوض، فخربة القريتين فيطّه، وإقامة **معسكر** في وادي الخليل قرب سيل الدييه (Seil el Diebeh).

٢ - **الرتل الثاني:**

- ٦ كتائب مشاة
- ٣ بطاريات جبلية
- ١ سرية هندسة
- ١ سرية نقل

(*) للمواقع التي لم نعثر عليها في الخارطات أو المراجع، وضعنا إسم الموقع، كما قدّرناه، بالعربية، مع التعبير عنه، بالفرنسية، كما ورد، أساساً، في المشروع الفرنسي.

أ - **المرحلة الأولى:** من بيت داراس، إلى خربة لَسَن، فهوج، فخربة جمّامة، فتل الهضيمه، فتل الناجلة، فوادي مُليحه، فعيون قُصّابه، وإقامة **معسكر**.

ب - **المرحلة الثانية:** عبر خربة الجبارات إلى خربة أم حارتين، فوادي الجُسير، فخربة عِيطون، فخربة كُرزة، فعين المأجور، وإقامة **معسكر**.

- كتيبة جنوب راس البياض.
- ٣ كتائب جنوب دورا.
- كتيبة عند عين الهِجري.
- كتيبة عند عين الأنقر.
- ٣ بطاريات جبلية جنوب دورا، قرب طريق دورا - يطّه.
- سرية هندسة عند عين المأجور.
- سرية نقل شرق دورا وعلى طريق دورا - الخليل (حبرون).

٣ - **الرتل الثالث:** للعمليات الرئيسية على الطريق المعبدة، للمدفعية الخفيفة والنقل، من غزة إلى الخليل.

- ٣ كتائب مشاة.
- بطارية ميدان.
- سرية هندسة.
- خدمة الإسعاف.
- باقي الرتل.

أ - **المرحلة الاولى:** عبر بيت حانون إلى دمره، فوادي الحسي حتى تل الحسي (ماء)، وإقامة **معسكر**.

ب - **المرحلة الثانية:** من تل الحسي إلى خربة أم البقر، فوادي القنيطره، ويُتبع هذا الوادي حتى مفترق الطرق الذي يصل من تل الناجلة

ويذهب إلى صُرّار، ومن هناك، يتبع وادي الجُسير ويأخذ طريق رسم المجارحي (Resem el Mijarhi)، فالدوايمه، فخربة فراء، فتفّوح، وإقامة معسكر (ماء).

٤ - **الرتل الرابع**: في غزه، حيث تبقى: مفرزة البحرية وسريتا خيالة.

ثانياً: عسقلان:

توزيع القوات:

- ٨ كتائب مشاة.
- ١ بطارية ميدانية.
- بطاريتان جبليتان.
- سريتا هندسة.
- ٣ سرايا نقل.

الموضع بعد الإبرار:

- **المشاة**: قرب طريق غزة - يافا ، قرب المجدل (ماء).
- **الهندسة**: بين حمامة والمجدل.
- **المدفعية والنقل**: قرب الجوره.

أوامر التقدم:

١ - **المرحلة الأولى**: عبر النبي سامي (Nabi Samy)، إلى خربة قماص، فكوكبا، فالنبي مامين (Nabi Mamin)، فالفالوجة، فعراق المنشية، وإقامة معسكر (ماء).

٢ - **المرحلة الثانية:**

أ - من عراق المنشية إلى خربة السيل (Kh. el Seil)، فخربة الخروع، فبيت جبرين، وإقامة معسكر، وتحشّد (ماء).

ب - من بيت جبرين إلى وادي ستجيل (wadi Sétjil) فخربة جنابة الغربية، فوادي السنط (بيت نتيّف، شمال الطريق)، فعين الكذبه، فخربة الشيخ سعد، فخربة العبهر، فالخضر، فبيت جالا، فبيت لحم، وإقامة **معسكر** (ماء).

ج - للتأكّد من صلاحية خط السكةِ الحديدية، تذهب كتيبة إلى بتّير وتتقدم حتى بيت صفافا.

ثالثا: ميناء القيلاع:

- **توزيع القوات:**
- ٧ أفواج مشاة.
- سرية نقل.

الموضع بعد الإبرار: شمال أسدود، قرب نهر (وادي) صقرير (ماء).

أوامر التقدم: عبر بيت داراس إلى السوافير الغربي، فخربة كركفاح (ماء)، فحتّا، وإقامة **معسكر**. المرحلة الاولى (ماء قرب كرتيّا).

- من حتّا، عبر زيتا، إلى خربة فصّاصة، فخربة العتر، فبيت جبرين.

رابعاً: ميناء روبين:

- **توزيع القوات:**
- ١٩ كتيبة مشاة.
- ٧ سرايا خيالة.
- ٣ بطاريات مدفعية ميدان.
- ٣ بطاريات مدفعية جبلية.
- ٤ بطاريات مدفعية ثقيلة.
- سرية نقل.
- سريتا هندسة.

الموضع بعد الإبرار:

- **الخياله:** قرب نهر روبين.
- **المدفعية:** قرب وادي عيون ضو (وادي العيون).
- **النقل:** جنوب وادي ضو (Ouadi Dô) قرب خربة الفرن (ماء).
- **المشاة:** طريق يافا - غزه، شمال يبنه، قرب نهر روبين.

أوامر التقدم:

١- ما أن يتمّ الإبرار، تندفع ٦ سرايا خيالة وبطاريتا مدفعية محمولة إلى يافا وتحتلّ، مباشرة، محطة السكة الحديدية، بحيث تؤمّن خط السير والطريق المعبدة حتى الرملة. وتتقدم سرية خيالة حتى سجَد، ومن هناك حتى بتيّر حيث توجد كتيبة مشاة.

٢ - تتقدم ٩ كتائب مشاة إلى الرملة:

أ - تحتل كتيبة منها محطة الرملة وتؤمّن خط الرملة - سجَد - دير أبان.

- تنتقل ٧ كتائب، بواسطة السكة الحديدية، حتى بتّير وبيت صفافا.
- تنتقل كتيبة من بتّير وتحتل عين كارم.
- تنتقل كتيبة، بالسير الحثيث، إلى يافا، وتحتل المحطة.
- تبقى سريتا خيالة، مع المدفعية المحمولة والمشاة، في يافا.

سرايا الخيالة الاربع الباقية:

ب - تنتقل سريتان، على الطريق المعبدة، حتى اللطرون، وتقيمان معسكراً (ماء).

- ثم، من عمواس، تتبع وادي سلمان، حتى رام الله والبيرة، وتحتلّ جميع الممرات بين القدس ونابلس، كما تحتلّ جميع طرق المواصلات بينهما.

- تؤمن سريتان الاتصال مع الجناح الأيمن للقطاع الثاني وتقومان بعمليات إستطلاع حتى طولكرم.

- تنتقل ٨ كتائب مشاة وبطاريتا مدفعية ميدان وبطاريتا مدفعية جبلية عبر شحمة، فخربة نينا حتى خربة آنا (أو عانا؟ Kh. Ana)، وتعسكر في وادي صرار، بالقرب من سَجَد (ماء) - **مرحلة أولى**.

- ومن هناك إلى اللطرون - **مرحلة ثانية**.

- **ومن اللطرون**

ج - ١ - تنتقل ٣ كتائب و٣ بطاريات مدفعية جبلية، من عمواس إلى بيت نوبا، وتتبع وادي سلمان (حيث توجد مياه) إلى الجيب، حتى تصل إلى البيرة ورام اللّه، فتحتلّ الطريق وكلّ طرق المواصلات بين نابلس والقدس.

- بعد ان تتحرّر الخيالة، تقوم باستطلاع الضواحي المباشرة للقدس، وتؤمّن الإتصال مع القوات الموجودة أمام المدينة المقدسة. وفي الشمال، تؤمّن الإتصال مع قوات القطاع الثاني، وتستكمل الاستطلاع نحو الشرق (حوض الأردن).

٢ - تتبع خمس كتائب (مشاة) وبطاريتا مدفعية ميدان الطريق المعبدة حتى القدس.

- **قرب قلونيا**: تلتحق كتيبتان بالكتيبة المتمركزة في عين كارم. أما الكتائب الثلاث الباقية وبطاريتا مدفعية الميدان فتعسكر في لفتا ودير ياسين.

- تبقى سرية هندسة في رام اللّه.

- تنتقل سرية هندسة، بواسطة سكة الحديد، إلى بتّير.

- تنتقل بطاريات المدفعية الثقيلة الأربع من رام اللّه، بواسطة السكة الحديدية، إلى بتّير، وتبقى في الحافلات حتى صدور أمر لاحق.

مجموع القوات في القطاع الأول:

التوزيع	مشاة	خيالة	هندسة	مدفعية ميدان	مدفعية جبلية	مدفعية ثقيلة	نقل
غزة	٩ كتائب	٧ سرايا	سريتان	بطاريتان	٤ بطاريات	-	٣ سرايا
عسقلان	٨ كتائب	-	سريتان	بطارية	بطاريتان	-	٣سرايا
ميناء القيلاع	٧ كتائب	-	-	-	-	-	سرية
ميناء روبين	١٩ كتيبة	٧ سرايا	سريتان	٣ بطاريات	٣ بطاريات	٤ بطاريات	سرية
المجموع	٤٣ كتيبة	١٤ سرية	٦ سرايا	٦ بطاريات	٩ بطاريات	٤ بطاريات	٨ سرايا

II - القطاع الثاني: أرسوف – عثليت

نقاط الأبرار: أرسوف، قيساريه، الطنطورة، عثليت.

أولاً: أرسوف:

توزيع القوات:

- ١٢ كتيبة مشاة.
- بطاريتا مدفعية ميدان.
- بطارية مدفعية جبلية.
- سرية نقل.

تقوم خيالة الجناح الأيسر في القطاع الأول بعمليات الإستطلاع.

بسبب نقصان مياه الشرب، تتزود القوات بالصهاريج، وتعكسر، بعد الإبرار مباشرة، على النحو التالي:

أ – ٦ كتائب وبطاريتا ميدان وسرية نقل: في قلعة رأس العين.

ب – الباقي، قرب بيار عدس في وادي قلقيليه.

أوامر التقدم: الرتل الأول: من رأس العين، عبر وادي دير بلوط(وادي البلوط)، حتى الطريق المعبدة بين نابلس والقدس.

الرتل الثاني: من بيار عدس، إلى جلجولية، فوادي قانا، وتعسكر القوات قرب عين تنور وعين المعاصر وعين نويطف (Ain Nuétif).

يجتمع الرتلان عند حوّارة ثم يسيران معاً إلى نابلس، حيث يكون المعسكر والموضع بين بئر يعقوب وعسكر.

ثانياً: قيساريه:

توزيع القوات:

- ١٨ كتيبة مشاة
- ١٥ سرية خيالة
- ٨ بطاريات مدفعية ميدان
- كتيبة هندسة
- ٣ سرايا نقل

الموضع بعد الإبرار: على طول نهر المفجر (وادي المفجر).

أوامر التقدم:

الرتل الأول: عند الإبرار، تتقدم إلى طولكرم:

- ٦ كتائب مشاة
- ٤ بطاريات مدفعية ميدان
- سريتا خياله
- سرية هندسة
- سرية نقل. وتعسكر مرحلياً، ثم تتقدم إلى نابلس على الطريق المعبدة.

الرتل الثاني: من قيسارية:

- ٤ كتائب مشاة
- ٤ سرايا خيالة
- بطارية مدفعية محمولة
- سرية نقل

تتقدم في وادي الخضيرة، فوادي بير أسير (اوبيرجسير Jsir)، على طول وادي العسل حتى سهل عرّابه.

- تحتل كتيبتا مشاة مدينة عرّابة، ويعسكر الباقي في وادي سلهب، تحت عرّابة، ثم يتقدم حتى جنين ويحتل المدينة.
- تقوم الخيالة بالاستطلاع شرقاً.

الرتل الثالث:

- ٨ كتائب مشاة
- ٣ بطاريات مدفعية ميدان
- ٩ سرايا خيالة
- ٣ سرايا هندسة
- سرية نقل

تتقدم من قيسارية، مروراً بعيون البنات (Ayoun El Banat)، فخربة السمرا، وتتبع وادي عارة حتى تصل إلى العفولة عن طريق اللجون.

- **في العفولة:**

اولاً: تتقدم إلى الناصرة:

- ٤ كتائب مشاة
- بطاريتا مدفعية ميدان

- سريتا خيالة

ثانياً: أ - تتقدم إلى بيسان:

- ٧ سرايا خيالة، وبطارية مدفعية محمولة، وتحتل المحطة والبلدة.

ب - تتقدم إلى (نهر) الاردن،

- سريتا خيالة، وتحتلان جسر المجامع وجسر السكة الحديدية.

ج - تتبع الخيالة، مباشرة:

- ٣ سرايا هندسة و٤ كتائب مشاة، وتحتل السكة الحديدية وباقي النقاط التي احتلتها الخيالة التي تتفرّغ لمهمات أخرى.

د - تسرع الخيالة، بعد تفرّغها، لمتابعة السكة الحديدية حتى جسر الحمّة الكبير، حيث تتقدم سريتان منها حتى طبرية، اما باقي السرايا فتقوم باستطلاع وادي الاردن وتنظيف الارض أمام بيسان.

ثالثاً: الطنطورة:

توزيع القوات:

- ٤ كتائب مشاة

- سرية خيالة

- سرية هندسة

- سرية نقل

الموضع بعد الإبرار: جنوب الطنطورة، قرب نهر الدفله.

أوامر التقدم: عبر الفريديس إلى ميرشيفيه، فأم الجمال، وإقامة معسكر، ثم إلى تل قيمون (Tel Kaimoun) أو (قامون) عبر وادي الشقاق.

يحتل هذا الرتل مرتفعات الحارثية، ويؤمن خط السكة الحديدية والطريق المعبدة من حيفا إلى الناصرة. وبما ان المدفعية الثقيلة والقسم

الاكبر من المعدات سوف يُنزل في ميناء حيفا، وبما ان حيفا ستكون قاعدة للعمليات ، فإن على القوات المذكورة أن تحتفظ بالحارثية وتحتل منطقة تل القسيس - وادي الملح.

رابعاً: عثليت:

توزيع القوى:

- ٦ كتائب مشاة
- سرية هندسة

أوامر التقدم: قبل بزوغ الفجر، تترجّل الكتيبة الاولى وتتقدم، بسير حثيث، إلى دير الكرمل وتحتله، أما باقي الكتائب، مع الهندسة، فتتابع السير الحثيث، حيث:

- تتجه كتيبة نحو جبل الكرمل، إلى الكولونية الالمانية، وتحتل المرتفعات المقابلة للخليج (خليج حيفا).
- تتقدم ٤ كتائب، مع الهندسة، إلى حيفا، عن طريق السهل.
- بعد إبرار جميع القوات، تتمركز المراكب امام حيفا.
- يتقدم المشاة في المدينة ويحتلون المباني الحكومية.
- على السفن الحربية ان تساند المشاة، عند الاقتضاء.
- على الضباط ان يحموا، بصرامة، ممتلكات الاجانب التي يمكن التعرف إليها بواسطة علم أو بأية إشارة أخرى، وكذلك الممتلكات الخاصة للمواطنين بدون تمييز بين الديانات، طالما ان هؤلاء لا يقومون بأي عمل عدائي.

مجموع القوات في القطاع الثاني:

التوزيع	أرسوف	قيسارية	الطنطورة	عثليت	المجموع
مشاة	١٢ كتيبة	١٨ كتيبة	٤ كتائب	٦ كتائب	٤٠ كتيبة
خيالة		١٥ سرية	سرية	-	١٦ سرية
مدفعية ميدان	بطاريتان	٨ بطاريات	-	-	١٠ بطاريات
مدفعية جبلية	١ بطارية	-	-	-	بطارية
مدفعية ثقيلة	-	-	-	-	-
هندسة	-	كتيبة	سرية	سرية	٦ سرايا
نقل	سرية	٣ سرايا	سرية	-	٥ سرايا

III – القطاع الثالث: عكا – صيدا

نقاط الاجتياح: عكا - صور - صيدا

أولاً: عكا:

توزيع القوات:

- ٨ كتائب مشاة
- سريتا خياله
- ٣ بطاريات مدفعية ميدان
- ٥ بطاريات مدفعية جبلية
- كتيبة هندسة
- سريتا نقل

الموضع بعد الإبرار: شمال شرق المدينة (عكا) وجنوبها

أوامر التقدم:

الرتل الأول:

- ٤ كتائب مشاة
- سرية خيالة
- سريتا هندسة
- سرية نقل.

المرحلة الاولى: التقدم من عكا إلى عبلّين (على الطريق) ثم إلى وادي عبلّين، والتقدم على طول الوادي حتى سهل البطوف، ثم التقدم على الطريق حتى صفورية، وإقامة المعسكر قرب عين صفوريه.

المرحلة الثانية: التقدم من عين صفورية، في وادي العين، حتى الطريق المعبدة من الناصرة إلى طبرية، ومن هناك يتبع الرتل الطريق من كفركنا حتى منعطف الطريق الآتي من الشجرة. ومن هناك يأخذ الرتل طريق الشجرة، كفركما، شارونه، وادي الفجّاس، حتى (نهر) الاردن، حيث يقيم المعسكر.

المرحلة الثالثة: يتبع الرتل نهر الاردن شمالاً، ويجتاز النهر بالقرب من بحيرة طبريا، ثم يسير نحو سمخ، ويحتل المحطة وخط السكة الحديدية في الحمّة، حيث يقيم معسكراً مرحلياً.

الرتل الثاني:

- ٤ كتائب مشاة
- سرية خيالة
- ٥ بطاريات مدفعية ميدان
- سريتا هندسة
- سرية نقل

المرحلة الاولى: - من عكا إلى مجد الكروم، فالرامة، وإقامة معسكر.

المرحلة الثانية: - من الرامة، عن طريق كفرعنان، إلى ياقوق، فخان المنية، وإقامة معسكر.

المرحلة الثالثة: - من خان جب يوسف، إلى الجاعونة، إلى جسر بنات يعقوب، حيث يتمركز الرتل.

- تقوم خيالة الرتل الاول باستطلاع الضواحي الواقعة غرب البحيرة (طبريه) ووادي الاردن شمال البحيرة حتى جسر بنات يعقوب. وتؤمن السريتان، حينئذ، الاتصال مع القوات في جنوب البحيرة ومع القوات بالقرب من بانياس.

- بعد ان تخلي مهماتها لمشاة الرتل الاول الذين يحتلون الجسر الكبير للسكة الحديدية، في الحمة، تقوم الخيالة بعمليات الاستطلاع شرق البحيرة، حتى جسر بنات يعقوب.

ثانيا: صور:

توزيع القوات:

- ١٠ كتائب مشاة
- سريتا خيالة
- ٤ بطاريات مدفعية جبلية
- كتيبة هندسة
- سريتا نقل.

الموضع بعد الإبرار: شمال شرقي المدينة، قرب بركة الغوير (Birket el Ghuer).

اوامر التقدم:

المرحلة الاولى: عبر يانوح، إلى برج قلويه، فالطيبة(اسفل الطيبه) وإقامة معسكر.

المرحلة الثانية: من هناك إلى آبل القمح، فالغجر، فبانياس، وإقامة معسكر، حيث يتم التمركز على خط بانياس - عين فيت.

ثالثا: صيدا:

توزيع القوات:

- ١٥ كتيبة مشاة
- سريتا خيالة
- ٦بطاريات مدفعية ميدان (واحدة منها محمولة)
- كتيبة هندسة
- سرية نقل

الموضع بعد الإبرار:

- ٥ كتائب، مع الخيالة والمدفعية، شمال المدينة، بعد نهر القملة.
- ١٠ كتائب ، مع الهندسة والنقل، جنوب المدينة، قرب نهر البرغوث.

اوامر التقدم: الرتل الاول:

أ - تتقدم سريتا الخيالة وبطارية المدفعية المحمولة، بسير حثيث، من صيدا، على الطريق المعبدة، إلى بيروت، حيث تتمركز على بعد ٥ كلم امام المدينة، وتنتظر باقي الرتل.

ب - تتقدم عشر كتائب مشاة و٥ بطاريات مدفعية ميدان إلى بيروت.

- تتوقف السفن الحربية امام بيروت حيث توجد بارجتان حربيتان.

الرتل الثاني:

- ٤ كتائب مشاة
- كتيبة هندسة
- سرية نقل

المرحلة الاولى: - يتقدم الرتل من صيدا، على الطريق المعبدة، حتى النبطية، ويقيم معسكراً:

المرحلة الثانية: - يتقدم من النبطية عبر أرنون، فجسر الليطاني، عن طريق قلعة الشقيف، ويتمركز الجناح الأيسر في جديدة مرجعيون، والجناح الأيمن في الخيام.

الرتل الثالث:

من صيدا، تتقدم كتيبة عبر الهلالية ، فعبرا، فلبعا، فعازور، إلى جزين، حيث تقيم معسكراً، ومن هناك:

أ - تتقدم سرية إلى بعقلين.

ب - وسرية إلى بتاتر.

ج - وسرية إلى الباروك.

د - وتبقى سرية في جزين.

- على قائد هذا الرتل ان ينظم تحرك الرتل في جنوب (جبل) لبنان(*).

- بعد تنظيم هذه القوات الجديدة، يتم التوجه نحو سهل البقاع لتعزيز القوات التي كانت قد وصلت من بيروت وتمركزت في منطقة جب جنين- مجدل عنجر قرب الطريق المعبدة إلى دمشق.

(*) منذ عهد المتصرفية، أُطلق على جبل الشوف، أو جبل الدروز، اسم «جبل لبنان الجنوبي».

- كتيبتان من هذه القوات تتقدمان إلى الجديدة، ومنها، تتقدم كتيبة الهندسة إلى جب جنين حيث توجد القوات الآتية من بيروت.

مجموع قوات القطاع الثالث:

التوزيع	مشاة	خيالة	مدفعية ميدان	مدفعية جبلية	مدفعية ثقيلة	هندسة	نقل
عكا	٨ كتائب	سريتان	٣ بطاريات	٥ بطاريات	-	٤ سرايا	سريتان
صور	١٠ كتائب	سريتان	-	٤ بطاريات	-	٤ سرايا	سريتان
صيدا	١٥ كتيبة	سريتان	٦ بطاريات (واحدة محمولة)	-	-	٤ سرايا	٥ سرايا
المجموع	٣٣ كتيبة	٦ سرايا	٩ بطاريات	٩ بطاريات	-	١٢ سرية	٩ سرايا

IV - القطاع الرابع: جونية - طرابلس

اولاً: جونية:

توزيع القوات:

- كتيبتا مشاة
- كتيبة هندسة
- بطاريتا مدفعية ميدان

الموضع بعد الإبرار: قرب محطة السكة الحديدية

أوامر التقدم: - تنتقل كتيبة مشاة وكتيبة هندسة إلى بيروت بواسطة السكة الحديدية.

- تنتقل بطاريتا مدفعية ميدان وثلاث سرايا خيالة، على الطريق المعبدة، إلى بيروت، وتحتل، بحماية السفن الحربية، محطات السكة الحديدية والمرفأ، وتنتظر وصول معظم الرتل الآتي من صيدا.

- تنتقل كتيبة مشاة إلى جبل لبنان، على النحو التالي:

أ - سرية إلى بسكنتا

ب - سرية إلى قرطبا

ج - سرية إلى دوما

د - سرية إلى كسبا

- ينظم قائد الرتل تحرك القوات في شمال (جبل) لبنان.

- عندما تصبح القوات الجديدة جاهزة، يتم التوجه نحو زحلة لتعزيز المواقع التي احتلتهـــا القوات الآتية من بيروت.

ثانيا: طرابلس:

توزيع القوات:

- ٦ كتائب مشاة

- ٩ سرايا خيالة

- ٤ بطاريات مدفعية محمولة

- بطاريتا مدفعية ميدان

- ٣ كتائب هندسة

- سريتا نقل

الموضع بعد الإبرار:

- شمال المدينة: ٧ سرايا خيالة و ٤ بطاريات مدفعية محمولة.

- غرب المدينة وبقربها: ٦ كتائب مشاة وسريتا خيالة و٣ كتائب هندسة وبطاريتا مدفعية ميدان.

اوامر التقدم:

الرتل الأول: - تتقدم ٧ سرايا خيالة و٤ بطاريات مدفعية محمولة، على الطريق المعبدة، حتى النهر الكبير (جسر الابيض djisr el Abiad). وتقيم

معسكراً لها، ومن هناك، حتى حمص (معسكر المرحلة الثانية)، ومن حمص، على الطريق المعبدة، حتى حماه.

- يحتل هذا الرتل كل الطرق وكل المواقع الاستراتيجية لتوقيف العدو الآتي من حلب.

الرتل الثاني:

- ٦ كتائب مشاة
- ٣ كتائب هندسة
- سريتا خيالة
- بطاريتا مدفعية ميدان
- سريتا نقل
- يتقدم الرتل، بالسير الحثيث، وعلى الطريق المعبدة، إلى حمص، حيث يتخذ موضعاً محصناً.

مجموع قوات القطاع الرابع:

التوزيع	مشاة	خيالة	مدفعية ميدان	مدفعية جبلية	مدفعية ثقيلة	هندسة	نقل
جونيه	كتيبتان	-	بطاريتان	-	-	كتيبة	-
طرابلس	٦ كتائب	٩ سرايا	٦ بطاريات (٤ محمولة)	-	-	٣ كتائب	سريتان
المجموع	٨ كتائب	٩ سرايا	٨ بطاريات	-	-	٤ كتائب	سريتان



هذا هو المشروع الذي كانت فرنسا قد أعدته لاحتلال سوريا (بلاد الشام) في مطلع القرن العشرين، مؤكدة، بذلك، عزمها على استعمارها، وهو عزم سابق على تاريخ مؤامرة سايكس - بيكو (عام ١٩١٦) التي منحتها انتداباً، على هذه البلاد، بعد تقسيمها إلى دويلات.

ملاحظة:

رغم كل الجهد الذي بذلناه، وهو كبير، لم نتمكّن من العثور على جميع المواقع الواردة في النص الفرنسي للمخطط، على خارطة فلسطين، وذلك إما لأن هذه المواقع، ومعظمها خرائب، كانت قد اندثرت عندما وضعت خارطات جديدة لفلسطين (عام ١٩٤٨)، أو لأن المخطط، الذي وضع منذ نحو قرن من الزمن، قد كتب الأسماء بالفرنسية، بشكل محرّف صعب علينا، بالتالي، فهمه أو معرفته. وقد راجعنا، لهذا الغرض الخارطات والمراجع التي سبق أن عدّدناها، فعثرنا على قسم من هذه المواقع (خرائب وبلدان وغيرها)، وحاولنا أن «نخمّن» البعض الآخر الذي صعب علينا اكتشافه، وقد بنينا «تخميننا» على مسار العمليات العسكرية التي وضعها هذا المخطط، لذا، اقتضى الاعتذار عن أي خطأ محتمل في التخمين.

الفصل الرابع

الشريف المخدوع

(١٩٠٢ و ١٩٠٥)

حملت مطالع القرن العشرين إمارات حرب كونية مؤكدة، فالسلطنة العثمانية التي استمرت، زهاء اربعة قرون، متماسكة، رغم ما كانت تجمع من اختلاف في الاعراق والاجناس والاديان، بدأت تتآكل من أطرافها وفي الداخل، حيث انسلخت عنها بعض اجزائها في البلقان، كما انتُزعت منها مصر وبلدان المغرب العربي، وبعض اطراف الجزيرة العربية، وقامت، ضدها، ثورة الوهابيين، في الجزيرة نفسها، وزاد على ذلك تآكل في داخل السلطة نفسها، حيث كثرت الانقلابات التي ادت الى إزالة العديد من السلاطين واستبدالهم، وانتهى الأمر بحكم فعلي لحزب «الاتحاد والترقي»، رغم بقاء السلطنة قائمة، ولو صورياً (انظر الفصل الاول).

مقابل ذلك، كانت الدول الاوروبية تتهيأ للانقضاض على السلطنة، لاقتسامها والاستيلاء على ما تبقى من اجزائها، وقد توفرت لتلك الدول كل اسباب النجاح، خصوصاً بعد ان اضحت السلطنة على شفير الإفلاس من جهة، وضعفت قوتها العسكرية التي انهكتها حروب البلقان وإلغاء الجيش الانكشاري الذي كان متمرساً بالحرب والقتال من جهة ثانية، وسيطرت على الحكم، فيها، نزعة الإستبداد والطغيان، ثم نزعة التعصب العرقي (الطوراني) من جهة

ثالثة، مما أدى الى انتشار التحلل البطيء في جسم «الرجل المريض»، وجعله مهيأ لأن يلفظ أنفاسه الاخيرة عند أول بادرة حرب من عدوٍ مقتدر.

وكانت دعوة «الطورانية» التي تبناها الحزب التركي الحاكم (حزب الاتحاد والترقي)، رغم كل دعوات العرب والمسلمين الى قيام دولة عربية اسلامية، موحدة أو متحدة، وكان طغيان «جمال باشا» وأضرابه من الحكام والقادة الاتراك، قد استفزّ عرب بلاد الشام والعراق والجزيرة، وجعلهم تواقين للانعتاق والتحرر من الحكم العثماني، والتطلع الى وحدة الأمة العربية، بل إنه جعلهم، على «قاب قوسين أو ادنى» من الثورة.

في الثامن والعشرين من تموز/يوليو عام ١٩١٤، وعلى اثر مقتل ولي عهد النمسا «فرانز فردينان» وزوجته في مدينة «سراييفو» على يد طالب صربي، أعلنت النمسا الحرب على صربيا، وبعد ايام فقط (آب/أغسطس) أعلنت المانيا الحرب على روسيا التي كانت قد بدأت تستعد للحرب بدورها، كما أعلنت الحرب على فرنسا في الثالث من الشهر نفسه. وهكذا بدأت تتوضح معالم الصورة التي دلت على ان السبب الظاهر لهذه الحرب (العالمية الاولى) غير أسبابها الخفية (التي لا مجال لعرضها في هذا البحث)، فقد بدأت التكتلات الدولية الأوروبية تتشكل منذ مطلع هذا القرن، بحيث انقسمت اوروبا، عسكرياً، الى معسكرين متنافسين، بل متناهضين، وسرعان ما انخرطت اوروبا، بأسرها، في هذه الحرب التي ضمت:

- في معسكر «الدول المركزية»: المانيا والنمسا والمجر والسلطنة العثمانية وبلغاريا.

- في معسكر «الدول المتحالفة»: فرنسا وروسيا وانكلترا واليابان وصربيا والجبل الاسود وبلجيكا وايطاليا والبرتغال ورومانيا والولايات المتحدة

الاميركية واليونان والبرازيـــل (مع دعم، معنوي خصوصاً، من دول بوليفيا والصين وكوبا وجمهورية الاكوادور وغواتيمالاوهاييتي وهندوراس وليبيريا ونيكاراغوا وبناما والبيرو وسيام والاوروغواي)(١).

كانت بلاد الشام والعراق والحجاز لا تزال ترزح تحت الحكم العثماني عندما اعلنت الحرب، وكان العرب منقسمين الى فئتين: واحدة تسعى الى التحرر من النير العثماني واستعادة العرب لوعيهم القومي ووحدتهم، خارجاً عن كيان السلطنة ونظامها، واخرى تسعى الى قيام كيان عربي - اسلامي متحدٍ، بحيث تظل الخلافة الاسلامية الغطاء الشرعي والسياسي للعرب والمسلمين معاً، ولكن الفئتين كانتا متفقتين على وجوب تمتع العرب، جميعاً، بكيان موحد يرتبط بالسلطنة برباط اللامركزية، الادارية على الأقل (وهو ما يشبه الفدرالية، أو الحكم الذاتي الموسع، في المفهوم السياسي والاداري المعاصر). ومن هنا، كان خروج بعض القادة والمفكرين العرب على منطق الثورة ضد السلطنة، أو مجرد الدعوة اليها، والاصرار على الاستمرار في الارتباط بها، بوجه من الوجوه، ومن هؤلاء: الأمير «شكيب ارسلان ومحمد كرد علي في سوريا، وعبد الرحمن الكيلاني في بغداد، واسعد الشقيري في فلسطين، ومعظم المفكرين القوميين في مصر»(٢)، وكذلك اعضاء «حزب اللامركزية الادارية العثماني» و«جمعية الاخاء العربي العثماني»، وقد سبق ان تحدثنا عنهما في فصل سابق.

ولكن عاملين اثنين ساعدا على قيام الشريف حسين، شريف مكة، بالثورة، وهذان العاملان هما:

١ - انحياز الحكم العثماني، صراحة، الى العنصرية القومية التركية، وذلك عندما أخذ الحزب الحاكم في السلطنة «حزب الاتحاد والترقي» يمارس

هذه السياسة بصورة علنية، غير عابئ بمشاعر العناصر الاخرى، غير التركية، فيها، واهمها: العنصر العربي. وقد رافق ظهور هذه المشاعر العنصرية، في نظام الحكم العثماني، ممارسات جائرة في بلاد الشام كان اهمها : إبعاد العناصر العربية، المنخرطة في الجيوش العثمانية، من البلاد العربية التي كانت تخدم فيها[٣]، وآخرها: إعدام قوافل من رجالات العرب في كل من بيروت ودمشق، على يد جمال باشا، قبيل اندلاع الثورة، وذلك في ٢١ آب/أغسطس عام ١٩١٥ و ٦أيار/مايو عام ١٩١٦، مما رجح كفة الميزان لصالح الثورة، بل انه أوقد نار الثورة وأجّج أوارها[٤].

٢ – المناورات السياسية التي قامت بها انكلترا خلال الحرب، والتي أدت، بالتالي، الى القرار الذي اتخذه الشريف حسين بإعلان الثورة على السلطنة العثمانية.

بدأت انكلترا مناوراتها السياسية، أولاً، مع عبد العزيز آل سعود الذي كان اسمه قد بدأ يلمع في سماء الجزيرة بعد الانتصارات التي أحرزها ضد خصمه إبن الرشيد في نجد[٥]، حيث حاول «الكابتين» الانكليزي «شكسبير» إقناع «الملك عبد العزيز» بإعلان الحرب على السلطنة العثمانية، إلا ان عبد العزيز رفض ذلك، كما رفض ان يتعرض «للقوة العثمانية في عسير واليمن، ولم يعترض مسير الرسل من الشمال الى اليمين لنقل الاموال والمخابرات عن طريق بلاده»، وذلك رغم دعم السلطنة لخصمه «ابن الرشيد» ماديا وعسكرياً[٦]، ورغم الوعود التي اغدقتها عليه انكلترا بتسميته ملكاً على العرب جميعاً أو بتسميته خليفة على المسلمين[٧]. كما فشل المبعوث البريطاني «ترسي كوكس»، بعد ذلك، في إقناع الملك السعودي بإعلان الثورة على العثمانيين[٨].

ا - مراسلات مكماهون - الشريف حسين، شريف مكة:

أما مناورات الانكليز مع الشريف حسين، فقد جرت على مرحلتين:

المرحلة الاولى: بدأها «اللورد كتشنر» المعتمد البريطاني في مصر، وكان هذا قد التقى الشريف «عبد الله بن الحسين» في القاهرة، قبيل اندلاع الحرب بأشهر (في شباط/فبراير عام ١٩١٤)، واستطاع ان يفهم منه مدى التوتر في العلاقات بين أبيه والسلطة العثمانية، بل ، أكثر من ذلك، لم يتردد عبدالله في ان يسأل «ستورز»، السكرتير الشرقي في دار الاعتماد البريطاني بالقاهرة، عن مدى استعداد انكلترا في مد والده «بالمدافع الرشاشة» إذا ما جرت «قطيعة نهائية» بينه وبين العثمانيين ربما تؤدي الى الثورة عليهم. وقد فتحت محادثات «كتشنر» وبعده «ستورز» مع الشريف عبدالله (وكان الابن الثاني للشريف حسين، واكثر ابنائه المقربين منه والمعتمدين لديه، كما كان عضواً في البرلمان العثماني) آفاقاً جديدة للمعتمد البريطاني لم تكن غائبة عن ذهنه، أساساً، ولكنها لم تكن ناضجة كفاية، في فكره، وهي إمكان التعاون بين العرب والانكليز إذا ما وقعت حرب بين هؤلاء والاتراك.

وما أن اندلعت الحرب، في آب/أغسطس عام ١٩١٤، حتى برزت الفكرة، جاهزة، في خيال «كتشنر»، خصوصاً انه لم يلبث ان عُين «وزيراً للحربية» في وزارة الحرب التي شكلت في لندن. وكأنما برز توارد للخواطر بين «كتشنر» وسكرتيره السابق «ستورز»، إذ كتب هذا الأخير، من القاهرة، الى وزير الحربية الجديد في لندن يستأذنه في بدء محادثات مع الشريف عبدالله لمعرفة «الاتجاه الذي سيسير فيه العرب إذا ما دخلت تركيا الحرب» الى جانب المانيا والدول المركزية. ويختم «ستورز» رسالته الشخصية هذه الى «كتشنر» بقوله: «من الواضح ان انحيازهم (أي العرب) الى جانبنا، فضلاً عن الاعتبارات

الكبرى، سيقوي من موقفنا العسكري»[٩]. وكان جلياً ان «كتشنر» سوف يوافق «ستورز» على رأيه، فوراً، وهذا ما حدث فعلاً، إذ أرسل اليه تعليمات مفصلة تتضمن سؤالاً جوهرياً عليه ان يطرحه، باسمه، على الشريف عبدالله، ومن خلاله على والده شريف مكة، وهو عن «موقف شريف مكة إذا ما استطاعت المانيا ان تحمل تركيا على دخول الحرب في صفها». وقد وصلت رسالة «كتشنر» هذه الى شريف مكة «نحو منتصف تشرين الاول/أكتوبر»[١٠] أي قبل دخول السلطنة العثمانية الحرب بأسبوعين فقط (وقد دخلتها الى جانب الدول المركزية في ٢٩ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٤).

لا شك في ان رسالة «كتشنر» قد فتحت للشريف حسين آفاقاً جديدة، ربما كان يحلم بها، إلا انه لم يكن يتوقعها، خصوصاً ان السلطنة ما لبثت ان دخلت غمار الحرب، الى جانب المانيا، مؤكدة توقعات «كتشنر»، مما دفع بالشريف حسين الى حرج وارتباك كبيرين:

١ - لقد كان يصرّ، أساساً، على تأكيد موقعه في الحجاز، ولو أدى ذلك الى وقوع قطيعة نهائية مع السلطنة، فكيف إذا أضحت الحجاز في موقع بين حجري الرحى: الآستانة، عاصمة السلطنة شمالاً، والقاهرة، عاصمة التحرك الانكليزي المعادي للآستانة، جنوباً؟

٢ - كان مصيره ، هو وأسرته، همه الشاغل قبل دخول السلطنة الحرب الى جانب المانيا والدول المركزية، ضد دول التحالف، ولكنه يرى، الآن، نفسه، أمام مسألة أهمّ: اين هو موقف العرب، جميعاً، من هذه الحرب؟ وهل يجب ان يكونوا مع الدولة الاسلامية العظمى، وهي السلطنة، أم مع الدول المعادية لها، وعلى رأس هذه الدول «انكلترا» ذات العلاقات والمصالح المتشابكة معه ومع العرب، على حد سواء؟

أمام هذا الواقع، اختلفت آراء أسرة الشريف حسين، كما اختلفت آراء القادة والزعماء العرب، من مدنيين وعسكريين، وقد تعاظم هذا الاختلاف وتنامى حتى شغل المجتمع العربي ردحاً من الزمن:

- كان الشريف عبدالله ميالاً للثورة، خصوصاً انه كان منتمياً الى احدى الجمعيات العربية السرية التي تدعو اليها، إلا انه كان يرى في التعاون مع انكلترا وسيلة ناجعة للتخلص من النير العثماني، شرط ان تضمن هذه الاخيرة حرية الأقطار العربية واستقلالها.

- وكان الشريف فيصل، على عكس ذلك، يدعو الى الوقوف بجانب السلطنة ودعمها في حربها، وذلك لاقتناعه بأن لدى كل من فرنسا وانكلترا أطماعاً في بلاد الشام والعراق، وان هذه الاطماع خلقت لديه هواجس لم تبددها رسالة «كتشنر».

- وكان الشريف حسين يرى ان العرب ليسوا مستعدين، بعد، لإعلان الثورة ضد العثمانيين، وهو ما يراه فيصل، ولذلك، فهو دعا الى التريث ، وأرسل الى القادة والزعماء العرب يستشيرهم في الأمر، محاولاً ان لا يصل، في الوقت نفسه، مع «كتشنر» الى طريق مسدود[١١].

- وكان القادة والزعماء العرب، من مدنيين وعسكريين، منقسمين، فيما بينهم، بشأن الثورة، فمنهم من ظل مخلصاً للسلطنة داعياً لاستمرار التعاون، بل الاتحاد معها، ومن أهم هؤلاء واكثرهم حماسة للسلطنة «الأمير شكيب ارسلان» الذي كان يرى ان الانكليز «تمكنوا، قبل الحرب العامة، من استجلات كثير من ناشئة العرب، منهم من استجلبوهم بالمنافع الخاصة، ومنهم من استجلبوهم بطريقة الاقناع، واوهموا العرب انهم انما يريدون ليجددوا دولة عربية كدولة بني العباس أو دولة بني امية مثلا»، وهكذا استطاعوا ان يقنعوا

حزباً «غير قليل» بالسعي للانفصال عن السلطنة، إلا انه «لا يمكن ان يقال إن هذا كان رأي الجمهرة في الأمة العربية»، بل ان «عقلاء العرب يفقهون أنه، إذا وقع الانفصال بين العرب والترك، تسقط بلاد العرب تحت حكم الافرنج»، ولأجل ذلك اختار هؤلاء «البقاء تحت حكم الدولة العثمانية خوفاً من حكم الاجانب، واختياراً لأهون الشرين»(١٢). وقد صدق حدس شكيب ارسلان، وتحقق ما توقعه للعرب على يد حلفائهم «الافرنج».

- إلا ان العسكريين العرب، في الجيوش العثمانية، كانوا، في غالبيتهم، ميالين للثورة على السلطنة ، بل إنهم سعوا اليها، وما أن اعلنت حتى التحق معظمهم بها.

قلنا ان الشريف حسين قرر ان لا يصل مع «كتشنر» الى طريق مسدود، لذا، فهو قد كتب اليه رسالة يمنحه فيها بعض الأمل بإمكان التعاون مع انكلترا ضد السلطنة «شرط ان تتعهد له انكلترا بمساعدة فعالة». وكان جواب «كتشنر» على ذلك بقدر الآمال التي توخاها الحسين من رسالته، إذ تضمّن هذا الجواب «وعداً قاطعاً» له «بأن الحكومة البريطانية - في حالة وقوفه هو واتباعه في جانب انكلترا ضد تركيا - تضمن له بقاءه في منصب شريف مكة واحتفاظه بجميع حقوق هذا المنصب وامتيازاته، وانها ستحميه من كل اعتداء خارجي»، كما تضمّن وعداً قاطعاً «بمساعدة العرب، عامة، في مساعيهم لنيل حريتهم، شرط ان يؤازروا انكلترا»، وقد ختم «كتشنر» رسالته هذه بوعدٍ للحسين بأنه، في حال مبايعته خليفة للمسلمين، سوف يحظى بدعم انكلترا واعترافها به. هذا بالإضافة الى ما زخرت به الرسالة من تعابير «الأمة العربية» و«تحرير العرب» وهي تعابير دسّت، في الرسالة، قصداً، بغية ان تفتح امام العرب «أبواب الاغراء والأمل في التحرر القومي»، وهو ما دفع الحسين الى ان يردّ برسالة

(أرسلها ابنه عبدالله بتوجيه منه) اعتبرت «قيداً صريحاً قاطعاً «للحسين» بتحالف سري مع انكلترا»[١٣].

المرحلة الثانية: وقد بدأها الشريف حسين، نفسه، مع السير «هنري مكماهون»، نائب ملك انكلترا بمصر، وذلك في اول رسالة له الى المسؤول البريطاني بتاريخ ١٤ تموز/يوليو عام ١٩١٥، وأهم ما جاء في هذه الرسالة، هو مطالبة الحسين بأن تعترف انكلترا «باستقلال البلاد العربية، من مرسين - أضنة حتى الخليج الفارسي شمالاً، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً، ومن المحيط الهندي إلى الجزيرة (العربية) جنوبياً، يستثنى، من ذلك، عدن التي تبقى كما هي، ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غرباً»[١٣مكرر]، (أنظر الخارطة في آخر الفصل).

كان قد مرّ على آخر اتصال بين الحسين وكتشنر نحو ثمانية اشهر قضاها الشريف حسين في حيرة عميقة، فالدعوة الى الجهاد الإسلامي قد بدأت تأخذ منحى تصعيدياً في كل أرجاء العالم العربي والإسلامي، وهو ما يمكن ان يهدد أي توجه حقيقي للشريف نحو دول التحالف المعادية للسلطنة[١٤]، الأمر الذي دعاه الى التريث في إعلان الثورة بقصد سبر أغوار التوجهات في الأقطار العربية، وخصوصاً في بلاد الشام والعراق، تلك التي تخضع، كلياً، لحكم السلطنة.

ولم يكن الحسين قد يئس، بعد، من إمكان حصول تفاهم بينه، كممثل للعرب، وبين السلطنة، فكتب، في شهر آذار/مارس عام ١٩١٥، رسالة الى «انور باشا» وزير الحربية في السلطنة العثمانية، يدعوه فيها الى ما يلي:

«١ - إعلان العفو العام عن المتهمين (العرب) السياسيين.

«٢ - إنالة سوريا ما تطلبه من نظام لامركزي.

«٣ - جعل إمارة مكة وراثية في أولادي، وإبقائها على حالتها الحاضرة». ويضيف الحسين: «فإذا قبلت هذه المطالب، فاتعهد بحشد القبائل العربية، بقيادة أبنائي، في ميدان العراق وميدان فلسطين، وإذا لم تقبل، فأرجوكم ان لا تنتظروا مني شيئا سوى الابتهال للحق، جلا وعلا، بأن يهب الدولة النصر والتوفيق»[١٥].

وكان «انور باشا» يعرف، ولا شك، أهمية ان يكون عرب بلاد الشام والعراق والجزيرة الى جانب السلطنة في حربها، ولكنه لم يكن صاحب القرار في الاستجابة لطلبات شريف مكة، لذا، جاء رده على رسالة الشريف خالياً من اية إيجابية، بل انه رفض كل طلباته، جملة وتفصيلاً. وقد ضمّن انور باشا ردّه شيئاً من التهديد والوعيد، إذ أمر الحسين بإرسال المجاهدين الذين وعد بإرسالهم الى دمشق، بإمرة ولده فيصل، وختم قائلاً: «وبديهي انه (أي فيصل) سيظل ضيفاً على الجيش الرابع حتى نهاية الحرب»[١٦].

أقفل انور باشا، إذن، في وجه الشريف حسين، كل ابواب التفاوض، وسواء أكان ذلك ببادرة منه أم بقرار سياسي من حكومته (وهذا هو المرجح)، فقد كان ذلك القرار نذيراً بأن يندفع الحسين، رويداً، نحو الحلّ الآخر: التفاوض مع الانكليز.

ومع ذلك، لم يستعجل الحسين الأمور، بل أرسل ابنه فيصلاً الى دمشق للاتصال بقادتها وزعمائها ووطنييها، للوقوف على آرائهم بصدد إعلان الثورة والتعاون مع دول التحالف، ثم يدلف منها الى الآستانة للوقوف على آخر ما يمكن ان يصل اليه قرار السلطة العثمانية بصدد مستقبل العرب وآمالهم.

وفي دمشق، اتصل فيصل بعدد من قادة الحركة الوطنية وفقاً لقائمة أعدتها له «جمعية العربية الفتاة» السرّية (التي يقال إنه انضم اليها أثناء

إقامته بدمشق واصبح من عداد أعضائها)، ومن هؤلاء: القائمقام ياسين الهاشمي (رئيس أركان حرب الفيلق التركي الثالث عشر ، وكان في سوريا، حيث يوجد ٦ فرق عربية)، وكان هذا ممثلاً لجمعية «العهد» العربية، والفريق على رضا باشا الركابي (رئيس بلدية دمشق) وكان ممثلاً لجمعية «العربية الفتاة»، والشيخ بدر الدين الحسيني (كبير محدثي دمشق) الذي تحدث «باسم العلماء في سوريا»، ونسيب بك الأطرش (من كبار شيوخ جبل الدروز) الذي تحدث باسم الدروز في سوريا، والشيخ نواف الشعلان (نجل الشيخ نوري الشعلان رئيس عشائر الرولا) الذي تحدث باسم «القبائل العربية في سوريا» وكانت آراء الجميع متفقة على ما يلي:

«١ - إعلان الثورة على الترك بالاتفاق مع الانكليز على شروط يُتفق عليها.

«٢ - يعود فيصل الى دمشق لإكمال مباحثاته مع الزعماء للاتفاق على التفاصيل.

«٣ - يتولى عبدالله تنظيم القبائل في منطقة مكة والطائف.

«٤- يتولى علي تنظيم القبائل حول المدينة.

«٥ - يبدأ الحسين مباحثاته مع الانكليز في مصر، تمهيداً للوصول الى الاتفاق النهائي»[١٧]. وغادر فيصل دمشق إلى مكة ليُطلع أبيه على هذه المقررات، ثم عاد الى دمشق في شهر كانون الثاني/يناير عام ١٩١٦ للاتفاق مع القادة الوطنيين على التفاصيل، وكان عليه ان يظل فيها رهينة بيد «جمال باشا» قائد الجيش الرابع في سوريا. وقد لاحظ فيصل، فور وصوله، خلوّ سوريا من الفرق العربية[١٨]. كما لاحظ ان جمال باشا القى القبض على العديد من الشبان العرب المناهضين للتسلط العثماني، مما زاد في قناعاته بوجوب

الانطلاق في عملية التحرر من ذلك التسلط، ولو بالتعاون مع الانكليز (والفرنسيين) الذين لم يكن فيصل ، بالذات، يثق بهم وبوعودهم.

وبحيلة ما (لا مجال لشرحها في هذا البحث) عاد فيصل، في أوائل شهر أيار/مايو عام ١٩١٦ الى مكة لكي يُطلع أبيه على مجريات الأحداث في سوريا[١٩].

في الوقت الذي كان فيصل يتابع الأحداث ويدرس التطورات بين مكة ودمشق خلال عامي ١٩١٥ و١٩١٦، كان والده، الشريف حسين، يفاوض السير هنري مكماهون نائب ملك انكلترا بمصر، حول شروط التعاون بينه، كممثل للعرب، وبين الدول المتحالفة، وقد اشتهرت المراسلات التي جرت بين المسؤولين العربي والانكليزي «بمراسلات الحسين - مكماهون»، وكان الحسين قد بدأها بتاريخ ١٤ تموز/يوليو عام ١٩١٥، وانتهت تلك المراسلات بمذكرة من مكماهون الى الحسين بتاريخ ١٠ آذار/مارس عام ١٩١٦، أي قبل نحو ثلاثة اشهر من إعلان الحسين للثورة (في ١٠ حزيران/يونيو عام ١٩١٦).

وفي دراسة معمقة للمراسلات التفاوضية بين الحسين ومكماهون نستطيع ان نستنتج الملاحظات التالية[٢٠]:

١ - يقرر الحسين ان الشعب العربي «بأجمعه» ميّال الى حكومة انكلترا «بحكم المصالح المشتركة»، لذا، ليس هناك حاجة لأن يشغل المسؤول الانكليزي أفكاره «بأراء الشعب» العربي. كما يطلب من مكماهون عدم «إلقاء المناشير وإذاعة الشائعات» في الأقطار العربية «لأن القضية قد قررت» (رسالة الحسين الى المستر رونالد ستورس ومنه الى مكماهون بتاريخ ١٤ تموز/يوليو عام ١٩١٥). وفي هذا الكثير من السذاجة السياسية (إن لم نقل غير ذلك) مقابل الدهاء البريطاني المشهور، فهو قد اعتبر نفسه متحدثاً باسم العرب،

كل العرب، بل وصياً عليهم، وطمأن مكماهون انه لا يوجد، لدى الشعب العربي، أية فئة تناهض تعاون العرب مع الدول المتحالفة، وخصوصاً انكلترا، ضد السلطنة، وهو أمر مناف للحقيقة تماماً، كما انه ليس من المستساغ ان يقدّم مفاوض كل اوراقه للطرف الآخر قبل ان يحصل منه، في المقابل، على أي شيء، وهذا ما فعله الحسين.

٢ - يقرر الحسين، كذلك، ان العرب «بأجمعهم... قد شعروا وتأكدوا» ان من مصلحة بريطانيا «ان تساعدهم وتعاونهم للوصول الى أمانيهم المشروعة»، ثم يطرح على مكماهون، باسم العرب كذلك، الاقتراحات التالية:

اولاً: الاعتراف باستقلال البلاد العربية «من مرسين - أدنه حتى الخليج الفارسي شمالاً، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبياً، (ويستثنى من ذلك «عدن» التي تبقى كما هي)، ومن البحر الأحمر المتوسط حتى سيناء غرباً. على ان توافق انكلترا ايضا على إعلان خليفة عربي على المسلمين».

ثانياً: إعتراف حكومة الشريف «بأفضلية انكلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية».

ثالثاً: تعاون الحكومتين العربية والانكليزية ضد «كل قوة تهاجم أحد الفريقين»، وأن يكون تعاوناً «في كل شيء ، في القوة العسكرية والبحرية والجوية...».

رابعاً: إذا وقع قتال بين احد الفريقين وطرف ثالث، على الفريق الثاني ان يلزم الحياد، إلا إذا طلب منه الفريق الأول الإشتراك معه في الحرب وفقاً لشروط يتفق عليها.

خامساً: مدة الاتفاق المشار اليه في المادتين «الثالثة والرابعة» من هذه المقترحات «المعاهدة» خمسة عشر سنة تجدد، باتفاق الفريقين، قبل انتهاء مدتها بعام واحد.

سادساً: يجب ان يتلقى الشريف جواباً على هذه المقترحات خلال ثلاثين يوماً من وصولها الى المسؤول الانكليزي، وان لم يتلق الشريف الجواب المطلوب يصبح حراً «في القول والعمل من كل التصريحات والوعود السابقة» (مذكرة الحسين الى مكماهون بتاريخ ١٤ تموز/يوليو ١٩١٥).

يبدو ان الحسين انخرط في مشروع التحالف مع الانكليز دون ان يكون على معرفة عميقة بأخلاقهم وأساليبهم المخاتلة والمخادعة والمضللة، فكشف اوراقه أمامهم على حقيقتها وبكل تفاصيلها، متحدثاً باسم «العرب جميعا» الذين بدوا، من وجهة نظره هو، انهم «قد شعروا» بل «تأكدوا» أن من مصلحة بريطانيا مساعدتهم لتحقيق طموحاتهم في التحرر والسيادة والاستقلال، وهو ما يعكس سذاجة منقطعة النظير لدى الشريف، وجهلا لا مبرر له بطبائع الانكليز. ثم يطرح الحسين على مكماهون شروطه للتعاون مع الانكليز، وهي شروط مشروعة ووجيهة، ولكن مكماهون لا يلبث ان يتهرب من الإجابة على النقاط المهمة والحساسة فيها، كمسألة حدود الدولة العربية العتيدة، فهو إذ يبدي رغبةً في «استقلال بلاد العرب وسكانها» وترحيباً «باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة»، يتوقف عند مسألة الحدود فيرى ان البحث فيها سابق لأوانه، وانه من «التفاصيل» التي يجب عدم الوقوف عندها، خصوصا ان الحرب «دائرة رحاها» وان الاتراك «لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً» (مذكرة مكماهون الى الحسين بتاريخ ٣٠ آب/أغسطس عام ١٩١٥). وكان على الحسين ان يدرك، من هذه الرسالة

بالذات، مدى مخادعة مكماهون ومماطلته في تقييد حكومته بوعدٍ قاطع بقيام الدولة العربية العتيدة وفقاً للحدود التي اقترحها شريف مكة، وقد أدرك ذلك فعلاً، فكتب الى مكماهون، بتاريخ ٩ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٥، مذكرة ينتقد فيها، بصراحةٍ، ما شاب ردّه على مسألة الحدود من «برودة» و«تردد»، واعتباره البحث فيها «إضاعة للوقت»، ويقول له، بصراحة كذلك: «ليعذرني فخامته إذا قلت إن هذا كله يدل على عدم الرضا، أو على النفور، أو على شيء من هذا القبيل»، ذلك ان الحدود المطلوبة إنما هي «مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود، وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد». ثم يصرّ الشريف على البحث في مسألة الحدود «قبل كل شيء، مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة، ويعلقون عليها كل الآمال، وهي بريطانيا العظمى»، ويستطرد الشريف في مذكرته هذه قائلاً: «وفوق هذا، فإن العرب لم يطلبوا، في تلك الحدود، مناطق يقطنها شعب أجنبي» ، ثم إن تلك الحدود «التي يقطنها عرب مثلنا» إنما هي «مقترحات شعب بأسره يعتقد بأنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية». وأما مسألة الخلافة «فإن الله يرضى عنها، ويسرّ الناس بها». ثم يعود الحسين فيؤكد لمكماهون تفضيل العرب للانكليز سواء «أكنتم راضين عنا، كما قيل، أم غاضبين»، معلناً ان الشعب (العربي) ينتظر «بفارغ الصبر، نتائج هذه المفاوضات».

وفجأة، يتحدث الشريف حسين، في ختام مذكرته لمكماهون، عما يبدو لفرنسا من أطماع «في بيروت وسواحلها»، فيقرر انه «لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة»(٢١).

٣ - يتضح من مذكرة مكماهون الى الحسين بتاريخ ٢٤ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٥، ان المسؤول الانكليزي ردّ على تساؤلات الحسين حول حدود الدولة العربية المقترحة بأن تحفّظ على أمرين:

أولاً: على «مرسين واسكندرون وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق وحمص وحماة وحلب»، زاعماً ان هذه المناطق «لا يمكن ان يقال إنها عربية محضة»، وهكذا «يقضم» المسؤول الانكليزي، من الدولة العربية العتيدة، أجزاء أساسية هي: الساحل الشمالي لبلاد الشام والذي يؤلف «لواء اسكندرون»، ومعظم الساحل الغربي لهذه البلاد، الواقع غرب دمشق وحمص، والذي يؤلف «الجمهورية اللبنانية». ولا يخفي المسؤول الانكليزي ان لفرنسا مصلحة في ذلك، وان «بريطانيا العظمى» حريصة على ان لا «تمسّ مصالح حليفتها فرنسا» ولو كان ذلك على حساب «حلفائها» العرب.

ثانياً: على «ولايتي بغداد والبصرة» حيث لبريطانيا «مصالح» يعترف بها العرب، مما يستوجب «اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة» بغية حمايتها «من الاعتداء الاجنبي» و«زيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة»(٢٢).

ثم ان المسؤول الانكليزي أقحم بلاده في صميم الشؤون الداخلية للدولة العربية العتيدة، فقرر، من جانب واحد، ان بلاده «تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي»، وانها تمد العرب «بنصائحها، وتساعدهم على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة» للأقاليم المختلفة، مع حرصه على ان تنفرد «بريطانيا العظمى وحدها» بتقديم ما يحتاجه العرب من «نصائح وإرشادات»، وان يكون المستشارون والموظفون الاوروبيون من الانكليز، دون سواهم. وقد شجعه على ذلك ما جاء في اول مذكرة ارسلها اليه الشريف حسين (بتاريخ ١٤ تموز/يوليو ١٩١٥) من ان العرب يفضلون «مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة اخرى»، وان حكومته تعترف «بأفضلية انكلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية»، وقد كرر الحسين الأفكار ذاتها في مذكرته الثانية لمكماهون

(بتاريخ ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩١٥). وهكذا ظهر الحسين مستجدياً صداقة بريطانيا، متلمساً عطفها ومساعدتها، في الوقت الذي كانت انكلترا نفسها، ومن معها من حلفاء، بحاجة ماسة الى مساعدة العرب في الحرب التي يخوضونها ضد السلطنة والمانيا وحلفائهما.

٤ - ومما يثير الاستغراب والدهشة ما يلمسه المتابع للأحداث (من خلال هذه المراسلات) من مبالغة لدى شريف مكة في الثقة ببريطانيا، وما يستتبع ذلك من سهولة في قبول ما يعرضه ممثلها «السير مكماهون» عليه، وذلك «لما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة» لديه، وهو، لأجل ذلك، يترك «الإلحاح في إدخال ولايات مرسين وأضنة في أقسام المملكة العربية»، ونحن، إذ نوافقه على ذلك، باعتبار ان «مرسين وأضنة» ليستا عربيتين اصلاً، كما نوافقه على ان «ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما... ولايات عربية محضة»، وان «الولايات العراقية هي من أجزاء المملكة العربية المحضة»، فإننا لا نوافقه، إطلاقاً، على تسامحه وتساهله مع هذه الدولة المستعمرة (التي ستضحى حليفة له) فيما يتعلق بالأراضي العربية التي تحتلها (وهي مدينة البصرة وولايتها) والقبول ببقائها تحت الاحتلال البريطاني «الى مدة يسيرة» لقاء «ان يدفع للمملكة العربية، في مدة الإشغال، المقدار المناسب من المال». وهكذا يبادر الشريف حسين الى التفريط بأجزاء من مملكته العتيدة وتأجيرها للإنكليز، حتى قبل ان تنشأ هذه المملكة. والأغرب من ذلك أن يعلّل قبوله هذا باشتراك المصالح بينه وبين الانكليز وباعترافه الصريح بأن لبريطانيا، في العراق، حقوقاً ومصالح، وان ما يهمه هو «صيانة تلك الحقوق الممزوجة بحقوقنا، بصورة كأنها الجوهر الفرد»[٢٣].

أولاً: على «مرسين واسكندرون وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق وحمص وحماة وحلب»، زاعماً ان هذه المناطق «لا يمكن ان يقال إنها عربية محضة»، وهكذا «يقضم» المسؤول الانكليزي، من الدولة العربية العتيدة، أجزاء أساسية هي: الساحل الشمالي لبلاد الشام والذي يؤلف «لواء اسكندرون»، ومعظم الساحل الغربي لهذه البلاد، الواقع غرب دمشق وحمص، والذي يؤلف «الجمهورية اللبنانية». ولا يخفي المسؤول الانكليزي ان لفرنسا مصلحة في ذلك، وان «بريطانيا العظمى» حريصة على ان لا «تمسّ مصالح حليفتها فرنسا» ولو كان ذلك على حساب «حلفائها» العرب.

ثانياً: على «ولايتي بغداد والبصرة» حيث لبريطانيا «مصالح» يعترف بها العرب، مما يستوجب «اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة» بغية حمايتها «من الاعتداء الاجنبي» و«زيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة»(٢٢).

ثم ان المسؤول الانكليزي أقحم بلاده في صميم الشؤون الداخلية للدولة العربية العتيدة، فقرر، من جانب واحد، ان بلاده «تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي»، وانها تمد العرب «بنصائحها، وتساعدهم على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة» للأقاليم المختلفة، مع حرصه على ان تنفرد «بريطانيا العظمى وحدها» بتقديم ما يحتاجه العرب من «نصائح وإرشادات»، وان يكون المستشارون والموظفون الاوروبيون من الانكليز، دون سواهم. وقد شجعه على ذلك ما جاء في اول مذكرة ارسلها اليه الشريف حسين (بتاريخ ١٤ تموز/يوليو ١٩١٥) من ان العرب يفضلون «مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة اخرى»، وان حكومته تعترف «بأفضلية انكلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية»، وقد كرر الحسين الأفكار ذاتها في مذكرته الثانية لمكماهون

(بتاريخ ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩١٥). وهكذا ظهر الحسين مستجدياً صداقة بريطانيا، متلمساً عطفها ومساعدتها، في الوقت الذي كانت انكلترا نفسها، ومن معها من حلفاء، بحاجة ماسة الى مساعدة العرب في الحرب التي يخوضونها ضد السلطنة والمانيا وحلفائهما.

٤ - ومما يثير الاستغراب والدهشة ما يلمسه المتابع للأحداث (من خلال هذه المراسلات) من مبالغة لدى شريف مكة في الثقة ببريطانيا، وما يستتبع ذلك من سهولة في قبول ما يعرضه ممثلها «السير مكماهون» عليه، وذلك «لما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة» لديه، وهو، لأجل ذلك، يترك «الإلحاح في إدخال ولايات مرسين وأضنة في أقسام المملكة العربية»، ونحن، إذ نوافقه على ذلك، باعتبار ان «مرسين وأضنة» ليستا عربيتين اصلاً، كما نوافقه على ان «ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما... ولايات عربية محضة»، وان «الولايات العراقية هي من أجزاء المملكة العربية المحضة»، فإننا لا نوافقه، إطلاقاً، على تسامحه وتساهله مع هذه الدولة المستعمرة (التي ستضحى حليفة له) فيما يتعلق بالأراضي العربية التي تحتلها (وهي مدينة البصرة وولايتها) والقبول ببقائها تحت الاحتلال البريطاني «الى مدة يسيرة» لقاء «ان يدفع للمملكة العربية، في مدة الإشغال، المقدار المناسب من المال». وهكذا يبادر الشريف حسين الى التفريط بأجزاء من مملكته العتيدة وتأجيرها للإنكليز ، حتى قبل ان تنشأ هذه المملكة . والأغرب من ذلك أن يعلّل قبوله هذا باشتراك المصالح بينه وبين الانكليز وباعترافه الصريح بأن لبريطانيا، في العراق، حقوقاً ومصالح، وان ما يهمه هو «صيانة تلك الحقوق الممزوجة بحقوقنا، بصورة كأنها الجوهر الفرد»[٢٣].

ربما يكون الشريف حسين قد تذرع، للقبول بذلك، بالاحتلال العسكري القسري لهذه الاراضي من قبل الجيش الانكليزي، وباحترامه للاتفاق الذي عقده الانكليز مع مشايخ تلك الاراضي، إلا ان المتعارف عليه هو ان الاحتلال لا يولي المحتل أي حق، لا بملكية الارض ولا بإدارتها أو أجارتها، كما ان أي اتفاق يتم بين اصحاب الارض والمحتل لا بد من ان يعدّ باطلاً، لأنه يتسّم بالإكراه والقسر[٢٤]. إلا ان اعتراف الشريف حسين بالاتفاقات القائمة بين بريطانيا ومشايخ الاراضي العراقية المحتلة (التي ستشكل جزءاً من مملكته العربية) أتاح لمكماهون المطالبة بأن يشمل هذا الاعتراف «جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية (العتيدة)» وذلك لأن بريطانيا «لا تستطيع ان تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين اولئك الرؤساء (المشايخ)». وهكذا يتبين لنا، مما تقدم، ما يلي:

- تراجع الشريف حسين في مطالبه من انكلترا وشروطه عليها لدخول الحرب الى جانبها، مع انها هي التي تحتاج الى مؤازرته ومساعدته في هذه الحرب.

- تنازله عن اراضٍ تدخل في حدود المملكة التي ينوي إعلان قيامها بعد انتهاء الحرب .

- تنازله عن حرية اختيار المستشارين والموظفين من أي بلد شاء، اوروبي أم غير اوروبي، والتزامه بأن يكون هؤلاء من انكلترا دون سواها.

بينما تقدم مكماهون أشواطاً بعيدة، فهو، مقابل ذلك:

- ضمن، سلفاً، انحياز العرب الى انكلترا أو حلفائها في الحرب، وانحصر الأمر في الاتفاق على بعض التفاصيل.

- ضمن قبول الحسين بالاتفاقات التي وقعت بين انكلترا وبعض المشايخ العرب في كل اراضي المملكة العربية العتيدة، وليس في العراق فحسب، مما يلغي، فعلاً، استقلال تلك المملكة وسيادتها على كل جزء من اراضيها.

- ظل مصراً على ما سبق ان قرره بشأن ولايتي حلب وبيروت، وهو ان انكلترا مصرّة على ان لا تمسّ «مصالح حليفتها فرنسا» في هاتين الولايتين، كما ظل مصراً على ان مصالح انكلترا «في ولاية بغداد، تتطلب ادارة قوية ثابتة».

- ولم يتورع مكماهون عن ان يطلب من الحسين، مقابل ذلك، ان يحشد كل «الشعوب العربية» لمؤازرة «غايتنا المشتركة»، وان يحث هذه الشعوب على ان لا تمد «يد المساعدة الى أعدائنا، بأي وجه كان»، وقد جاء ذلك في المذكرة الجوابية التي أرسلها مكماهون الى الشريف حسين بتاريخ ١٣ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٥. ولا ينسى «مكماهون» ان يرفق مذكرته هذه، الى الحسين، بمبلغ ٢٠ ألف جنيه استرليني» عربوناً على صدق نيتنا، ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في سبيل غايتنا المشتركة»(٢٥).

٥ - يتبين من المذكرتين المتبادلتين بين الشريف حسين (مذكرة بتاريخ اول كانون الثاني/يناير عام ١٩١٦) وبين السير مكماهون (مذكرة جوابية بتاريخ ١٨ شباط/فبراير عام ١٩١٦)، ان كلاً منهما قد أصرّ على موقفه فيما يتعلق بالأراضي التي ترى فرنسا ان لها مصلحة باحتلالها (بيروت وسواحلها، أو الاراضي الواقعة غرب خط دمشق - حمص - حماه - حلب).

أما فيما يختص بالتعويض المطلوب للأراضي العراقية التي تشغلها بريطانيا، فقد ترك الحسين أمر تقديره الى «حكمتها (بريطانيا) وعدالتها»، وذلك رغبة منه في «تقوية ثقة بريطانيا بنوايانا وغاياتنا في القول والعمل»، كأنما العرب هم المحتاجون الى ثقة بريطانيا بهم، وليس العكس.

ومع ان الحسين يصرّ، في مذكرته هذه، على اعتبار «بيروت وسواحلها» جزءاً من المملكة العربية التي يزمع إعلانها، بمساعدة الحلفاء، بعد انتهاء الحرب، ملاحظاً، في الوقت نفسه، «أن البيروتيين، بصورة قطعية، لا يقبلون هذا الانفصال»، وأنه، ما أن تضع الحرب أوزارها، سيطالب انكلترا «بما نغض الطرف عنه اليوم، لفرنسا، في بيروت وسواحلها»، ومع أنه يقرر، بصلابة وحسم، أنه «يستحيل إمكان أي تساهلٍ يكسب فرنسا أو سواها شبراً من اراضي تلك الجهات»، فهو يتجنب، في ظروف الحرب تلك، ان «يسيء الى تحالف انكلترا و فرنسا، والاتفاق المعقود بينهما، خلال هذه الحرب»، غير عالم، ولا شك، بأن ما بين فرنسا وانكلترا من اتفاق (سايكس - بيكو) سوف يطيح به وبمملكته الموعودة.

وبقدر كبير من الدهاء والمكر، يردّ مكماهون على مذكرة الحسين بأخرى جوابية (بتاريخ ٣٠ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٦) يشير فيها الى «سروره» بملاحظة الحسين بأنه يرغب في «تجنب كل ما من شأنه الإساءة الى تحالف انكلترا وفرنسا»، إلا انه يعلق على ذلك بتأكيده على تصميم الدولتين (فرنسا وانكلترا) على عدم السماح «بأي تدخل، مهما قل شأنه، في اتفاقنا المشترك في إيصال هذه الحرب الى الفوز»، ويزيد التلميح إيضاحاً لا نعتقد انه يغيب عن ملاحظة الشريف حسين وباله، عندما يقول: «متى انتهت الحرب، فإن صداقة فرنسا وانكلترا ستقوى وتشتد، وهما اللتان بذلتا الدماء الانكليزية والفرنسية، جنباً الى جنب، في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات»[٢٦].

فهل يحتاج الشريف حسين، شريف مكة، الى إيضاحٍ أكثر من هذا، لكي يفهم نوايا حلفائه الغربيين؟

٦ - يتبين من المذكرتين الأخيرتين المتبادلتين بين الشريف حسين (مذكرة بتاريخ ١٨ شباط/فبراير عام ١٩١٦) والسير مكماهون (مذكرة جوابية بتاريخ ١٠ آذار/مارس عام ١٩١٦) أنهما لا تحملان أي مضمون سياسي، مما يدلّ على ان الاتفاق قد تم بين الفريقين المتفاوضين، من خلال هذه المراسلات، ومما يشير الى ان الشريف حسيناً ضرب صفحاً عما اتضح من المذكرة السابقة التي أرسلها اليه مكماهون، فيما يتعلق ببيروت وسواحلها، ومصلحة فرنسا فيها، رغم ما بدا فيها من إصرار مكماهون على قوة الصداقة واشتدادها بين الحليفتين: فرنسا وانكلترا، وعلى حق هاتين الدولتين في استيفاء تعويضٍ لقاء الدماء التي بذلتاها «جنباً الى جنب، في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات» كما جاء في تلك المذكرة. وقد أفصح الحسين عن رضاه على الاتفاق في مطلع مذكرته هذه، إذ قال إن مضامين المذكرة السابقة التي أرسلها اليه مكماهون «أدخلت علينا مزيد الارتياح والسرور لحصول التفاهم المطلوب والتقارب المرغوب»، فيكون قد قبل بعروض انكلترا للتحالف معها قبل ان تقبل هي بشروطه، وكانت مصيرية. ويقول «انطونيوس» في ذلك: «ولم يطلب (أي الحسين) جواباً عن اية نقطة من النقاط التي أوردها (في مذكرته ما قبل الاخيرة) ولكنه كان يكتب كأنه يعتبر الصفقة قد عقدت، ويختم المذكرة (الاخيرة) بتكرار عزمه على إعلان الثورة في أقرب فرصة»[٢٧].

ولذلك، فقد اقتصرت مذكرة الشريف حسين الاخيرة الى مكماهون على سرد أخبار عن سفر أحد أبنائه (فيصل) الى الشام ليقوم «بما يقتضي عمله هناك» (وقد سبق ان تحدثنا عن رحلة فيصل هذه)، وعن عزمه على إرسال ابنه الأكبر (علي) الى المدينة المنورة «بقوة كافية، ليكون ردءاً لأخيه

الذي بالشام»، ثم يقدّم الحسين لمكماهون، في مذكرته هذه، لائحة بمطالب الثورة، وهي:

٥ ألف جنيه ذهب (رواتب للجنود)، و٢٠ ألف كيس أرز، و١٥ ألف كيس دقيق، و٣ آلاف كيس شعير، و١٥٠ كيس بن، و١٥٠ كيس سكر، و٥ آلاف بندقية (من طراز حديث) مع ذخيرتها و١٠٠ كيس رصاص (للبنادق من نوع مارتن هنري ومن نوع عزا، أو أزا، وهما النوعان المستعملان من القبائل)، ولا بأس من إرسال «٥٠٠ صندوق من النوعين، فلن يضيع منها شيء»، هذا مع تفصيلات تتعلق بكيفية إرسال المال والسلاح والمؤن[٢٨].

أما مذكرة مكماهون فقد تضمنت تلبية عاجلة لكل طلبات شريف مكة، مع بعض التوصيات بضرورة اتخاذ «التدابير الفعالة» ضد بعض المراكز العسكرية التركية القائمة «على سواحل بلاد العرب» والتي يجاهر جنودها بالعداء للانكليز، ويسعون لإيقاع الضرر بمصالح انكلترا العسكرية في البحر الأحمر، كما توصي المذكرة بأن يستعمل الشريف كل ما له من تأثير على ابن الرشيد لكي يكف عن التعاون مع الاتراك، «وإذا ما صمم على ما هو عليه، أمكنكم عمل الترتيبات مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا ان يقبضوا على الجمال حال سيرها، ولا شك ان في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة»[٢٩].

بعد كل ما تضمنته مذكرات مكماهون من أفكار لا بد من ان تثير الشكوك الكثيرة حول صدق نوايا انكلترا أو حليفتها فرنسا بشأن مستقبل العرب، في بلاد الشام والعراق، هل كان على الشريف حسين ان يقدم على إعلان الثورة ضد السلطنة، باسم العرب جميعاً، منطلقاً من ثقةٍ، في غير محلها، محضها لحلفائه الجدد؟ سؤال ظل يتردد على ألسنة كل العرب، وفي ضمائرهم، طوال نحو قرن من الزمن، وسيظل يتردد الى زمن غير منظور.

II – ثورة الشريف حسين (٥ حزيران/ يونيو ١٩١٦):

سبق ان قلنا إن المجتمع العربي شهد انقساماً حاداً حول صوابية إعلان ألثورة على السلطنة في مطلع الحرب العالمية الاولى، وذكرنا مثلاً على ذلك موقف الأمير شكيب ارسلان من ثورة الشريف حسين، وقد وقف موقفه هذا الكثير من قادة العرب وزعمائهم، حتى ان عبدالله، نجل الشريف حسين، وأحد قادة ثورة ابيه على الاتراك، بل احد دعاتها، لم يتورع عن ان يشبّه العرب، بعد انفصالهم عن السلطنة وخروجهم على الخلافة بأنهم «كجسم لا رأس له... خير أن لا يهتدي سبيلاً» أو «كجسم له رؤوس كثيرة... ضال متحير لا يدري أي رأس يتبع من هذه الرؤوس»[٣٠]. كما سبق أن ذكرنا أن اخاه فيصلاً كان يحبذ البقاء الى جانب السلطنة لاقتناعه بأن لدى فرنسا وانكلترا أطماعاً في بلاد الشام والعراق، ولكن إرادة الوالد كانت هي العليا، ولم يكن أمام الأبناء إلا الخضوع والطاعة.

مقابل ذلك، كانت جمعية «العربية الفتاة» (التي اصبحت تدعى فيما بعد «حزب الاستقلال»)، وكذلك، جمعية «العهد»، تدعوان للثورة، كما كانت غالبية الضباط العرب العاملين في الجيوش العثمانية ميالة الى الخروج على السلطنة، بل إن معظمهم انضم الى الثورة حين إعلانها، خصوصاً أن معظمهم كان قد انضم الى جمعية «العهد» التي كان قد أسسها الضابط الثائر عزيز علي المصري، وكان من اوائل الضباط الذين انضموا الى ثورة الشريف حسين، وتبعه، بعد ذلك، ضباط آخرون أمثال نوري السعيد ومولود مخلص وجعفر العسكري وقاسم راجي وشريف الفاروقي ومحمد حلمي البغدادي وحسين رفقي الخيمي، وعلي جودت الايوبي وحامد باشا الراوي وابراهيم بك الراوي وجميل المدفعي وشكري الشوربجي، وصبحي العمري، وغيرهم كثيرون، وكذلك معظم

الضباط والعسكريين العرب الذين كانوا أسرى لدى دول التحالف[٢١]. كما انضم الى الثورة العديد من المدنيين امثال: رستم حيدر وامين يزبك واميل الخوري ويوسف الشيخاني والشيخ فريد الخازن ونعيم الخوري وتوفيق الحلبي وفايز الغصين ومحمد شريف العمري وثابت عبد النور وحمدي صدرالدين وعبد اللطيف البدري وفوزي البكري ونسيب البكري وعدد من آل العظم ومن آل العسلي ورفيق التميمي وخليل السكاكيني وسعيد عمون وفؤاد سليم وحبيب جاماتي ومحمود المغربي وسعيد الباني وسليم عبد الرحمن وعلي النبره، وكثير غيرهم، بالإضافة الى عدد كبير من الأطباء[٢٢].

ويقول المناضل القومي اسعد داغر إنه كان، مع عزيز علي المصري، أول من بدأ يفهم «مناورات الإنكليز»، وإنه رأى عزيز علي «غير مطمئن الى نتيجة مباحثاته معهم»، وذلك في معرض حديثه عن اتصال الانكليز بكل «من كانوا يظنون ان له شأناً في القضية العربية» حيث «يعللونه بالآمال»، ويروي أن «أحد رجالات العرب خدع، مرة، بوعودهم» فكلفه ان يطلب من أصدقائه، في الآستانة، أن يسعوا لالتحاق الضباط العرب (المنخرطين في الجيوش العثمانية) بمصر «بأقصى سرعة» لكي يشكلوا «نواة الجيش العربي الذي يناط به أمر تحرير العرب واستقلالهم»، ولكن داغر لم يفعل ذلك «طبعا» لأنه كان قد بدأ يفهم خداع الانكليز ومناوراتهم[٢٣].

ورغم كل الشكوك التي كانت تحيط بموقف انكلترا وفرنسا من القضية العربية عموماً، ومن مصير بلاد الشام والعراق خصوصاً، قرر الشريف حسين الانضمام الى هاتين الدولتين، ومعهما روسيا القيصرية، في حربهما ضد السلطنة العثمانية، فأعلن، في العاشر من حزيران/يونيو من العام نفسه (١٩١٦)، الثورة على العثمانيين، مطلقاً، من على شرفة قصره، في مكة

المكرمة، اول رصاصة، إيذانا باندلاع الثورة. وما لبثت حامية مكة ان استسلمت، بعد ثلاثة ايام من القتال (باستثناء حامية قلعة جندل التي استمرت تقاوم ثلاثة اسابيع)، ثم استسلمت، بعدها، حامية جدة (يوم ١٦ حزيران/يونية ١٩١٦)، وتبعتها حاميات الطائف ورابغ وينبع وقنفذة. وهكذا أضحت المدن الرئيسية، في الحجاز، بيد الثورة (باستثناء المدينة المنورة). وقد ساعد على سقوط هذه المدن، وبهذه السرعة، المساعدات العسكرية التي قدمتها بريطانيا، وهي سريتا مدفعية من سرايا الجيش المصري في السودان، حيث أبلت هاتان السريتان، في القتال وفي حصار المدن، بلاء حسناً، كما أبلت، البلاء نفسه، البحرية الحربية البريطانية المرابطة في البحر الاحمر قبالة الشاطئ الحجازي، وكذلك الطائرات الحربية البريطانية[٣٤].

لن ندخل في تفاصيل العمليات العسكرية التي قام بها جيش الثورة في أثناء الحرب الى جانب الدول المتحالفة ولخدمتها، فذلك لا يدخل ضمن بحثنا هذا، ولكننا سوف نستعرض الخطوط العريضة لهذه العمليات لكي نتبين، من خلال ذلك، مدى الأهمية التي اكتسبتها، ومدى تأثيرها في نجاح الحلفاء وانتصارهم، في هذه الحرب، وهو ما لم ينكره القادة السياسيون والعسكريون، في تلك الدول، كما سنرى.

ما أن أعلن الشريف حسين الثورة حتى كان «عزيز علي المصري» من أوائل الضباط الذين انضموا اليها، وقد استدعاه الشريف لتسلم القيادة في جيشه، فلبى الدعوة، إلا انه لم يلبث طويلاً حتى غادر الحجاز متخلياً عن المهمة التي أسندت اليه، وقد خلفه فيها «جعفر باشا العسكري»[٣٥].

ويحدثنا «أسعد داغر» عن الأسباب التي دعت عزيزاً للتخلي عن مهمته في جيش الشريف حسين فيقول إن عزيزاً كان يبغي، من وراء قبوله بالمهمة

«جمع كلمة الضباط حوله، ووضع أساس صالحٍ لنظام جيش قوي»، متفقاً، في هدفه هذا، مع غالبية الضباط الذين كانوا من حزب العهد، وقد اجتمع بهم في «رابغ» حيث كان هذا الجيش يعسكر، واتفق معهم على ان جيشاً مهنته «السلب والنهب والتدمير والتخريب» لا يمكن ان ينقذ سوريا، ولن يقبلوا، بدورهم ان يدخلوا سوريا «بهذا الجيش الذي لا قوة له ولا نظام فيه»، وقد اتفقوا، جميعهم، على أن يتم إنشاء «جيش منظم يمكن الاعتماد عليه في حفظ الأمن والنظام في البلاد العربية» التي يحررونها. ولكن عملاء (يظن داغر ان نوري السعيد من بينهم) نقلوا للانكليز ما اتفق عليه الضباط العرب الأحرار بقيادة عزيز علي، فظل الانكليز يدسّون عليه لدى الشريف حسين الى ان اضطروه للتخلي عن منصبه والعودة الى مصر، ثم صدر أمر بإبعاده عن مصر الى أسبانيا، إلا انه اعتقل في مالطة على يد الانكليز انفسهم. لقد كان عزيز علي يقول لضباطه: «إننا لا نحارب رغبة في الحرب، ولا كرها بالترك أو حباً بالإنكليز، بل نحارب من اجل تحرير بلادنا وتأمين استقلالها. فهل تعتقدون اننا نستطيع تحقيق هذه الأمنية بالقوات التي لدينا الآن؟ هل تقبلون ان تدخلوا سوريا بهذا الجيش الذي لا قوة له ولا نظام فيه؟»[٣٦]. ولأجل هذه الأفكار التي كان عزيز علي يبثها بين ضباطه في جيش الثورة، ولأن انكلترا لم تكن راغبة في ان يكون للعرب مثل هذا الجيش الذي يطمح اليه عزيز علي وضباطه الاحرار ويسعون لإنشائه، نقم الانكليز عليه، وأزاحوه عن القيادة، ثم نفوه من مصر.

وكان الشريف حسين قد شكل جيش الثورة من ثلاث فرق:

الأولى: بقيادة الشريف علي، ومركزها ضواحي المدينة المنورة، ومهمتها رصد الحامية العثمانية في المدينة وعدم السماح لها بالخروج من معاقلها.

والثانية: بقيادة الشريف عبدالله، ومركزها «وادي عيص»، ومهمتها ضرب طرق المواصلات للجيش العثماني، ومنع المؤن والذخائر من الوصول الى حامياته في مواقعها.

والثالثة: بقيادة الشريف فيصل، ومركزها «الوجه» ومهمتها الانطلاق منه للقيام بعمليات كبرى ضد مراكز الجيش العثماني.

ويصعب تقدير عديد هذا الجيش، نظراً لأنه لم يكن نظامياً، في الأساس، ولأنه كان يفتقر الى السلاح، إذ لم يكن لديه من البنادق ما يكفي لكل المنخرطين فيه، مما يجعل وجودهم بلا قيمة. ويقدر «انطونيوس» عديد هذا الجيش «بعد ثلاثة اسابيع من نشوب الثورة» بين ٣٠ و ٤٠ ألفاً، لم يكن لديهم اكثر من ١٠ الآف بندقية، ولم يوجد لديهم مدافع ولا رشاشات. وقد ارتفع هذا العدد، بعد ان احتل الجيش «الوجه» الى ٧٠ ألف رجل، إلا انه لم يكن معهم، جميعاً، اكثر من ٢٨ ألف بندقية[٢٧].

ومع ذلك، لم يكن الحلفاء الانكليز يقدمون لهذا الجيش كل ما يحتاجه من سلاح وذخائر ومعدات، بل كانوا يقدّمون دعماً، فعالاً أحياناً، بواسطة سلاحي الطيران والبحرية، للعمليات التي يقوم بها الثوار، إذا رأوا في ذلك مصلحة لهم، إلا انهم رفضوا، رفضاً باتاً، إقحام جندٍ من جيوشهم في الجبهات العائدة لهذا الجيش، وذلك، لأسباب دينية كما زعموا، واكتفوا بإرسال بعض الجند المصريين للعمل على المدافع التي أرسلوها للحسين[٢٨].

ويعزو «داغر» سياسة الانكليز هذه، الى عدم رغبتهم في إنشاء جيش عربي منظم وقادر على تحرير سوريا، بدون مساعدتهم، وبالتالي حمايتها والدفاع عنها. يقول داغر في ذلك: «لقد تعمد الانكليز إثارة جميع العقبات في طريق هذه الثورة، فلم يكتفوا بالسياسة التي قرروا انتهاجها نحوها، وهي

سياسة تموينها وإمدادها بأقل ما يمكن من السلاح لكي لا تموت، والحيلولة دون تقويتها وتنظيمها التنظيم الذي يمكّنها من الوصول الى البلاد المتحضرة، كسوريا والعراق»، بل «كانت أعمالهم (أي الأنكليز)، منذ بدء الثورة الى ما بعد دخول دمشق، سلسلة من المحاولات الرامية الى منع العرب من إنشاء جيش منظم، وكانوا يتعمدون حرمان العرب من الاسلحة الحديثة»، لذا، «كان حصول العرب على اسلحة صالحة من الانكليز من اهم المشاكل التي حاول الشريف حسين وأنجاله ومعتمدوه وأنصاره حلّها منذ بدء الثورة، فذهبت محاولاتهم كلها سدى، وكانت نتيجتها الوحيدة إبعاد بعض الضباط (العرب) من ميدان القتال والنقمة على البعض الآخر»[٣٩].

ويقدّم «أمين سعيد» أمثلة تؤكد ما ذهب اليه داغر من امساك الانكليز عن تزويد جيش الثورة بما يحتاجه من اسلحة وذخائر ومعدات، وذلك من خلال الطلبات العديدة والمتكررة التي ما فتئ الحسين يبعث بها الى نائب الملك في مصر، ومن ذلك:

- بتاريخ ١٤ تموز/يوليو عام ١٩١٦ أبرق الحسين الى معتمده في القاهرة يطلب «إرسال قوة عسكرية للحلفاء تنزل في رابغ للدفاع عنها» مزودة بمدفعية ورشاشات، ولم يجب الى طلبه.

- وبتاريخ ٣٠ منه، طلب من معتمده في القاهرة، كذلك، ضرورة «تعيين احدى البواخر الحربية المستعدة، مصحوبة بثلاث طائرات» لردع الترك «الذين استحوذ الرعب الشديد عليهم، من تأثيراتها، في السابق».

- وبتاريخ ١٢ آب/أغسطس عام ١٩١٦، أبرق الى معتمده في القاهرة يطلب منه مقابلة نائب الملك وطلب تعزيزه «بثلاثة طوابير تساق اليه من أقرب المواقع، ويمكن إنزالها في رابغ أو القظيمة»، ولما لم يجب الى طلبه، وبعد

خمسة أيام أبرق اليه، مجدداً، بما يلي: «لا أظن ان قيمتنا لدى العظمة البريطانية لا تساوي سوق ثلاث ألايات» مكرراً طلبه السابق، مع طلبه «باخرة حربية مصحوبة ببطاريتين أو ثلاث تكون راسية امام رابغ». وعند ذلك فقط، ردّ عليه معتمده في القاهرة يقول: «أفهمني نائب الملك بأنه ليس في استطاعة الحكومة البريطانية إرسال جنود الى الحجاز لأسباب مختلفة اهمها: الحذر من إتهام العالم الاسلامي لهم، واعتقاداً منهم بأنه ليس للأتراك قوة يخشى منها. المهمات الحربية كالرشاشات والبنادق سترسل مع باخرة خاصة بها».

- وبتاريخ ٢٢ منه، أبرق الى نائب الملك في القاهرة قائلاً: «ألتمس سرعة إصدار الأمر الى من يلزم لبعث ٤ مدافع جبلية و٢ أيضاً من النوع الذي يتجزّأ، و٤ رشاشات، و٤ طائرات حربية... لمقاومة شدة حملات العدو على جيوشنا المحرومة من جميع المعدات» بالاضافة الى : «٧٥٠٠ بندقية، منها ٥ الآف الى ينبع و٢٥٠٠ الى جدة».

ويستطرد «أمين سعيد» قائلاً: «وطال الأخذ والرد، ولكن بدون جدوى» الى ان ابرق الحسين الى نائب الملك، في القاهرة، بتاريخ ٢٣ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٦، يقول: «إن مقاومة جندنا البدوي للمتغلبة الأتراك، وحليفتهم المانيا، وصدهم في نحورهم، وثباتنا اربعة اشهر، لا يخجلني عن طلبٍ من العظمة البريطانية إمدادها العسكري كشرط عهدنا»، ثم يأسف لاسترجاع الطائرات «بعد ان وصلت الى رابغ، في الوقت الذي كانت طائرات العدو تهدد ميمنة جندنا»، ويطلب «هذه المرة، باسم العهد والتحالف الواقعين بيننا.... إعادة الطائرات الى رابغ، بمهندسيها ومديريها، بدون إضاعة وقت». وقد ردّ عليه معتمده في القاهرة، بتاريخ ٢٨ منه يقول: «أبلغني اليوم نائب الملك، جواباً على برقية مولاي، بأن بريطانا لا تود ان يخالج مولاي شك في انها لا تود

مساعدته في كل ما يحتاج اليه، بشرط أن يكون في الإمكان، وانهم يعتبرون مصالحهم متحدة مع مصالحنا». ثم أبرق اليه في اول تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٦ يقول: «قابلت اليوم نائب الملك مقابلة طويلة، وتباحثنا في عدة امور اهمها: تصريحه، نهائياً، بأنه، لا يوجد ادنى سوء تفاهم، ولا يدري ما هي الاسباب التي حملت مولاي على اعتقاده»، محاولاً (أي نائب الملك) تبرير عدم تلبيته لمطالب الحسين بضرورة مراعاة «توازن القوى» من جهة، ومراعاة «الرأي العام الاسلامي» من جهة اخرى. ولكن الحسين ظل مصراً على مطالبه، كأنما هو لم يقتنع بمبررات نائب الملك، فأبرق، من جديد، يطلب، من معتمده بالقاهرة، وجوب إرسال الطائرات، وإلا فإنه سيضطر الى «تدارك الأمر» وتخفيف الحاجة اليها، ما أمكن.

وفي برقية من الحسين الى معتمده في القاهرة، لإبلاغها الى نائب الملك، جاء ما يلي: «توالت علينا برقيات الامير فيصل... وكل حرف من حروفها يدل على شدة الحاجة الى المؤن، ولا سيما المال... ثم تطلب السلاح والمال، وانه لمن المستحيل ان يترك سموه هذا الامر على حاله، والأمير يهدد بالانسحاب من الميدان إذا لم تجب مطالبه بكل سرعة». ويضيف الحسين على هذه البرقية قائلاً: «لسنا تجاراً حتى نحتاج الى كل ذلك، ولسنا من الذين يريدون ربحاً خصوصياً ليستفيدوا من هذا، بل اننا عاملنا حليفتنا الموقرة كما يعامل الرجل أهله...». ويعود معتمد الحسين فيجتمع بنائب الملك ويبرق الى سيده مطمئنا الى نوايا الحليفة العظمى... مع ٣٠ ألف جنيه و٤ الآف بندقية، للأمير فيصل، لإسكات غضبه، و١٥٠٠ قنبلة من القنابل الصحراوية تشحن الى ينبع للأمير علي، وكمية مهمة من الأسلحة للأمير عبدالله.

ويعلّق «امين سعيد» على ذلك قائلاً: «تلك هي مجموع المكاتبات التي وصلت الينا عن هذه المشكلة والمشاكل الاخرى الطارئة، اثبتناها بنصها، للدلالة على إهمال الانكليز، وعلى عدم اهتمامهم بإغاثة حليفهم وتلبية ندائه عندما دعاهم»[٤٠].

إلاّ أن فرنسا كانت قد أرسلت، في آب/ أغسطس من العام نفسه (١٩١٦)، إلى الشريف حسين، شريف مكة، بعثة عسكرية بقيادة المقدم (بريمون Bremond)، وكان لهذه البعثة مهمة مزدوجة: الأولى سياسية، وهي تأكيد التحالف مع الشريف ضد السلطنة العثمانية، والثانية عسكرية، وهي تأمين الملاكات اللازمة من المدربين الفرنسيين «لبعض الوحدات البدوية التي كان الشريف قد أعدّها لمحاربة الأتراك»، بالإضافة إلى تأمين التعاون بين «الوحدات الفرنسية» التي كانت ستشكل جزءاً من البعثة «ومفارز» هذه البعثة (وكانت هذه المفارز هي أول طلائع القوات العسكرية الفرنسية التي وصلت إلى المشرق).

إلاّ ان هذا التعاون لم يتم، وذلك لأن «الوحدات الفرنسية» المعنية بقيت في «السويس»، ثم نقلت إلى «بور سعيد» حيث دخلت، فيما بعد، بتشكيل ما سمي «بالمفرزة الفرنسية لفلسطين»(٤٠ مكرر)، وهي ما سوف نعود إليه في بحث قادم.

كانت خطة الشريف، في الأساس، ان يشعل الثورة في كل من الحجاز وبلاد الشام، في الوقت الذي يجري إبرار قوات الحلفاء في مصر، على شاطئ الاسكندرية، مما يجعل القوات العثمانية محصورة بين الاسكندرية جنوباً وحلب شمالاً، ثم تقتحم قوات الثورة المعاقل العثمانية شرقاً، باتجاه العراق، الا ان الحلفاء لم يوافقوا على هذه الخطة، ورأوا ان يكتفي الحسين بإشعال الثورة في الحجاز ويتقدم منها باتجاه سوريا شمالاً ، حتى حلب[٤١]. وربما كان رفض

الحلفاء لمخطط الشريف حسين عدم رغبتهم في إقحامه في العراق، من جهة، بحيث يظل بعيداً عنها، وعدم اقتناعهم، من جهة اخرى، بمقدرته على احتواء مسرح عمليات واسع وصعب يمتد من حدود تركيا وإيران شمالاً وشرقاً الى حدود مصر جنوباً، خصوصاً انهم لم يكونوا عازمين، حقاً، على إنشاء جيش عربي يستطيع التحرك والانتصار على مساحة شاسعة كتلك التي خطط الحسين للعمل بها.

وعلى هذا، فقد اكتفى الحسين بإشعال الثورة في الحجاز على ان تتحرك باتجاه سوريا، حتى حلب، شمالاً، وكان ذلك من نصيب فيصل وجيشه، وكان فيصل قد اختير ليكون، بعد التحرير، ملك «المملكة العربية السورية».

وقد سارت الثورة، بعد ذلك، وفق خطة على مرحلتين:

- **الأولى**: تطهير الحجاز من القوات العثمانية، باستثناء حامية المدينة المنورة التي ظلت محاصرة حتى نهاية الحرب، وكانت تلك مهمة جيشي الشريف علي والشريف عبدالله.

- **والثانية**: الزحف شمالاً نحو دمشق وتحريرها، والتقدم، بعدها، حتى حلب، ثم إعلان «المملكة العربية السورية»، وكانت تلك مهمة جيش الأمير فيصل الذي كان اهم الجيوش الثلاثة، والذي ضمّ اليه غالبية الضباط والجنود العرب الذين تخلوا عن الجيوش العثمانية، أو كانوا أسرى لدى الحلفاء، وانضموا الى الثورة[٤٢].

ما أن أعلن الشريف الثورة، حتى بدأت الجيوش تتحرك، وفقاً للمهمات الموكلة اليها، وكان قد انضم الى الثوار ضباط انكليز «أكفاء» أشهرهم (الكابتين لورنس)، وضباط مدربون، مراكشيون وجزائريون خصوصا، لتدريب رجال الثورة على الأسلحة، وخصوصاً استخدام النسفيات لتخريب خطوط

السكة الحديدية التي كانت الوسيلة الوحيدة، السريعة والامينة، التي تصل بين قيادة الجيوش العثمانية في سوريا والآستانة، وبين الحاميات العثمانية في الحجاز. وقد كان لعمليات التخريب هذه تأثير كبير على الحاميات العثمانية، مما شلّ قدرتها على التحرك، وقدّمت الثورة، بذلك، خدمات جلّى للجيوش الحليفة التي تقدمت، بعد ذلك، لاحتلال بلاد الشام بالسهولة التي لم تكن، ابداً، ممكنة لولا عمليات الثوار هذه.

وقد تطورت عمليات النسف «بفضل مهارة لورنس الشيطانية» كما يقول «انطونيوس»[٤٣]، إذ بدأت بانتزاع قضبان السكة الحديدية، ثم تدرجت الى تحطيم الجسور والقناطر، ثم تدمير القاطرات والقطارات. وما لبث الثوار ان أخذوا يهاجمون محطات السكة الحديدية فيدمرونها ويأسرون من فيها من حاميات، ثم اخذوا يغيرون على قوافل العثمانيين التي كانت تنتقل بين المواقع فيقتلون من فيها من رجال أو يأسرونهم[٤٤]، وينهبون ما فيها من مال ومتاع وسلاح وذخائر ومؤن وما شابه. وكان البدوي، وإن ثائراً، نزّاع، دوماً، الى السلب والنهب، حيث تغلب فيه غريزة السلب على ما عداها من تربية تقوم على الرغبة في القتال دفاعاً عن قضية أو في سبيل نصرة مبدء أو عقيدة[٤٥]. ومع ذلك فلم تكن هذه العمليات قادرة على تعطيل خطوط السكة الحديدة تعطيلاً نهائياً، وان كانت تسبب، للعثمانيين، إرباكاً كبيراً، بحيث يضطرون الى إصلاحها، باستمرار، وبلا توقف، وفي ظل الكثير من المخاطر.

وقد تحركت حيوش الثورة على الشكل التالي:

١ - انتقل عبدالله، بجيشه، الى «وادي عيص» لحصار المدينة المنورة من الشمال الغربي، وآزره في ذلك أخوه الاصغر «زيد» (وكان معه قوات خاصة به).

٢ - تحرك علي، بجيشه، من مركزه في «رابغ» على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، شمال جدة، وانتقل شمالاً بشرق، نحو المدينة المنورة، حيث أقام عليها حصاراً من الجهة الجنوبية الغربية، وهكذا اصبحت المدينة المنورة محاصرة، من جميع الجهات، بحيوش الثورة، ولم يعد بمقدور حاميتها العثمانية التحرك، في أي اتجاه، كما انه لم يكن بمقدور الاخوة الثلاثة، المحاصرين للمدينة، الإقدام على أي عمل عسكري هجومي، سواء بالرجال أم بالمدافع، وذلك نظراً لما تتمتع به المدينة المنورة من قداسة في الإسلام. وقد بقي الاخوة الثلاثة على هذا الوضع حتى نهاية الحرب (باستثناء الأمير زيد الذي تحرك، بقواته، في العالم التالي الى سوريا، برفقة اخيه فيصل).

٣ - أما فيصل، فكان يقود اكبر الجيوش الثلاثة وأقواها، كما كان، بين اخوته، مميزاً بشجاعته وإقدامه وصلابة موقفه وصواب رأيه، لذا، كان والده يكلفه أصعب المهمات، ويختاره لأدقها وأكثرها خطراً وخطورة، ولم تكن مهمة تحرير بلاد الشام إلا تلك المهمة الصعبة والخطرة والخطيرة، ولأجل ذلك، فضل الضباط العرب الانضمام الى جيشه، بدلاً من الانضمام الى جيشي اخويه علي وعبدالله، وذلك «لعدة أسباب أهمها: قوته ونشاطه وتقدمه السريع الى سوريا، وتواصل الانتصارات التي كان يحرزها»[٤٦]. هذا بالإضافة الى ان «المهمة الأولى» التي كانت «بين يدي فيصل، ضرباً من الهداية السياسية»، هي انه كان «يبشر برسالة التحرر العربي، ويذكي عقول القبائل بقبسٍ وهّاج من شعلة حماسته»[٤٧]، وهذا ما جعله مميزاً عن إخوته، في نظر ابيه، ومرشحاً لعرش المملكة في سوريا.

إنطلق فيصل من «الوجه»، في القسم الشمالي من الساحل الشرقي للبحر الأحمر، حيث كان قريباً من الحدود التي تفصل جزيرة العرب عن بلاد الشام،

وتوجه شمالاً، نحو سوريا، فاحتل العقبة (في ٦ تموز/يوليو عام ١٩١٦) حيث أصبح، بعدها، على البوابة الجنوبية لسوريا[٤٨].

وكان خروج الثورة من الحجاز الى بلاد الشام نقطة تحول حاسمة فيها، فقد أصبح جيش فيصل في مسرح للعمليات يختلف، تماماً، عن ذلك الذي كان به في الحجاز، خصوصاً ان الجنرال البريطاني «أللنبي» كان قد بدأ زحفه الكبير نحو القدس، وسوف نراه يعتمد، في زحفه، على فيصل بالذات، وقد تضمّن الجيش الذي يقوده «كتائب نظامية مدربة» مؤلفة من الجنود والرتباء والضباط العرب الذين كانوا في الجيوش العثمانية، بالإضافة الى رجال القبائل الذين سبق ان انضموا اليه منذ بدء الثورة . وهكذا، فإن هذا الجيش قد واجه، بعد احتلاله العقبة، تغيراً جذرياً في تكوينه، كما في وظيفته، إذ أصبح عليه ان يحارب «طبقاً لخطط الجنرال أللنبي»[٤٩] بعد ان أضحى، في الواقع، جزءاً من جيشه. وقد أدرك «أللنبي» أهمية احتلال العقبة من قبل جيش فيصل، كما أدرك اهمية ان يكون أحد جناحيه، خلال تقدمه نحو القدس، محمياً بجيش قوي ومدرب وعلى رأسه قيادة قادرة وحكيمة، لذا، تعهد «أللنبي» بأن يقدم للجيش العربي، بقيادة فيصل، كل ما يحتاجه من معدات وأسلحة وذخائر وأموال. وما أن وصل فيصل الى العقبة (في آب/أغسطس ١٩١٧)[٥٠]، حتى كانت هذه «الضيعة الصغيرة» أشبه «بخلية عسكرية كبيرة متعددة المرافق، مزودة بمحطات اللاسلكي وبمطار وأرصفة لإنزال المؤن»، كما تشكلت فيها «نواة جيش نظامي من الوحدات العربية التي تألفت في الوجه»، بالإضافة الى «ستماية جندي» هم عديد «الفيلق العربي» الذي كان قد شكل «في مصر، من المتطوعين في معسكرات أسرى الحرب». وقد استطاع ضباط فرنسيون وانكليز ان ينضموا الى جيش الشريف فيصل بعد ان اصبح هذا الجيش خارج حدود

BEIRUT

«الاراضي الاسلامية المقدسة» التي يحظر عليهم دخولها، وهكذا، اصبح لدى فيصل مستشارين وطيارين وقادة وحدات من العربات المصفحة ووحدات من فرق الهجانة، من الضباط والعسكريين الأجانب(٥١)، كما كان لديه ضباط اتصال بينه وبين قيادة الجنرال «أللنبي» وعلى رأسهم لورنس نفسه. ولم يمر نصف عام على احتلال فيصل للعقبة حتى اصبح لديه جيش مؤلف من «لواء من المشاة واورطتين من الركبان (على الجمال والبغال)»، واصبح هدفه القادم: احتلال «معان» حيث تجمعت قوات كبرى للعدو(٥٢).

بعد «العقبة»، تقدم فيصل شمالاً فاحتل «الكويرة» (في ايلول/سبتمبر عام ١٩١٧) بين العقبة ومعان، وكان قد انضم اليه العديد من الضباط والرتباء والجنود العرب الذي كانوا في الجيش العثماني، فأصبح لديه ٤ ألوية: لواءان في العقبة، ولواء في الكويرة، ولواء القيادة (اللواء الهاشمي)، ويتألف اللواء من فوجين، وكل فوج من ٥ سرايا، مع سرية رشاشات، كما كان لديه: لواء مدفعية وفوج نقل (١٥٠٠ جمل) ووحدة هجانة.

وكان مع الشريف فيصل ، في حملته هذه، كل من اخيه الاصغر الشريف زيد (وكان قد التحق به مع فرقته) والشريف ناصر (مع هجانته)(٥٣).

وفي تقرير كتبه القومندان كوس (Cdt Cousse) مبعوث الجيش الفرنسي الى الامير فيصل، حول مهمته لدى الأمير في مناطق «العقبه - معان» عام ١٩١٨، جاء ما يلي: «تبلغ القوات التي لدى الأمير فيصل ٣ آلاف رجل، كحد أقصى، كلهم من قدامى الجنود الاتراك، ويقسمون الى قطعتين تتمركزان في «العبيدة» و «عين الفقي». وكل قطعة تضم فوجين (Régiment) يتكوّن كل منهما من عدد متغيّر من السرايا، كل سرية من ستين رجلاً. ونجد، من جهة اخرى: ١٦ رشاشاً ثقيلاً (Mitrailleuse) وبعض الرشيشات (F.M) ومدفعية من نماذج

تتضمن قطعاً مختلفة. ولهذا الجيش، الذي شكله جعفر باشا (العسكري) ونوري بك (السعيد)، قيمة ما، إلا ان عملياته تكاد تكون مشلولة بسبب النقص في وسائط النقل. كما ان اختلاف اصول الضباط، شريفيين وعراقيين (بلاد ما بين النهرين) أو سوريين، يخلق، كذلك، صعوبات تزيد ايضاً، عوامل الشك حول المستقبل السياسي للمملكة العربية»(٥٤).

بعد «الكوبره»، تقدم الشريف فيصل الى الجفر ، ثم الى منقطة «جروف الدراويش» فاحتلها وأسر حاميتها، وكانت مؤلفة من ١٠٠ رجل، وتابع زحفه الى «الطفيلة» فاحتلها (في شهر شباط/فبراير عام ١٩١٨) بدون مقاومة تذكر. وقد حاول الجيش العثماني، بعد ذلك، استردادها، وجهز، لذلك، حملة تتألف من «فرقة عسكرية كاملة»، وزحفت هذه الفرقة نحو «الطفيلة»، فتصدى لها الشريف زيد بقوة من الجيش تؤازرها «قبائل الكرك العربية»، فهزمت الفرقة، «وقتل قائدها ورئيس أركانه وعدد من ضباطه»، وغنم زيد مدفعين و٢٢ رشاشاً و٢٠٠ دبابة وأسر ٢٠٠ رجل.

بعد الطفيلة، تقرر التقدم نحو معان لاحتلالها، وكلف «مولود مخلص» قيادة الهجوم على معان، فهاجمها في ٢٥ نيسان/أبريل عام ١٩١٨، واستمر القتال مع حاميتها أياماً لم يتمكن «مخلص»، خلالها، من تحقيق نصر حاسم على تلك الحامية، وقد جرح في هذه المعركة ونقل الى القاهرة للعلاج(٥٥).

وقد جرت بعد ذلك معارك عديدة بين جيش فيصل والحاميات العثمانية في كل من سمنة (٢٥ نيسان/ابريل عام ١٩١٨) ومحطة القطرانة (٨ و٩ أيار/مايو) ومحطة وادي الحسا (١٥ منه) ومحطة الغريزة (٣٠ منه) ومحطة الجردية (أوائل شهر يونيو/حزيران) ومحطة تل الأحمر (٢٣ و٢٥ منه). واستمر القتال بين كرّ وفرّ حتى منتصف شهر ايلول/سبتمبر (١٩١٨) دون ان

يتمكن أي من الطرفين تحقيق نصر حاسم. وفي منتصف شهر ايلول/سبتمبر بدأ «أللنبي» هجومه الكبير على سوريا، بمساندة جيش فيصل الذي أسهم، في هذا الهجوم، إسهاماً فعالاً «وأثّر تأثيراً مباشراً ساعد على هزيمة الترك واحتلال مراكزهم وأسر عدد كبير من جنودهم»(٥٦).

بدأ الهجوم البريطاني على سوريا، بقيادة الجنرال «أللنبي»، إنطلاقاً من «العقبة»، وفي أثناء تقدمه، كان الجيش البريطاني المهاجم يلقي، على منطقة العمليات، منشورات، بالعربية، تدعو العسكريين العرب، المقاتلين في الجيش العثماني، للانضمام الى صفوفه وصفوف الثورة (وقد درج على إلقاء هذه المنشورات منذ عبوره سيناء نحو غزة والعقبه)، وفيما يلي واحد من هذه المنشورات التي تذكرنا بأسلوب الخداع والتضليل الذي مارسته بريطانيا بحق العرب:

«الى جميع العرب وغيرهم من الضباط والرجال في الجيش العثماني.

«لقد سمعنا، بكل أسف، بأنكم تحاربوننا، نحن الذين نعمل من أجل صيانة الشريعة الاسلامية المقدسة من ان تبدّل، ومن اجل تحرير جميع العرب من الحكم التركي.

«إننا نعتقد انه لم تصلكم الحقائق الصادقة، ولذلك فإننا نرسل لكم هذا النداء والتصريح لنؤكد لكم بأننا نحارب في سبيل غايتين نبيلتين هما صيانة الدين وحرية العرب عامة.

«لقد كانت المملكة العربية، خلال وقت طويل، مستعبدة من الأتراك الذين قتلوا إخوانكم وشنقوا رجالكم ونفوا نساءكم وعائلاتكم وبدّلوا دينكم، فكيف، إذن، تحتملون ذلك منهم وتتحملون مرارة الاستمرار بالتعاون معهم وتقبلون بأن تساعدوهم؟

«تعالوا، إنضموا الينا، نحن الذين نعمل من أجل دينكم، ومن اجل حرية العرب، حتى تعود المملكة العربية كما كانت ايام آبائكم».

«الجيش البريطاني»[٥٧]

وعند وصوله الى «العقبة» ألحق الجنرال «أللنبي»، بجيشه، جيش فيصل الذي كان، في منطقة «العقبة - معان»، لا يزال يقاتل العثمانيين، وحدد له مهمته كما يلي:

١ - يغطي فيصل، بجيشه، ميسرة الجيش البريطاني المهاجم، ويمنع أي اتصال بين القوات العثمانية المرابطة شرق وادي «الشريعة» بالقوات المرابطة غربها، وبالعكس.

٢ - يحتل «درعا» عاصمة حوران، ويمنع أي اتصال بين القوات العثمانية المرابطة في فلسطين وتلك المرابطة في سوريا، وبالعكس، ويقطع، لهذا الغرض، خط سكة الحديد القائم بين سوريا وفلسطين والحجاز.

٣ - يقوم بعمليات إرباك ومطاردة لفلول الجيش العثماني المتراجعة شمالاً[٥٨].

بدأ فيصل نشاطه، وفقاً للمهمة التي حددت له، بالاتصال بعرب سوريا في حوران وجبل الدروز (جبل العرب) ودمشق، فوزع المنشورات التي تدعو اهالي حوران وجبل الدروز للانضمام الى الثورة ومحاربة فلول العثمانيين، معلناً أنه انتدب، لتمثيله، كلاً من «الشريف ناصر بن علي ونسيب البكري»، ثم أرسل مندوباً من قبله الى دمشق ليتصل بأركان جمعية «العربية الفتاة»، وتم الاتصال بالدكتور «أحمد قدري» أحد مؤسسي الجمعية الذي أوفد، بدوره، مندوباً الى ياسين باشا الهاشمي قائد الفرقة العشرين للجيش العثماني، وكان

بطولكرم، ليعرض عليه الالتحاق، مع أعضاء الجمعية، بالأمير فيصل، فكان جواب الهاشمي: «إن الانكليز غير مخلصين لا لفيصل ولا لوالده، فهم بعد ان عاهدوهما على إنشاء دولة عربية، اتفقوا مع اليهود وأصدروا وعد بلفور، كما اتفقوا مع الإفرنسيين على إعطائهم سوريا، وربطوا العراق بالهند». ويتابع «سليم عبد الرحمن» مندوب «قدري» الى «الهاشمي» قائلاً: «ثم أخرج لي منشوراً ألقته عليهم الطائرات الانكليزية، كما أخرج نسخاً من جريدة المقطم المصرية، كانت الطائرات الانكليزية تلقيها عليهم من وقت الى آخر، مع منشورات انكليزية، وكلها تلقب الحسين بملك الحجاز، مع انه يلقب نفسه بملك العرب. وختم كلامه (أي الهاشمي) معتذراً عن السفر بأنه يتولى عملاً عسكرياً لا يجوز له التخلي عنه وقال: إذهب انت وإخوانك واعملوا مع الأمير لإنقاذ العرب، وسنلتقي في دمشق إن شاء الله قريباً»(٦٠).

كان الحسين يعرف كل ما قاله الهاشمي، وظل، مع ذلك، مصراً على تحالفه مع فرنسا وانكلترا، بل إن عروضاً للصلح قدمها العثمانيون ممثلين «بجمال باشا الصغير» قائد الجيش العثماني الرابع المرابط في سوريا، من خلال فيصل، وبواسطة الأمير سعيد الجزائري، وقد أرسل اليه فيصل ملف المراسلات التي جرت بينه وبين جمال باشا الصغير، فما كان من الحسين إلا أن بعث بتلك المراسلات الى نائب ملك بريطانيا في القاهرة، مع كتاب منه يؤكد لنائب الملك «ان العرب يحافظون على عهودهم، ولا ينفصلون عن حلفائهم». وقد ردّ نائب الملك على شريف مكة برسالة يبدي فيها سروره ببادرة الحسين التي كان لها «أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى» والتي «لم تكن إلا رمزاً يعبر عن تلك الصداقة» القائمة بين الحكومتين الحجازية والبريطانية، ثم لا يتورع عن ان يكيل عليه الوعود التي

ثبت كذبها، بعد برهة وجيزة[٦١]. وقد طُلب من اللواء رضا الركابي (قائد تحصينات دمشق) الانضمام الى فيصل فاعتذر بدوره متذرعاً بأنه لا يجوز له التخلي عن منصبه العسكري.

وأما الذين التحقوا حينذاك (أيار/مايو عام ١٩١٨) بفيصل، من أعضاء «العربية الفتاة» وساروا، متخفين، الى العقبة، فهم: الدكتور احمد قدري (طبيب عسكري) وتحسين قدري (برتبة رئيس أو رائد) وسليم عبد الرحمن (ضابط احتياط) والشيخ سعيد الباقي (من علماء دمشق) ومفتي قطنا، ومحمود حلمي (ملازم اول) وخليل السكاكيني (من القدس) ورستم حيدر (من بعلبك، وعميد الكلية الصلاحية في القدس) ورفيق التميمي (مدّرس من نابلس)، وعبد اللطيف وحكمت ولطفي وفائق العسلي (من دمشق)[٦٢].

بدأ فيصل عملياته العسكرية بأن أعدّ (في أواخر آب/أغسطس عام ١٩١٨)، حملة مؤلفة من: لواء هجانة (مسلح بـ ٤ مدافع صغيرة و٤ رشاشات ثقيلة و٢٠ رشاش خفيف و٤ دبابات)، ومفرزة تخريب وطائرتي استشكاف. وقد قاد هذه الحملة، بنفسه، الى الأزرق، على ان يلحق بها الجيش النظامي فيما بعد. وكان تحركه من «ابي اللسل» في شهر أيلول/سبتمبر عام ١٩١٨، فوصل الى ضواحي درعا في ١٦ منه، ثم هاجم محطة «خربة الغزالة» شمال درعا في ٢١ منه، ثم تقدم الى «المزيريب» ثم الى محطة «نصيب» بين درعا والأزرق، ثم الى قصر الازرق، وفي صباح ٢٦ منه وصل الى قرية الشيخ سعد، واحتل محطة درعا في ٢٨ منه، واتصل، في ٢٩ منه، بميمنة الجيش البريطاني المتقدم، شمالاً، ثم واصل الزحف نحو دمشق، فبلغها في «الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليل ٣٠ منه (أيلول ١٩٠٨)»، وقد دخلتها قواته «بين هتاف الشعب وتهليله»[٦٣].

BEIRUT

ويحدثنا «انطونيوس» عن دخول جيش فيصل الى دمشق فيقول:

«كان اول الواصلين الشريف ناصر ونوري الشعلان على رأس قواتهما» وكانا قد «بلغا ضواحي دمشق مساء الثلاثين من ايلول/سبتمبر، ولكنهما لم يدخلاها تلك الليلة، نزولاً على رغبات أبداها القائد العام، واكتفيا بإرسال مفرزة قوية لتنقل الأخبار الى السكان وتحمل اليهم رسالة تدعوهم فيها لإقامة حكومة عربية، وكان هذا قد تم قبل وصول الرسل الذين بعث بهم ناصر...

«وفي صباح اليوم التالي، أول تشرين الأول/اكتوبر، دخلت المدينة مفرزة من الخيالة البريطانيين، يتبعهم، عن كثب، الشريف ناصر ونوري الشعلان وحاشيتهما.

وبعد يومين، اتى أللنبي من القدس في سيارته، بينما كان فيصل و١٢٠٠ من أتباعه على ظهور خيولهم العادية يدخلون المدينة التي كانت عاصمة الامبراطورية العربية فيما مضى من الأيام ...

«وبلغ هيج السرور ذروته حيث دخل فيصل المدينة ورأى فيه الناس رمزاً متجسداً للحرية، الناس الذين لم تكن الحرية لديهم منجاة من الظلم فحسب، بل كانت، ايضاً، امنية طالما حلموا بها وتمنوا تحقيها»[٦٤].

وكان الجنرال البريطاني «أللنبي» قد دخل مدينة القدس، بجيشه، في ١١ كانون الأول/ديسمبر (ويقول انطونيوس انه دخلها في ٩ منه) عام ١٩١٧ «محرراً الاماكن المقدسة، بعد الصليبيين بتسعة قرون»[٦٥].

أما حامية معان فقد ظلت في مواقعها ولم تستسلم و «لم تمسّ بسوء»، وأما حامية المدينة المنورة فقد استسلمت بعد سقوط سوريا بأيدي الحلفاء وخروج العثمانيين منها، وقد تم استسلام هذه الحامية بطلب من السير

ريجنالدوينجت الى قائدها فخر الدين باشا، إذ كتب اليه قائلاً: «إن الاتراك قد هزموا، وان الشام قد احتلت، وان مسؤولية الدماء بعد الآن ستقع عليك شخصياً إن لم تستسلم»، فأجابه فخر الدين باشا: «أنا عثماني، انا محمدي، انا ابن بالي بك، وانا جندي»، ثم بعث فخر الدين بكتاب الى الامير علي طلب منه بدء مفاوضات لاستسلام حاميته، وقد تم له ذلك ضمن شروط(٦٦).

بعد احتلال دمشق، استأنف جيش أللنبي تقدمه شمالاً، داخل سوريا، باتجاه حمص وحماة وحلب، وكان جيش فيصل يحمي ميمنته، ودخل الجيشان حمص وحماة بلا مقاومة، ولكن مصطفى باشا كمال الذي كان يقود فيلقاً في ضواحي حلب استعد للقتال، كما رسم الحلفاء العرب والبريطانيون خطة للهجوم كذلك، ولكن قوات فيصل استطاعت ان تتغلغل في المدينة خلسةً وتمعن في مهاجمة الحامية التي فوجئت وذعرت، ولم تجد بدأ من الإنكفاء الى خارج المدينة شمالاً، وكان ذلك عصر ٢٥ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨، وما أن اصبح يوم ٢٦ منه حتى كان «الخيالة البريطانية والنظاميون العرب» يدخلون المدينة بلا قتال، إلا انه، في الوقت نفسه، كان «لواء من الخيالة الهنود» يصدّ هجوماً يائساً قام به مصطفى كمال الذي اضطر الى التراجع شمالاً نحو تركيا. وفي ٢٩ منه احتلت مفرزة من جيش فيصل ، بقيادة الشريف ناصر، «محطة المسلمية» التي تشكل ملتقى خطوط السكة الحديدية نحو الآستانة وسوريا والعراق، وكانت تلك آخر نقطة وصل اليها الحلفاء في سوريا قبل توقيع الهدنة مع تركية، في اليوم التالي (٣٠ منه) في «مُدروس» «Moudros».

في الوقت نفسه، كانت فرقة بريطانية تتقدم على طول الساحل الشامي شمالاً، من عكا الى صور فصيدا، ثم تدخل بيروت في ٨ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨، وتدخل طرابلس بعدها بخمسة ايام فقط(٦٧).

BEIRUT

ما الذي قدمته ثورة الشريف حسين لحلفائها من الانكليز والفرنسيين في حربهم ضد السلطنة العثمانية؟

تحدث العديد من معاصري الثورة، أوروبيين وغير أوروبيين، عن الدور المهم الذي لعبته ثورة الشريف حسين في تأمين النصر للحلفاء، ومن هؤلاء، بل أهمهم: الكولونيل لورنس الذي تحدث عن دور الثوار العرب، في هذا النصر، في كل صفحة من صفحات مذكراته عن الثورة، فهو يرى ان الحلفاء مدينون لهم «بالنصر» الذي أحرزوه، وانه معجب «بتضحياتهم وثباتهم وولائهم»، ويلاحظ ان القادة العرب كانوا «ينفذون أوامر أللنبي على وجه السرعة»، وأن سرّ قوة أللنبي كانت تكمن في ثقته بهم، ذلك انه كان «يعتقد اعتقاداً جازماً في مقدرتهم». ويشهد أنه «كان دخول فيصل على رأس الجيش العربي من اكبر العوامل التي دفعت الأهلين لأن يفتحوا الأبواب في وجوهنا ويقابلونا بترحاب عظيم»[٦٨].

وللدلالة على أهمية الدور الذي لعبته ثورة الشريف حسين في انتصار الحلفاء في الحجاز وبلاد الشام ، نستذكر دورها في طرد الحاميات العثمانية من معظم مدن الحجاز، ومحاصرة بعضها في مدن اخرى مثل المدينة المنورة والعلا وتبوك ومعان، كما نستذكر الدور الذي اعدّه لها الجنرال «أللنبي» في خطته الهجومية الرئيسية لاحتلال فلسطين وسوريا، فقد احتفظ العثمانيون، قبالة جيش فيصل، في الضفة الشرقية لنهر الاردن، بنحو ١٤ ألف جندي، هذا بالإضافة الى ١٢ ألف جندي حصرهم العرب في المدينة المنورة وعلى طول سكة الحديد من المدينة الى معان. ثم إن ما كان يواجهه جيش فيصل، غرب الاردن، من عديد ومعدات عثمانية، هو نفسه الذي كانت القوات البريطانية تواجهه في تلك المنطقة، بالإضافة الى ان فيصلاً «حين احتل المنطقة الواقعة

الى الشرق من معان، كان يحمي ميمنة الجيش البريطاني بفلسطين، ويحمي خطاً طويلاً من مواصلات ذلك الجيش ضد هجمات الاتراك في جوار الخليل وبئر السبع»(٦٩). ويستطرد «انطونيوس» قائلاً: «لقد كانت ثمة كتائب تركية تحارب العرب في منطقة عمان والحجاز اكثر من الكتائب التي كانت بفلسطين تقاوم تقدم الانكليز شمالاً، وتلك هي الحال التي كانت، من قبل، في عام ١٩١٧»(٧٠).

وفيما يلي بعض من شهادات القادة العسكريين والمسؤولين الحكوميين الغربيين في الدور المهم الذي لعبته ثورة الشريف حسين في تأمين النصر للحلفاء ، وقد أورد «أمين سعيد» هذه الشهادات في كتابه «أسرار الثورة العربية الكبرى»:

- قال الجنرال «أللنبي» في التقرير الذي رفعه الى وزارة الحربية البريطانية بتاريخ ٢٨ تموز/يوليو عام ١٩١٨: «أشكر لجلالة الحسين بن علي، ملك الحجاز، إخلاصه العظيم لقضية الحلفاء، ولا أملك نفسي من توجيه عاطر الثناء الى سمو الامير فيصل لما أظهره من براعة في القيادة، وعلى إخلاصه القلبي، وعلى ما أبداه من بسالة ومهارة في الأعمال العسكرية التي عملها الجيش العربي، فقد ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج حاسمة في الحرب».

وقال في التقرير النهائي الذي رفعه الى حكومته في شهر تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨: «لقد ساعدنا الجيش العربي مساعدة عظيمة القيمة....» ثم قال في الجلسة السرية التي عقدها قادة الدول المتحالفة في باريس بتاريخ ٢٠ آذار/مارس ١٩١٩: «إن المساعدات التي قدمها لنا العرب لا تثمن».

- واعترف اللورد سسل، وزير الحصار البريطاني، في بيان القاء في مجلس اللوردات، بعد انتهاء الحرب، أن جيش الثورة استطاع أن يحاصر ويأسر ويشغل نحو ٤٠ ألف جندي تركي، وأن الثوار العرب، رغم أنهم لم يكونوا مزودين بالأسلحة الحديثة، استطاعوا الاستيلاء على مكة وجدة والطائف وينبع والوجه والعقبة وتيماء، كما أنهم حاصروا الحامية العثمانية في المدينة المنورة طوال سنة.

- وفي اول شباط/فبراير عام ١٩١٩ قدمت الحكومة الفرنسية للأمير فيصل صليب الحرب مع ثناء جاء فيه تعداد للأعمال الباهرة التي قام بها جيشه في أثناء الحرب، ومنها أنه «اشترك في تمزيق الجيش الرابع والجيش السابع والجيش الثالث والجيش الثامن من العثمانيين».

- وجاء في تقرير وضعه الجنرال ريجنالد وينجت، نائب ملك بريطانيا في مصر، تعدادٌ للأعمال العسكرية التي قام بها جيش الثورة طوال سنوات الحرب.

- وفي مقال نشرته مجلة «سننتشوري» الانكليزية، في شهر حزيران/يونيو عام ١٩٢٠، كتب القومندان «هوغارت» أحد رؤساء المكتب العربي في القاهرة، وهو مستشرق من أساتذة جامعة اكسفورد ببريطانيا، ومن الذين رافقوا ثورة الشريف حسين، «لو لم تقم الثورة بغير إحباط تقدم الترك والألمان المشترك في جنوب الجزيرة سنة ١٩١٦، لوجب علينا مكافأتها بأكثر مما كافأناها حتى الآن».

ومن شهادات الأعداء:

- كتب المارشال الالماني «ليمان فون ساندرس» احد كبار القادة في الحرب، يقول: «لقد أدت الثورة خدمات عظيمة للجيش البريطاني خلال تقدمه

في جزيرة سيناء، فكان الانكليز يتقدمون آمنين مطمئنين، يفعلون ما يشاؤون كأنهم في داخل بلادهم، في حين ان الترك الذين مقتهم أهل البلاد وملّوهم كانوا يسوقون جيوشهم كأنهم في بلاد معادية لهم».

- وجاء في تقرير وضعه مدير المخابرات التركية انه «لولا وجود جيش عربي وقف موقف العداء من الترك في جزيرة العرب، وفي ساحة طولها الف كلم، لما تم للجيش البريطاني إحراز ما أحرزه من نصر بمثل تلك السرعة العظيمة، وبدون عناء كبير. والى الجيش العربي يعود الفضل في وصول الانكليز الى قلب البلاد العربية واستيلائهم على القدس، والمرابطة امام السلط، وجناحهم الأيسر مكشوف. ولولا وجود الجيش العربي لاستطاع الترك القيام بحركة التفاف واسعة النطاق ولأجبروهم على الرجوع. وكذلك فقد عطّل العرب للترك نحو اربعين الف مقاتل بأسلحتهم الكاملة، كان في إمكانهم حشدها امام الانكليز في ساحة فلسطين، ومنعهم من التقدم...... ولو وقفت هذه القوات في وجه الجنرال أللنبي، فهل كان في استطاعته بلوغ نابلس والشريعة ودخول دمشق؟ كلا ثم كلا».

- وقال احمد جمال باشا، قائد الجيش العثماني الرابع في سوريا: «أصبحت يوم ٢ تموز/يوليو سنة ١٩١٦ أمام أمر واقع وهو ثورة الشريف حسين العلنية، وكانت ضربة قاضية على الحملة التي كنا نعدّها لمهاجمة قناة السويس».

وبعد ان يشرح الموقف العسكري الحرج للانكليز قبل قيام الثورة يقول: «ومن هذا يتبين ان الانكليز لم يقرروا العبور الى الشاطئ الشرقي، أو بعبارة اخرى، لم يبدأوا الهجوم في فلسطين، إلا بعد ان وثقوا من تأييد الشريف حسين، وان قواته ستضطرنا الى اتخاذ تدابير معينة للحماية، والى ان نسحب،

من تلك الجهة، بعض القوات التي كانت معدّة لسوريا وفلسطين. كما تأكدوا ان البدو الذين أمدّوهم بالأموال الطائلة المرسلة اليهم، بواسطة الشريف حسين، سيثورون ضدنا، وان ثورتهم ستضعفنا كثيرا»(٧١).

وبعد، فماذا كان رد الانكليز والفرنسيين على هذا الفضل العميم - المعترف به من قبلهم - الذي طوّق به العرب أعناقهم؟

كان الشريف حسين، شريف مكة ومطلق الثورة، قد أعلن نفسه ملكاً، على العرب جميعاً، في ٥ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٦ (٧ ذو الحجة عام ١٣٣٤هـ) وذلك بعد ان استشار علماء مكة واشرافها ورجال الدين فيها(٧٢)، إلا ان ذلك لم يكن يعني ان العرب، جميعاً، أو في غالبيتهم، قد وافقوا على مبايعة الحسين بالملك، وقد رفضت دول التحالف الإعتراف بحسين ملكاً على العرب، بل اعترفت به ملكاً على الحجاز فقط(٧٣).

وما أن دخل الجنرال «أللنبي» دمشق حتى قسّم سوريا الى ٣ مناطق: شرقية (سوريا الداخلية) وغربية (سوريا الساحلية) وجنوبية (فلسطين)، وعين الفريق «رضا باشا الركابي» حاكماً عسكرياً على المنطقة الشرقية من سوريا، فرفع الركابي العلم العربي (المربع الألوان) على سراي دمشق ومراكز الحكومة فيها، ثم اختار «اللواء شكري باشا الأيوبي» مندوباً من قبله في بيروت وجبل لبنان (المنطقة الغربية من سوريا)(٧٤)، فقصد الأيوبي بيروت، وكان «عمر الداعوق» حاكماً عليها، فرفعا العلم العربي على سراي بيروت والمؤسسات الحكومية فيها، ثم قصد بعبدا، مقر حكومة جبل لبنان، وكان عليها «حبيب باشا السعد» فرفعا العلم العربي على سراي الحكومة فيها.

أما الأمير فيصل فقد أعلن، في الخامس من تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨، قيام «حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً مطلقا»، وثبّت الركابي

وأعضاء حكومته في مناصبهم، ودعا الى «المسارعة للبيعة باسم مولانا السلطان امير المؤمنين الشريف حسين نصره الله»[٧٥]. ويحلل «يوسف الحكيم» الالتباس الذي حصل من جرّاء الاختلاف في تصرف كل من الجنرال أللنبي والامير فيصل عند دخولهما دمشق ان إقدام أللنبي على تقسيم سوريا الى مناطق وتعيين الركابي حاكماً عسكرياً هو «من مقتضيات الإحتلال العسكري»، أما ما أقدم عليه فيصل فهو إعلان عن «تحقيق فكرة الحكومة العربية المتفق عليها في المفاوضات» التي سبق أن أجراها الشريف حسين مع السيرمكماهون[٧٦]، وكان الحكيم بعيداً عن الحقيقة والواقع بعداً كبيراً عندما قدّر حسن النية لدى الجنرال البريطاني.

إلا أن غيوماً داكنة ظلت تظلل سماء المنطقة، فالمشاعر العربية السورية لم تستكن لتطمينات الحلفاء، والمسيحيون في بيروت وجبل لبنان، لم يطمئنوا لإلحاق بلادهم بسوريا، و«احتلال القوى العربية لبيروت وبعبدا»، وجاراهم، في ذلك، الفرنسيون[٧٧].

وظل تصرف «أللنبي» يثير الشكوك حول نوايا الحلفاء تجاه حلفائهم العرب، مما دفع بالأمير فيصل الى إثارة هذا الموضوع لدى الجنرال البريطاني الذي سعى الى إصدار بيان بريطاني-فرنسي مشترك (في ٨ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨)، جاء فيه ان فرنسا وانكلترا قد حاربتا لأجل «تحرير الشعوب..... تحريراً تاماً نهائياً، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختياراً حراً. ولقد أجمعت فرنسا وانكلترا على ان تؤيدا ذلك بأن تشجعا وتعينا على إقامة هذه الحكومات والادارات الوطنية في سوريا والعراق»[٧٨]. وكان «أللنبي» من الدهاء والمكر والخداع انه كان قد وافق، قبل صدور هذا البيان، وبتاريخ ٧ تشرين

BEIRUT

الاول/أكتوبر، على ان تحتل بيروت وحدة عسكرية فرنسية . وهكذا دخلت بيروت، في ٨ منه، كتيبة من الجيش الفرنسي (بقيادة الكولونيل دي بيبباب) لاحتلالها، والانتشار في جبل لبنان. وما لبث أللنبي ان اصدر اوامره الى «شكري باشا الايوبي» بمغادرة بيروت ، كما أمر «عمر الداعوق» ان يسلم سلطاته الى «الكولونيل الفرنسي دي بيبباب، الذي اصبح الحاكم العسكري للبلاد»، وأما «المجلس الاداري في بعبدا» فقد ظل بمثابة «هيئة وطنية حاكمة في جبل لبنان»[٧٩].

بعد انتهاء الحرب، في الثلاثين من تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨، بدأ الحلفاء المنتصرون يعدون العدّة لمؤتمر الصلح الذي تقرر ان يعقد في باريس (فرساي) بفرنسا[٨٠]. وبينما كانت فرنسا ترسخ حكمها في «المنطقة الغربية» من سوريا، كان فيصل، بدوره، يرسخ حكمه في «المنطقة الشرقية» منها، غير معترف، في الوقت نفسه، بالتقسيمات التي اعلنها الجنرال «أللنبي». لذا جاءت حكومته ممثلة لكل سوريا، وللعراق ايضاً، على الشكل التالي:

- الأمير عادل الاسلان (جبل لبنان) : معاون الحاكم العسكري
- نوري باشا السعيد (العراق) : المستشار السياسي للأمير فيصل.
- جعفر باشا العسكري (العراق) : المستشار العسكري للأمير فيصل.
- ياسين باشا الهاشمي (العراق) : رئيس ميرة الجيش.
- سعيد باشا شقير (بيروت) : مدير المالية.
- اسكندر بك عمون (جبل لبنان) : مدير العدلية.
- رشيد بك طليع (جبل لبنان) : مدير الداخلية.

- سليم باشا موصلي (دمشق) : مدير الشؤون الصحية.
- ساطع بك الحصري (حلب) : مدير المعارف.

كما عين قياديين بارزين من مختلف أنحاء سوريا (بما فيها فلسطين وجبل لبنان والاردن) والعراق، في مراكز في الأمن العام، وفي عواصم الولايات السورية مثل دمشق وحلب والكرك وحمص وحماة (باستثناء بيروت وجبل لبنان التي كانت خاضعة للحكم الفرنسي)[٨١].

كان قرار الدول المنتصرة في الحرب قد اتخذ بعقد مؤتمر الصلح في فرساي، كما تخذ القرار بأن يشترك العرب فيه بشخص الحسين أو من يمثله، تقديراً لخدماتهم في تلك الحرب، وقد أ ناب الحسين ابنه الامير فيصلاً لتمثيله في ذلك المؤتمر والدفاع، من خلاله، «عن حقوق العرب عامة والسوريين منهم خاصة، والسعي لوحدة البلاد العربية المنفصلة عن تركيا، وحدة سياسية بإدارة محلية، حسب حاجة كل بلد، تشبهاً بالولايات المتحدة الاميركية»[٨٢]. وقد جاء في برقية الحسين لأبنه الامير فيصل، بهذا الصدد، ما ينم عن ثقته الكاملة بحليفته بريطانيا، إذ قال فيها: «حليفتنا الوفية بريطانيا ترغب حضورك نائبا عن مصالح العرب، وكل ما يكون أساساً لحياتهم، سواء ما يتعلق بالحدود والإدراة مما هو معلوم لديك، في مجتمع سيعقد في باريس في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر سنة ١٩١٨»، ويستطرد الحسين، في برقيته لفيصل، معبراً عن مدى ثقته بحليفته بريطانيا، وموصياً ابنه بأن يثق بموفديها ويطلعهم على كل نواياه ومقاصده، ويستشيرهم في كل ما يرغب بإبدائه في المؤتمر، فيقول: «وحيث ان رابطتنا الوحيدة هي العظمة البريطانية، ولا علاقة لنا ولا مناسبة مع سواها في أساساتنا السياسية ، فكل ملاحظاتك وما تراه في الموضوع تبديه لنوابها وعظمائها الأماجد إن كانوا

BEIRUT

زملاءك في المجتمع (أي المؤتمر) أو معتمديها السياسيين، وما يكلفونك به من قول أو عمل إن كان في المجتمع أو سواه تعمل به وتجتنب كل ما سوى ذلك»(٨٣).

ويبدو ان «لورنس» كان أكثر وعياً وفهماً لما خفي من نوايا بلاده من الحسين نفسه، إذ إنه أدرك ما تخفيه بريطانيا من غدر بالعرب وخيانة لهم، «فحمل اوسمته ورتبته العسكرية وسلمها الى كبير أمناء الملك جورج الخامس وقال له: أرجوك ان تبلّغ جلالة الملك انني اعيد هذه الأوسمة ، مع الرتبة العسكرية، اليه، لأنني لم أنلها بحق، بل نلتها بسبب تضليلي للعرب وخداعي إياهم»، وكان «لورنس» قد غادر دمشق فور دخول فيصل اليها ، بعد ان كان قد دخلها معه(٨٤). ويذكر «ونستون تشرشل» في كتابه «عظماء معاصرون» أنه «حينما مثل لورنس بين يدي الملك جورج الخامس، في شهر اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩١٨، عند عودته من ميدان القتال الى انكلترا، أراد الملك ان يقلّده، بيده، شارة وسام الحمام وشارة وسام الخدمة الممتازة، اللذين سبق نشر خبر الإنعام عليه بهما في الجريدة الرسمية، فالتمس من الملك إعفاءه عن قبولهما، ولم يكن هنالك ثالث بينهما، فأعفاه». ويضيف «تشرشل» أنه، حينما سأل «لورنس» عن سبب فعلته تلك أجابه أنه فعل ذلك «ليلفت أنظار المقامات العليا في الدولة الى أن شرف بريطانيا رهن إخلاصها في معاملة العرب، وأن الغدر والتسليم بمطالب فرنسا في سورية هما وصمة عارٍ في تاريخنا»(٨٥).

وكان «لورنس» يعرف، وكذلك الحسين، أنه، بينما كان شريف مكة يستعد لإطلاق الثورة في وجه الدولة العثمانية، في مكة، بتاريخ ١٠ حزيران/يونيو عام ١٩١٦، بل قبل إطلاقه لها بأقل من شهر (في ١٦ أيار/مايو عام ١٩١٦) كانت

الحليفتان المنتظرتان للشريف حسين توقعان، معاً، معاهدة «سايكس - بيكو» التي يتقاسمان، بموجبها، البلاد العربية الواقعة تحت الحكم العثماني، والتي كان ينتظر ان تشكل الدولة العربية المتفق على إنشائها وفقاً لمراسلات الحسين/ مكماهون، كما كان «بلفور» وزير خارجية الدولة البريطانية «الحليفة الوفية والعظيمة» وفقاً لتعابير الشريف حسين، يصدر، بتاريخ ٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧، وعداً بمنح اليهود «وطناً قومياً» في فلسطين، ضارباً، عرض الحائط، بكل الوعود التي قدّمتها دولته، بسخاء، للشريف العربي.

ونحن لا نبرئ الأمير فيصلاً من علمه باتفاقية سايكس - بيكو، أو بوعد بلفور، طالما انه اجرى مباحثات مهمة مع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن انتهت باتفاقية وقعها الطرفان بتاريخ ٣ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩ وجاء فيها ما يشير الى ان فيصلاً وافق على وعد بلفور (المادة ٣ من الاتفاقية) كما وافق على تشجيع هجرة اليهود الى فلسطين (المادة ٤ منها) وعلى رسم حدود بين فلسطين والدولة العربية المزمع إنشاؤها (المادة ٢ منها)، مما يؤكد موافقته على إخراج فلسطين من هذه الدولة، ثم وافق على ان يحال أي نزاع يمكن ان يقع بين طرفي الاتفاق الى الحكومة البريطانية لتحكيمها فيه (المادة ٩ منه) مع ما هو معروف عن ميل الحكومة البريطانية الى المنظمة الصهيونية العالمية ووعدها بإقامة كيان يهودي في فلسطين. ولا يغيّر من جوهر هذه الاتفاقية ما رافقها من تحفظات عليها من قبل الأمير نفسه، ولا البيان الذي أصدره الأمير ونشرته جريدة «الجويش كرونيكل» اليهودية التي تصدر في لندن، بتاريخ ١٤ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٩، وجاء فيه ان فلسطين يجب ان تبقى «جزءاً من سوريا»، خصوصاً وان هذا البيان يناشد اليهود «وهم

ساميون قبل العرب» بأن يقدموا المعونة «في إنشاء المملكة العربية، حتى إذا كثر عدد اليهود في فلسطين، تيسر ان تجعل ولاية يهودية من ولايات هذه المملكة العربية». والأهم من ذلك ان المباحثات التي جرت بين فيصل ووايزمن قد تمت بموافقة من الشريف حسين الذي «وافق ان يوقّع (فيصل) الاتفاقية كما جاءت وأرادها الانكليز»[٨٦].

إلا ان ذلك كله لا يصلح لاتهام فيصل، أو والده الشريف حسين، بنقص في الولاء القومي أو في السعي الصادق لتحرر العرب واستقلالهم وسيادتهم ضمن دولة عربية واحدة، بقدر ما يصلح لنعتهما بما يكاد ان يبلغ حدّ «السذاجة» في ممارسة اللعبة السياسية إزاء جهابذتها المراوغين والمحنكين من رجالات انكلترا وفرنسا، وتكاد «السذاجة» في السياسة ان ترقي الى مرتبة الخيانة، إن تكن تؤدي الى النتائج نفسها.

ورغم كل ذلك، لم يألُ الأمير فيصل جهداً في سعيه لاستخلاص حق العرب من براثن الغول الاستعماري الجشع المتجسد في كل من فرنسا وانكلترا، في مؤتمر فرساي نفسه، إلا ان قرار هاتين الدولتين المنتصرتين في الحرب كان حاسماً منذ عام ١٩١٦ (اتفاقية سايكس - بيكو) وعام ١٩١٧ (وعد بلفور).

III – المملكة العربية السورية (٨ آذار/ مارس ١٩٢٠):

وفي الوقت الذي كان مصير سوريا والعراق قد تقرر في مؤتمر الصلح بباريس (مؤتمر فرساي)، عقد المؤتمر السوري، في دمشق، جلسة، بعد ظهر السبت بتاريخ ٦ آذار/مارس عام ١٩٢٠، استمع، خلالها، الى كلمة من الأمير فيصل جاء فيها: «لقد استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفضل الدم الطاهر

الذي سفكوه، وبفضل ما قاسوه من أنواع العذاب والقهر. فالأمة العربية لا تقبل، بعد اليوم، ان تستعبد، كما إني اعتقد أنه ليس هنالك أمة تريد استعبادنا. فرحلاتي الرسمية العديدة الى اوروبا، والاحاديث والكتابات التي جرت بيني وبين ساستها، لم تبق في نفسي مجالاً للشبهة والتردد في نيات حكوماتها الحرة»[٨٧]. وكم كان الأمير مخطئاً في تقديره هذا، وفي حسن ظنه بنوايا تلك الحكومات.

وبعد هذه الجلسة التي استمع المؤتمر، خلالها، الى خطبة الامير فيصل، قرر متابعة مداولاته التي استمرت طوال يوم الأحد في ٧ آذار/مارس عام ١٩٢٠، وانتهى، بعدها، الى قرار إعلان «استقلال سوريا بحدودها الطبيعية، والمناداة بسمو الأمير فيصل ملكاً عليها»، وقد تمت بيعة فيصل بالملك، في دار البلدية بدمشق، في اليوم التالي مباشرة، أي يوم الاثنين بتاريخ ٨ منه، وشارك في المؤتمر السوري، وفي إصدار القرار ومبايعة فيصل، ممثلون عن سوريا (الداخلية) وبيروت وجبل لبنان وفلسطين والاردن[٨٨]. كما بايع فيصلاً رؤساء الطوائف المسيحية واليهودية في سوريا وهم: إقليمس مخايل الخماش (مطران دمشق على السريان)، وديمتريوس (بطريرك الروم الكاثوليك)، وغريغوريوس (بطريرك الروم الارثوذكس)، وانيس سلوم (وكيل جماعة البروتستانت في سوريا)، وجرجس (رئيس الأرمن الكاثوليك)، والخوري بشارة الشمالي (وكيل بطريرك الموارنة)، ويعقوب دانون (حاخام الاسرائيليين)، واستورسركيسيان (رئيس دير الأرمن بالشام)، والراهب مخايل انطون (الرئيس الروحي للسريان)[٨٩].

كان اول عمل قام به فيصل، بعد تنصيبه ملكاً على سوريا، هو تشكيل حكومة من: الفريق رضا الركابي (رئيساً للحكومة)، وعلاء الدين الدردبي

BEIRUT

(رئيساً لمجلس الشورى) ورضا الصلح (وزيرا للداخلية)، والفريق عبد الحميد قلطقجي (وزيراً للحربية) وجلال زهدى (وزيراً للعدل)، وسعيد الحسيني (وزيراً للخارجية) وفارس الخوري (وزيراً للمالية)، وساطع الحصري (وزيراً للمعارف) ويوسف الحكيم (وزيراً للنافعة، أي للتجارة والزراعة والاشغال العامة)[٩٠]. وكان على هذه الحكومة ان تجابه تحديات قاسية تتعلق بمصير «المملكة العربية السورية» المعلنة حديثاً، وخصوصاً قرار الدول الحليفة الذي اتخذته في مؤتمر سان ريمو بعد شهر ونصف الشهر من تاريخ إعلانها، أي بتاريخ ٢٤ نيسان/ابريل عام ١٩٢٠ والقاضي بتقسيم البلاد العربية وفقاً لاتفاقية «سايكس-بيكو» ووضع كل من العراق وفلسطين وشرق الاردن تحت الانتداب البريطاني وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، فاستقالت الحكومة وشكلت، بدلاً منها، حكومة جديدة من: هاشم الاتاسي (رئيساً للحكومة)، ورضا الصلح (رئيساً لمجلس الشورى)، وعلاء الدين الدروبي (وزيراً للداخلية)، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر (وزيراً للخارجية)، والزعيم الركن يوسف العظمه (وزيراً للحربية)، وفارس الخوري (وزيراً للمالية) وجلال زهدي (وزيراً للعدل)، وساطع الحصري (وزيراً للمعارف)، ويوسف الحكيم (وزيراً للزراعة والتجارة والاشغال العامة)[٩١].

وبعد ذلك بفترة وجيزة، وبتاريخ ١٠ تموز/يوليو عام ١٩٢٠، أعلن مجلس ادارة جبل لبنان، بإيعاز من سلطة الانتداب الفرنسي، استقلال الجبل عن سوريا، وقد وقّع على هذا القرار كل من: فؤاد عبد الملك ومحمود جنبلاط وسليمان كنعان وخليل عقل وسعدالله الحويك ومحمد الحاج حسن والياس شويري[٩٢].

وبتاريخ ١٤ تموز/يوليو (١٩٢٠) أرسل الجنرال غورو، من بيروت، إنذاراً الى حكومة الملك فيصل يتضمن عدة مطالب اهمها القبول بالانتداب الفرنسي على سوريا[٩٣]. وقد قرر المؤتمر السوري، إثر ذلك، وبتاريخ ١٥ تموز/يوليو، رفض ذلك الإنذار والتمسك باستقلال سوريا ووحدتها، وبالملك فيصل ملكاً عليها «على الأساس النيابي الدستوري»[٩٤]، ثم أتبعه بقرار آخر، بتاريخ ١٩ منه يرفض، رفضاً باتاً، المطالب المجحفة والظالمة التي بعث بها غورو الى الحكومة السورية[٩٥]، ثم بدأ، بالتاريخ نفسه (١٩ تموز) مناقشة القانون الاساسي (الدستور) الذي كان قد أعدّه للمملكة العربية السورية خلال جلساته التي امتدت من ٣ حزيران/يونيو عام ١٩١٩ حتى ١٩ تموز/يوليو عام ١٩٢٠، وقد تضمن هذا القانون ٤٨ مادة اهمها: المادة الاولى (شكل الحكومة ملكية مدنية نيابية عاصمتها دمشق ودين ملكها الاسلام)، والمادة الثانية (تتألف المملكة من مقاطعات ذات وحدة سياسية لا تقبل التجزئة)، والمادة ١٢٢ (تدار المقاطعات على طريقة اللامركزية في ادارتها الداخلية)، والمادة ١٣٤ (يدير المقاطعة حاكم عام يعينه الملك)[٩٦]. إلا ان المؤتمر لم يتمكن من مناقشة اكثر من ٧ مواد من هذا القانون، إذ عمد الجنرال غورو الى مهاجمة سوريا بجيشه (في ٢٤ تموز) وقد تصدى له الشهيد يوسف العظمه، وزير الحربية، بما كان قد استطاع جمعه من عناصر الجيش السوري (بعد ان كان الملك فيصل وحكومته قد سرّحوه بناء لطلب من الجنرال غورو) فاستشهد الوزير ودخل غورو دمشق، فأسقط المملكة العربية السورية وطرد مليكها الى خارج سوريا، ووقف على قبر صلاح الدين ليقول كلمته الشهيرة «ها قد عدنا يا صلاح الدين»[٩٧].

BEIRUT

وكان الجنرال البريطاني «أللنبي» قد سبق الجنرال الفرنسي «غورو» بإطلاق عبارته الشهيرة «الآن، انتهت الحروب الصليبية» يوم دخوله مدينة القدس بتاريخ ١١ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩١٧، فأكد الإثنان، معاً، مدى الحقد، البريطاني والفرنسي، على العرب.

وبعد ذلك بأربع سنوات، وبعد ضغوط صارمة من قبل السلطان عبد العزيز آل سعود، سلطان نجد، وفي ٢ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٢٤، اضطر الشريف (الملك) حسين للتنازل عن عرش الحجاز لابنه الأمير علي، وذلك بناءً لإلحاح أعيان جدة ووجهائها، ثم ما لبثت قوات ابن سعود ان دخلت مكة المكرمة في ١٦ من الشهر نفسه، ثم دخلت جدة بعد ان حاصرتها «نحو عام تقريباً»، ثم دخلت المدينة المنورة، بعد استسلامها، بتاريخ ٥ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٢٥. وفي ٨ كانون الثاني/يناير عام ١٩٢٦ وقع الشريف (الملك) علي بن الحسين وثيقة استسلامه للسلطان عبد العزيز بن سعود، وتسليمه إمارة الحجاز، حيث نودي بابن سعود ملكاً على الحجاز، منهياً، بذلك حكم الهاشميين لهذه البلاد(٩٨).

ما الذي جرى للحسين وأولاده، بعدذ لك؟

تطبيقاً لاتفاقية سايكس-بيكو ووعد بلفور وقرارات مؤتمري فرساي وسان ريمو، تم ما يلي:

- نفى الانكليز الملك المعزول «الحسين» الى قبرص، بتاريخ ٢٧ حزيران/يونيو عام ١٩٢٥.

- شكلت إمارة في شرق الاردن وسلمت للأمير عبد الله بن الحسين.

- شكلت مملكة في العراق وسلمت للأمير فيصل بن الحسين.

وقد ظل الحسين في قبرص زهاء ستة اعوام، يعاني من قسوة الإبعاد والنفي، حتى سمح له الانكليز بالعودة الى عمّان، حيث ابنه الامير عبدالله، وكان على آخر رمق من الحياة، «فنقل الى عمّان فاقد الوعي والشعور» حيث «لقى وجه ربه يوم ٤ حزيران/يونيو سنة ١٩٣١»[٩٩].

الشريف المخدوع؟ رغم كل ما جرى للشريف حسين ولأمته، على يد الانكليز وحلفائهم الفرنسيين، نسمعه يقول، وهو على فراش الموت (عام ١٩٣١)، للمؤرخ «جورج انطونيوس»: «الانجليز، يا ولدي، قوم شرفاء، في أقوالهم وافعالهم، في السّراء والضرّاء»، ثم يؤكد: «أقول: شرفاء، ما عدا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج، فهو أشبه بالبهلوان والثعلب. أقول: الثعلب، حاشا مقامك (يقول هذا للمؤرخ)، رحم الله صاحب السعادة كتشنر»[١٠٠].

BEIRUT

حواشي الفصل الرابع

(١) الأيوبي، الهيثم، الموسوعة العسكرية، ج ١: ٦١٨ - ٦١٩، و:

Encyclopédie Quillet, T. E-H, P. 3006 (Guerre 14- 18).

(٢) صايغ، أنيس، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، ص ١١٠.

(٣) سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، ج ١: ٥٨ - ٦٠، وانطونيوس، جورج، يقظة العرب، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٤) أعدم، في بيروت، وفي ٢١ آب/أغسطس عام ١٩١٥، كل من: عبد الكريم الخليل وصالح حيدر ومسلم عابدين ونايف تللو ومحمد المحمصاني ومحمود المحمصاني وعبد القادر الخرسا ومحمود العجم وسليم عبد الهادي ونورالدين القاضي وعلي الارمنازي، وحكم، في الوقت نفسه، على عدد آخر بالإعدام غيابياً، وبالسجن المؤبد (سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، ج ١: ٦٠ - ٦٣)، كما أعدم، في بيروت ودمشق، في ٦ أيار/مايو عام ١٩١٦، كل من :سعيد عقل وباترو باولي وجرجي حداد وعمر حمد وعبد الغني العريسي والأمير عارف الشهابي والشيخ احمد طباره ومحمد الشنطي وتوفيق البساط وسليم الجزائري وامين لطفي وعبد الوهاب الانكليزي وعبد الحميد الزهراوي وشفيق المؤيد وشكري العسلي والأمير عمر الجزائري ورفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب وجلال البخاري (م. ن. ص. ٨٦ - ٩٢)، كما أعدم الخوري يوسف الحايك في دمشق بتاريخ ٢٢ آذار/مارس عام ١٩١٥ واغتيل الشاعر نخله المطران على يد حراسه من الجنود الاتراك أثناء نقله الى منفاه في تركيا، وذلك في شهر نيسان/أبريل عام ١٩١٥ (آل جندي، أدهم، شهداء الحرب العالمية الكبرى، ص ٥٩ - ٦١).

(٥) راجع : سويد، ياسين، البناء السياسي للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز، محاضرة ألقيت في المؤتمر العالمي الذي عقد في الرياض من ٢٤ الى ٢٨ كانون الثاني/يناير عام ١٩٩٩، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

(٦) حمزه، فؤاد ، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨.

(٧) حمزه، م. ن. ص ٣٢ - ٣٣. وسويد، المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢.

(٨) سويد، م. ن. ص. ٥٢.

(٩) أنطونيوس، المصدر السابق، ص ٢٠٤ - ٢١٠.

(١٠) م. ن. ص ٢١٠.

(١١) م. ن. ص ٢١١ - ٢١٢. ويذكر «انطونيوس» ان فيصلاً صرح له، شخصياً، انه لم يعتنق فكرة القيام بثورة عربية إلا حينما أرسله والده الى دمشق، عام ١٩١٥، ليستشير قادتها بشأن إعلان الثورة على السلطنه (م.ن. ص ٢١١ حاشية ١).

(١٢) إرسلان، شكيب، سيرة ذاتية، ص ٦٩ - ٧٠.

(١٣) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٢١٢ - ٢١٣.

(١٣ مكرر) الحكيم، حسن، الوثائق التاريخية المتعلّقة بالقضية السورية، ص ٩.

(١٤) شكلت الثورة المهدية في السودان ومقاومة الشعوب الاسلامية في تونس ومراكش وطرابلس الغرب للتغلغل الاوروبي، وكذلك ملايين المسلمين في الهند وفرنسا وافريقيا وروسيا (م. ن. ص ٢١٥ - ٢١٦)، مصدر طاقة متفجرة في وجه دول التحالف التي تحارب دولة الخلافة الاسلامية.

(١٥) سعيد، أمين، اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، ص ٥١ - ٥٢.

(١٦) م. ن. ص ٥٣.

(١٧) م. ن. ص ٥٥ - ٥٦.

(١٨) نقل جمال باشا الفرق ٢٣ و٢٥ و٢٧ التي تؤلف الفيلق التركي السادس وقاعدته دمشق، كما نقل الفرق ٣٣ و٣٥ و٣٧ التي تؤلف الفيلق التركي الثالث عشر، وقاعدته الموصل، الى الاناضول. وكانت غالبية هذه الفرق من العسكريين العرب، بينما نقل الى سوريا فرقاً عسكرية غالبيتها من العسكريين الاتراك. (م. ن. ص ٥٨ - ٥٩).

(١٩) استطاع فيصل ان يقنع جمال باشا بضرورة التحاقه بأبيه في مكة لكي يقود المجاهدين من الجزيرة الى ساحة القتال في سيناء، وما أن وصل الى بلاده حتى أعلن والده الثورة على الأتراك (إقرأ تفاصيل هذه العملية في : م. ن. ص ٥٩ - ٦٢).

(٢٠) انظر مراسلات الحسين - مكماهون في : انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٥٤٣ - ٥٧٧، وسعيد، امين، أسرار الثورة العربية الكبرى، ص ٦٤ - ٨٦.

(٢١) يذكر المعرّبانّ لكتاب انطونيوس (د. ناصر الدين الاسد، ود. إحسان عباس) في حاشية وردت في الصفحتين (٥٥٢ و٥٥٣) من الكتاب المعرّب نفسه، أن الفقرة الاخيرة المتعلقة بأطماع فرنسا ببيروت وسواحلها لم ترد في مذكرة الحسين هذه الى مكماهون (الكتاب نفسه ص ٥٥٠ - ٥٥٤)، وانما ورد فيها نص آخر أورداه في الحاشية نفسها، ولم يذكر المعربان من أين أتيا بالنص الذي أورداه في متن المذكرة والمتعلق بأطماع فرنسا هذه. وجدير بالذكر ان امين سعيد لم يأت على ذكر تلك الفقرة في نص المذكرة التي أوردها في كتابه (أسرار الثورة العربية، ص ٧١ - ٧٢).

BEIRUT

(٢٢) يلاحظ اختلاف في تعريب هذه الوثائق بين انطونيوس وامين سعيد، فقد وردت هذه الفقرة، مثلاً، عند امين سعيد على الشكل التالي: «أما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد، فإن العرب يعرفون ان مركز انكلترا أو مصالحها فيها تتطلب شكلاً إدارياً خاصاً، ومراقبة خاصة للمحافظة على تلك الانحاء من الاعتداءات الخارجية، وتأمين راحة واطمئنان السكان، وتوحيد مصالحنا المشتركة فيها». (سعيد، أسرار، ص ٧٣).

(٢٣) وردت هذه الفقرة عند امين سعيد كما يلي: «حفظاً لمصالحنا المشتركة في هذا القطر (العراقي)، قد نوافق ان نترك، لمدة قصيرة، الاراضي التي تحتلها الجيوش البريطانية، تحت إدارة انكلترا، لقاء مبلغ من المال يدفع كتعويض عن مدة احتلال تلك المنطقة» (م.ن. ص ٧٥).

(٢٤) ورد في النص، عند انطونيوس «مع احترامنا لوفاقاتكم المشار اليها مع مشايخ تلك الجهات، وبالأخص ما كان منها جوهريا» (انطونيوس، المرجع السابق، ص ٥٦١)، كما ورد النص عند امين سعيد كما يلي: «واحترام اتفاقكم مع شيوخها» (أي شيوخ تلك الارض)، (سعيد، م.ن. ص ٧٥).

(٢٥) انظر نص هذه المذكرة عند انطونيوس (م. ن. ص ٥٦٣ - ٥٦٥) وعند امين سعيد (م.ن. ص ٧٦ - ٧٧).

(٢٦) انظر نص المذكرتين عند انطونيوس (م.ن. ص ٥٦٦ - ٥٧٠) وعند امين سعيد (م.ن. ص ٧٧ - ٨١).

(٢٧) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤.

(٢٨) انظر مذكرة الحسين هذه عند انطونيوس (م.ن. ص ٥٧١ - ٥٧٤) وعند امين سعيد (م.ن. ص ٨١ - ٨٤).

(٢٩) انظر مذكرة مكماهون هذه عند انطونيوس (م.ن. ص ٥٧٥ - ٥٧٧) وعند امين سعيد (م. ن. ص ٨٥ - ٨٦).

(٣٠) عبدالله، الملك، مذكرات، ص ٣٥.

(٣١) سعيد، أمين، أسرار الثورة العربية الكبرى، ص ٢٤٠ - ٢٤١ وعبدالله، الملك، مذكرات، ص ١٨٥، ولورنس، الكولونيل، الثورة العربية، ص ٢١ و٦٧ و٢٣٢ وقلعجي، قدري، الثورة العربية الكبرى، ص ٢٤٢، والعمري، صبحي، لورنس كما عرفته، ص ٩. وداغر، أسعد، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص ٨٢ - ٨٣.

(٣٢) العمري، صبحي، المصدر السابق، ص ٥٩ - ٦٠.

(٣٣) داغر، أسعد، المصدر السابق، ص ٧٦ - ٧٧.

(٣٤) يذكر امين سعيد (الثورة العربية الكبرى، ج ١: ١٤٥- ١٤٧) ان إمارات الثورة قد بدأت تظهر منذ اول حزيران/يونيو عام ١٩١٦، عندما انسحب الاميران علي وفيصل من معسكر «سيدنا حمزه»، وبدأت المناوشات، بعدها، بين جيش الثورة والحاميات العثمانية في المدينة في ٨ منه، ثم أعلن الشريف حسين الثورة، في مكة، يوم ١٠ منه، كما يقول ذلك العديد من المؤرخين،(ومنهم: داغر، أسعد، المصدر السابق، ص ٨٨). أما «انطونيوس» (المصدر السابق، ص ٢٧٦) فيذكر ان الثورة أعلنت «يوم الاثنين الخامس من شهر حزيران/يونيو ١٩١٦» معتمداً في ذلك، على تاريخ إعلانها في المدينة المنورة، وقد أعلنها فيصل وعلي مع ١٥٠٠ رجل (م. ن. ص ٢٨٩). وكان الشريف حسين قد ارفق إعلان الثورة «بمنشور عام من شريف مكة واميرها الى جميع إخوانه المسلمين» أصدره صباح يوم البدء بالثورة (أنظر نصاً كاملاً للمنشور في: امين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج ١: ١٤٩ - ١٥٧). إلا أن القول الفصل، في هذا الأمر، جاء على لسان الملك عبدالله بن الحسين، ملك الأردن، إذ قال، في مذكراته، إنه «في اليوم التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ، الموافق ١٠ حزيران ١٩١٦، أعلنت الثورة العربية في مكة والطائف وجدة وينبع والوجه وسائر مدن الحجاز، وصدر البيان بذلك من لون صاحب السيادة العظمى، الشريف حسين بن علي».

(مذكرات الملك عبدالله، ص ١٤٧).

وكانت الحامية العثمانية في مكة مؤلفة من ١٤٠٠ عسكري، وحامية جدة من ١٥٠٠ عسكري (أنظر تفصيلاً لهذه المرحلة من الثورة في: انطونيوس، المصدر السابق، ص ٢٩٠ - ٢٩٦).

(٣٥) ولد عزيز علي المصري عام ١٨٧٩م وأصله من البصرة حيث نزحت أسرته منها الى القفقاس ومنها الى الأستانة ثم الى مصر حيث استقرت. تلقى دروسه في القاهرة، ثم دخل المدرسة الحربية في الآستانة حيث تخرج منها ضابطاً، وتابع، بعدها، دراساته العسكرية العليا في كلية الاركان بالآستانة كذلك. وقد قاتل العصابات البلغارية واليونانية والألبانية، وانتسب الى جمعية «تركيا الفتاة»، وأُرسل الى اليمن مبعوثاً من قبل السلطنة لإجراء مفاوضات مع الإمام يحيى حميد الدين، وتطوع للجهاد في طرابلس الغرب ضد المحتلين الطليان عام (١٩١١ - ١٩١٣)، ولما تكشفت له نوايا «تركيا الفتاة» وتوجهاتها العنصرية الطورانية، أسهم في تأسيس جمعية «العهد» الثورية، ثم استقال من الجيش العثماني، إلا انه قبض عليه وحوكم وحكم بالإعدام، ولكن هذا الحكم لقي استياءً عارماً في العالم العربي، وتدخلت بريطانيا للإفراج عن عزيز علي

BEIRUT

باعتباره مصرياً (وكانت مصر تحت الحماية البريطانية)، فأطلق سراحه وانتقل الى القاهرة. وعندما أعلن الشريف حسين الثورة استدعاه لتسلم رئاسة الاركان في جيشه فلبى الدعوة، إلا انه لم يمكث طويلاً، حيث تركه وعاد الى مصر. وقد نفاه الانكليز، بعد ذلك، الى اسبانيا، ففر الى المانيا، ثم عاد الى مصر حيث تسلم قيادة مدرسة الشرطة (عام ١٩٢٨ - ١٩٣٦)، ثم مفتشاً للجيش المصري (عام ١٩٣٧)، ولكن الانكليز لم يكونوا راضين عن سلوكه فاعتزل العمل، وما أن قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق (عام ١٩٤١) حتى قرر عزيزٌ لالتحاق بها، فحاول الخروج من مصر على متن طائرة حربية، إلا ان الطائرة ما لبثت ان سقطت قرب القاهرة، فألقي القبض عليه وسجن حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٤٥). ولما قامت ثورة ٢٢ يوليو عام ١٩٥٢ عين عزيز علي سفيراً لمصر في موسكو (عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤) ولم يلبث ان عاد الى القاهرة حيث توفي عام ١٩٦٥ (الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٤: ٢٣١). لقد شبّ عزيز علي ثائراً وقضى حياته مناضلاً، وقدرته ثورة ٢٢ يوليو، كما قدّره كل أحرار العرب ومناضليهم.

أما جعفر العسكري، فقد ولد ببغداد عام ١٨٨٥، ودخل المدرسة الحربية في الآستانة ثم برلين، وشهد حرب البلقان. وفي عام ١٩١٥ أرسل الى بنغازي ليسهم مع القائد العثماني «نوري باشا» (شقيق انور باشا) في حرب عصابات ضد الانكليز الذين كانوا قد احتلوا مصر، فأسر، وهو جريح، في «مرسى مطروح» عام ١٩١٦، وظل في الأسر حتى قام الشريف حسين بثورته فالتحق بها، وانضم الى جيش الشريف فيصل في العقبة، وقد عينه فيصل حاكما على عمّان بعد ان احتلها، ثم على حلب، ثم مرافقاً له عندما نودي به ملكاً، ثم خرج معه من دمشق بعد ان احلتها الفرنسيون عام ١٩٢٠، وعاد الى بغداد. وفي بغداد، عين وزيراً للدفاع في اول حكومة وطنية، ثم تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٢٤ حيث تم، في عهده، وضع الدستور العراقي، وعقدت اول معاهدة بين العراق وبريطانيا، ثم عين، بعد ذلك، وزيراً مفوضاً في لندن حيث أقام أعواماً درس، خلالها، الحقوق، ولما عاد الى العراق عين وزيراً للخارجية والدفاع (عام ١٩٣٠)، واشترك في وضع معاهدة جديدة بين العراق وانكلترا، كما سمي عضواً في مجلس الأعيان.

وفي عام ١٩٣٦، وفي أثناء ثورة بكر صدقي، سعى جعفر العسكري لإطفاء نار هذه الثورة وقصد مقر بكر إلا ان الضباط الثائرين قتلوه رمياً بالرصاص وهو في طريقه الى المقر، في مكان يعرف بالتلول (الزركلي، المرجع السابق، ج ٢: ١٢٩ - ١٣٠).

(٣٦) داغر، المصدر السابق، ص ٨٩ - ٩١.

(٣٧) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٣٨) يذكر «امين سعيد» انه، بتاريخ ٢٧ حزيران/يونيو عام ١٩١٦، أي بعد ١٦ يوماً فقط من إعلان الثورة، وصل الى جدة «الكولونيل ولسن باشا» حاكم مدينة بور سودان وهو «يحمل كتاب تهنئة للشريف من السير ريجنالد ونجت، حاكم السودان والقائد العام للجيش المصري» ومعه «قوة مدفعية مصرية، هدية من القائد الاعلى، تتألف من ٣٢ جنديا وضابطاً مصرياً، بقيادة القائمقام السيد بك علي» وكانت هذه القوة مؤلفة من «بطارية ميدان وبطارية مكسيم و٣ آلاف بندقية» (سعيد، اسرار الثورة العربية الكبرى، ص ٩٧-٩٨).

(٣٩) داغر، المصدر السابق، ص ٨٨ - ٨٩.

(٤٠) سعيد، أمين، أسرار الثورة العربية الكبرى، ص ١٦٣ - ١٧٣. الا ان انطونيوس يقول ان الحلفاء كانوا «يضنّون بالمدافع، إلا انهم يجودون بالبنادق والذخيرة» (انطونيوس، المصدر السابق، ص ٣١٥).

(٤٠ مكرر) SHAT, Son outre-mer. -

(٤١) انطونيوس ، المصدر. السابق، ص ٢٧٦.

(٤٢) م. ن. ص. ٣١٥.

(٤٣) م. ن. ص. ٣١٦.

(٤٤) م. ن. ص. ن.

(٤٥) وهذا ما اشار اليه «عزيز علي» يوم كان قائداً لجيش الثورة، وقد سبق ان أشرنا اليه.

(٤٦) داغر، المصدر السابق، ص ٩١.

(٤٧) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٣١٩.

(٤٨) يذكر انطونيوس ان فيصلاً أسر، خلال اربعة ايام من تقدمه من الوجه الى العقبة، وخلال المعارك التي خاضها اثناء تقدمه واقتحامه العقبة، نحو سبعماية، وقتل نحو ستماية، من الجنود العثمانيين (م.ن.ص. ٣٢٣).

(٤٩) م. ن. ص ٣٢٤.

(٥٠) إحتل فيصل العقبة في آب/أغسطس عام ١٩١٧ وذلك بعد مساندة بحرية بريطانية، وكان فيها حامية عثمانية من ٧٠٠ جندي مع ٣٠ ضابطاً، وقد استسلموا، جميعهم، وغنم المهاجمون كمية من الأسلحة والذخائر، مع مدفعين (امين سعيد، أسرار الثورة العربية الكبرى، ص ٢١٧).

(٥١) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٣٢٤.

(٥٢) م. ن. ص. ٣٢٥.

(٥٣) سعيد،أمين، أسرار الثورة العربية الكبرى، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٥٤) Service historique de l'Armée de Terre, Vincennes, section ancienne,côte: 7N1658. (انظر النص بالفرنسية في آخر الفصل). ويذكر الملك عبدالله انه كان لدى جيش الأمير علي «مدفعية محترمة من مدافع الصحراء ومدافع الهاوتزر» أما جيش الامير فيصل فكان موضع عناية اكثر بالسلاح والمعدات، إذ كانت معه «سيارات مدرعة ومدافع كثيرة جبلية وصحراوية ومدافع حصار، وكان الجنود المتطوعون من العرب والضباط يرسلون كلهم الى ذلك الجيش» (عبدالله، الملك، مذكرات، ص ١٩٣).

(٥٥) سعيد، أمين، اسرار الثورة العربية الكبرى، ص ٢٢٠ - ٢٢٣.

(٥٦) م. ن. ص. ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٥٧) م. ن. ص. ٢٥٣.

(٥٨) م. ن. ص. ٢٥٦ وكان «أمين سعيد»، في ذلك الحين، ملحقاً بشعبة المخابرات في الجيش العثماني المرابط في سوريا، بقيادة المارشال «فون ساندرس» (م.ن. ص. ٢٥٤).

(٥٩) انظر المنشورات التي وزعها فيصل في جبل الدروز وحوران في آذار/مارس ١٩١٨ (م.ن. ص. ٢٥٦ - ٢٥٧)

(٦٠) م. ن. ص. ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٦١) م. ن. ص. ٢٢٨ - ٢٣٢ وانظر: انطونيوس، المصدر السابق، ص: ٣٣٢. وانظر كذلك: داغر، المصدر السابق، ص ٩٢، ويقول داغر ان شريف مكة أبرق الى الحكومة البريطانية بفحوى الكتاب الذي تلقاه من الأتراك فلتقى برقية من وزير الخارجية البريطانية هذا نصها: «ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بالاتحاد مع حلفائها، تؤكد، مرة اخرى، اعترافها باستقلال العرب».

(٦٢) سعيد، أمين، أسرار الثورة العربية الكبرى، ص. ٢٥٨ - ٢٦٠.

(٦٣) م. ن. ص. ٢٦١ - ٢٦٢ وانطونيوس، المصدر السابق، ص. ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٦٤) انطونيوس، م. ن. ص ٣٤٠ - ٣٤١. إلا ان «يوسف الحكيم» وهو من معاصري تلك الحقبة، يروي ان الجنرال «أللنبي» دخل دمشق قبل الامير فيصل، في مطلع تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨، وان فيصلاً دخل في الرابع منه (الحكيم، يوسف، سورية والعهد الفيصلي، ص ٢٢ - ٢٣).

(٦٥) هكذا يتحدث المؤرخ العسكري البلجيكي «الكولونيل هنري برنارد» في كتبه التي تدرس في «كلية الحرب الملكية البلجيكية»

Bernard, Henri (Colonel), Leçons d'Histoire militaire, T,1 P. 293. وانظر انطونيوس، م. ن. ص. ٣٣٠.

(٦٦) عبدالله، الملك، مذكرات ص ١٩٤ - ١٩٧. ومن هذه الشروط: ان يستسلم كل «آلاي» في الجبهة حيث هو، ثم يؤخذ من مراكزه الى الساحل بحراسة جيش الثورة، وهكذا تستسلم حامية المدينة ثم الحاميات التي في العلاوتبوك، كما يجري تسليم الاسلحة الخفيفة والثقيلة، ويتم التسليم فوراً (عبدالله، م. ن. ص. ١٩٦ - ١٩٧).

(٦٧) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٦٨) لورنس، الكولونيل، الثورة العربية، تعريب: كامل صموئيل مسيحه، ص. ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٦٩) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٣٣٥.

(٧٠) م. ن. ص. ن.

(٧١) سعيد، أمين، اسرار الثورة العربية الكبرى، ص. ٢٩٠ - ٣٠٤.

(٧٢) م. ن. ص. ١٢٦ - ١٣٠.

(٧٣) م. ن. ص. ١٧٩ - ١٨٢.

(٧٤) الحكيم، يوسف، سورية والعهد الفيصلي ، ص ٢٢.

(٧٥) الحكيم، حسن، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية، ص ٣٥.

(٧٦) الحكيم، يوسف، سوريه والعهد الفيصلي، ص ٢٣.

(٧٧) الصليبي، كمال، تاريخ لبنان الحديث، ص. ٢٠٥.

(٧٨) الحكيم، حسن ، الوثائق، ص. ٣٧ - ٣٨. وكان فيصل طيب القلب الى درجة انه تلا هذا البيان على الجماهير في دمشق (الحكيم، يوسف، المصدر السابق، ص ٢٤).

(٧٩) الصليبي، المرجع السابق، ص ٢٠٦. ويذكر الصليبي ان الجنرال أللنبي قسّم سوريا، في تلك الأونة الى: منطقة جنوبية بريطانية (فلسطين)، ومنطقة شرقية عربية (سوريا الداخلية)، ومنطقة شمالية فرنسية (لبنان والساحل السوري)، إلا ان هذه الاخيرة سميت بعد ذلك «المنطقة الغربية» وظلت تحمل هذا الاسم حتى عام ١٩٢٠ (م.ن.ص.ن.).

(٨٠) وهو ما سنتحدث عنه في فصل لاحق.

BEIRUT

(٨١) الحكيم، يوسف، المصدر السابق، ص ٣٥ - ٣٧.

(٨٢) م. ن. ص. ٢٥. وسوف نعود الى الحديث عن مؤتمر «فرساي» في فصل لاحق.

(٨٣) سعيد، أمين، اسرار الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٧٦.

(٨٤) م. ن. ص. ٢٧٣.

(٨٥) م. ن. ص. ٢٧٤.

(٨٦) الحكيم، حسن، الوثائق التاريخية، ص ٣٩ - ٤٢.

(٨٧) انظر خطبة الامير فيصل كاملة في: الحكيم ، حسن، م. ن. ص. ١٣٧ - ١٣٩.

(٨٨) انظر أسماء المشاركين في المؤتمر في : الحكيم، يوسف، سورية والعهد الفيصلي، ص ٩١ - ٩٤، وانظر وصفاً لحفلة المبايعة في : م. ن. ص ١٤١ - ١٤٢.

(٨٩) م. ن. ص. ١٤٣.

(٩٠) الحكيم، يوسف، سورية والعهد الفيصلي، ص ١٤٤.

(٩١) م. ن. ص. ١٥٩.

(٩٢) الحكيم، حسن، الوثائق ، ص ١٤٤ - ١٤٦.

(٩٣) انظر النص الكامل لهذا الانذار في :الحكيم، حسن، م. ن. ص.١٥٠-١٦٠. والطريف في الأمر ان الجنرال غورو كان قد تلقى برقية، من وزير الحربية الفرنسي، بتسليم اسلحة الى الامير فيصل، وقد جاء فيها ما يلي:

الشعبة الثانية

رقم ٢٢٨ - SC2/11

باريس في ٤ آذار/مارس ١٩٢٠

وزير الحربية - الاركان - الشعبة الثانية

الى الجنرال غورو - المفوضية الفرنسية العليا في سوريا - بيروت

«أتشرف بإبلاغكم، بالاتفاق مع السيد وزير الخارجية، انني قررت ان نقدم للأمير فيصل مجموعتين من السلاح....».

وفي برقية اخرى صادرة بتاريخ ١٨ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩ تحت رقم ٢-٨٧٨٢، وبموضوع: معدات لشريف مكة، وقد جاء فيها:

٣

من رئيس المجلس - وزير الحربية ، الى

السيد مدير مستودع الاحتياط العام - بورج

برقية هاتفية بتاريخ ١٦ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٩، الساعة ١١,١٠

«الرجاء التفضل بأن ترسلوا الى رحبة (PARC) المدفعية ببيروت، مروراً برحبة المدفعية بمرسيليا :

- هاون ٥٨ عدد ٢ كاملين .

- هاون فان دورن (Van Deuren)

عدد ٢ كاملين

لصالح الامير فيصل».

("Service historique de l'Armée de Terre-Vincennes)

(انظر النص بالفرنسية في آخر الفصل: الملحق رقم ٢ و٣).

(٩٤) الحكيم، حسن، م. ن. ص. ١٦١.

(٩٥) انظر نص القرار في: م. ن. ص. ١٦٢ - ١٦٣.

(٩٦) راجع النص الكامل للدستور في: م. ن. ص. ١٩٤ - ٢١٣.

(٩٧) راجع فصلاً كاملاً عن «ميسلون أو معركة المصير» في كتابنا :مؤامرة الغرب على العرب، ص ٥٣ - ٦٢.

(٩٨) محاضرة المؤلف عن «البناء السياسي للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز» وقد ألقيت في مؤتمر «المملكة العربية السعودية في مائة عام» بالرياض، من ٢٤ حتى ٢٨ كانون الثاني/يناير عام ١٩٩٩ (ص ١٣). وقد سمي عبد العزيز، بعد تسلمه إمارة الحجاز «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها»، ثم سميت المملكة، أخيراً، وبعد ضم «تهامة عسير» اليها بتاريخ ٢١ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩٢٦، باسم «المملكة العربية السعودية»، وذلك بموجب مرسوم ملكي صدر بتاريخ ٢٢ أيلول/سبتمبر عام ١٩٣٢ (م.ن.ص.ن.)

(٩٩) وقد دفن الشريف حسين تحت قبة الصخرة بالقدس (سعيد، أمين، اسرار الثورة العربية الكبرى، ص٣٩٢). وانظر تفصيلاً لما جرى للشريف حسين واولاده بعد عام ١٩٢٤ في: م.ن.ص. ٣٧٦ - ٣٩٦.

(١٠٠) انطونيوس، جورج، المصدر السابق، ص ٢٧٥.

BEIRUT

وثائق الفصل الرابع
وثيقة رقم (١)

Côte: 7N 1658

Rapport du Cdt. cousse sur sa mission auprès l'Emir Faysal dans les régions d'Akaba et de Maan en 1918

Les forces régulières dont dispose Faysal atteignent tout au plus de 3000 hommes tous anciens soldats turcs. Elles sont divisées en 2 corps stationnés à Oubeida et à Ain-El-Fegui. Chaque corp comprend 2 Rgts comptant un nombre variable de compagnies d'un effectif moyen de 60 h. On compte d'autre part: 16 mitrailleuses, et quelques F.M, et une artillerie d'échantillons comprenant les pièces les plus diverses. Cette armée, oeuvre de Djaafar Pachar et de Nouri Bey, a une certaine valeur, mais les opérations sont presque entièrement paralysées par la manque des moyens de transport. La différence d'origine des officiers, chérifiens, mésopotamiens ou syriens, crée également des difficultés qu'augmente encore l'incertitude de l'avenir politique du royaume arabe.

Cousse

وثيقة رقم (٢)

No. 87282/3

18 Dec. 1919

le Président du conseil-Ministre de la guerre.

Mr. le directeur de l'entrepôt de réserve général.

de Bourges

Sujet — Message téléphoné le 16 Déc. 1919 à 11 10

Matériel pour le chérif de la Mecque

je vous prie de vouloir bien faire expédier au parc d'Aie de Beyrouth, en transit par le parc et d'Aie de place de Marseille:

- le mortier de 58 no. 2 complet, et
- le morteir Van Deuren - idem

distinés à l'Emir Faissal.

وثيقة رقم (٣)

2° B Paris le 4 mars 1920

228 SC2/11 Le ministre de la guerre

EMA 2° B

à M. le général Gouraud, Haut commissaire de France en Syrie - Beyrouth

J'ai l'honneur de vous faire connaitre que d'accord avec Mr.

Le ministre des affaires étrangères.

J'ai décidé d'offrir à l'Emir Faissal 2 collections d'armes ... etc

BEIRUT



القسم الشرقي من العالم العربي

تمثل الاجزاء المظللة المنطقة العربية المستقلة كما حددها الشريف حسين في مذكرته المؤرخة في ١٤ تموز "يوليه" سنة ١٩١٥

الفصل الخامس

المؤامرة(*)

«إن اتفاقية سايكس-بيكو وثيقة مروّعة، فليست هي، فحسب، وليدة الجشع في أسوأ صوره، حين يكون الجشع مقترناً بالريب فيؤدي الى الحماقة، بل هي، أيضاً، صورة مرعبة للمخادعة والمكر» (جورج انطونيوس ، يقظة العرب، ص ٣٥٣).

اتفاقية سايكس-بيكو (١٦ أيار/مايو ١٩١٦)(**):

كانت الحرب العالمية في أوجها، عندما بدأت «الدول المتحالفة» تستبق انتصارها على «الدول المركزية» بتقاسمها لتركة «الرجل المريض»، رغم ما أعلنته تلك الدول من أن أهم أهدافها في الحرب، هي السعي لتحرير الشعوب المستضعفة والمستعبدة، وكانت الشعوب العربية الخاضعة لحكم السلطنة العثمانية تواقةً للتحرر والاستقلال، وتلك كانت أهداف «الشريف حسين» شريف مكة، من ثورته على تلك السلطنة، معتمداً على مناصرة الحلفاء وتأييدهم لبلوغ أهدافه.

(*) اقتبسنا هذا الفصل من كتابنا «مؤامرة الغرب على العرب» مع التعديل المناسب.

(**) - السير مارك سايكس Sir Mark Sykes ولد في لندن في ٦ آذار/مارس عام ١٨٧٩ وتوفي بباريس في ١٦ شباط/فبراير عام ١٩١٩. سياسي مثّل بريطانيا في مفاوضات «سايكس-بيكو» (١٩١٥-١٩١٦) المتعلقة بتقسيم المشرق العربي بعد الحرب العالمية الاولى.

(Encyclopaedia Britannica, vol. 11, P. 151).

- فرنسوا جورج بيكو François Georges-Picot كان قنصلاً عاماً لفرنسا ببيروت عام ١٩١٤. وقد كلّف، اعتباراً من عام ١٩١٥، المشاركة، مع مارك سايكس، في وضع الاتفاقية المسمّاة باسميهما «اتفاقية سايكس-بيكو» (الكيّالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج ٣: ١٢٠).

BEIRUT

وجرت بين الشريف حسين وبين ممثلين للدول المتحالفة المعادية للسلطنة، وخصوصا بريطانيا وفرنسا، مباحثات انتهت بأن أيّد الحلفاء إعلان الحسين لثورته المسماة «الثورة العربية الكبرى» على الحكم العثماني، وهي في كل حال لصالحهم ولمصلحتهم، على أن يعترفوا، بدورهم، باستقلال العرب، وأن يؤيّدوا ذلك الاستقلال «في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة»[١]، مع التحفظ تجاه «ولايتي مرسين واسكندرونة، وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب»[٢]، لأنه «لا يمكن ان يقال عنها إنها عربية محضة، وعليه يجب ان تستثنى من الحدود المطلوبة»[٣]. بالإضافة الى موقف خاص لبريطانيا تجاه ولايتي بغداد والبصرة، حيث ترى هذه الدولة ان العرب يقرّون ولا شك «أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطّدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة»[٤]. كما أبدت بريطانيا حرصها على أن لا تمسّ مصالح حليفتها فرنسا في هذه الأقاليم، (الرسالة الثانية من السير أرثر هنري مكماهون نائب ملك بريطانية بمصر الى الشريف حسين شريف مكة، بتاريخ ٢٤ تشرين الاول/أكتوبر ١٩١٥).

إلا أن شريف مكة ومعلن ثورتها الى جانب الحلفاء، لم يكن يعرف ما يدور في الخفاء، بين هؤلاء الحلفاء، ضد ثورته وأمته، إذ بينما كانت المراسلات متتابعة بينه وبين السير مكماهون (من حزيران/يونيو عام ١٩١٥ حتى أيار/مايو عام ١٩١٦) كانت المفاوضات تجري رسمياً بين الدول الثلاث: بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية، بقصد نكث الوعود المقطوعة للشريف

حسين، ومن خلاله للعرب جميعاً، وبقصد تقسيم أملاك الدولة العثمانية، بعد انتهاء الحرب، على الدول المنتصرة. فقد بدأت هذه المفاوضات في بطرسبورغ، عاصمة روسيا، في شهر آب/أغسطس عام ١٩١٤، أي بعد شهر ونصف فقط من إعلان الحرب (حسب الوثائق التي نشرتها الثورة البلشفية في روسيا في أواخر عام ١٩١٧)(٥). وقد دارت المفاوضات، بين هذه الدول الثلاث، حول الغنائم التي ستؤول الى كل دولة بعد انتهاء الحرب، وكان تضارب المصالح بين هذه الدول قد جعل كلاً منها يحاول ان ينال حصّة الأسد، إذ تحاول روسيا ان تصل الى الشرق عن طريق المضايق والآستانة، وتحاول فرنسا ان تبسط هيمنتها على جزء من بلاد الشام (سوريا الداخلية، وسوريا الغربية أو الساحلية، أي ولايات دمشق وحمص وحماه وحلب وبيروت وطرابلس، بالإضافة الى جبل لبنان) تضعه تحت حمايتها، بينما تحاول انكلترا ان تبسط هيمنتها على الجزء المتبقي من هذه البلاد (سوريا الجنوبية، أي فلسطين وشرق الاردن) بالإضافة الى العراق ومصر(٦). وهكذا، فقد توصلت هذه الدول الى اتفاق فيما بينها على تجزئة للدولة العثمانية ترضي كلاً منها وتتفق مع مصالحها دون النظر الى مصالح الشعوب المحررة من النير العثماني. ففي شهر آذار/مارس عام ١٩١٥ عقدت كل من فرنسا وبريطانيا اتفاقية سرية مع روسيا تعهدتا، بموجبها، بالتنازل عن الآستانة والمضايق لضمها الى أملاك القيصر في حال انتصار الحلفاء في الحرب، أما حصة الدولتين الأخريين، بريطانيا وفرنسا، من إرث «الرجل المريض» فسوف تتضمنها، فيما بعد، الاتفاقية المسماة «اتفاقية سايكس-بيكو»، والتي تمّ تنفيذها عملياً في مؤتمر سان ريمو بإيطاليا (San Rémo) المنعقد بين أعضاء مجلس الحلفاء الأعلى ومنهم الدولتان المعنيتان

(فرنسا وبريطانيا) من ٢٦ لغاية ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٢٠ حيث تمّ توزيع المشرق العربي على الدولتين المنتدبتين، فأعطيت فرنسا سوريا ولبنان، وأعطيت بريطانيا العراق وفلسطين وشرق الاردن.

كان التفاوض بشأن هذه الاتفاقية والاتفاق على خطوطها الرئيسية قد جرى أساساً بين ممثلي كل من فرنسا وبريطانيا: بول كامبون Paul Cambon سفير فرنسا في لندن ممثلاً لتيوفيل ديلكاسيه T. Delcassé وزير الخارجية الفرنسية، والسير إدوار غراي E. Grey وزير الخارجية البريطانية. فقد كتب كامبون الى السير إدوار غراي رسالة مؤرخة في ٢٣ آذار/مارس عام ١٩١٥ يقول فيها إنه، بناء على تعليمات وزير الخارجية الفرنسية، ديلكاسيه، «وبما ان قضية استانبول والمضايق، وهي القضية التي تعنى بها روسيا، قد انتهت، فقد آن لفرنسا وبريطانيا العظمى ان تنصرفا الآن الى بحث القضايا الأخرى المتعلقة بآسيا الصغرى»[٧]. وقد وافقه وزير الخارجية البريطانية على ذلك، ودارت المفاوضات سريّة بين الجانبين البريطاني والفرنسي بشأن تحديد حصّة كل منهما في بلاد المشرق العربي. وفي هذه الأثناء، كانت المفاوضات بين بريطانيا بشخص السير مكماهون وبين الشريف حسين مستمرة، فرأى السير غراي ان يحيط زميله الفرنسي علماً بهذه المفاوضات، وبتعهد بريطانيا، تجاه شريف مكة، بدعمها لقيام دولة عربية حليفة تحفظ توازن القوى مع تركيا بعد انتهاء الحرب، وألمح الى مطالب العرب بضمّ بلاد الشام كلها الى هذه الدولة، مما أثار حفيظة فرنسا التي كانت تطمح الى وضع منطقتي سوريا ولبنان تحت وصايتها، فأرسلت رسمياً تبلغ بريطانيا برفضها ذلك، بل برفضها قيام دولة عربية مستقلة على الإطلاق، حتى أن «بوانكاريه»، رئيس جمهورية فرنسا ذلك الحين، أورد في مذكراته، تعليقاً على ذلك، أنه، لما أبلُغ هذا

الاقتراح قال «إن هذه الامبراطورية العربية الكبيرة لا توحي اليّ بالإطمئنان، وبي خشية من تأثيرها السيء في مستعمراتنا الإفريقية، وأودّ ان لا أراها تخرج الى حيز الوجود، وقد بينّت مخاوفي هذه في مجلس الوزراء»[٨]. وكانت فرنسا، في كل حال، متأكدة من رغبة بريطانيا في التخلص من المأزق الذي أوقعها به الوعد الذي قطعته على نفسها للشريف حسين، فاقترحت عليها حلاً يقضي بأن «توضع ولايات حلب وحماة وحمص ودمشق، ما عدا بيروت، ضمن حدود الدولة العربية شرط اشتراكها -أي فرنسا- فعلياً في مسؤوليات إدارتها»[٩]، وكان ذلك في ٢١ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٥. إلا ان اتفاقاً ضمنياً تم أخيراً، بين الجانبين على الإطاحة بالشريف حسين فور الانتهاء من الحرب، إذ إنه، بهذه الوسيلة فقط، تتحلّل بريطانيا من التزاماتها تجاهه، وتضمن مصالح الدولتين الاوروبيتين في المشرق العربي. وانتهت المفاوضات بين الجانبين الفرنسي والبريطاني، في اوائل كانون الثاني/يناير عام ١٩١٦، بالاتفاق على ما يلي:

«١ - تمنح فرنسا السيادة التامة على منطقتي اسكندرون وكيليكية الممتدة وراءها حتى حدود الموصل.

«٢ - يوضع العراق من الخليج حتى شمال الموصل تحت إشراف بريطانيا.

«٣ - يوضع (جبل) لبنان بما فيه بيروت وطرابلس تحت إشراف فرنسا.

«٤ - توضع سوريا تحت سيادة الشريف حسين مع الاعتراف لفرنسا ببعض المسؤوليات الادارية فيها.

«٥ - توضع فلسطين تحت إشراف بريطانيا»[١٠].

BEIRUT

إلاّ أن أنباء هذه المفاوضات السرّية بين الدولتين الحليفتين سرعان ما ترامت الى مسامع الدولة الحليفة الثالثة، روسيا، فهبّت هذه الاخيرة تطالب بحصتها في أرضروم وترابيزوند وكردستان والموصل، وجرت، بين الدول الثلاث، مفاوضات ومراسلات استمرت عاماً كاملاً (آذار/مارس عام ١٩١٥-آذار/مارس عام ١٩١٦)، وأرسلت بريطانيا وفرنسا، في أوائل آذار/مارس عام ١٩١٦، كلاّ من مندوبيها في الوفود المفاوضة، مارك سايكس (بريطاني) وجورج بيكو (فرنسي)، الى بطرسبورغ، عاصمة روسيا، للاتصال بحكومة القيصر وإطلاعها على الاتفاق، وإقناعها بضرورة حصر مطالبها بالبلدان المتاخمة لحدود بلادها، على ان يترك الجزء العربي من الامبراطورية العثمانية للنفوذين البريطاني والفرنسي[١١]. ووافق سرج سازانوف S. Sazanov وزير خارجية روسيا على اقتراح المندوبين البريطاني والفرنسي، إلا انه اشترط قبول بريطانيا وفرنسا بالمطالب الروسية التي تتلخّص بما يلي:

«١ - ضمّ مناطق أرضروم وتبليس، حتى غرب ترابيزوند، الى الممتلكات الروسية.

«٢ - ضمّ منطقة كردستان الواقعة جنوب فان، والتي تضمّ مجرى دجلة وجزيرة ابن عمرو والجبال المتاخمة لها، الى روسيا»[١٢].

ووافقت بريطانيا وفرنسا على هذه المطالب، ممّا حدا بروسيا لأن تقبل بالاتفاق الذي جرى بين باريس ولندن بصدد المشرق العربي، وتم، إثر ذلك، عقد معاهدة بين الدول الثلاث المتحالفة تحدد حصة كل منها في تركة «الرجل المريض»، ووقعت هذه الدول المعاهدة المشار اليها في «بطرسبورغ»، عاصمة روسيا القيصرية، بتاريخ ٤ آذار/مارس عام ١٩١٦

(نشرتها الحكومة البلشفية في ٢١ شباط/فبراير عام ١٩١٨)، ونالت روسيا، بموجب هذه المعاهدة، المناطق التي كانت تطالب بها، كما نالت كل من فرنسا وبريطانيا ما كانتا ترغبان بالحصول عليه من مناطق، وفيما يلي ما يتعلق منها بالبلدان العربية:

١ - **منطقة نفوذ فرنسا**: وتشمل:

«أ - السواحل السورية...... من حدود الناقورة، مارة بصور وصيدا، فبيروت وطرابلس واللاذقية، وتنتهي في اسكندرون.

«ب - المناطق الساحلية جميعها الى فرنسا، مع الجبل اللبناني المعروفة حدوده بموجب الاتفاق الدولي.

«ج - جزيرة أرواد والمناطق المجاورة لها والجزر الصغيرة القائمة على الساحل المعرّف عنه في الفقرة السابقة.

«د - ولاية كيليكيا،٠٠٠٠٠٠٠ وتبدأ حدود هذا الخط، من جهة الجنوب، من الحدود الخاضعة للنفوذ الروسي في جزيرة ابن عمرو، ثم تتجه الى عينتاب وماردين، ثم تنحدر شمالاً من آلاطاغ - قيصري - أف طاغ - بيليديزطاغ - زرعه - أكين - خربوط.

«هـ - تظل هذه المنطقة خاضعة تمام الخضوع للنفوذ الفرنسي».

٢ - **منطقة نفوذ بريطانيا**: وتشمل:

«أ - .... القطر العراقي مع مدينة بغداد نفسها.

«ب - السواحل الممتدة من الحدود المصرية الى حيفا فعكا حيث تتصل بحدود ونفوذ فرنسا.

«ج - المنطقة الممتدة من خليج فارس الى آخر البحر الأحمر ...».

BEIRUT

«د - تؤلف الحكومات العربية .... من سكان المناطق المسكونة بالعرب، على ان تكون هذه الحكومات حائزة على السيادة والاستقلال اللازم لها، والذي يعيّن، فيما بعد، بالاتفاق بين الحكومات المتحالفة»(١٣).

.وقد جاء في مقدمة المعاهدة وفي أسبابها الموجبة، ما يلي:

«بناء على المفاوضات التي دارت بين بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا في ربيع سنة ١٩١٥ في لندن وباريس.

«وبناء على اقتناع هذه الدول المتحالفة بوجوب إنقاذ الأمم الخاضعة للسلطنة العثمانية واقتسامها مناطق نفوذ فيما بينها.

«ولما كانت الأكثرية الساحقة من أبناء هذه البلاد راغبة جدّ الرغبة في الخلاص من تحكّم الحكومة الحاضرة.

«ولما كان الواجب يقضي بضرورة العمل على تدريب هذه الشعوب. فقد تقرر ما يلي:

«**المادة الاولى:** تتعهد فرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا، فيما بينها، ان تعمل يداً واحدة في سبيل إنقاذ البلاد العربية وحمايتها، وتأليف حكومة إسلامية مستقلة فيها، تتولى بريطانيا مراقبتها وإدارتها.

«**المادة الثانية:** تتعهد الدول المتعاقدة بحماية الحج وتسهيل سائل السبل المؤدية الى مرور الحجاج وعدم الاعتداء عليهم.

«**المادة الثالثة:** تقسم البلاد العثمانية الى مناطق نفوذ بين الدول المتعاقدة....»(١٤).

وجاء في ختام المعاهدة ما يلي:

«**المادة الرابعة:** تتألف، في المنطقة الكائنة بين منطقتي النفوذ الفرنسي والبريطاني، دولة أو حلف دول عربية مستقلة، وفقاً لاتفاق خاص بين فرنسا وانكلترا، على ان تحدد حدود هذه الدول حين عقد هذا الاتفاق.

«**المادة الخامسة:** يكون ميناء اسكندرون دولياً ، وتعلن حريته.

«**المادة السادسة:** تعتبر فلسطين وأماكنها المقدسة منطقة خارجة عن الاراضي التركية، على ان توضع تحت إدارة خاصة وفقاً لاتفاق يعقد بين انكلترا و فرنسا وروسيا بهذا الشأن، وتحدد مناطق نفوذ المتعاقدين ومصالحهم.

«**المادة السابعة:** تعترف الدول المتعاقدة ، مبدئياً ومتقابلاً، بجميع العقود والامتيازات المعقودة المعطاة قبل الحرب في هذه الاراضي.

«**المادة الثامنة:** تقبل الدول المتعاقدة جانباً من الدين العثماني، بنسبة الاراضي التي تمتلكها»[١٥].

بعد هذا الاتفاق الذي تم بين الدول الثلاث، أصبح الطريق مفتوحاً امام بريطانيا وفرنسا للتفاوض بشأن التصرف بحصتيهما في تلك التركة، وفي ٩ تشرين الثاني/نوفمبر، عينت الحكومة الفرنسية ممثلاً لها، في هذه المفاوضات، هو «جورج بيكو» القنصل الفرنسي العام ببيروت، كما عينت بريطانيا ممثلاً لها هو «مارك سايكس»، النائب في البرلمان البريطاني، ومندوبها السامي «لشؤون الشرق الأدنى». وقد اجتمع الممثلان في القاهرة حيث باشرا مفاوضاتهما بإشراف «معتمد روسيا»، وتدارس المجتمعون كيفية تطبيق ما تم الاتفاق عليه في المعاهدة الثلاثية، ورسمت، على الخارطة، خطوط الحدود التي تفصل بين مناطق النفوذ للدول الثلاث. وبعد الاتفاق على ذلك، وفي النصف الاول من شهر أيار/مايو عام ١٩١٦، تم تبادل المذكرات بين السفير الفرنسي بلندن (بول كامبون) ووزير الخارجية البريطانية (السير

BEIRUT

ادوار غراي)، ففي كتاب بعث به «كامبون» الى «غراي» بتاريخ ٩ أيار/مايو عام ١٩١٦، قال كامبون: «أُمرت ان أبلغكم ان الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت على الخارطات الموقعة من جانب السير مارك سايكس والمسيو جورج بيكو، ورضيت بالمبادئ التي دارت عليها المفاوضات بينهما، وهي تنتظر التوقيع على نصوص الاتفاقية المرسلة طيه»[١٦]، وأرفق كتابه هذا بنص الاتفاقية التي صاغها ووقعها كل من ممثلي الطرفين: مارك سايكس وجورج بيكو، (ومن هنا اخذت الاتفاقية تسميتها الشهيرة: اتفاقية سايكس-بيكو).

ولم يتأخر «السير ادوار غراي» بالرد على كتاب «كامبون»، ففي ١٥ أيار/مايو أرسل «غراي» الى «كامبون» الردّ التالي:

«لي الشرف بأن أجيبكم على كتابكم المؤرخ في ٩ الجاري والخاص بإيجاد حكومة عربية. اني انتظر ان تعلموني، مباشرة، فيما إذا كان بإمكانكم إعطائي ضمانات معينة تضمن بقاء حقوق الملاحة والإمتيازات البريطانية في المعاهد والمؤسسات الدينية ومعاهد التعليم والمعاهد الصحية في المناطق التي ستصير، فيما بعد، مناطق فرنسية، أو في المناطق التي تسود فيها المصالح الفرنسية، وفقاً للقواعد الواردة في كتابكم». وردّ عليه السفير الفرنسي «كامبون»، في اليوم نفسه، بالكتاب التالي:

«لقد أعربتم، في كتابكم بتاريخ اليوم، عن رغبتكم، قبل الرد على كتابي الخاص بمسألة تأليف حكومة عربية، والمؤرخ في ٩ الجاري، في الحصول على ما يضمن لكم دوام بقاء امتيازات وحقوق الملاحة، وكذلك جميع الحقوق والامتيازات البريطانية، في المؤسسات الدينية ومعاهد التعليم، وفي المعاهد الصحية في المناطق التي ستصير، فيما بعد، مناطق فرنسية أو في المناطق التي تسود فيها المصالح الفرنسية. كما ان حكومة جلالة ملك بريطانيا

العظمى ستعترف بهذا الحق عينه لفرنسا في المناطق التي ستصير، فيما بعد، بريطانية. فلي الشرف ان أبلغ سعادتكم ان حكومة فرنسا مستعدة للمصادقة على جميع الامتيازات البريطانية المختلفة التي يرجع تاريخها الى زمن معين قبل الحرب، في المناطق التي ستنتسب الى فرنسا فيما بعد، أو المناطق التي تعتمد على مجهوداتها فيها. أما فيما يختص بالمؤسسات الدينية ومعاهد التعليم والمعاهد الصحية، فإنها ستظل، كما في الماضي، مستمرة في إداء مهمتها. وألفت نظركم ، في الوقت نفسه، الى ان هذا العهد لا يشمل الامتيازات الأجنبية أو ما يتعلق بالأمور العدلية والقضاء»، فرد عليه «غراي» بكتاب مؤرخ في ١٦ منه، وجاء فيه:

«جواباً لخطابكم المؤرخ في ١٥ الجاري، لي الشرف ان ابلغ سعادتكم أن (عن؟) قبول جميع هذه التكليفات والترتيبات، بهيئتها الحالية، مما يوجب إهمال المنافع البريطانية العظيمة. غير انه، لما كانت حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ترجو الفوائد العميمة لمصالح الحلفاء عامة، بإحداث حالة سياسية داخلية مساعدة في تركيا، فقد استعدّت لقبول المواد المتفق عليها لضمان اشتراك العرب في الحرب، ولكي يقوموا بواجب التحالف، فيحتلوا حلب وحماة وحمص ودمشق، فإذن، حصل التفاهم بين انكلترا وفرنسا فيما يتعلق بالشروط الواردة في كتابكم المؤرخ في ٩ الجاري»[١٧]. ثم ارفق كتابه هذا بنص المعاهدة كاملاً.

وهكذا تمت المساومة، بين الدولتين العظيمتين المتحالفتين، على حساب العرب، وبدون علم حليفهما المرتقب، الشريف حسين، مما أطاح كل التعهدات التي سبق ان قطعها هؤلاء الحلفاء لحليفهم العربي. والذي يثير الغضب والاشمئزاز ان فيصلاً طالب رئاسة الحكومة البريطانية بتنفيذ

BEIRUT

المعاهدة التي سبق ان أبرمها الانكليز مع والده الشريف حسين، وقدم لتلك الرئاسة صورة عنها، وذلك أثناء وجوده في لندن، بعد انتهاء الحرب، إلا ان الحكومة البريطانية أنكرت وجود تلك المعاهدة «كل الإنكار» ونفت ان تكون قد وقعت عهداً أو كتاباً «ينطق بهذا التصريح». وقد صرح فيصل بذلك الى جريدة «المفيد» الدمشقية بتاريخ ٢٠ شباط/فبراير عام ١٩٢٠، وسلمها نص المعاهدة، وقد كُتب عليها، بخط الشريف حسين نفسه: «صورة ما تقرر مع بريطانيا بشأن النهضة» (أي الثورة)[١٨].

يرى بعض المؤرخين، ومنهم السير إدوار غراي نفسه، أن اتفاقية «سايكس - بيكو» يجب ان تسمّى «الاتفاقية الفرنسية - البريطانية - الروسية السرّية حول مناطق النفوذ في آسيا الصغرى» نظرا لأن الاتفاق بشأنها قد جرى بين ممثلي هذه الدول الثلاث: بول كامبون السفير الفرنسي بلندن، وادوار غراي وزير خارجية بريطانيا، وسرج سازانوف وزير خارجية روسيا. ويرى المؤرخ البريطاني أرنولد تونبي انه إذا كان «نص الاتفاقية النهائي وضعه كل من السير مارك سايكس وجورج بيكو نيابة عن الحكومتين البريطانية والفرنسية، فالحقيقة هي أن ما قام به الرجلان هو انهما اتفقا على اللغة التي صيغت بها عبارة الاتفاقية. أما النقاط الأساسية في الاتفاقية فقد تمّ عليها الاتفاق في أثناء سلسلة من الاجتماعات التي عقدها الزعماء السياسيون من كلا الجانبين قبل ان يدفعا بها الى هذين الرجلين لوضع الصيغة النهائية»[١٩]. وإننا إذ نقرّ المؤرخ تونبي على رأيه هذا، نتردد كثيراً أمام رأي السير إدوار غراي في إقحام اسم روسيا بهذه الاتفاقية نظراً لأن المفاوضات التي جرت بشأنها قد تمت بمبادرة بريطانية - فرنسية مشتركة وبصورة خفية لم تعرف بها روسيا إلاّ مصادفة. إلاّ ان ذلك لا يمنعنا من القول إن الاتفاقيتين المذكورتين: الاتفاقية

البريطانية الفرنسية الروسية الموضوعة عام ١٩١٦ بصدد الاعتراف بسيطرة روسيا على المضايق والآستانة، والاتفاقية الأخيرة، مرتبطة احداهما بالأخرى ارتباطاً مباشراً وتاماً، بل تكمل إحداهما الاخرى كما سبق ان رأينا. فبينما حققت الأولى مصالح روسيا القيصرية في إرث الدولة العثمانية المنهزمة، حققت الثانية مصالح كل من بريطانيا وفرنسا في إرث هذه الدولة، وما كانت إحداهما لتتم دون الأخرى.

ويمكن تلخيص أهمّ ما ورد في اتفاقية «سايكس - بيكو» بأنها قضت بتقسيم المشرق العربي الذي كان تحت السيطرة العثمانية، الى خمس مناطق على الشكل التالي:

١ - المنطقة أ (سوريا الداخلية) وتقام فيها دولة عربية مستقلة، لفرنسا فيها مركز ممتاز .

٢ - المنطقة ب (العراق الداخلي) وتقام فيها دولة عربية مستقلة، لبريطانيا فيها مركز ممتاز.

٣ - المنطقة الزرقاء (سوريا الساحلية من كيليكيا شمالا حتى رأس الناقورة جنوباً)، وتخضع للسيادة الفرنسية حيث يباح لفرنسا إنشاء الحكم الذي ترتئيه فيها.

٤ - المنطقة الحمراء (العراق الساحلي من بغداد حتى خليج فارس- أي الخليج العربي) وتخضع للسيادة البريطانية حيث يباح لبريطانيا إنشاء الحكم الذي ترتئيه فيها.

٥ - المنطقة السمراء، ويسميها البعض البنية (فلسطين)، وتبقى منطقة دولية بحيث يعين شكل الحكم فيها بعد استشارة روسيا، وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة[٢٠].

وقد ضرب الحلفاء عرض الحائط، بعد توقيعهم لهذه الاتفاقية، بالوعود التي قطعوها للشريف حسين بتحرر العرب واستقلالهم في ظل دولة عربية واحدة، إذ أنه لم يبق من هذه الدولة، بعد تقاسمهم المشرق العربي في هذه الاتفاقية، سوى الحجاز فقط. وبعد ان تسلمت الثورةالبلشفية الحكم في روسيا عام ١٩١٧ نشرت المعاهدات السرية التي كانت معقودة بين روسيا القيصرية والحلفاء، ومن بينها معاهدة سايكس - بيكو. وقد حاول الأتراك، على أثر افتضاح أمر هذه المعاهدة، عقد مصالحة مع الشريف حسين، إلا انهم لم يوفقوا نظراً لتشبث الشريف بتحالفه مع بريطانيا وفرنسا. وقد حدّدت حدود المنطقة السمراء المبينّة في البند الخامس أعلاه (المادة الثالثة من الاتفاقية)، أي فلسطين، كما يلي: «الرقعة الممتدة .... بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط، من شمال عكا حتى غزة، ومنها الى الطرف الشمالي للبحر الميت، حيث تسير من هناك على طول نهر الاردن وتلتقي بالحدود الشمالية عند نقطة قريبة من منابع النهر»[٢١]. مما جعل منطقة الجليل الأعلى خارج حدود المنطقة السمراء هذه، وأدخلها في المنطقة الزرقاء أي منطقة النفوذ الفرنسي.

لم يرضِ ذلك، بالطبع، المنظمة الصهيونية العالمية التي كانت تحلم بفلسطين تمتد من حدود غزة الى حدود صيدا بلبنان، طمعاً بأن تكون هذه «الفلسطين» وطناً قومياً لليهود. ففي الثالث من شباط/فبراير عام ١٩١٩، رفعت هذه المنظمة، بدعم من وزارة الخارجية البريطانية، مذكرة رسمية الى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح موضوعها «تصريح المنظمة الصهيونية بصدد فلسطين»، وقد تضمنت هذه المذكرة مطالب المنظمة من المؤتمر وأهمها «الاعتراف بالحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين، وبحق اليهود في

إعادة بناء وطنهم القومي فيها». وأهم من كل ذلك ما جاء في البيان الملحق بالمذكرة نفسها، ويختص بتعيين حدود فلسطين أي الوطن القومي اليهودي المنشود، هو: «إن حدود فلسطين يجب ان تسير وفقاً للخطوط العامة المبينة ادناه: تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطئ البحر الابيض المتوسط بجوار مدينة صيدا، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل الى جسر القرعون، فتتجه منه الى البيرة متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرعون ووادي التيم، ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ (حرمون) حتى جوار بيت جن، وتتجه منها شرقاً بمحاذاة مفارق المياه الشمالية لنهر مغنية حتى تقترب من خط سكة حديد الحجاز الى الغرب منه.

«ويحدّها شرقاً خط يسير بمحاذاة سكة حديد الحجاز والى الغرب منه حتى تنتهي بخليج العقبة».

«وجنوباً حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية».

«وغرباً البحر الأبيض المتوسط»[٢٢]. أي ان حدود فلسطين، كما وضعتها المنظمة الصهيونية العالمية في مذكرتها هذه تتضمن، بالإضافة الى فلسطين كلها، جنوب لبنان، وقسماً من سهل البقاع، وكل الجولان، والضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن.

وفي العاشر من آب/أغسطس عام ١٩٢٠، عندما وقّع الأتراك معاهدة الصلح مع الحلفاء، وهي المعروفة بمعاهدة (سيفر) التي وضعت صيغتها في مؤتمر سان ريمو في شهر شباط/فبراير من العام نفسه، كانت هذه المعاهدة تنص على تحقيق مطلبين مهمين من المطالب الصهيونية هما:

BEIRUT

أولاً: ان يعهد بإدارة فلسطين، عملاً بأحكام ميثاق عصبة الأمم، الى دولة منتدبة.

ثانياً: ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ وعد بلفور الصادر عن الحكومـــة البريطانية في كانون الثاني/يناير عام ١٩١٧.

وقد قامت عصبة الأمم (عام ١٩٢١) بتعيين بريطانيا منتدبة على فلسطين، وجعلتها مسؤولة عن «إنشاء الوطن القومي اليهودي» فيها، وضمنّت ذلك القرار صكّ الانتداب على فلسطين(٢٣).

وما أن باشرت بريطانيا ممارسة مهماتها الانتدابية في فلسطين حتى بدأت تخطط لتنفيذ الوعد الصادر عنها الى اليهود، كما بدأ اليهود أنفسهم محاولات مستميتة للحصول على أكبر قدر ممكن من الارض يضمونها الى فلسطين الانتداب، أي الى إسرائيل المستقبل، وذلك على حساب البلدان العربية المجاورة، ووفقاً لما ورد في المذكرة التي رفعتها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح والتي سبق ذكرها، فمارسوا ضغوطاً كبيرة على فرنسا، الدولة المنتدبة على سوريا ولبنان، وحرّكوا الرأي العام اليهودي ضدها، لعلّهم يتمكّنون من زحزحتها عن تمسكها باتفاقية سايكس - بيكو بخصوص الحدود اللبنانية الفلسطينية. وفي نهاية عام ١٩٢٠، اتفقت بريطانيا وفرنسا، (الدولتان الحليفتان واضعتا هذه الاتفاقية، والمتقاسمتان مناطق النفوذ في المشرق العربي، والمنتدبتان عليه)، على تخطيط الحدود بين سوريا ولبنان وفلسطين والعراق، فجاء هذا الاتفاق يسلخ عن المنطقة الزرقاء (أي منطقة النفوذ الفرنسي) الجليل الأعلى بكامله، ويلحقه بالمنطقة السمراء (أي فلسطين) فيحقق للصهيونية جزءاً من أطماعها، دون أن يرضيها. وقد عبَّر اليهود عن سخطهم على هذا الاتفاق في المؤتمر

الثاني عشر الذي عقدته منظمتهم عام ١٩٢١، إذ انتقد المؤتمرون تقاعس النشاط الصهيوني فيما يتعلق بتعيين الحدود الشمالية مع دولة «لبنان الكبير» المعلنة حديثاً، زاعمين ان حلّ المسألة لم يكن لمصلحة اليهود ووفقاً لمطالب المنظمة. وجاء في القرار الخامس الذي اتخذه المؤتمر المذكور حول مسألة الحدود مع لبنان ما يلي:

«... ويجد المؤتمر نفسه ملزماً بالإعراب عن أسفه على أن مسألة الحدود الشمالية لأرض اسرائيل لم تجد سبيلها الى حلّ مرضٍ حتى الآن، على الرغم من جميع المساعي التي بذلتها اللجنة التنفيذية... ويأمل المؤتمر ان تستجيب حكومة الجمهورية الفرنسية لمصالح الشعب اليهودي وتفي بها...»[٢٤].

إن ما مرَّ معنا، حتى الآن، عن اتفاقية سايكس - بيكو، يدخل في مضمون المواد الثلاث الأولى منها، أما المواد الأخرى المتبقية، وهي تسعٌ، فتتعلَّق بأمور تختلف في نوعها وأهميتها، كمنح بريطانيا ميناءي حيفا وعكا ومقداراً من مياه دجلة (المادة الرابعة)، ومنحها حق التجارة الحرّة في ميناء اسكندرون، ثم منح فرنسا ومستعمراتها والبلدان الواقعة تحت حمايتها، بالمقابل، حق التجارة الحرة في ميناء حيفا (المادة الخامسة)، كذلك منح امتيازات متبادلة للدولتين في الخطوط الحديدية القائمة في المناطق الواقعة ضمن نفوذ كل منهما، ووضع شروط لتطوير هذه الخطوط وإنشاء خطوط حديدية أخرى في هذه المناطق، وإدارتها واستعمالها من قبل كل من هاتين الدولتين (المواد ٥ و٦ و٧)، وحدود التعرفة الجمركية ومنع إنشاء جمارك داخلية بين المناطق المشار اليها (المادة ٨). أما المواد الاربعة الاخيرة من هذه الاتفاقية (٩-١٢) فتتعلق بتعهد كل من الدولتين، بريطانيا وفرنسا، إحداهما تجاه الأخرى، بعدم التنازل عن «حقوقها» في المناطق الواقعة تحت نفوذها (والمشار اليها آنفاً) دون موافقة الدولة

BEIRUT

الاخرى (المادة ٩)، كما تتعهد كل منهما تجاه الأخرى بعدم امتلاك أو السماح لدولة ثالثة باحتلال أقطار في شبه جزيرة العرب، بصفتهما حاميتين للدولة العربية المزمع إنشاؤها (المادة ١٠) والتي سوف تستمر المفاوضات بشأنها لتعيين حدودها (المادة ١١). وتتفق الدولتان اخيراً (المادة ١٢) على النظر «في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى الدولة العربية».

إذا أردنا، في ختام هذا البحث، ان نقيّم اتفاقية سايكس - بيكو وما آلت اليه من نتائج بعد مرور نحو تسعة عقود على وضعها وتنفيذها، لخلصنا الى النتائج التالية:

١ - لقد خرجت هذه الاتفاقية على كل المبادئ الأخلاقية في التعامل السياسي بين الأفراد والدول، بل كانت نموذجاً للتعامل اللاأخلاقي بينها، إذ إنه، بينما كانت بريطانيا العظمى تلتزم، بشخص مندوبها السير مكماهون، تجاه الشريف حسين، ومن خلاله العرب جميعاً، بالتزامات قانونية وأدبية، مشجعة إياهم على الثورة ضد الأتراك العثمانيين، كانت، من جهة أخرى، تتفاوض مع فرنسا، لتقوّض كل ما اتفقت عليه معهم ولتطيح كل ما بناه العرب، من جرّاء تحالفهم مع هاتين الدولتين، من آمال في التحرر والاستقلال والوحدة. وقد وصف جورج انطونيوس في كتابه «يقظة العرب» هذه الاتفاقية بأنها «وثيقة مروّعة... بل هي ايضا صورة مرعبة للمخادعة والمكر»[٢٥].

٢ - لقد كان لهذه الاتفاقية، على المديين القريب والبعيد، نتائج سلبية وخطيرة على المنطقة والعالم لا نزال نعاني آثارها اليوم. فهي، إذ جزّأت المشرق العربي الى دويلات صغيرة ومرتبطة بإحدى الدولتين المتعاقدتين، نقلت العرب من استعمار الى آخر أشدّ وطأة وخطرا. إذ إنه، بينما كان الاحتلال العثماني لا يقيم بين الولايات أو الأقاليم في المشرق العربي حدوداً، عمد الاستعمار الجديد

الى خلق الحدود بين هذه الدويلات، التي كانت مصطنعة في بادئ الأمر، ثم أصبحت طبيعية بل وكثيراً ما أضحت عدائية. فكان أن اصبح العرب، بسبب هذه الاتفاقية، أعراباً متعدِّدي النزعات والمصالح، مختلفي المذاهب والمشارب.

٣ - وأخطر نتائج هذه الاتفاقية هو ما آل اليه الوضع في فلسطين، فقد مهّدت هذه الاتفاقية، عن سابق تصوّر وتصميم من الدولتين المتعاقدتين، الى جعلها وطناً قومياً لليهود. ولم يكن وضع فلسطين (المنطقة السمراء)، في هذه الاتفاقية، تحت الانتداب البريطاني، من قبيل الصدفة، بل إن الاتفاقية نفسها قد أعدَّت فلسطين لهذا المصير.

٤ - ومما لا شك فيه أن تقسيم بلاد الشام الى دويلات (هي سوريا، ولبنان وفلسطين والاردن) لم يكن الغرض منه مصلحة هذه البلاد التي كانت تنزع الى التحرر والوحدة، ولأجل هذا ثارت على السلطنة العثمانية، وانما كان الغرض منه ان تظل هذه الدويلات ضعيفة وعاجزة وبحاجة الى الدول الاستعمارية الكبرى، إقتصادياً وعسكرياً على الخصوص، مما يسهّل بالتالي، قيام دولة عنصرية اجنبية قوية، على ارض فلسطين، هي دولة «إسرائيل» التي تنتمي، في الواقع، الى العالم الغربي، وتشكل، بدورها ، ذلك «الحاجز البشري، القوي والغريب» الذي سيظل «قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة» كما جاء في تقرير مؤتمر «كامبل بنرمان»[٢٦].

٥ - وكان الاستعمار، يحسب، ولا شك، ان تقسيمه لهذه البلاد وفرضه الانتداب عليها، وهو استعمار مقنّع، سوف يتيح له التصرف بخيراتها وثرواتها ومصيرها، فانتدبت فرنسا نفسها على سوريا ولبنان، وانتدبت بريطانيا نفسها على فلسطين والاردن والعراق. وأقامت فرنسا في لبنان نظاماً طائفياً لم يستطع أي عهد استقلالي، بعد مرور أكثر من ثمانين عاماً على قيام هذه الدولة، أن

BEIRUT

يخلّص لبنان من شروره، وأقامت بريطانيا، في فلسطين، وعلى حساب أهلها العرب الذين شردتهم في كل جهات الارض، كياناً صهيونياً عنصرياً دخيلاً على أمة العرب ومحتلاً لأرضها، بدون وجه حق، وهو ما لا تزال الاقطار الشامية، بل أقطار الوطن العربي كله، تعاني من شراسته وأطماعه واعتداءاته، كما أقامت مملكة، في الاردن، لنسل الشريف حسين، لا تزال بحاجة الى مساعدات الغرب، لكي تستمر، وأقامت مملكة في العراق، للنسل نفسه، إلا انها لم تستمر.

والملفت، في الختام، ان «مارك سايكس»، وبعد توقيعه، مع «جورج بيكو» الاتفاقية التي عرفت باسميهما، عاد فأدرك مدى خطئه، وعرف مدى الظلم والغدر اللذين أنزلتهما تلك الاتفاقية بحليف بلاده، الملك حسين، ملك الحجاز، وبقومه العرب، وخصوصاً عندما قام بزيارة الملك حسين، في أيار/مايو عام ١٩١٧ (أي بعد سنة، تماماً، من توقيعه للاتفاقية)، وذلك بتكليف من حكومته، وفي محاولة «للتخفيف من قلقه» بعد أن فضح البلاشفة والأتراك أمر الاتفاقية، حيث «بدت قوة الرغبة - لدى العرب - في الاستقلال والوحدة، تتضح، بجلاء، أمام ناظريه، وبدأ ينجلي له الظلم والحماقة اللذان ستوقعهما الاتفاقية بما أقرته من تجزئة»، وعندها، وفي تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩١٧، أرسل «مارك سايكس» الى «اللورد روبرت سسل» وزير الخارجية البريطانية، رسالة يستحثه فيها «من أجل مصالح العالم العامة»، ان تسعى بريطانيا، بكل جهدها، في سبيل «تعهد المدنية العربية وإنعاشها، وتقديم المساندة للوحدة العربية، بقصد إعداد العرب للإستقلال النهائي»[٢٧]، محاولاً، من خلال ذلك، إرضاء ضميره الذي استيقظ، والتكفير عن الخطأ الذي ارتكبه، مع «جورج بيكو»، في إعداد هذه الاتفاقية، إلا انه لم يتمكن من وقف تنفيذها، ومن تلافي النتائج المأساوية والدموية التي سببتها تلك الاتفاقية، منذ اكثر من ثمانية عقود، ولا تزال.

حواشي الفصل الخامس

(١) انطونيوس : جورج ، يقظة العرب، ص ٥٥٦.

(٢) م. ن. ص. ن. ويقصد، بذلك، سوريا الغربية، أو الساحلية، وهي ما سمي، فيما بعد، بلبنان ودولة العلويين.

(٣) م. ن. ص. ن.

(٤) م. ن. ص. ٥٥٧. وانظر: سعيد، أمين، أسرار الثورة العربية الكبرى، ص ٧٢ - ٧٣.

(٥) زين، زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ص ٧٤.

(٦) اسماعيل، عادل، السياسة الدولية في الشرق العربي، ج ٤: ١٩٢ - ١٩٣. وانظر: صايغ، أنيس، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، ص ١٢٠.

(٧) زين، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٨) اسماعيل، المرجع السابق، ج ٤ : ١٩٩.

(٩) م. ن. ص. ن.

(١٠) م. ن. ص. ٢٠٠.

(١١) م. ن. ص. ٢٠٠ - ٢٠١، وانظر: زين، المرجع السابق، ص ٧٠. وانظر المراسلات الروسية البريطانية الفرنسية عند: سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى ج ١: ١٨١ - ١٨٥.

(١٢) اسماعيل ، م. ن. ص ٢٠١.

(١٣) اسماعيل، م. ن. ص. ن. وانظر نص المعاهدة الثلاثية عند: سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، ج ١ : ١٨٥ - ١٨٨.

(١٤) سعيد، م. ن. ص. ١٨٦.

(١٥) م. ن. ص. ١٨٧-١٨٨.

(١٦) م. ن. ص. ١٨٨.

(١٧) م. ن. ص. ١٩١ - ١٩٢.

(١٨) م. ن. ص. ١٩٣، وانظر نص المعاهدة في : م. ن. ص ١٩٣ - ١٩٤.

إلا ان امين سعيد يذكر انه طلب، مراراً، من حكومة مكة، تزويده بنص تلك المعاهدة، إلا انها لم تفعل. لذلك، فهو يقول: «لا يمكن ان اقول إن وزارة الخارجية (البريطانية) مخالفة للحقيقة بأقوالها، ولا أقول: إن حكومة مكة تقول غير الواقع» (م.ن. ص ١٩٤). وقد ظلت قصة هذه المعاهدة مهمة، دون توضيح، ولا تزال .

(١٩) زين ، المرجع السابق، ص ٧٠ وص ٢١٠ حاشية ٣٩.

(٢٠) انظر اتفاقية سايكس - بيكو (والخارطة المرفقة) في آخر الفصل.

(٢١) مؤسسة الدراسات الفلسطينية وقيادة الجيش اللبناني، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، ص ٧٩.

(٢٢) م. ن. ص. ٧٦.

(٢٣) الكيّالي، عبد الوهّاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص ٢٨٨ - ٢٨٩، وقد وضع صكّ الانتداب هذا موضع التنفيذ عام ١٩٢٣.

(٢٤) مؤسسة الدراسات الفلسطينية وقيادة الجيش اللبناني، المرجع السابق ص ٨٠.

(٢٥) ص. ٣٥٣.

(٢٦) انظر كتابنا: مؤامرة الغرب على العرب، ص ٢١ - ٢٦ (مؤتمر كامبل بنرمان ١٩٠٥ - ١٩٠٧).

(٢٧) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٣٥٥ - ٣٥٨، عن كتاب «مارك سايكس، حياته ورسائله»، تأليف: شين لزلي، لندن، ١٩٢٣.

ملحق الفصل الخامس
نص اتفاقية سايكس-بيكو (١٩١٦)

المادة الاولى:

إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان ان تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) (داخلية سورية) و(ب) (داخلية العراق) المبينتين في الخريطة الملحقة بهذا. ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولانكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية، وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثانية:

يُباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولانكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس)[١] إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثالثة:

تنشأ إدارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعيّن شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

(١) الخليج العربي (المؤلّف).

BEIRUT

المادة الرابعة:

تنال انكلترا ما يأتي:

(١) ميناء حيفا وعكا.

(٢) يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهّد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص إلاّ بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدّماً.

المادة الخامسة:

تكون اسكندرون ميناءً حراً لتجارة الأمبراطورية البريطانية، ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء، ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية، وتباح حرية النقل للبضائع الانكليزية عن طريق اسكندرون وسكّة الحديد في المنطقة الزرقاء، سواء كانت واردة الى المنطقة الحمراء أو الى المنطقتين (أ) و(ب) أو صادرة منهما. ولا تنشأ معاملات مختلفة (مباشرة أو غير مباشرة) على أية سكّة من سكك الحديد، أو في أي ميناء من موانئ المناطق المذكورة، تمسّ البضائع والبواخر البريطانية.

وتكون حيفا ميناءً حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها، ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض إعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسية، ويكون نقل البضائع الفرنسية حراً بطريق حيفا وعلى سكّة الحديد الانكليزية في المنطقة السمراء، سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة (ب) أو واردة اليها، ولا يجري أدنى اختلاف في المعاملة بالذات أو بالتبع يمسّ البضائع أو البواخر الفرنسية في أية سكة من سكك الحديد ولا في أي ميناء من الموانئ في المناطق المذكورة.

المادة السادسة:

لا تمدّ سكّة حديد بغداد في المنطقة (أ) الى ما بعد الموصل جنوباً ولا في المنطقة (ب) الى ما بعد سامرا شمالا، الى ان يتم إنشاء خط حديدي يصل بغداد بحلب ماراً بوادي الفرات، ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

المادة السابعة:

يحق لبريطانيا العظمى ان تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب)، ويكون لها، ما عدا ذلك، حق دائم بنقل الجنود، في أي وقت، على طول هذا الخط. ويجب ان يكون معلوماً لدى الحكومتين، أن هذا الخط يجب ان يسهل اتصال حيفا ببغداد، وانه إذا حالت دون إنشاء خط الاتصال، في المنطقة السمراء، مصاعب فنية ونفقات وافرة لإدارته تجعل إنشاءه متعذراً، فالحكومة الفرنسية تكون مستعدّة ان تسمح بمروره في طريق بربورة - أم قيس - ملقى- أيدار- غسطا - مغاير[٢]. قبل أن يصل الى المنطقة (ب).

المادة الثامنة:

تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ) و(ب)، فلا تضاف أية علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين[٣]، إلاّ أن يكون اتفاق بين الحكومتين.

---

(٢) وردت عند انطونيوس: بانياس- أم قيس- صلخد- تال- عسدا- مسمية (م.ن.ص ٥٨١).

(٣) وردت عند انطونيوس: «لا تغيّر قاعدة الرسوم التي تجبى، نسبياً، بقاعدة محددة» بدلاً من «ولا تبدل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين»، وهو ما ورد في كتاب امين سعيد (الثورة العربية الكبرى» ج ١: ١٩٠).

ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه، وما يفرض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة الى الداخل يدفع في الميناء ويعطى لإدارة المنطقة المرسلة اليها البضائع.

المادة التاسعة:

من المتفق عليه ان الحكومة الفرنسية لا تجري مفاوضة، في أي وقت كان، للتنازل عن حقوقها، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى، إلاَّ للدولة أو حلف الدول العربية، بدون أن توافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك التي تتعهَّد للحكومة الفرنسية بمثل هذا، في ما يتعلَّق بالمنطقة الحمراء.

المادة العاشرة:

تتفق الحكومتنان الانكليزية والفرنسية، بصفتهما حاميتين للدولة العربية، على أن لا تمتلكا، ولا تسمحا لدولة ثالثة، ان تمتلك أقطاراً في شبه جزيرة العرب، أو تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الابيض الشرقي(٤). على ان هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن قد يصبح ضرورياً بسبب عداء الترك الأخير.

المادة الحادية عشرة:

تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين، بالطرق السابقة نفسها، لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية.

---

(٤) وردت عند انطونيوس: «أو تنشأ قاعدة بحرية في الجزائر الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر» بدلاً من «أو تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقي» وهو ما ورد عند «أمين سعيد» في كتابه (الثورة العربية الكبرى، ج ١: ١٩١).

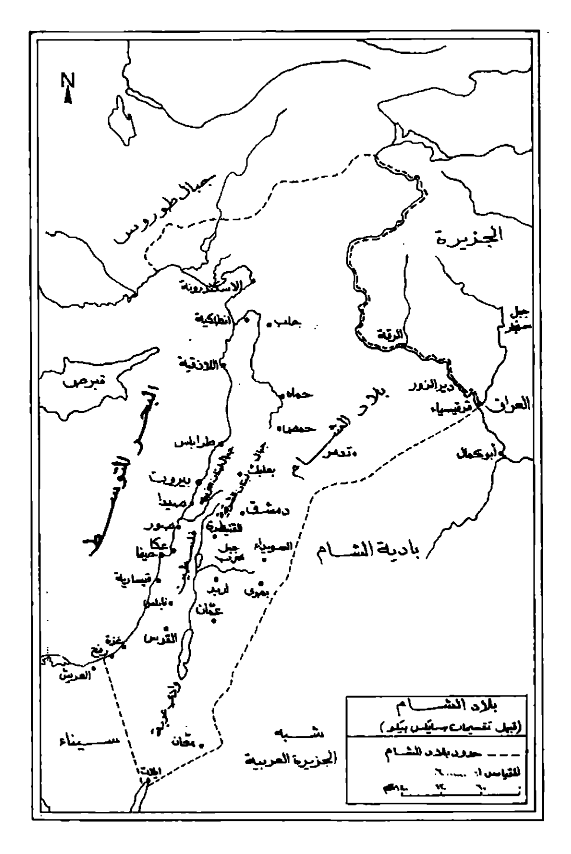
المادة الثانية عشرة:

من المتفق عليه، عدا ما ذكر، ان تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية.

المراجع:

-انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ص ٥٧٩ - ٥٨٢.

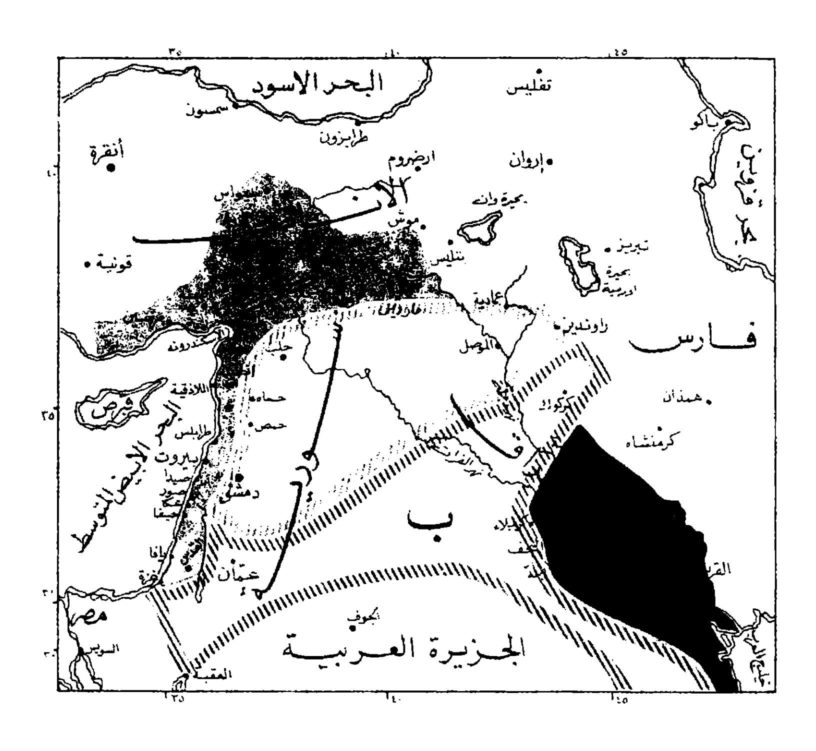
-سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، ج ١: ١٨٨ - ١٩١.



خارطة

بلاد الشام

قبل تقسيمات (سايكس - بيكو) سنة ١٩١٦



تقسيم سوريا والعراق

حسب اتفاقية (سايكس بيكو) عام ١٩١٦

المستند: نوار، عبد العزيز، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث، ص ٥١٢.

الفصل السادس

مقدمات الإحتلال

(جوقة الشرق والمفرزة الفرنسية لفلسطين وسوريا)

في المراسلات التي جرت بين مكماهون والشريف حسين، والتي سبق ان تحدثنا عنها، بدا واضحاً ان بريطانيا تؤيد حليفتها فرنسا فيما تعتبره حقا «تاريخيا» لها في سوريا، كما بدا واضحاً ان وعود بريطانيا لشريف مكة يشوبها، من الشك وعدم الوضوح، ما هو كافٍ لأن يجعل الشريف يتردد في انحيازه الى الحلفاء وإعلان الثورة على السلطنة، ورغم ذلك، فهو قد سارع الى إعلانها، وسار في تأييد بريطانيا وحلفائها الى النهاية، رافضاً محاولات السلطنة للاتصال به لتسوية الخلافات[1]. وإذا كان، فيما نقوله، بعض الإدانة للشريف، فإن من العدل القول إنه يصعب علينا النظر الى الظروف والمواقف، بعد مرور أكثر من ثمانية عقود على تلك الأحداث، بالعين نفسها التي نظر بها الشريف، وثواره، للأمور، في تلك الظروف، خصوصاً انهم كانوا، جميعهم، من كبار القادة العسكريين والسياسيين العرب، لا تنقصهم الفطنة السياسية، ولا بعد النظر، وإن كان ينقصهم «الدهاء السياسي» الذي كان الساسة البريطانيون يتمتعون به، في ذلك الحين.

ولكن الذي لا بد من ان يثير التساؤل، بل الدهشة والاستغراب، هو ذلك الحق «التاريخي» المزعوم الذي ادّعته فرنسا لها في سوريا، وذلك يعيدنا الى

BEIRUT

أوائل الفتح العثماني، عندما بدأت فرنسا تتذرع باختلاف الدين بين المسيحيين الكاثوليك (الموارنة خصوصاً) في جبل لبنان، وبين المسلمين في باقي أنحاء سوريا، لكي تتمكن، بواسطة ذلك، من مدّ نفوذها في هذا الجبل، وعبره، الى عمق سوريا، سواء عن طريق الإرساليات والمدارس والأديرة والرهبانيات[٢]، أو عن طريق صناعة الحرير[٣]، أو عن طريق التدخلات السياسية والديبلوماسية التي قامت بها الدول الكبرى الخمس (ومنها فرنسا)، خلال القرن الميلادي الثامن عشر، مستغلة ضعف السلطنة العثمانية، والتي أدت الى إنشاء نظام القائمقاميتين، ثم التدخلات السياسية والعسكرية (حملة الجنرال دي بوفور دوتبول عام ١٨٦٠-١٨٦١) التي أدت الى إنشاء نظام المتصرفية. وقد استطاعت فرنسا، بناءً على ما تقدم، ان تتمتع بمكانة خاصة لدى كاثوليك سوريا عموماً، وموارنة جبل لبنان خصوصاً، وان تبسط حمايتها عليهم خلال قرون، تماماً كما بسطت دول اوروبية اخرى حمايتها على طوائف اخرى في الجبل (انكلترا على الدروز، وروسيا على الروم الارثوذكس).

وهكذا، فقد تصورت فرنسا ان ما نسجته من علاقات حميمة مع كاثوليك سوريا، وخصوصاً جبل لبنان، وما خلّفته عصور الصليبيين من ذكريات، يمنحها الحق «التاريخي» باحتلال سوريا من جديد، والسيطرة عليها[٤]. يغذي هذا التصّور ما كان لا بد من إدراكه، وهو ان أطماعاً استعمارية كانت تسيطر على أذهان الساسة الأوروبيين (الفرنسيين والبريطانيين والايطاليين والاسبان) وكذلك الروس، عندما يحلمون بالتركة التي سوف يتقاسمونها بعد الإجهاز على «الرجل المريض».

وإستناداً الى هذا التصوّر، بدأت فرنسا ترقب الأوضاع في سوريا، محاولة تقييم الفرص المتاحة لتحقيق أطماعها، ففي دراسة مفصلة وضعتها،

لهذا الغرض، أركان الجيش الفرنسي - قسم افريقيا، بتاريخ ٥ أيار/مايو عام١٩١٦ يبدو كم شغلت عملية الاحتلال هذه أفكار المسؤولين الفرنسيين، مدنيين وعسكريين، وفيما يلي تعريب لما ورد في هذ الدراسة:

الموضوع: مذكرة حول إمكانات التدخل الفرنسي في سوريا.

«ا - الوضع في سوريا:

«تتفق كل المعلومات الواردة الى وزارتي الحربية والشؤون الخارجية، مع ما ورد في رسالة السيد «فلاندان (Flandin)(❖) باستثناء ما يتعلق منها بالمتمردين المسلحين(❖)، من اهل البلاد، حول التعاون الذي ينتظره الحلفاء منهم، والذي ليس لهم تلك الأهمية التي تخصها به هذه الرسالة.

«فالجماعات الارمنية هي، أصلاً، منهكة ومطرودة.

«والجماعات المسيحية قد روضّتها السلطات العثمانية المحلية منذ ان أملت هذه الجماعات بتدخل الحلفاء، إلا انه، وبضغط من حكومة «تركيا الفتاة»، وبسبب انسحاب قواتنا من غاليبولي، أضحت هذه الجماعات هدفاً لكل أنواع الإبتزاز، فقد كانت موضعاً للمساومة حول مسك محفوظات القنصلية الفرنسية ببيروت، وحول الآمال البارزة التي خلفها احتلالنا لجزيرة أرواد.

«والنصيرية، سكان الساحل الشمالي لسوريا، والدروز، واللبنانيون، والروم، والقبائل العربية المنتشرة بين دمشق والفرات، منهكون، كلهم، بالمصادرات غير العادلة، وبالتجنيد المستمر للفتيان الذين أعفوا مراراً،

(❖) لم نجد هذه الرسالة في المحفوظات ولم نعرف مضمونها (المؤلف)، والأغلب ان المقصود «بالمتمردين المسلحين» جماعة الشريف حسين الذي كان يتأهب لإعلان الثورة.

أوائل الفتح العثماني، عندما بدأت فرنسا تتذرع باختلاف الدين بين المسيحيين الكاثوليك (الموارنة خصوصاً) في جبل لبنان، وبين المسلمين في باقي أنحاء سوريا، لكي تتمكن، بواسطة ذلك، من مدّ نفوذها في هذا الجبل، وعبره، الى عمق سوريا، سواء عن طريق الإرساليات والمدارس والأديرة والرهبانيات[٢]، أو عن طريق صناعة الحرير[٣]، أو عن طريق التدخلات السياسية والديبلوماسية التي قامت بها الدول الكبرى الخمس (ومنها فرنسا)، خلال القرن الميلادي الثامن عشر، مستغلة ضعف السلطنة العثمانية، والتي أدت الى إنشاء نظام القائمقاميتين، ثم التدخلات السياسية والعسكرية (حملة الجنرال دي بوفور دوتبول عام ١٨٦٠-١٨٦١) التي أدت الى إنشاء نظام المتصرفية. وقد استطاعت فرنسا، بناءً على ما تقدم، ان تتمتع بمكانة خاصة لدى كاثوليك سوريا عموماً، وموارنة جبل لبنان خصوصاً، وان تبسط حمايتها عليهم خلال قرون، تماماً كما بسطت دول اوروبية اخرى حمايتها على طوائف اخرى في الجبل (انكلترا على الدروز، وروسيا على الروم الارثوذكس).

وهكذا، فقد تصورت فرنسا ان ما نسجته من علاقات حميمة مع كاثوليك سوريا، وخصوصاً جبل لبنان، وما خلّفته عصور الصليبيين من ذكريات، يمنحها الحق «التاريخي» باحتلال سوريا من جديد، والسيطرة عليها[٤]. يغذي هذا التصّور ما كان لا بد من إدراكه، وهو ان أطماعاً استعمارية كانت تسيطر على أذهان الساسة الأوروبيين (الفرنسيين والبريطانيين والايطاليين والاسبان) وكذلك الروس، عندما يحلمون بالتركة التي سوف يتقاسمونها بعد الإجهاز على «الرجل المريض».

واستناداً الى هذا التصوّر، بدأت فرنسا ترقب الأوضاع في سوريا، محاولة تقييم الفرص المتاحة لتحقيق أطماعها، ففي دراسة مفصلةٍ وضعتها،

لهذا الغرض، أركان الجيش الفرنسي - قسم افريقيا، بتاريخ ٥ أيار/مايو عام،١٩١٦ يبدو كم شغلت عملية الاحتلال هذه أفكار المسؤولين الفرنسيين، مدنيين وعسكريين، وفيما يلي تعريب لما ورد في هذ الدراسة:

الموضوع: مذكرة حول إمكانات التدخل الفرنسي في سوريا.

«ا - الوضع في سوريا:

«تتفق كل المعلومات الواردة الى وزارتي الحربية والشؤون الخارجية، مع ما ورد في رسالة السيد «فلاندان (Flandin)(*) باستثناء ما يتعلق منها بالمتمردين المسلحين(*)، من اهل البلاد، حول التعاون الذي ينتظره الحلفاء منهم، والذي ليس لهم تلك الأهمية التي تخصها به هذه الرسالة.

«فالجماعات الارمنية هي، أصلاً، منهكة ومطرودة.

«والجماعات المسيحية قد روضّتها السلطات العثمانية المحلية منذ ان أملت هذه الجماعات بتدخل الحلفاء، إلا انه، وبضغط من حكومة «تركيا الفتاة»، وبسبب انسحاب قواتنا من غاليبولي، أضحت هذه الجماعات هدفاً لكل أنواع الإبتزاز، فقد كانت موضعاً للمساومة حول مسك محفوظات القنصلية الفرنسية ببيروت، وحول الآمال البارزة التي خلفها احتلالنا لجزيرة أرواد.

«والنصيرية، سكان الساحل الشمالي لسوريا، والدروز، واللبنانيون، والروم، والقبائل العربية المنتشرة بين دمشق والفرات، منهكون، كلهم، بالمصادرات غير العادلة، وبالتجنيد المستمر للفتيان الذين أعفوا مراراً،

(*) لم نجد هذه الرسالة في المحفوظات ولم نعرف مضمونها (المؤلف)، والأغلب ان المقصود «بالمتمردين المسلحين» جماعة الشريف حسين الذي كان يتأهب لإعلان الثورة.

BEIRUT

وبالإعدامات المهمة، وبالبؤس العام، وهم ينتظرون، بفارغ الصبر، وصول الفرنسيين، وسوف يمدون لنا يد المساعدة عندما نصل الى سواحلهم، ويستطيعون الاعتماد على مساندتنا لهم.

«لقد رفضت قبائل عربية عدة الخدمة العسكرية، وهي جاهزة لحمل السلاح. كما انه يمكن لبعض الشخصيات العثمانية ان تخون حكومتها، خصوصاً إذا رافق تدخلنا إعلان يظهر عزمنا على السماح للعرب بالتمرد على الأتراك. وقد اشار الى ذلك، مرات عديدة، كل من والي إزمير (Smyrne) وعدد من الضباط العامين، ومفتي دمشق، والزعماء اللبنانيين، والدروز، والمتاولة، والعرنوق؟ (Arnouk)(*) والبدو، الخ.... حتى ان جمال باشا، نفسه، غير معصوم.

«إن ما يؤخذ على فرنسا هو اعتراضها على تدخل منفرد لانكلترا، ولكن الانتصارات الروسية وهزيمة الاتراك عند قناة السويس أنعشت كل الآمال. كما ان إخفاقاً جديداً (للأتراك) يصحب أحداث بلاد ما بين النهرين سيؤدي الى إحباط نهائي للسوريين والى اكتسابنا لتعاطفهم.

«لقد أفرغت فلسطين وسوريا، تدريجاً، من جيوشهما لتعزيز جيشي القوقاز وبغداد، ولم يبق بين بوابات كيليكيا وسيناء سوى نحو ٦٠ألف رجل من جيوش الفئة الثانية، مع مدفعية مخفّضة، أي ما يقارب: ١٠ آلاف رجل في منطقة أضنه، و١٠ آلاف في منطقة حلب، و٢٥ ألفاً في جبهة سيناء. وفي اول نيسان/ابريل (١٩١٦) قدّر «ديفرانس Defrance» وزيرنا في القاهرة، ان اية فترة لن تكون أفضل من هذه للقيام بعمل في سوريا.

(*) لم نجد لها تفسيراً، وربما تكون «الأرناؤوط» (المؤلف).

«II - مشاريع سابقة لعمليات فرنسية:

«منذ دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء، وتوقعاً لاحتمال تدخل فرنسي في آسيا الصغرى، تم تصور عدة مشاريع، ودرسها، وهذه المشاريع هي:

«أ - إبرار في بيروت:

وهي أرض ميدان عام ١٨٦٠، إلا انها تتميز بأننا نعمل في منطقة متعاطفة مع فرنسا (Francofile). وسيكون لدينا، في هذه المنطقة، خط حديدي يوصلنا الى «رياق» حيث يوفر لنا احتلالها قطع الشريان الوحيد الذي يصل تركيا بآسيا الصغرى وفلسطين. ومن دمشق، نمسك ببؤرة العمل العربي.

«إن حملة من فرقة واحدة تكفي لاحتلال لبنان، كما ان فرقة اخرى ستكون ضرورية لاحتلال رياق، وثالثة لاحتلال دمشق. إلا ان صعوبات الأرض التي يجب التغلب عليها، والمدى القصير للعملية، يقوداننا الى البحث عن حلٍ آخر.

«ب - إبرار في حيفا:

«يتبعه وضع اليد على درعا، وهي محطة لخط دمشق - المدينة (المنورة).

«يقدم هذا الحل الامتيازات نفسها التي يقدمها الحل الأول (الإبرار في بيروت)، بالإضافة الى اننا أمام ارض اكثر سهولة وخط حديدي أفضل. إلا ان نجاح هذه العملية يظل أقل تأثيراً من عملية بيروت على الوضع العام في سوريا، كما ان من مساوئه انه يجاور مساحة العمل المحفوظة للانكليز في فلسطين.

«ج - إبرار في طرابلس:

يتبعه احتلال حمص على خط دمشق-حلب، وتتطلب هذه العملية العديد نفسه الذي تتطلبه أي من العمليتين السابقتين دون الحصول على مدى أوسع، كما انها تدخلنا في منطقة مأهولة، جزئياً، بمسلمين متعصبين.

«د - إبرار في اسكندرون:

«وتقدم هذه المنطقة افضل الشروط البحرية، كما انها تسمح بالحصول على قاعدة تمهيدية ممتازة في قبرص، وبالإبرار، بسهولة، في عمق خليج إسكندرون، والتصرف بخطوط حديدية جيدة لاحتلال منطقة طوبراق - كاليه (Toprak-Kalé) وأضنه ومرسين.

«يمكن لهذه العملية ان تقتصر على وضع اليد على ممرات طوروس وأمانوس التي تمنع الاتصالات التركية نحو سوريا وفلسطين ومصر وبلاد ما بين النهرين، وبسبب ذلك، فإنها لا تتطلب، في الواقع، سوى فرقتين، بينما يكون من الضروري ان تتقدم فرقتان أخريان نحو حلب التي يضمن احتلالنا لها سوريا الشمالية، ويسمح لسوريا الجنوبية بالتمرد على العثمانيين.

«لقد كان إبرار الحلفاء في إسكندرون مقرراً من قبل اللورد كيتشنر، بعد الجلاء عن غاليبولي. إلا انه، ومهما كان الحل المعتمد، فإن أخذ المبادرة من قبل القوات الفرنسية والقيام بالعملية سوف يمنحها التفوق على القوات العدوة المتوافرة على الارض، إذ ان صعوبة الاتصال لن تسمح بحشد القوات التركية، المنتشرة على طول سواحل آسيا الصغرى، إلا بعد فترة طويلة.

«III - حسنات التدخل في سوريا:

«أ - من الناحية السياسية:

«- إنقاذ الأهالي الذين يطلبون حمايتنا.

«- استغلال سخط السكان العرب، حيث يحتمل انتشار التمرد في الجزيرة العربية، مما يشل كل القوات التركية المنتشرة بين كيليكيا واليمن.

«- تأثير هذه العمليات على مواطنينا في افريقيا الشمالية الذين يعتبروننا محررين للإسلام.

«- التمرد المحتمل للأرمن في مناطق «زيتون وخربوت» (Zeitoun et Kharput) مما يسهل تقدم الروس.

«- الأمن النهائي لمصر وقناة السويس.

«- تقديم المساعدة التي يطلبها الروس، بإلحاح، في آسيا الصغرى.

«- فقدان الأتراك والألمان لكل الموارد التي يستفيدون منها في كيليكيا، وفي سوريا وفلسطين.

«- إمتلاك رهينة (سوريا) للسلام.

«ب - من الناحية العسكرية:

«- مزايا المبادرة بالعمل، إذا تمكنا من إعداده بسرّية تامة.

«- تجميد القوات التركية التي تزيد كثيراً عن تلك التي تقحمها فرنسا، إمـا لمواجهة هذه القوات، أو للسيطرة على المناطق المنشقة.

«- إقتطاع محتمل لقواتٍ تركيةٍ من جيوش القوقاز وبغداد.

«- تحرير جزء من القوات البريطانية المجمدة في مصر.

«- عند احتلالنا لكيليكيا، نمتلك خط الاتصال الوحيد مع بلاد ما بين النهرين.

«IV - مساوئ التدخل الفرنسي:

«أ - من الناحية السياسية:

«- إن المفعول المباشر للإبرار (الفرنسي) هو انه سيثير اضطهاداً مخيفاً لكل المسيحيين. وإذا تمت العملية بوسائط محدودة، فإنها يمكن ان تتحول الى عملية ذات طابع دفاعي، وسوف تعتبر، بعد غاليبولي وسالونيك، كأنما هي هزيمة جديدة.

«ب - من الناحية العسكرية:

«- إذا لم يجر الإعداد للعملية بسرية تامة، فإن الفترات الطويلة التي يتطلبه تنفيذها سوف تسمح للأتراك بحشد القوات الضرورية، في الزمان والمكان، لمواجهتنا.

«- إن نقل الحملة يتجاوز إمكانات بحريتنا التجارية.

«- يجب ان تُنشأ وسائل مصطنعة للإبرار.

«- يجب الانتباه الى مخاطر الإبرار العنيف، خصوصاً منذ ان تطور قتال الغواصات.

«- إذا سعى الأتراك الى حشدٍ تدريجيٍ لمعظم قواتهم ضد جيش الإبرار، فإننـا سنكون مدفوعين الى تطوير نسبي لأهمية هذا الجيش.

«- يمكن ان تقدر التعزيزات الشهرية لهذا الجيش بما لا يقل عن ١٥٪ من العديد.

«- إن تموين الحملة، بالمقارنة مع تموين جيش الشرق، سيصل الى ما لا يقل عن ١٠٠٠ طن يومياً، وهو ما سيضطرنا الى مضاعفة عدد البواخر المستخدمة في الشرق، على حساب التموين الوطني.

«- إن نجاح العملية لن يؤدي الى تفكيك القوات البلقانية، حتى ولا الى تدمير الجيوش التركية، بل من المحتمل ان لا يكون لدى الترك الإمكانات، ولا الرغبة، في سَوْق معظم جيوشهم الى ما وراء «طوروس» لكي يشتبكوا في قتالٍ معنا، وعندها، لن نحصل على خرق التوازن القائم في الشرق.

«- يصبح الانسحاب المحتمل، للجيوش التي أبرّت، عملية اكثر صعوبة، إن لم تكن مستحيلة.

«- إلا انه، في الأخص، تتضمن العملية كل المساوئ التي ترافق اعتماد مسرح جديدٍ للعمليات، فهي تتضمن انتشاراً جديداً للقوى يتعارض مع الهدف الواحد، المباشر والضروري: البحث عن القرار، على المسرح الرئيسي للعمليات، والمتمثل بتدمير العدو، أي: تدمير الجيش الألماني.

«V - **إمكان العملية:**

«لا يسمح الوضع الحاضر بأخذ أربع فرق جديدة من الجبهة الشمالية-الشرقية، وخصوصاً أخذ ١٥ ألف رجل شهرياً، وهو أمر ضروري لتعزيز عديد تلك الفرق. يجب، إذن، ان تؤخذ هذه القوات من جيش الشرق.

«وبما ان الصرب لا يستطيعون الإسهام في العملية، وبما ان مساوئ التعاون مع الانكليز أضحت مجربة، فإنه يجب ان يُقتطع، من سالونيك، مجموع القوات الفرنسية التابعة للجنرال ساراي «Gl. Sarrail».

«وذلك يعني الرفض النهائي، على الاقل، لكل هجوم في البلقان، وإضاعة ثمرة الجهود المبذولة والأشغال المنفذة، والإعداد الذي جرى، للهجوم على صوفيا.

«إن نقل الجيش الفرنسي من سالونيك الى القاعدة الجديدة للعمليات يتطلب شهرين، على الأقل، ولا يمكن، في هذه الحالة، ان يظل، لمدة طويلة، غير معروف من العدو. وسيتم الإبرار، إذن، بحضور عدوٍ متنبه، مما يعرضه لإخفاق كبير.

«ثم ان وسائل بحريتنا غير كافية لتأمين النقل»(٥).

باريس في ٥ أيار/مايو ١٩١٦

منذ مطلع القرن الميلادي العشرين، كانت لدى فرنسا أطماع حقيقية باحتلال سوريا (انظر الفصل الثالث من هذا الباب)، إلا ان الظروف الدولية لم تكن مواتية. ولكن، ما أن نشبت الحرب العالمية الأولى (عام ١٩١٤) حتى استيقظت لديها تلك الأطماع، فبدأت تعدّ العدّة لتنفيذها، وذلك عن طريق إنشاء وحدات عسكرية من الارمن الذي كانوا قد نزحوا من تركيا بعد المجازر التي تعرضوا لها في مطلع الحرب، ومن السوريين (وكان هذا الاسم يطلق على سكان سوريا الطبيعية، أي: سوريا الحالية ولبنان وفلسطين والأردن) بهدف استخدام هذه الوحدات في الحرب الدائرة ضد السلطنة، بغية تحرير بلادهم منها، فكانت «جوقة الشرق» أول تشكيل عسكري أنشأته فرنسا لهذا الغرض.

أولاً - جوقة الشرق (Légion d'Orient):

كان الجنرال كلايتون (Clayton) مدير مكتب المخابرات البريطانية في القاهرة، قد اقترح إنشاء تجمعٍ، في قبرص، للأرمن الراغبين في التعاون مع الحلفاء لتحرير بلادهم، فقرر وزير الحربية الفرنسي، بتاريخ ٢١ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٦، ان يرسل بعثة فرنسية الى مصر وقبرص لكي تدرس إمكانات تجنيد وحدة من الارمن، بملاكات (Cadres) فرنسية، على ان يكون مقر هذه الوحدة جزيرة قبرص.

وفي الوقت نفسه، وصلت معلومات تشير الى رغبة عدد من السوريين في القتال، تحت قيادة فرنسية، ضد الحكم العثماني، فصدرت أوامر الى القومندان روميو (Romieu)، رئيس البعثة، ليتوسع في دراسته كي تشمل إمكان الإستفادة من هؤلاء السوريين الناقمين على الحكم العثماني في بلادهم، والمنتشرين في كل من مصر وفرنسا واميركا.

وفي ١١ تشرين الاول/أكتوبر من العام نفسه (١٩١٦)، وصل القومندان روميو، مع البعثة، الى الاسكندرية، حيث تباحث، فور وصوله، مع السلطات البريطانية والعملاء الفرنسيين الموجودين في مصر، ومع قائد الفرقة البحرية بسوريا، وزار معسكر اللاجئين الارمن في بور سعيد، ثم وضع، مع المفوض السامي البريطاني لقبرص، شروط تمركز المتطوعين في الجزيرة، وإنشاء معسكرٍ فيها لتلقي هؤلاء المتطوعين.

وقد تبين للقومندان روميو انه، من بين ارمن (جبل موسى) الموجودين في معسكر «بور سعيد»، يمكن تجنيد ٤٥٠ مقاتلاً صالحين للخدمة العسكرية، ومستعدين للانخراط في «الجوقة» المزمع تشكيلها، كما ان اللجنة الارمنية المهتمة بعملية التجنيد هذه ضمنت انخراط الفي مقاتل ارمني في هذه الجوقة: ٥٠٠ منهم في مصر، والباقي (١٥٠٠) في اميركا.

وضمن هذه الأوضاع، اقترح القومندان روميو، على وزارة الحربية الفرنسية، تجنيد هؤلاء المتطوعين الارمن مباشرة، وتجميعهم في قبرص، ثم طلب الملاكات اللازمة لإنشاء اول سرية ارمنية، كما طلب السماح بالمباشرة في تركيز معسكر لهذه السرية على الساحل الشرقي للجزيرة، وعلى بعد ٢٤ كلم شمال «فماغوستا»، وقد أقرت وزارة الحربية الفرنسية اقتراحه، وخصصت مبلغ ١٠ آلاف فرنك فرنسي لتنفيذ هذا المشروع.

وبتاريخ ١٥ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٦، صدر قرار عن وزير الحربية الفرنسية يقضي بإنشاء «جوقة الشرق» بهدف استخدام متطوعين من الارمن والسوريين، من رعايا السلطنة العثمانية، الذين يرغبون في الخدمة، كمساعدين، تحت العلم الفرنسي، في تركيا وآسيا، على ان تتألف من جوقتين: أرمنية وسورية، وعلى ان تتألف «الجوقة السورية» من أركان فوج قتالٍ ومن كتيبتين سوريتين، إحداهما مسيحية، والاخرى مسلمة(٦).

واستناداً الى هذا القرار، أنشئت «جوقة الشرق» في قبرص، بقيادة فرنسية، وتألفت من وحدات ذات ملاكات فرنسية كذلك، وكانت رواتب عناصرها تدفع من قبل الحكومة الفرنسية، وقد حددت التعليمات رقم ١١/٩-٧٩٦٦ تاريخ ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٦ الشروط العامة لتنظيم هذه الجوقة.

وكان إنشاء اول وحدة من المتطوعين الأرمن، في قبرص، استجابة صحيحة لرغبات المهاجرين الأرمن في بور سعيد، إلا ان ذلك كان حافزاً لاجتذاب عدد كبير من الاشخاص، من الجنسية العثمانية، الذين رغبوا في المشاركة بالقتال، تحت العلم الفرنسي، ضد الحكم العثماني، وهكذا، فقد تطورت «جوقة الشرق» تطوراً يتناسب مع الموارد البشرية التي توافرت لها فيما بعد.

كما ان كثيراً من السوريين ابدوا استعدادهم للتطوع في هذه الجوقة، وقد شجعهم، على ذلك، تحالف الشريف حسين، في ثورته، مع فرنسا وانكلترا، وتأييدهما له، ومدّه بالسلاح والمال. وكان قسم كبير من هؤلاء السوريين قد هجر بلاده هرباً من الظلم العثماني واستقر في أميركا، حيث شكلت، في ساو باولو بالبرازيل، «لجنة سورية» أخذت على عاتقها جمع المتطوعين السوريين، كما فعلت الجالية السورية في الأرجنتين الشيء نفسه، وحيث أبرق أحد زعمائها، وهو أمير ارسلاني كان يقيم في العاصمة الارجنتينية «بونس ايرس»، الى وزارة الحربية الفرنسية، يعرض إسهامه في نقل المتطوعين الى فرنسا. هذا بالإضافة الى ان «لجنة مركزية سورية» شكلت، لهذا الغرض، في باريس عام ١٩١٧، وكانت على صلة وثيقة بوزارة الخارجية الفرنسية. وقد تضمن قرار إنشاء «جوقة الشرق» ما يلي:

١ - «تنشأ في قبرص «جوقة الشرق» وذلك بطريقة تجنيد المتطوعين من الجنسية العثمانية الذين ينخرطون في الخدمة كمساعدين (Auxiliaires) تحت العلم الفرنسي، في أثناء الحــرب، ليخدموا في تركيا الآسيوية.

٢ - «يحدد عدد الوحدات بالنسبة الى المتطوعين المسجلين، وتؤخذ الملاكات من الضباط والرتباء الفرنسيين.

٣ - «تكون رواتب عسكريي هذه الجوقة على عاتق وزارة الحربية الفرنسية التي تؤمن، كذلك، تعهد أسلحتهم وصيانتها، وتحدد مخصصاتهم بتعليمات خاصة، وتكون، مبدئيا، مساوية لمخصصات الجنود الفرنسيين.

٤ - «تعامل الملاكات الفرنسية في جوقة الشرق المعاملة نفسها التي هي لعسكريي جيش الشرق (Armée d'Orient).

٥ - «يكلف القومندان روميو تنظيم جوقة الشرق ويؤمن قيادتها.

٦ - «تؤمن لهذه الجوقة الملاكات الفرنسية التالية، وبالسرعة اللازمة:

- نقيب مشاة ١ - ملازم اول ١ - ضابط ادارة ١ - معاون ضابط مشاة ١ - رقيب اداري ٤ - رتيب مجنّد (Recruteur). ان قبول الضباط والرتباء المساعدين في هذه الجوقة وتسميتهم يتمان وفقا لتعليمات وزارية.

٧ - «توضع سلفة عشرة الاف فرنك فرنسي من موازنة الحرب بتصرف قائد هذه الجوقة، وبواسطة قائد الفرقة البحرية بسوريا، وذلك لإنشاء المعسكرات.

٨ - «يستقبل المتطوعون من اميركا بواسطة اللجان (الارمنية والسورية)، من قبل السلطات العسكرية في بوردو ومرسيليا، وتحسب نفقات السفر من اميركا الى فرنسا للمتطوعين المقبولين على عاتق اللجان المطوِّعة[٧]».

باريس/١٥ تشرين الثاني ١٩١٦

التواقيع	وزير الحربية	رئيس قسم افريقيا	رئيس الاركان العامة
	La Caze	Col. Hamelin	Gl. Duport
	(لاكاز)	(الكولونيل هاملان)	(الجنرال ديبور)

وكان تشكيل «جوقة الشرق»، في هذه الآونة، من عناصر أرمنية، في الغالب، ما عدا سريتين من السوريين، وأما القسم الأكبر من الملاكات فكان فرنسياً.

تنظيم الجوقة:

وبتاريخ ٢٦ تشرين الثاني من العام نفسه (١٩١٦) صدرت عن وزارة الحربية الفرنسية - أركان الجيش- قسم افريقيا، تعليمات رقم ١١/٩-٧٩٦٦ تتعلق بتنظيم هذه الجوقة[٨]، وتتضمن ما يلي:

ا - مبدأ التنظيم:

- تتكون هذه الجوقه من الجند المساعدين من الجنسية العثمانية الذين يجندون بطريق التطوع الاختياري.

- تكون نفقاتها على عاتق الحكومة الفرنسية، وتقدم مساعدات الى عسكريي هذه الجوقة المساعدين، (Auxiliaires) لكل خسارة أو نقص في الأهلية ناتج عن الخدمة، وكذلك لعائلات هؤلاء العسكريين الذين يقضون امام العدو (أضيف الى هذه الفقرة، بموجب تعميم رقم ١١/٩-٧٤٦٩ تاريخ ١١ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٧، ما يلي: أو يموتون بسبب جروح أو أمراض ناتجة عن الخدمة، وبالإضافة الى ذلك، تمنح مخصصات الى العائلات المحتاجة من الجوقيين. ويحدد ملحق خاص التدابير المتعلقة بهذه المساعدات والمخصصات، وشروط منحها ودفعها).

- تزود هذه الجوقة بضباط ورتباء فرنسيين أو عاملين بصفة أجانب، جيث يعاونون الملاكات المساعدة المأخوذة من عسكريي الجوقة.

- تنشأ هذه الجوقة في قبرص، وتهيأ للقيام بعمليات محتملة في تركيا الآسيوية.

- يمكن ان تحل هذه الجوقة بقرار من وزير الحربية.

II - التنظيم الـ [1]أنظر الملحق رقم ١: جدول عديد جوقة الشرق).

(وضع موضع لتـ عيذ بتاريخ ٢٥ تموز/يوليو عام ١٩١٧، وعدّل بتعميم صادر تحت رقم ١١/٩-٦٩٧٢ تاريخ ١٨ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٧).

تتألف جوقة الشرق من:

١ - الأركان.

٢ - القسم الفعلي (Portion active).

٣ - المستودع (Dépot).

١ - الأركان:

إن أركان جوقة الشرق هي نفسها أركان قيادة القسم الفعلي، وتكوّن من العدد اللازم فقط لتأمين الاستخدام التكتي للقسم المذكور (انظر الملحق رقم ١).

٢ - القسم الفعلي:

يتضمن، مبدئيا، فوجا أو عدة أفواج مسير (Régiments de marche)، ويحتوي كل منها على عدد متغير من الكتائب.

تُنشأ الكتائب بقرار وزاري، وتتألف كل كتيبة من ٣ سرايا مشاة وسرية رشاش ثقيل بأربع فصائل.

يكون تنظيم الكتائب والسرايا مطابقاً لجداول العديد المرفقة بهذه التعليمات (الملحق رقم ١).

٣ - المستودع:

وهو معد لاستقبال العسكريين الاغرار، وغير المجندين، وتدريبهم، وتزويد القسم الفعلي بالمقاتلين، وكذلك لإنشاء وحدات مسير (unités de

marche) جديدة عندما تسمح الموارد بذلك، وبقرار من وزير الحربية.
ويتضمن المستودع:

١ - **في قبرص:**

أ - أركان المستودع.

ب - مكتب محاسبة يشكل المركز لكل إدارة جوقة الشرق.

ج - سرية مجندين في كل كتيبة من كتائب القسم الفعلي، وتكلف هذه السرية تأمين تجهيز الكتيبة بالعناصر (ملاكـــات، واختصاصيين، ورشاشون ضمناً).

د - عدد غير محدد من سرايا التعليم، يتناسب مع موارد التجنيد.

٢ - **في بور سعيد:** مستودع صغير للعبور، يكلف استقبال المتطوعين الآتين من فرنسا، ومن مصر والشرق الأقصى، وتوجيههم نحو مستودع قبرص.
وفي كل وحدات المستودع أو المسير، يجمع المتطوعون في مجموعات وفقاً لأصولهم وأجناسهم وديانتهم.

(يحدد جدول العديد المبين في الملحق (رقم ١) التأليف العادي لعناصر المستودع).

III - التجنيـد:

- يتم تجنيد عسكريي جوقة الشرق، بالتطوع الاختياري فقط، من الارمن والسوريين أو العرب، «ويسجل هذا التطوع لفترة محددة بسنة أو بسنتين وللخدمة في الشرق»[٩]. وعلى المتطوعين الراغبين ان يحضروا لعقد تطوعهم:

١ - في مكاتب التطوع بباريس (المكتب المركزي) وبوردو ومرسيليا، إذا كانوا مقيمين في فرنسا، وفي بوردو ومرسيليا إذا كانوا قادمين من اميركا.

٢ - في قنصلية فرنسا ببور سعيد، وفي مكتب قائد الجوقة بقبرص، إذا كانوا قادمين من الشرق.

- تقبل عقود التطوع إما بواسطة القيّمين المؤهلين في المواقع المذكورة آنفا، أو بواسطة قنصل فرنسا في بور سعيد أو قائد الجوقة بقبرص.

- يلغى عقد التطوع، بأمر من قائد القطعة، إما في حال حل الجوقة أو لأسباب تأديبية، أو لعدم الأهلية البدنية سواء نتج ذلك عن مرض أو جرح أو حادث ما. (أضيف الى هذه الفقرة، بموجب الملحق رقم ٩/١١-٣١٥٤ تاريخ ٢ أيـار/مايو عام ١٩١٨، ما يلي:

«ان العسكريين المساعدين (Auxiliaires) الذين تلغى عقودهم، لهذه الأسباب، يعادون، على حساب الدولة (الفرنسية) الى البلاد نفسها التي أتوا منها، وذلك وفقاً للأوضاع المبينة في المواد ٨٠ و ٨١ و ٨٢ من المرسوم الصادر بتاريخ ٢١ حزيران/يونيو عام ١٩٠٨ والتي تحدد النظام المتعلق بتعويضات الانتقال للعسكريين المنفصلين».

- يقبل الرتباء والافراد الارمن والسوريون أو العرب الذين يخدمون في الجوقة الاجنبية (Légion étrangère)، في جوقة الشرق، كعسكريين مفصولين من قطعهم.

IV - قانون الملاكات الفرنسية وملاكات العاملين بصفة أجانب:

١ - **الوضع الاداري:** يعتبر الضباط والرتباء والافراد المنقولون الى جوقة الشرق، مفصولين من قطعهم.

٢ - **الترقيـة:** لقائد جوقة الشرق، تجاه هؤلاء العسكريين، فيما يختص بالترقيـة، صلاحيات قائد قطعه، (يضع جدول الترقيـة للرتبـاء والافـراد ويرقيهم، اما الضباط فترفع تراشيحهم الى الوزير). (أضيف الى هذه الفقرة

ما يلي: «تتم الترقية لرتبة معاون أول بأمر من الجنرال قائد المفرزة الفرنسية لفلسطين- سوريا .D.F.P.S» تعميم رقم ١١/٩-٨٩٥٩ تاريخ ١٦ كانون الاول/ ديسمبر عام ١٩١٨).

٣ - **الرواتب والتعويضات:** للضباط والرتباء والافراد الفرنسيين الحق بالمخصصات المعطاة لعسكريي جوقة الشرق، من الرتب نفسها، وذلك من تاريخ وصولهم الى قبرص أو إلى مصر (عدّلت هذه الفقرة بموجب تعميم رقم ١١/٩-٨٧٢٩ تاريخ ١٩ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٦ وأضيف اليها ما يلي: تدفع رواتب الضباط وتعويضاتهم شهرياً وعند الاستحقاق، أما باقي العسكريين فتدفع كل نصف شهر، وعند الاستحقاق).

٤ - **تعويضات الخدمة والتعويضات المكتبية:** وفقاً لتعرفة محدده (انظر الملحق رقم ٢).

V - قانون العسكريين المساعدين في الجوقة:

١ - **الوضع الإداري:** يعتبر متطوعو جوقة الشرق عسكريين مساعدين، ويمكنهم الوصول الى مختلف الرتب حتى رتبة نقيب ضمنا، وعند تساوى الرتبة بين المساعد والفرنسي، تكون الامرة للرتيب الفرنسي.

(عدلت الفقرة التالية بالآتي: «يتساوى هؤلاء بالعسكريين الذين يخدمون بصفة أجانب، مهما كانت رتبهم، وبالرتب نفسها. وهم يتمتعون، من حيث الإمرة، بالحقــوق والامتيازات، نفسها، التي تتمتع بها الملاكات الفرنسية، مع التحفظ على انه، عند تساوي الرتب، تكون الإمرة، دائماً، للرتيب الفرنسي». تعميم صادر عن وزارة الحربية، أركان الجيش، قسم افريقيا، رقم ١١/٩-٥٤٣١ تاريخ ١٢ أيار/مايو عام ١٩١٨).

٢ - **الترقيه**: يضع قائد الجوقة جدول الترقية للرتباء والأفراد ويرقيهم، اما الضباط فتصدر ترقيتهم عن الوزير بناء لاقتراح قائد الفرقة. (عدلت هذه الفقرة بما يلي: «يضع قائد الجوقة جدول الترقية للرتباء والافراد، ويرقي، للوظائف الشاغرة، حتى رتبة معاون ضمناً. أما الترقية لرتبة معاون اول فهي من صلاحية الجنرال قائد المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا .D.F.P.S». وأما الترقية لرتبة ملازم وملازم أول ونقيب فهي من صلاحية الوزير، بناء على اقتراح قائد جوقة الشرق. وحتى إشعار آخر، لا تخضع الترقية لشرط الأقدمية». تعميم رقم ١١/٩-٨٩٥٩ تاريخ ١٩١٨/١٢/١٦).

٣ - **الرواتب والتعويضات**: تتساوى رواتب الضباط المساعدين برواتب الضباط الفرنسيين من الرتبة نفسها، ولكن بدرجة أدنى، اما الرتباء والأفراد فلهم جدول خاص بهم.

(عدّل الجدول الخاص برواتب الجوقيين المساعدين وتعويضاتهم «الراتب اليومي» بجدول آخر تضمن التعرفة التالية: معاون: ٤،٦٩ فرنك فرنسي، رقيب اول: ٣،٤٧ ف.ف، رقيب أو رقيب محاسب معدات: ٣،١٧ ف.ف، عريف محاسب معدات: ٢،٩٧ ف.ف، عريف أو عريف بوّاق: ٢،٦٧ ف.ف. بوّاق: ٢،٦٠ ف.ف. جوقي درجة اولى أو ثانية: ٢،٥٠ ف.ف.)

«قرار وزاري رقم ١١/٩-٢٨٧٦ تاريخ ١٢ نيسان/ابريل عام ١٩١٧.

تعرفة تطبق اعتباراً من اول نيسان/ابريل عام ١٩١٧».

(التوقيع: ديبور) (أنظر الملحق رقم ٣)

وقد عمم هذا القرار الوزاري بتاريخ ١٦ نيسان/أبريل عام ١٩١٧ تحت رقم ١١/٩-٢٩٨٩.

VI - التغذيــة:

١ - الضباط والرتباء والإفراد الفرنسيون والعاملون بصفة اجانب:

لهم الحق بمخصصات وبتعويض تمثيلي للمعيشة، وفقاً لأسس يحددها جدول خاص. ويمكن لقائد الجوقة ان ينشيء للرتباء والأفراد إطعاما (Ordinaire) أو أكثر في الوحدة.

٢ - الضباط والرتباء والأفراد المساعدون (Auxiliaires):

ينالون الحقوق نفسها العائدة للضباط الفرنسيين.

مبدئياً، يؤمن عسكريو الجوقة، من مختلف الرتب، تغذيتهم بأنفسهم، وبواسطة رواتبهم، إلا انه يمكن لقائد الجوقة ان ينشيء إطعاماً أو أكثر في الوحدة، وان يحدد المبلغ المقتطع من رواتبهم لهذه الغاية.

VII - اللباس والتجهيز والعسكرة (Campement) والتسلح وعدة الركوب:

وفقا لمواصفات خاصة حددتها هذه التعليمات. (عدلت هذه التعليمات بملحق رقم ١١/٩-٦٨٠ تاريخ ٢٧ حزيران/يونيو عام ١٩١٨، بإضافة: «يؤمن، كذلك، سلاح الضباط المساعدين، على سبيل الإعارة، من القسم نفسه»).

VIII - الإنضباط:

يخضع عسكريو الجوقة للأنظمة والعقوبات التأديبية المرعية الإجراء في القطع الفرنسية، وفيما يختص بعسكريي الجوقة المساعدين، فإن أيام الحبس تستوجب حسم ربع الراتب، وأيام التوقيف في الخلية (Cellule) تستوجب حسم نصف الراتب. ويستعمل مجموع الحسومات لتحسين تغذية الوحدة التي ينتمي إليها العسكري المعاقب.

IX -التغذية والأقوات والعلف والعتاد:

تؤمن تغذية عسكريي الملاك، ويؤمن علف الحيوانات، والعتاد على اختلافه، على عاتق وزارة الحربية. تؤمن الفرقة البحرية في سوريا هذه الأشياء، ويمكنها ان تفوض قائد الجوقة بشرائها من السوق المحلي.

X - الادارة:

تؤمن الادارة والمحاسبة وفقا للمبادئ العامة المحددة بالتعليمات الصادرة بتاريخ ١٩ أيلول/سبتمبر عام ١٩١١[١٠].

تجري إدارة كتائب القسم الفعلي بصورة منفردة كوحدات ميدان. أما أركان فوج المسير فتدار بواسطة إحدى هذه الكتائب. ويشكل «مكتب محاسبة المستودع» المركز لكل محاسبة جوقة الشرق: القسم الفعلي والمستودع.

أما السجلات المتوجب إمساكها من كل وحدات المستودع فتجدد وفقاً لتلك المحددة للكتيبة، والواردة في البند الخامس من التعليمات الصادرة بتاريخ ١٩ أيلول/سبتمبر عام ١٩١١.

لا يُمسك، للعسكريين المساعدين، سجلات فردية ولا سجل للنفوس.

يكلف نائب القيّم العسكري، في القاعدة الفرنسية ببور سعيد، تنظيم أوامر الصرف لجوقة الشرق، وكذلك تسوية حسابات مكتب المحاسبة العائد للجوقه، والتثبت من صحتها. أما المدفوعات فيؤمنها مكتب الدفع في بور سعيد.

التوقيع: ديبور[١١].

- قبول متطوعين لمصالح جوقة الشرق:

وقد صدرت تعليمات تحمل الرقم ١٢٢ - ١١/٩ بتاريخ ٦ كانون الثاني/يناير عام١٩١٧، وتتعلق «بشروط قبول فرنسا لمتطوعين من اصل عثماني ولصالح جوقة الشرق»، وجاء في هذه التعليمات:

I - المبدأ: وفيه تحديد للمستندات الأساسية لإنشاء الجوقة (قرار الإنشاء وتعليمات التنظيم) وقد مرت هذه المستندات معنا فيما سبق.

II - إستقبال المتطوعين: ويقسم المتطوعون الى قسمين:

١ - المتطوعون المقيمون في الخارج: يتوجهون الى فرنسا بواسطة «بعثات التطوع» التي ارسلت الى الأميركتين، وبواسطة اللجان الشرقية. وفور وصولهم الى فرنسا، يتقدمون من مكتب الموقع في المرفأ الذي أبّروا فيه (الهافر، أوبوردو أو مرسيليا)، ويصطحب كل منهم بطاقة هويته، وشهادة جسن سلوك من القنصل الفرنسي المقيم في بلد الإقامة الاخيرة للمتطوع، أو شهادة من رئيس أحدى اللجان الارمنية أو السورية، مقبولة من الحكومة الفرنسية. ويُلحق المتطوعون، فوراً، بإحدى قطع موقع المرفأ الذي أبرّوا فيه.

٢ - المتطوعون المقيمون في فرنسا: يستطيعون التقدم إما من مكتب موقع أحد المرافئ التي سبق ذكرها، أو من مكتب موقع باريس، وتؤمن هذه المكاتب إلحاقهم بإحدى قطع الموقع.

أما عقود التطوع فيكون تنظيمها على عاتق القطع المغذية.

III - شروط التطوع:

١ - ان يكون التطوع لمدة الحرب وللخدمة ضد تركيا، وذلك وفقاً للشكل المحدد في التعليمات رقم ١١/٩-٧٩٦٦ تاريخ ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر عام

١٩١٦ (عدلت هذه الفقرة بالتعميم رقم ١١/٩-٨٠٢٩ تاريخ ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨. الذي جاء تعديلاً للتعليمات الأساسية رقم ١١/٩-٧٩٦٦ تاريخ ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٦، واصبحت كما يلي: «يكون التعاقد لسنة (أو لسنتين) في جوقة الشرق، وللخدمة في الشرق»).

٢ - على المتطوعين ان يوقعوا عقود تطوعهم فور أخذهم على العاتق (أي فور التحاقهم بالقطعة)، ثم يؤخذون الى مكتب التجنيد في مرفأ الوصول، أو الى المكتب المركزي للتجنيد، مصطحبين معهم بطاقات هويتهم وشهادات حسن السلوك (المذكورة آنفاً)، فمن كان منهم صالحاً للخدمة العسكرية، يوقّع عقد تطوعه امام مساعد القيّم العسكري للموقع. ويعدّ مكتب التطوع سجل الخدمة للمتطوعين، إلا انه لا يسلمهم سجلات فردية، وعلى المتطوع ان يحافظ، بعناية، على سجل خدمته الذي سوف يسلمه الى قائد الجوقة عند وصوله الى قبرص. (عدل هذا البند بموجب المذكرة رقم ١١/٩-٦٦١٧ تاريخ ٢٦ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٧، وأضيف اليه ما يلي:

«إذا تبين ان المتطوع غير صالح للخدمة العسكرية، فمن المناسب الاحتفاظ به، موقتاً، في القطعة المغذية، وذلك حتى اتخاذ القرار بشأنه. وفي هذه الحال، يرفع تقرير عن حالة كل متطوع غير صالح للخدمة الى وزير الحربية (أركان الجيش- قسم افريقيا والشرق)، ويحدد هذا التقرير بلد المنشأ للمتطوع، والأسباب التي تجعل تطوعه غير مقبول، وكذلك مؤهلاته المهنية.

«تدرس حالة كل واحد بالتنسيق مع ممثلي اللجان الشرقية المعتمدة لدى وزارة الحربية، ويمكن ان يستخدم المتطوع، في هذه الحالة، إما في مصانع الحرب في فرنسا، أو ان يعاد الى بلاده الاصلية.

«وفي كل حال، إذا أعلن المتطوعون الآتون من الخارج، والذين يتقرر عدم صلاحيتهم للخدمة، عن رغبتهم في العودة، فوراً، وعلى نفقتهم، الى بلادهم الأصلية، فإنهم يتركون أحراراً، مع مراعاة ان يتم ترحيلهم بانتظام».

IV - رواتب المتطوعين في فرنسا، وإقامتهم:

يتقاضى متطوعو «جوقة الشرق» أثناء إقامتهم في فرنسا، ومنذ يوم تقدمهم من السلطة العسكرية في الموقع المختص، المخصصات نفسها التي يتقاضاها العسكريون الفرنسيون. (عدّل هذا البند بموجب المذكرة رقم ١١/٩-٤١٧٥ تاريخ ٥ حزيران/يونيو عام ١٩١٧، واضيف اليه ما يلي: «ويجهزون، فوراً، ببزة عسكرية للرماة الجزائريين، من الجوخ الكاكي، وتتضمن: سترة وسروالاً واسعاً، وزناراً احمر من الصوف، ولفافات سيقان، وحذاء، وقلنسوة شرطي، والثياب الضرورية. يجب ان تحمل السترة سمات من الجوخ الأحمر مع نجمة ذات خمسة أضلاع من الصوف الاصفر. يعالج الجوقيون المساعدون المرضى في المستشفيات العسكرية مثل عسكريي القطعة الملتحقين بها).

V - نقل المتطوعين الى بور سعيد وقبرص:

ينقل المتطوعون، الذين وقعوا عقود تطوعهم في باريس أو في الهافر أو بوردو، الى مرسيليا، في أقصر فترة ممكنة، وبواسطة القطع التي التحقوا بها. وعلى هذه القطع ان تؤمن لهم، قبل رحيلهم، مخصصاتهم التي يستحقونها حتى يوم رحيلهم ضمناً. أما امر النقل الذي يسلم اليهم، فيجب ان يلحظ كونهم تابعين الى «جوقة الشرق»، وأن مقصدهم النهائي هو قبرص، أو بور سعيد، عن طريق مرسيليا.

«على الجنرال، الحاكم العسكري لباريس، والجنرال قائد المنطقة الثالثة والجنرال قائد المنطقة الثانية عشرة، أن يبلغوا الجنرال قائد المنطقة الخامسة عشرة، برقياً (تلغرافياً)، عن سفر المتطوعين من باريس والهافر وبوردو، عن طريق مرسيليا. وفي مرسيليا، يؤخذ المتطوعون على عاتق مستودع المفصولين (Depôt des isolés) حيث عليه ان يوجههم، بأسرع ما يمكن، نحو بور سعيد. وقبل رحيلهم، على قائد المستودع أن يؤمن لهم مخصصاتهم التي يستحقونها حتى يوم رحيلهم ضمناً. كما يسلمهم «شهادة توقيف راتب» يمكن ان تكون إجمالية.

«على الجنرال قائد المنطقة الخامسة عشرة ان يبلغ، برقياً (تلغرافياً) قنصل فرنسا في بور سعيد، عن كل رحيلٍ للمتطوعين من مرسيليا الى بور سعيد».

VI - افادة الوزير:

«على الجنرال الحاكم العسكري لباريس، والجنرالات قادة المناطق: الثالثة والخامسة عشرة والثامنة عشرة، ان يفيدوا وزير الحربية، في اول كل شهر، وتحت هذا الطابع، عن عدد المتطوعين الذين ارسلوا، من باريس أو من الهافر أو بوردو، وبواسطة مرسيليا، الى بور سعيد وقبرص. ويفاد «لاشيء» عند اللزوم».

باريس في ٦ كانون الثاني/يناير ١٩١٧
وزير الحربية، عنه رئيس الاركان
الجنرال ديبور (Gl. Duport)[١٢]

(ويبين الملحق رقم (٤) صورة لعقد التطوع في «جوقة الشرق»).

- تقرير الكولونيل «هاملان» عن عملية نقل متطوعي «جوقة الشرق:

يتحدث تقرير وضعه الكولونيل هاملان (Col. Hamelin) بتاريخ ٣ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٧ عن عملية نقل المتطوعين في «جوقة الشرق» من اميركا الى فرنسا، ومنها الى قبرص وبور سعيد، وفيما يلي تعريب لنصّه:

الموضوع: تكاليف نقل المتطوعين، في جوقة الشرق، من اميركا الى فرنسا.

«استناداً الى القرار الوزاري رقم ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٦ الذي أنشأ جوقة الشرق، تقوم البعثات المحلية للجان الارمنية والسورية في باريس بتسليف نفقات نقل المتطوعين الارمن والسوريين الى فرنسا. وتسدد مديرية الحرب نفقات الرجال الصالحين للخدمة العسكرية عند إبرارهم في فرنسا.

«واستناداً الى البرقية رقم ٢٨٨٩ تاريخ ٢ آب/أغسطس المنصرم (عام ١٩١٧)، عرضت مديرية الشؤون الخارجية، على وزير الحربية، اقتراحاً، من وزيرنا في «ريو دي جنيرو» بأن يؤمن، مستقبلاً، نقل هؤلاء المتطوعين على مراكبنا، عن طريق المصادرة التي يؤمنها ممثلونا القنصليون، وعلى نفقة مديرية الحرب.

«وقد أشار ممثلونا الديبلوماسيون في اميركا الى ان اللجان الإقليمية تلاقي صعوبات متزايدة في تأمين المبالغ الضرورية لتسليف النفقات للمعنيين، وان هذا الأمر يعرّض عملهم للخطر. وقد اعتقدنا انه يجب الاعتراض على مديرية الشؤون الخارجية، بالبرقية رقم ٩/١١-٦٠٧٥ تاريخ ١١آب/اغسطس المنصرم (١٩١٧)، بأن تسليم إجازات السفر للمتطوعين

الذين لا يخضعون، حتى وصولهم الى هنا (فرنسا)، الى اية معاينة أولية جدّية، في مرفأ الإبحار، يؤدي الى مساوئ تعرّض المرفأ الى تجاوزات، والى تسهيل وصول عناصر، الى فرنسا، غير صالحة للخدمة العسكرية، ويتوجب إعادتها، بعد ذلك، الى حيث أتت. الا ان وزير الحربية، امام إصرار مديرية الشؤون الخارجية، علّق موافقته على شرطين:

«١ - عدم تسليم إجازات السفر إلا الى المتطوعين الذين يخضعون لمعاينة تصفية قاسية جداً، في القنصلية الفرنسية في مرفأ الإبحار، تؤكد صلاحيتهم للخدمة العسكرية.

«٢ - الحصول، من اللجان الأرمنية والسورية بباريس، على ضمانة بأن تلبي، فوراً، كل أمر بإعادة نفقات السفر التي انفقت على المتطوعين الذين تبين انهم غير صالحين للخدمة العسكرية، عند وصولهم الى فرنسا.

«وقد أفادت مديرية الشؤون الخارجية، ببرقية رقم ٣٤٠٣ تاريخ ١٣ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٧، انها توافق على هذين الشرطين، وانها ستعمل للحصول من ممثلينا في اميركا، ومن اللجان الارمنية والسورية، على التأكيدات المشاره اليها اعلاه.

«واستناداً الى ذلك، نتشرف بأن نلتمس من السيد الوزير ان يتفضل بالتوقيع على مشروع القرار التالي، والذي يعدّل التدابير المبينة في القرار الصادر بتاريخ ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٦ فيما يتعلق بانتقال المتطوعين في جوقة الشرق الى فرنسا.

«القرار: تعديلاً للتدابير المبينة في الفقرة الثامنة من القرار الوزاري في ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٦، والذي أنشأ جوقة الشرق، ينتقل

المتطوعون المجندون من اميركا، على المراكب الفرنسية، الى فرنسا، استناداً الى إجازات السفر التي تسلم اليهم من قبل ممثلينا القنصليين، بعد ان يخضعوا، في القنصلية الفرنسية في مرفأ الإبحار، الى معاينة تصفية قاسية جداً، تؤكد صلاحيتهم للخدمة العسكرية.

يطلب الى اللجان الأرمنية والسورية بباريس ان تلبي، فوراً، أوامر إعادة نفقات السفر التي انفقت على المتطوعين الذين يتبين، رغم تلك المعاينة، انهم غير صالحين للخدمة العسكرية، عند وصولهم الى فرنسا»(١٣).

باريس في ٨ تشرين الاول/اكتوبر ١٩١٧	التوقيع: الكولونيل هاملان
موافق: عن وزير الحربية - وكيل الوزارة	رئيس قسم إفريقيا
التوقيع: لويس مورييه (Louis Mourier)	جنرال الجيش: ديبور

وبتاريخ ٢١ آذار/مارس عام ١٩١٨، أرسلت وزارة الحربية الفرنسية (قيادة الجيش - الأركان) الى «قائد الجيوش الحليفة» في سالونيك برقية تتضمن السماح لهذه القيادة بقبول متطوعين من «الأرمن والسوريين» في «جوقة الشرق»، على ان يكون هؤلاء «مستوفي الشروط المطلوبة وفقاً للتعليمات المتعلقة بتنظيم الجوقة»، وان تكون عقود تطوعهم «مطابقة للنموذج الملحق بهذه التعليمات». وتوصي البرقية ان يوجّه هؤلاء المتطوعون، بعد ذلك، الى «المستودع الصغير لعبور الجوقة» في بور سعيد(١٤).

وقد تطور عديد «جوقة الشرق» خلال النصف الاول من عام،١٩١٨ على الشكل التالي:

التاريخ	الضباط		الجند	
	الفرنسيون	المساعدون	الفرنسيون	المساعدون
- ١ كانون الثاني ١٩١٨	٤٧	-	٢٥٦	٢٣٨٤
- ١ شباط ١٩١٨	٤٨	-	٢٩١	٢٦٦٩(*)
- ١ آذار ١٩١٨	٤٩	-	٣٠١	٢٧٧٥
- ١ نيسان ١٩١٨	٥٥	٢	٣٢٦	٢٧٧٤
- ١ أيار ١٩١٨	٦٤	٢	٤٢٠	٣٠٢٠[١٥]

التوقيع: الكولونيل روميو
قائد جوقة الشرق.

انشاء كتيبة سورية في جوقة الشرق، وتقسيم «جوقة الشرق» إلى «جوقة أرمنية» و«جوقة سورية»

وبتاريخ ٧ تشرين الثاني عام ١٩١٨ قررت وزارة الحربية الفرنسية إنشاء كتيبة سورية ضمن جوقة الشرق[١٦]، فأنشئت، في بيروت، وبتاريخ ١٨ كانون الاول عام ١٩١٨، الكتيبة الخامسة في الجوقة، وهي الكتيبة السورية، وتتضمن:

- أركان القيادة وفصيلة الخدمة.
- ٤ سرايا رماة بنادق: - السريتان ٢٠ و٢٣
- سريتان تُنشآن من فائض عديد السرية ٢٣ ومن مصادر التجنيد

ولا تتضمن هذه الكتيبة سرية رشاش ثقيل[١٧].

(*) منهم ٢٤٣٣ أرمنياً و ٢٣٦ سوريا.

إلا انه تبين للقيادة الفرنسية، في أواخر العام ١٩١٨، صعوبة الاحتفاظ بجوقة واحدة تضم الأرمن والسوريين معا، لاعتبارات عديدة فصلتها في المذكرة التي انشئت بموجبها جوقتان، واحدة ارمنية، واخرى سورية، وذلك في مطلع العام ١٩١٩، وقد تضمنت هذه المذكرة الامور الاساسية التالية:

- ان المتطوعين الذين جندوا حتى تشرين الاول عام ١٩١٨ كانوا تقريبا من الارمن فقط، الا انه، منذ تواجد الفرنسيين في سوريا (تشرين الاول ١٩١٨) بدأ السوريون يتطوعون بأعداد مهمة.

- ان صعوبة الاحتفاظ، في الوحدة نفسها، بعناصر ارمنية وسورية متباينة جدا من حيث الاصل والعقلية ونمط الحياة، أدى، منذ البداية، الى تجميع هؤلاء المتطوعين في وحدات خاصة، وتتضمن جوقة الشرق، حاليا (تشرين الاول ١٩١٨) اربع كتائب ارمنية وكتيبة واحدة سورية.

- ما ان تقترب بقعة عمل هذه الجوقة من ارمينيا حتى يبدو هؤلاء المتطوعون منفصلين اكثر فأكثر عن بقاع عملياتهم الطبيعية، سوريا للبعض وكيليكيا وارمينيا للبعض الآخر.

- استناداً الى هذه الاعتبارات، طلبت اللجنة الوطنية الارمنية، من وزير الخارجية الفرنسية، تقسيم جوقة الشرق الى: جوقة ارمنية واخرى سورية. وقد أيد «جورج بيكو» المفوض السامي الفرنسي في فلسطين وسوريا هذا التقسيم.

- اقترح الجنرال قائد قوات المشرق الفرنسية تحقيق تنظيم جوقة الشرق على الأسس التالية:

١ - الجوقة الأرمنية والجوقة السورية: وتحتفظان بالنظام الوارد في التعليمات رقم ١١/٩-٧٩٦٦ تاريخ ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩١٦.

٢ - تتالف الجوقة الارمنية من أركان الفوج الحالي و٤ كتائب ارمنية (موجوده) ومستودع ومكتب محاسبة جوقة الشرق (جميعها موجودة ومتمركزة في كيليكيا).

٣- تتألف الجوقة السورية من أركان فوج مكون من كتيبتين (للإنشاء)، ومن كتيبتين سوريتين، واحدة مسيحية (موجودة) واخرى مسلمة (للإنشاء)، ومستودع (سريتين)، ومكتب محاسبة (للإنشاء).

- تقدِّم الملاكات الفرنسية للوحدات التي يجب ان تُنشأ، وفقا لجداول عديد الحرب لجوقة الشرق الموضوعة بتاريخ ٩ آذار ١٩١٨، وبما مجموعه:

- ١ مقدم .Lt. Col.
- ٢ قادة كتائب.
- ٢٩ نقيباً وملازماً اول.
- ٦ رتباء.
- ١٠ عرفاء.
- ٣٦ جنديا.

- تقدر أركان الجيش (قسم افريقيا) انه من المفيد ان يتم، بأسرع ما يمكن، تقسيم جوقة الشرق الى جوقة ارمنية وجوقة سورية، وذلك ضمن الشروط المذكورة اعلاه.

باريس في ١٨/١/١٩١٩

التواقيع، العقيد رئيس قسم افريقيا
دلماس Delmas

الجنرال رئيس الأركان العامة
آلبي Alby

للمصادقة
في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩
رئيس المجلس وزير الحربية
كليمنصو Clémenceau (❖)

(❖) - SHAT. Son outre-mer, Note N° 546-9/11, Paris le 18/1/1919.

(الملحق رقم ٥): جوقة الشرق، العديد النظامي لأفواج المسير Rgts de marche).

واستناداً الى هذا القرار، انشئت، في اول شباط/فبراير عام ١٩١٩[١٨]، جوقة سورية ضمن جوقة الشرق، وبواسطة مجموعة سورية منخرطة في هذه الجوقة، الا ان ذلك لم يستمر طويلا، إذ حلت جوقة الشرق بكاملها في أواخر العام ١٩١٩[١٩]، وانشئت مكانها الجوقة الارمنية التي حلت بدورها في تشرين الاول/اكتوبر عام،١٩٢٠ ثم اعيد تشكيل الجوقة السورية عام ١٩٢٠ كما سنرى.

موجز لنشاط «جوقة الشرق»:

ونرى من المفيد ان نورد بياناً موجزاً لنشاط «جوقة الشرق» (نشأتها وتطورها وحركاتها وعملياتها الحربية) منذ إنشائها عام ١٩١٦ وحتى حلها عام ١٩٢٠. فقد تطورت «جوقة الشرق» وتحركت وقامت بعمليات حربية على المسرح العسكري في الجبهة السورية وفي خلال العام ١٩١٨، وفيما يلي موجز لأهم التطورات التي مرت بها، والتحركات والعمليات الحربية التي نفذتها:

- بتاريخ ١٤ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٦، انشئت السرية الاولى من جوقة الشرق في «مونارغا» بقبرص، كما انشيء «مستودع» «dépôt» في بور سعيد، يحتوي على عناصر فرنسية «٤ ضباط و ١٠ أفراد».

- في شباط/فبراير عام ١٩١٧، انشئت السرية الثانية في مونارغا، وبوشر بإنشاء السرية الرابعة فيها. انشئت السريتان الثالثة والسادسة (والأخيرة سورية) في بور سعيد، ثم فصلت فصيلة من هذه الأخيرة الى أرواد.

- في اول نيسان/ابريل عام ١٩١٧، شكلت الكتيبة الاولى من جوقة الشرق، من السرايا ١ و٢ و٣ و٤ و٥ في مونارغا. وبقي أركان القيادة والمستودع والسرية السادسة (ناقص فصيله) في بور سعيد.

- في ٣ نيسان/ابريل عام،١٩١٧ التحقت قيادة الكتيبة بمونارغا.

- في ١٢ و١٣ حزيران/يونيو عام ١٩١٧، التحق باقي السرية السادسة (السورية) بمونارغا.

- في آخر حزيران/يونيو عام ١٩١٧، بدأ تشكيل السرية السابعة في مونارغا.

- في منتصف تموز/يوليو عام ١٩١٧، انشئت الكتيبة الثانية في جوقة الشرق من السرايا ٥ و٦ و٧ وسرية رشاش ثقيل (في مونارغا).

- في اول ايلول/سبتمبر عام ١٩١٧، انشئت السرية التاسعة في مونارغا.

- في ١٦ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٧، انشئت السرية العاشرة في مونارغا.

- في اول تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧، انشئت سرية رشاش ثقيل في مونارغا.

وهكذا، فقد ا صبح وضع جوقة الشرق، في اول تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧ كما يلي:

- الكتيبة الاولى مع اركان القيادة (والسرايا ١ و٢ و٤ وسرية رشاش ثقيل) في مونارغا. والسرية الثالثة من الكتيبة نفسها في كاستلوريزو (Castellorizo) بقبرص.

- الكتيبة الثانية (مؤلفة من السرايا ٥ و٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ وسرية رشاش ثقيل) في مونارغا (باستثناء فصيلتين من السرية السادسة السورية في أرواد).

وفي ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه (١٩١٧)، اعيد تنظيم جوقة الشرق على الشكل التالي:

- الكتيبة الاولى: السرايا ١ و٢ و٣ والسرية الاولى رشاش ثقيل في مونارغا.

- الكتيبة الثانية: السرايا ٤ و٥ و٦ والسرية الثانية رشاش ثقيل في مونارغا. (باستثناء السرية الرابعة في كاستلوريزو).

وقد سميت، فيما بعد، السرية الخامسة بالسرية ٢٢ والسرية السادسة بالسرية ٢٣.

- في ١٠-١٣ تموز/يوليو عام ١٩١٨، وصلت عناصر من السرية ٢٣ (السادسة السورية) الى المجدل، على بعد ٦٠ كلم خلف الجبهة البريطانية، ثم انتقلت في ١٩ آب/اغسطس (١٩١٨) من المجدل لتنضم الى جبهة جوقة الشرق في الجزء الجنوبي من الجبهة الفرنسية، بالقرب من رفح، فوصلتها في ٣٠ آب/اغسطس، ودخلت في خط جوقة الشرق في ٣١ منه.

- في ١٩ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٨، انطلق هجوم أللنبي على الجبهة الالمانية، عند موقع عرار، ليل ١٩-٢٠ أيلول/سبتمبر، مرتكزا على الفيلق البريطاني ٢١، وكانت جوقة الشرق في الوسط، وكان موقع عرار مرصّنا ومعززاً بشكل مدهش وعلى الطريقة الالمانية، وقد خسرت جوقة الشرق في هذا الهجوم ٢٢ قتيلا وجرح منها ضابطان و٨٣ جنديا، وفقد ٤ جنود.

- في ٢١ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٨، تجمعت جوقة الشرق حول المزيرى (١٢ كلم جنوب غربي رفح) وعلى بعد ٣٢ كلم من الجبهة، بينما كانت الوحدات البريطانية وفوج الخيالة الفرنسي يطاردون العدو شمالا بشرق.

- في اول تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨، تجاوزت الوحدات البريطانية والخيالة الفرنسية دمشق واصبحت على بعد ١٩٠ كلم من المزيري، فتركتها جوقة الشرق في ٣ تشرين الاول/اكتوبر، واتجهت نحو حيفا فوصلتها في ٨ منه.

- في ٩ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨، ابحرت السرية ٢٢ (السورية) من حيفا وانتشرت في ١١ منه ببيروت.

- في ١٢ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨، انطلقت جوقة الشرق من حيفا، برا، فوصلت الى صور بعد عدة أيام حيث تركت فيها سرية، ثم تركت سرية اخرى بصيدا، وفي ٢٠ منه وصلت الى بيروت. وفي هذه الأثناء، كانت قد شكلت، في قبرص، الكتيبة الثالثة من جوقة الشرق، والسرية ٢١ (سورية)، فأبحرتا منها في ١٥ تشرين الاول/اكتوبر ووصلتا الى بيروت في ١٧ منه، ولم يبق في قبرص سوى مستودع (سرية ارمنية واخرى سورية)، كما بقي مستودع صغير في بور سعيد (مستودع عبور Dépôt de passage).

- في ٣٠ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨، عقدت هدنة مُدروس مع تركيا. وبعد الهدنة، اصبح وضع جوقة الشرق كما يلي:

- استقرت كتائب الجوقة الثلاث، بالإضافة الى السريتين السوريتين ٢١ و٢٣ في بيروت، كما بقيت سريتان، واحدة ارمنية واخرى سورية، بقبرص، وذلك من اول تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨ وحتى ٢٢ منه.

- في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨، أبحرت سريتان من الكتيبة الاولى من بيروت، وأبّرتا بميناء اسكندرون، حيث بدّلتا كتيبة رماة، ولحقتهما، في ٣٠ منه، سريتان اخريان من الكتيبة نفسها، حيث اكملتا إبدال الكتيبة المذكورة. وفي ١١ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٨ تابعت هذه الكتيبة تقدمها نحو الشمال الشرقي، كما نقلت، في الوقت نفسه، الكتيبتان الثانية والثالثة، بحرا، من بيروت الى مرسين، لمراقبة انكفاء الاتراك. وقد بقيت السريتان ٢١ و٢٣ السوريتان في بيروت.

- في ٢٩ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٨، أرسلت الكتيبة الثالثة عناصر منها الى «بوزانتي» (Bozanti).

- في ٤ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩، نقل مستودع قبرص الى اسكندرون، وكان قد تم فيه تشكيل سريتين جديدتين (١٠ و ١٢).

- خلال كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩، انشئت الكتيبة الرابعة من جوقة الشرق في بيروث، ثم شكلت الكتائب الثلاث (الاولى والثانية والثالثة) فوجاً، في اول نيسان/ابريل من العام نفسه.

- في ١٦ نيسان/ابريل عام ١٩١٩، انتقل هذا الفوج على الشكل التالي:

- الكتيبة الاولى: من الحميدية الى تور قولاق.

- الكتيبة الثانية: من اضنه الى باكتاشي.

- الكتيبة الثالثة: من طرطوس الى شمال غربي مرسين.

- وفي تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٩، انتقلت جوقة الشرق بكاملها الى شرق كيليكيا حيث استبدلت «أعدادا كبيرة من البريطانيين».

- في نهاية العام ١٩١٩، حلت جوقة الشرق وانشئت مكانها «الجوقة الارمنية».

- وفي اول تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩٢٠، حلت الجوقة الارمنية[٢٠].

«التوقيع: بلين Blin»

ثانياً - المفرزة الفرنسية لفلسطين وسوريا:

(Détachement français de Palestine - Syrie, DEPS)

انشئت هذه المفرزة في بور سعيد بتاريخ ٢٠ نيسان/ابريل عام ١٩١٧، وحملت، بداية، اسم «المفرزة الفرنسية لفلسطين (Détachement français de Palestine, DFP)، وكانت مهمتها «مواكبة المفوض السامي الفرنسي» وتأكيد «التحالف الفرنسي البريطاني، وإسهام فرنسا في الأحداث التي تجري في فلسطين وسوريا»، لذلك، لم يكن لهذه المفرزة، في بداياتها، دور قتالي يذكر، بل كانت تقوم بدور «جند الحاميات» أو «قوات المواقع»، ولأجل ذلك، فهي قد تألفت من عديد صغير يتلاءم مع هذه «المهمة الصغرى»، وجاء تأليفها على الشكل التالي:

- المقدم دي بييباب (Lt. Col. de Piépape) قائد المفرزة، وأركانه.
- الكتيبة الخامسة من الفوج الإقليمي ١١٥ مشاة.
- كتيبتان من الرماة الجزائريين (الكتيبة السابعة من الفوج الأول للرماة الجزائريين، والكتيبة التاسعة من الفوج الثاني للرماة الجزائريين).
- سيارة اسعاف جبلية، مع خدماتها.

وقد تعززت هذه المفرزة، بعد ذلك، بالوحدات التالية:

- سرية رشاش ثقيل.

- سرية هندسة.
- فصيلة «سباهي» جزائرية.

وبلغ عديدها، بعد إلحاق هذه الوحدات بها: ٧٠ ضابطاً و٣٧٠٠ رجل. وكانت لا تزال، بعد، في بور سعيد (حزيران/يونيو عام ١٩١٧).

وفي مطلع العام ١٩١٨ تقرر تعزيز هذه المفرزة بغية إعدادها للقيام بمهمات قتالية في فلسطين وسوريا، ثم سميت، فيما بعد (في ٢٧ آذار/مارس عام ١٩١٨) باسم «المفرزة الفرنسية لفلسطين وسوريا DFPS»، وقد تلقت، منذ شهر شباط/فبراير وحتى تموز/يوليو من العام نفسه (١٩١٨) التعزيزات التالية:

«- السرية السورية من جوقة الشرق.
- تعزيزات لكتائب الرماة وعناصر القيادة، حتى تم تشكيل «فوج قتال».
- أركان «نصف فوج و٣ سرايا خيالة».
- تشكيلات مدفعية.
- كتيبتا أرمن من جوقة الشرق.
- تعزيزات بوسائط النقل والخدمات».

وفي أيلول/سبتمبر عام، ١٩١٨، كانت هذه المفرزة مؤلفة مما يلي:

- «قائد المفرزة وأركانه.

«١ - **المشاة:** - **فوج قتال من الرماة:** ويتألف من:
- أركان فوج قتال.
- الكتيبة السابعة من الفوج الأول للرماة.
- الكتيبة التاسعة من الفوج الثاني للرماة.
- فصيلة مدفعية مؤلفة من مدفعين عيار ٣٧ ملم.

«- فوج قتال من جوقة الشرق: ويتالف من:

- أركان فوج القتال.
- الكتيبة الاولى الارمنية.
- الكتيبة الثانية الارمنية.
- الكتيبة ٢٢ السورية.
- الكتيبة الخامسة من الفوج ١١٥ للمشاة التونسيين.

«٢ - الخياله: - الفوج المختلط لخيالة المشرق: ويتألف من:

- ٢ سرايا خيالة (السريتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة من الكتيبة الرابعة لقناصة افريقيا، والسرية الاولى من كتيبة «السباهي» الاولى).
- سرية راجلة، وهي السرية الثامنة من كتيبتـــة «السباهي» الرابعة.
- فصيلة راجلة من الرشاش الثقيل.

«٣ - المدفعية: - أركان كتيبة مدفعية: وتتألف من:

- البطارية الرابعة عشرة للمدفع ٧٥ ملم من الكتيبة الخامسة الافريقية.
- البطارية الثلاثين للمدفع ٦٥ ملم من الفوج الثاني للمدفعية الجبلية.
- بطارية ٨٠ ملم.
- الفصيلة الثلاثين للذخيرة.

«٤ - الهندسة:

- سرية من الفوج الثاني للهندسة.
- فصيلة اتصال تلغرافي من الفوج الثامن للهندسة.

«٥ - الطيران:

- سرب ٥٧٥.

«٦ - المصالح:

- رحبات ملحقة بالمدفعية وبالهندسة.
- مصلحة السيارات.
- مصلحة الصحة.
- مصلحة القوامة.
- القضاء العسكري والشرطة العسكرية، والمالية، والبريد».

وقد بلغ عديد هذه القوات: ٢١٥ ضابطاً و٧٤٣٠ رجلاً و٢٣٢٧ حيواناً.

إلا ان عديد هذه القوات قد نقص كثيراً خلال الأشهر الثلاثة الاخيرة من عام ١٩١٨ والشهر الأول من عام ١٩١٩[٢١].

ونستطيع ان نتبين الوظيفة «الاستعمارية» لهذه المفرزة من خلال امر التسلم (الأمر رقم ١) الذي وجهه قائدها الى ضباط المفرزه وجنودها، وجاء فيه:

«أنشئت المفرزة الفرنسية لفلسطين بتاريخ هذا اليوم (١٩١٧/٤/٢٠).

مدعواً الى شرف تسلّم قيادتها، أحيي الضباط والرتباء والجنود الذين يؤلفونها، وادعوهم الى التضحية بكل شيء في سبيل اداء المهمة التي حددت لها». ويحدد «دي بيبياب» هذه المهمة، في هذا الأمر، بقوله:

«هذه المهمة مجيدة بين كل المهمات، مستعيدة التقاليد العريقة، ومتابعةً المشروع الذي بدأه بونابرت عام ١٧٩٩، والجنرال دي بوفور قائد الحملة عام ١٨٦٠، سوف تأخذ فرنسا مكانتها، الى جانب الانكليز، حلفائها الشجعان، لكي تحمل الى اهالي سوريا الذين يتحملون، منذ زمن طويل، طغيان النير التركي، الانعتاق والحرية».

ويتابع «دي بيباب» بزهو وافتخار بالمهمة التي انتدب، ووحدته، لإدائها: «يا جنود فلسطين. إنكم ستقاتلون في سبيل مبدأ الحق والعدالة، وستعرفون

كيف تكونون في مستوى مهمتكم: تحترمون الممتلكات والاشخاص، وكذلك المعتقدات، وتخدمون الانضباط والواجب، وتفرضون احترامكم على الجميع بسلوككم وببسالتكم، حيث ستبدون محررين، حقاً، للبلدان المضطهدة.

إن الهدف واضح امام اعينكم، فسيروا نحوه بلا وجل.

إن فرنسا تعتمد عليكم».

متن الباخرة «مينتونكا Minntonka»

بتاريخ ١٩١٧/٤/٢٠

المقدم «بيبباب» قائد المفرزة.

وكذلك، من خلال «الأمر العام رقم ١» الذي وجهه اليها قائدها (الجديد) الجنرال «هاملان Hamelin» بتاريخ ٢٨ تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩١٨، بمناسبة إبرارها ببيروت، بالتاريخ نفسه، حيث قال:

«يا ضباط المفرزة الفرنسية لفلسطين وسوريا (D.F.P.S.) ورتباءها وعرفاءها وجنودها.

«أحمل اليكم، بمناسبة إبراركم ببيروت في ٢٨ تشرين الأول/اكتوبر، تحيات رفاقكم في الجبهة الفرنسية، الذين يعرفون انتصاراتكم المجيدة، ويدركون كم أسهمت عملياتكم في هزيمة العدو.

«وانني، إذ دعتني الحكومة لشرف قيادتكم، سيكون من دواعي حزني ان أحل محلّ قائدكم «الكولونيل فيلبان دي بيبباب» الذي هو صديق عزيز لي، والذي سيوافق على ان يبقى روح هذه الحملة.

«انكم ستجدون، لديّ، الاهتمام نفسه، والرغبة نفسها، في ان اجعلكم تشاركون في العمليات الرائعة، مع اصدقائكم البريطانيين، وان تمنحوا هذه البلاد الهدوء والسلام، ضمانة ازدهارها المقبل.

«ولأجل هذه المهمة، الفرنسية خصوصاً، سوف تستمرون في ان تتحملوا، وبفرحٍ، أصعب التضحيات، وخصوصاً منها: البعد عن عائلاتكم.

«إن عيون فرنسا تشخص اليكم».

متن الباخرة «دي شايلا DU CHAYLA»

ميناء بيروت

في /اكتوبر ١٩١٨

الجنرال «هاملان» قائد المفرزة[٢٢].

وفي «موجز تاريخي للاحتلال الفرنسي لسوريا و كيليكيا»[٢٣]، وهي وثيقة عثرنا عليها في المحفوظات الفرنسية، تبين انه «عند بدء أول نجاح للجيش البريطاني في فلسطين، (مطلع عام ١٩١٧)، لم تكن فرنسا لتقبل ان ترى العلم البريطاني يخفق، لوحده، في مناطق تتجلى فيها مظاهر التأثير الفرنسي». وعندها، تم الاتفاق، مع الحكومة البريطانية على ان «تُرسَل مفرزة الى فلسطين، لكي تمثل فرنسا، الى جانب الانكليز. وقد سميت هذه المفرزة: المفرزة الفرنسية لفلسطين (DFP) وسلمت قيادتها الى الليوتنان كولونيل (المقدم) دي بيباب. وقد انشئت، في بور سعيد، بصورة نهائية، في ٢٥ نيسان/أبريل عام ١٩١٧،[٢٤] وبدأت ممارسة اعمالها في ٢٤ أيار/مايو من العام نفسه».

وقد شُكلت هذه المفرزة، حينذاك، من: كتيبتي رماة، وكتيبة إقليمية، وكوكبة خيالة. وبما ان هذه التشكيلة لم تكن تساعدها على القيام «بعمليات نشطة»، فقد كان دورها، في القتال مع الجيش البريطاني في فلسطين، مقتصراً على «إشغال الارض المحتلة من قبل الحملة البريطانية».

إلا انه، عند بدء الهجوم البريطاني العام، بقيادة الجنرال أللنبي (اواخر تشرين الاول/ اكتوبر عام ١٩١٧)، قررت القيادة الفرنسية تعزيز هذه المفرزة لكي تصبح قادرة على «الإسهام في العمليات» الى جانب القوات البريطانية. وقد عززت المفرزه، حينئذٍ بالقوات التالية:

« - فوجي مشاة (منها واحد أرمني)

«- فوج خيالة

«- بطاريتي مدفعية

- مصالح». ونتيجة لذلك، استطاعت هذه المفرزه الإسهام «بدور لامعٍ، في معركة ١٩ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٨، وفي العمليات التي سجلت نهاية الحرب في فلسطين».

وبعد توقيع الهدنة مع تركيا (في مُدروس بتاريخ ١١ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨)، كان الانكليز قد احتلوا القسم من سوريا (الداخلية) المخصص لفرنسا، وفقاً لاتفاقية سايكس-بيكو، كما كانوا قد احتلوا «لوحدهم، أو بالتعاون مع القوات العربية (الشريفية)، كيليكيا ومنطقة المدن الأربع: حلب وحمص وحماة ودمشق».

وكان الجنرال «هاملان» قد تسلم (في تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨) قيادة المفرزة، حيث تم تعزيزها، من جديد، لكي تتمكن من القيام بالمهمات التي ستوكل اليها في المرحلة القادمة، بعد انتهاء الحرب مع السلطنة، وتنفيذاً لاتفاقية «سايكس-بيكو».

وفي الأشهر الاولى من عام ١٩١٩ «وبهدف استبدال الانكليز (الذي كان يبدو وقريباً) من المنطقة الفرنسية في سوريا وكيليكيا، ورغم بعض المعارضة من قبل القيادة الانكليزية» بدأ تعزيز المفرزة (التي اصبح اسمها: المفرزة الفرنسية لفلسطين وسوريا)، حيث عززت بالقوات التالية:

«- ٤ أفواج مشاة + كتيبة واحدة (فوج مختلط من الزواف والرماة، والفوج ٤١٢ والفوج ٤١٢ والفوج ٤١٥ والجوقة الأرمنية المؤلفة من ٣ كتائب، والجوقة السورية بكتيبة واحدة).

«- فوجي خيالة.

«- بطاريتي مدفعية».

وقد سميت هذه المفرزة، فيما بعد (في كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩) باسم «قوات المشرق الفرنسية «TROUPES FRANCAISES DU LEVANT»، واستطاعت، بعد هذه التعزيزات، ان تأخذ مكان الجيوش البريطانية في كيليكيا.

وقد شكلت «جيوش المشرق»: هذه، بعد وصول التعزيزات، لواءين مختلطين: واحد في سوريا، والآخر في كيليكيا.

وفيما يلي موجز لتنظيم «المفرزة الفرنسية لفلسطين DFPS»:

أ - عند إنشائها (في بور سعيد، في نيسان/أبريل عام ١٩١٧):

- قائد المفرزة: المقدم (LT. COL.) دي بييباب (DE PIEAPE).

- رئيس الأركان: النقيب غرينيه (Cne GRENET). وتتألف المفرزة من:

١ - **المشاة**: - الكتيبة الخامسة من الفوج ١١٥ الإقليمي، قائد الكتيبة: الرائد ديليتوال (Cdt. DELETOILLE).

- والكتيبة السابعة من الفوج الأول للرماة، قائد الكتيبة: الرائد بروتي (Cdt. BROUTY).

- والكتيبة التاسعة من الفوج الثاني للرماة، قائد الكتيبة: الرائد ديبوي (Cdt. DUPUY).

٢ - **الخيالة:** - كوكبة سباهي. آمر الكوكبة: الملازم بروس (S.Lt..BROSSE).

٣ - **الهندسة:** - سرية هندسة. آمر السرية: الملازم الأول بريسير (Lt. BRESSIERE).

٤ - **الصحة:** سيارة اسعاف جبلية. رئيس الطبابة: الطبيب الرائد شاتينيير (MEDECIN-MAJOR CHATINIERES).

٥ - **قاعدة بور سعيد:** وكانت موضوعة بتصرف قائد المفرزة الذي كان عليه ان يموّن، بالإضافة الى مهمته الأساسية، مهمتين في المشرق، هما:

- مهمة عسكرية في مصر (العقيد بريمون COL. BREMOND).
- الجوقة الارمنية في قبرص (المقدم روميو Lt. COL. ROMIEU).

II - وعند إعادة تنظيمها (نيسان/ابريل - أيار/مايو عام ١٩١٨):

- قائد المفرزة: دي بيبباب.
- رئيس الأركان: النقيب غرينيه. وقد تألفت من:

١ - **المشاة:** أ - فوج مسير (Bn de marche) من الرماة، قائد الفوج: المقـــدم رينييه (Lt. COL. REGNIER). وفيه:

- الكتيبة السابعة من فوج الرماة الأول، قائد الكتيبة: النقيب باريـــات (Cne PARIAT).
- والكتيبة التاسعة من فوج الرماة الثاني، قائد الكتيبة: الرائد ديبوي (Cdt. DUPUY).

ب - فوج الجوقة الارمنية، قائد الفوج: المقدم روميو (Lt. COL. ROMIEU). وفيه:

- الكتيبة الأولى من الجوقة الارمنية، قائد الكتيبة: الرائد جولي (Cdt. JOLLY).

- والكتيبة الثانية من الجوقة الارمنية، قائد الكتيبة: الرائد لوجيه (Cdt. L'AUGET).

- والكتيبة الثالثة من الجوقة الارمنية، قائد الكتيبة: النقيب بوكسوهيه (Cne. BEUXOHER).

٢ - **الخيالة:** - فوج مسير مختلط من الخيالة، قائد الفوج: الرائد لوبون (Cdt. LEBON). وفيه:

- السرية ١٥ من الفوج ٤٨ لقناصة إفريقيا، قائد السرية: النقيب غيشار (Cne GUICHARD).

- والسرية ١٦ من الفوج نفسه، قائد السرية: النقيب برانكو (Cne. PRANCOU).

- وسرية من فوج السباهي الاول، قائد السرية: النقيب ويدولف (Cne. WIDOLFF).

- والسرية الثامنه من فوج السباهي الرابع، قائد السرية: النقيب دي كرفرسو (Cne. DE KERVERSAU).

- وكوكبة رشاش ثقيل، أمر الكوكبة: الملازم الأول دي لاهاي (Lt. DE LA HAIE).

٣ - **المدفعية:** - كتيبة مدفعية المفرزة، قائد الكتيبة: الرائد ليفاسير (Cdt... LEVASSEUR).

٤ - **الهندسة:** - سرية هندسة، قائد السرية: النقيب بوي (Cne POUILLE).

- ومفرزة تلغراف. آمر المفرزة: الملازم وينكلر (S/LT. WINCLER).

٥ - **المصالح: القِوامة:** مساعد القِوامة: دور (DOR).

والصحة: رئيس مصلحة الطبابة: الطبيب الرائد درجة اولى ديرواج (MEDEC N MAJOR DEYROIJ).

٦ - **جند المراحل:** - كتيبة من الفوج الاقليمي ١١٥، قائد الكتيبة: الرائد ديليتوال (Cdt. DLETOILLE).

٧ - **قاعدة اللد المتقدمة:**

- قائد القاعدة: الرائد ديليتوال

- مساعد قائد القاعدة: الرائد كابديجيل (Cdt. CAPDEJELLE).

٨ - **قاعدة بور سعيد**

وقد وضع هذه المعلومات، عن تنظيم المفرزة في مرحلتيها، الأولى (نيسان/ابريل ١٩١٧) والثانية (نيسان/ابريل ١٩١٨)، الكولونيل دي بيبباب، القائد السابق للمفرزة، وذلك في أضنة بتاريخ ٧ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٩[٢٥].

(ويبين الملحق رقم (٦) التعزيزات المتتالية للمفرزة).

موجز لنشاط المفرزة:

وفيما يلي موجز لنشاط المفرزة الفرنسية لفلسطين (DFP) خلال فترة قيادة العقيد دي بيبباب (نيسان/ابريل عام ١٩١٧ - آخر تشرين الأول/اكتوبرعام ١٩١٨):

« - في ٢١ نيسان/أبريل عام ١٩١٧): إبرار المفرزة في بور سعيد.

«- في آخر ايار/مايو عام ١٩١٧: انتقال المفرزة الى خان يونس (٢٠ كلم جنوب غزة) وكانت مهمتها حماية خطوط المواصلات.

«- من ايار/مايو حتى تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧: تمركز المفرزة في خان يونس لتنفيذ المهمة.

«- تشرين الثاني/نوفمبر - كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٧: إشتراك المفرزة، على خطوط المواصلات، بمجمل العمليات التي أدت الى سقوط كل من غزة وبير سبع ويافا والقدس.

«- ٩ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٧: مفرزة من الفوج ١١٥ الاقليمي، ومفرزة من الرماة تشتركان في الدخول الى القدس، وتبقيان فيها كحامية (GARNISON).

«- من كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٧ حتى نيسان/ابريل ١٩١٨عام: احتلت المفرزة، بالتتابع، مخافر دير سنبيد ثم الرملة (قرب اللد)، واستمرت في حماية خطوط المواصلات.

«- في ايار/مايو وحزيران/يونيو وتموز/يوليو عام ١٩١٨: أعيد تنظيم المفرزة، وتشكيل العناصر في نقطتين منفصلتين: في الرملة وفي معسكر فيري-بوست (FERRY - POST) قـــرب الاسماعيلية (على قناة السويس)، وحشدها في معسكر المجدل (على نصف المسافة بين يافا وغزة) في اوائل شهر تموز/يوليو (١٩١٨).

«- إنشاء قاعدة متقدمة في اللد.

«- في ١٤ تموز/يوليو عام ١٩١٨: بعد ان اعيد تنظيم المفرزة وحُشدت في المجدل، استعرضها رئيس اركان جيش الجنرال ألنبي، وذلك بحضور المفوض السامي الفرنسي.

«- من ١٥ تموز/يوليو حتى ١٨ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٨: ألحقت المفرزة، كفرقة مستقلة، بالفيلق (CORPS D'ARMEE) الانكليزي الحادي والعشرين، وأمسكت بقطاع رفح في الخط الاول، مؤمنةً الاتصال بين الفيلقين: العشرين والحادي والعشرين (المقر العام) في رنتيس.

«- طول الجبهة الممسوكة: ٥ كلم تقريباً.

«- ضمّ فوج الخيالة الى الخيالة الانكليزية.

«- في ١٩ و ٢٩ أيلول/سبتمبرعام ١٩١٨: اشتركت المفرزة في الهجوم العام على الجيش التركي، وتمكنت، ببراعة، من اقتلاع العدو من ثلاثة اهداف كانت قد حددت لها، وهي:

«ثري بوشز THREE BUSHES، وسورّي هيل SOURRY- HILL، وجبل أرارا»، وكانت كتيبتا المشاة ٧٠١ و ٧٠٢ الالمانيتان تدافعان عن هذه الأهداف.

«- من ٢٠ أيلول/سبتمبر حتى ١٥ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨: تقدمت المفرزة، وهي تطارد العدو، حتى وصلت الى حيفا، ثم بيروت. وقد تقدمتها، الى بيروت، مفرزة متقدمة اشتركت مع الجنرال بولفين (BULFIN) قائد الفيلق الحادي والعشرين، في الدخول الى بيروت.

«- اشترك فوج الخيالة، ببراعة، مع الخيالة الانكليزية، في مطاردة الجيش التركي وتدميره، محتلاً، بالتتابع: طولكرم، فنابلس، فجسور نهر الاردن، فمدينة دمشق (٢ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨).

«- بدءاً من ١٥ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨: تجمعت المفرزة في بيروت حيث عززت بثلاث كتائب من الجوقة الارمنية اتت من قبرص.

«- الغيت القاعدة المتقدمة في اللد واعيدت الى بور سعيد. وعين العقيد دي بيبياب في منصب المدير الاعلى للاراضي المحتلة، مع احتفاظه، موقتاً، بقيادة المفرزة.

«- في ٢٨ تشرين الأول/اكتوبر ١٩١٨: أبرّ الجنرال «هاملان HAMELIN» في بيروت، وتسلّم قيادة «المفرزة الفرنسية لفلسطين وسوريا «DFPS»، التي اتخذت، من جديد، اسم «قوات المشرق الفرنسية «TROUPES FRANCAISES DU LEVANT»[٢٦].

حواشي الفصل السادس

(١) انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ص ٣٢٢.

(٢) راجع الرسائل التي بعث بها البطاركة الموارنة والقناصل الخازنيون الى ملوك فرنسا ووزرائها، بدءاً من أواخر القرن الميلادي السابع عشر، في: الجزء الثالث، ملحق الوثائق.

(٣) راجع رسائل «بورتالي PORTALIS» (وهو فرنسي كان يملك معامل غزل للنسيج في جبل لبنان) الى الجنرال «دي بوفور دوتبول» قائد الحملة الفرنسية على سوريا عام ١٨٦٠ - ١٨٦١، وذلك في كتابنا: فرنسا والموارنة ولبنان، ص ٤٧٠ - ٤٧٦، و Soueid, y, corps expéditionnaire de Syrie, pp. 412 - 418.

(٤) يذكر الجنرال «فيليب غورو» في كتابه عن جده «الجنرال هنري غورو» ان من بين أسباب اندفاع فرنسا لاحتلال سوريا، ما قدمه المتمولون الفرنسيون، منذ أواخر القرن الميلادي التاسع عشر، من ديون للعثمانيين، حتى أضحى «معظم دائني الدين العثماني فرنسيين»، بالإضافة الى أعمال اخرى مثل «أعمال المساعدة وأعمال ثقافية»، إذ ان «كل رجل مثقفٍ، من استنبول الى القاهرة، يتكلم الفرنسية».

(Gouraud, Philippe, le Général Henri Gouraud au Liban et en Syrie, 1919 -1939).

(٥) - Service historique de l'Armée de Terre (SHAT), vincennes, Carton 4H1, Dossier 3, (Archives de l'EM. de l'Armée, Son d'Afrèque, Bureau d'orient 9, n°. 2831-9/11.

(٦) - SHAT, Ancienne Section,Côte 7 n° 1640.

(مذكرة موضوعة بتاريخ ١٨ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩ بعنوان: «التنظيم الحالي لجوقة الشرق، ومضاعفتها بجوقة ارمنية واخرى سورية»).

(٧) - SHAT, Son outre-mer, Rapport n° 7549-9/11 daté du 14 Novembre 1914, (Carton 4H 38, Dossier 1).

(٨) - Instruction n°. 7966-9/11 datée du 26 Novembre 1916.

(٩) كانت هذه الفقرة كما يلي: «ويسجل هذا التطوع لفترة الحرب وللخدمة ضد تركيا»، إلا انها عدّلت بالقرار الوزاري رقم ١١/٩-٨٠٩٢ تاريخ ١٣/١١/١٩١٨.

(١٠) - SHAT, Vincennes, Son outre-mer, Carton 1 L0.

(١١) تجدر الاشارة الى ان التعليمات الأساسية هي بتوقيع الجنرال روك (Roques)، اما التعديلات الصادرة بتاريخ ١٨ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٧ فهي بتوقيع الجنرال ديبور (Duport).

(١٢) - SHAT, Son moderne, Carton 4H, Instruction n°. 122-9/11, (émanant du ministère de la Guerre, Etat-Major de l'Armée, Section d'Afrique et d'Orient).

(١٣) - SHAT à Vincennes, Son Moderne, Carton 4H. (Ministère de la guerre, E.M. de l'Armée, Son d'Afrique, Rapport n°. 7297-9/11, fait au Ministre).

(١٤) برقية مرسلة تحت رقم ١١/٩-٢١٠٢، وموقعة من الجنرال ڤيدالون (Vidalon) نائب رئيس أركان الجيش الفرنسي، بأمر من وزير الحربية والجنرال رئيس الأركان.
(SHAT. E.M. de l'Armée, Son d'Afrique, Vincennes, SHAT, Son outre-mer Carton 2L0).

(١٥) - SHAT. Son outre-mer, Carton 2L0.

(١٦) البرقية الوزارية رقم ١١/٩-٧٨٥٩ تاريخ ٧ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨، والتي تقرر، بموجبها، تشكيل الكتيبتين: الرابعة والخامسة، في جوقة الشرق.

(١٧) مذكرة للقرار رقم ٢٨ تاريخ ١٨ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٨.
(SHAT, Carton 4H2, Dossier 1).

(١٨) مذكرة رقم ١١/٩-٥٤٦ تاريخ ١٨ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩.

(١٩) - SHAT, Son outre-mer, Carton 4L0.

(٢٠) - Ibid, Carton 1L0.

(٢١) - Du Hays, les Armées française au Levant, T 1. PP. 75 -76.
(ولم يدخل في حساب هذه القوات، ١٤٠ رجلاً كانوا مع الضابط «بيزاني Pizani» الذي كان يعمل خارج إطار «المفرزة الفرنسية» وكان ملحقا بالبعثة العسكرية الفرنسية في مصر)
(Ibid, P 74).

(٢٢) - SHAT, Vincennes, Son moderne, Carton 4H1 Dossier 1, (ordre n°. 1 de piépape: DFP., ordre général n°. 1 de Hamelin: DFPS, EM. Jo. 244, Armée du Levant - Base de port Said, Dossier 89).

(٢٣) وضعت هذه الوثيقة تحت عنوان: Histoire succinte de l'occupation de la Syrie et de la cilicie, par les troupes françaises. دون تحديد المصدر، ودون توقيع من واضعها.

(٢٤) ورد في الأمر الرقم ١ الذي وجهه «دي بيبباب» الى عناصر المفرزة (وقد مر معنا) ان هذه المفرزة أنشئت في ٢٠ نيسان/أبريل بدلاً من ٢٥ منه.

(٢٥) - SHAT, Vincennes, Son moderne, sans no. et sans titre.

(٢٦) - Ibid.

ملاحق الفصل السادس

الملحق رقم (١)

جداول عديد جوقة الشرق (ملحقة بالتعليمات رقم ١١/٩-٧٩٦٦ تاريخ ٢٦ تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩١٦ ومعدلة بتاريخ ٩ آذار/ مارس عام ١٩١٨ - عديد الحرب -).

العناصر	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	افراد	
- أركان قيادة الفوج (كتيبتان)	٦ (١)	٦	١	١٠	- (١) عقيد أو مقدم، قائد الفوج - نقيب أو ملازم اول مساعد
- أركان الفوج (٣ أو ٤ كتائب)	٦(١)	٦	١	١٢	- طبيب - ملازم أول أو ملازم إشارة - ترجمان لغة أرمنية أو تركية - ترجمان لغة عربية

كتيبة مشاة من ٤ سرايا (واحدة رشاش ثقيل):

العناصر	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	افراد	
- أركان القيادة + فصيلة خدمة	٤(١)	٩	١٣	١٢٠	(١) قائد كتيبة - مساعد-ضابط اداري - طبيب
- سرية مشاة	٤(٢)	١٥	١٧	١٦٨	(٢) قائد سرية- ٣ آمري فصائل
- سرية رشاش ثقيل بـ ٤ فصائل	٣(٣)	٨	١٤	١٣٩	- (٣) نقيب قائد سرية -٢ ملازم اول أو ملازم

تابع (ملحق رقم ١):

بقية العناصر في الجوقة:

العناصر	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	افراد	
- مستودع الجوقة (الملاك الدائم)	٦(١)	١٨	١٠	٥٤	- (١) ضابط قائد مستودع - ضابط مساعد - طبيب - نقيب محاسب - ضابط إدراة - ضابط مفوض الحكومة لدى المجلس الحربي
- سرية المستودع (تعبئة وتدريب)	٣	١١	١٦	١٦	- نقيب قائد سرية - ملازم أول أو ملازم- عدد غير محدد من الاضافيين
- مستودع صغير للمرور (بور سعيد)	١	٤	٥	٩	- نقيب أو ملازم أول
- فصيلة من قطعتين ٣٧ملم (في فوج من كتيبتين)	١	٢	٢	١٩	- ملازم أول أو ملازم آمر فصيلة
- فصيلة من ٣ قطع ٣٧ملم (في فوج من ٣ كتائب)	١	٣	٤	٢٦	- ملازم أول أو ملازم آمر فصيلة

SHAT - Son outre-mer, Carton 1Lo.

ملاحق الفصل السادس
الملحق رقم (١)

جداول عديد جوقة الشرق (ملحقة بالتعليمات رقم ١١/٩-٧٩٦٦ تاريخ ٢٦ تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩١٦ ومعدلة بتاريخ ٩ آذار/ مارس عام ١٩١٨ - عديد الحرب -).

العناصر	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	افراد	
- أركان قيادة الفوج (كتيبتان)	٦ (١)	٦	١	١٠	- (١) عقيد أو مقدم، قائد الفوج - نقيب أو ملازم اول مساعد
- أركان الفوج (٣ أو ٤ كتائب)	٦(١)	٦	١	١٢	- طبيب - ملازم أول أو ملازم إشارة - ترجمان لغة أرمنية أو تركية - ترجمان لغة عربية

كتيبة مشاة من ٤ سرايا (واحدة رشاش ثقيل):

العناصر	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	افراد	
- أركان القيادة + فصيلة خدمة	٤(١)	٩	١٣	١٢٠	(١) قائد كتيبة - مساعد-ضابط اداري - طبيب
- سرية مشاة	٤(٢)	١٥	١٧	١٦٨	(٢) قائد سرية- ٣ آمري فصائل
- سرية رشاش ثقيل بـ ٤ فصائل	٣(٣)	٨	١٤	١٣٩	- (٣) نقيب قائد سرية -٢ ملازم اول أو ملازم

تابع (ملحق رقم ١):

بقية العناصر في الجوقة:

العناصر	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	افراد	
- مستودع الجوقة (الملاك الدائم)	٦(١)	١٨	١٠	٥٤	- (١) ضابط قائد مستودع - ضابط مساعد - طبيب - نقيب محاسب - ضابط إدراة - ضابط مفوض الحكومة لدى المجلس الحربي
- سرية المستودع (تعبئة وتدريب)	٣	١١	١٦	١٦	- نقيب قائد سرية - ملازم أول أو ملازم- عدد غير محدد من الاضافيين
- مستودع صغير للمرور (بور سعيد)	١	٤	٥	٩	- نقيب أو ملازم أول
- فصيلة من قطعتين ٣٧ملم (في فوج من كتيبتين)	١	٢	٣	١٩	- ملازم أول أو ملازم آمر فصيلة
- فصيلة من ٣ قطع ٣٧ملم (في فوج من ٣ كتائب)	١	٣	٤	٢٦	- ملازم أول أو ملازم آمر فصيلة

SHAT - Son outre-mer, Carton 1Lo.

الملحق رقم (٢)

أركان الجيش - قسم افريقيا

(تعليمات رقم ١١/٩-٧٧٧٩ تاريخ ٢٣ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٧).

تصحيح الملحق رقم (٤) من التعليمات رقم ١١/٩-٧٩٦٦ تاريخ ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٦.

حول تنظيم جوقة الشرق

تعدّل الفقرة (أ) من الملحق المذكور (تعويضات الخدمة والمكتب المحددة لعناصر الجوقة) والمتعلقة (بتعويضات المكتب) على الشكل التالي:

الموضوع	التعويضات (ف. ف.)		
	بالسنة	بالشهر	باليوم
ب - تعويضات المكتب:			
- قائد كتيبة (أو نقيب)، قائد كتيبة مسير في الجوقة	٣٩٦,٠٠	٣٣	١,١٠
- ضابط لوازم كتيبة المسير في الجوقة	٥٢٢,٠٠	٤٣,٥٠	١,٤٥
العلاوة بالوحدة	٧٢,٠٠	٦,٠٠	٠,٢٠
- معاون يقوم بوظيفة ضابط تموين في كتيبة المسير في الجوقة	٧٢٠,٠٠	٦٠,٠٠	٢,٠٠
- ضابط قائد (أو نقيب) قائد مستودع الجوقة	٣٩٦,٠٠	٣٣,٠٠	١,١٠
- ضابط إدارة / مخصصات ثابتة	١٤٩٤,٠٠	١٢٤,٥٠	٤,١٥
- ضابط رئيس مكتب / علاوة بوحدة ميدان	٣٦,٠٠	١٢٤,٥٠	٤,١٥
المحاسبة في الجوقة / علاوة بوحدة يديرها القسم المركزي	٧٢,٠٠	١٢٤,٥٠	٤,١٥
- طبيب رئيس مصلحة في فوج مسير	٩٠,٠٠	٧,٥٠	٠,٢٥

تطبّق التعرفات الجديدة اعتبارا من اول تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٧.

التوقيع: وكيل وزارة الحربية

غير واضح

إلاّ ان مشروعاً لتعديل هذا الجدول قد وضع بتاريخ ٣١ أيار/مايو عام ١٩١٨ وحمل الرقم ١١/٩-٣٨٢٨، كما حمل خاتم وزارة الحربية - قسم إفريقيا، ووقعه «وكيل وزارة الحربية» بالتاريخ نفسه، وتضمن هذا المشروع ما يلي:

	قيمة التعويض (ف.ف.)		
	بالسنة	بالشهر	باليوم
أ - تعويضات الخدمة: يضاف: ضابط قائد، قائد المستودع، قائد قطعة بالنسبة الى وحدات القسم المركزي بقبرص، والمستودع الصغير في بور سعيد، والعناصر المفصولة بتصرف البحرية	١٤٤٠	١٢٠	٤
ب - تعويضات المكتب: بدلاً من «ضابط قائد (أو نقيب) قائد المستودع	٢٩٦	٣٣	١،١٠
في جوقة الشرق. يقرأ: ضابط قائد رائد (أو نقيب) في جوقة الشرق	٤٥٠	٣٧،٥٠	١،٢٥

الملحق رقم (٣)

رواتب وتعويضات عسكريي جوقة الشرق المساعدين (Auxiliaires)

(قرار وزاري رقم ٢٨٧٦-٩/١١ تاريخ ١٩١٧/٤/١٢)(*)

الرتبة	الراتب اليومي	الراتب الشهري	ملاحظات
- نقيب		٤٢٠،٠٠	- إن هذه الرواتب هي
- ملازم أول		٣٠١،٠٠	بالعملة الفرنسية (فرنك
- ملازم		٢٤٠،٠٠	فرنسي)، وهي مستقلّة عن
			أي تغيير ناتج عن الصرف
- معاون	٤،٦٩		- تعرفة تطبّق إبتداء من
- رقيب أول	٣،٤٧		أول نيسان ١٩١٧.
- رقيب	٣،١٧		
- عريف أول	٢،٩٧		
- عريف	٢،٦٧		
- جندي أول	٢،٦٠		
- جندي	٢،٣٠		

(*) - SHAT, Son outre-mer, Carton 2Lo.

الملحق رقم (٤)

صورة لعقد التطوع في جوقة الشرق

عقد تطوع للمدعو[١] .... في «جوقة الشرق».

عام .... ١٩ تاريخ .... الساعة .... حضر أمامنا

نحن[٢] .... المقيمين في .... المدعو[١]

عمره .... سنة، والمولود في .... ولاية ....

إبن .... و .... والمقيم لآخر مرة

في .... مقاطعة .... ولاية .... الطول: متر و ....سم،

الشعر والحاجبان: .... الجبهة: .... العينان: ....

الأنف: .... الفم: .... الذقن: .... الوجه: ....

علامات فارقة: ....

وهو، بحضور السيد[٣] .... المترجم، قد صرّح، بعد أن أخذ علماً بشروط الخدمة في جوقة الشرق، المبينة في البرقية الوزارية رقم ٨/١-١٠٤٨٣ بتاريخ ١١ تموز/يوليو عام ١٩١٧، بأنه يرغب في التطوع، لمدة الحرب، في جوقة الشرق، بغية القتال ضد تركيا (عدّلت هذه الفقرة الأخيرة،كما سبق ان رأينا، واصبحت: لمدة سنة (أو سنتين) في جوقة الشرق، وللخدمة في الشرق).

ولأجل ذلك، قدّم إلينا شهادة أهلية صادرة بتاريخ ....

عن[٤] .... تؤكد انه ليس مصاباً بأية عاهة، وان قامته، وباقي صفاته، تؤهله للخدمة في جوقة الشرق. كما قدّم الينا، علاوة على ذلك، شهادة حسن سلوك صادرة عن[٥] ....

ونحن .... وبعد ان تأكدنا في قانونية الوثائق (أو الوثيقة) المقدمة من السيد[١] .... شرحنا له، بواسطة المترجم، بأن عليه ان يخضع لكل متطلبات الانضباط العسكري، وخصوصاً الى سلطة المجلس الحربي الفرنسي.

وبعد ذلك، قبلنا تطوع السيد[١] .... الذي تعهد بأن يخدم، بشرف وأمانة، تحت العلم الفرنسي، إعتباراً من اليوم وحتى انتهاء الحرب (عدلت: لمدة سنة، أو سنتين).

قرئت وترجمت بواسطة المترجم الى السيد[١] .... الذي وقّع معنا.

---

(١) اسم المتطوع وشهرته.

(٢) اسم نائب القيّم العسكري أو الضابط القائم بالعمل.

(٣) اسم وصفة المترجم.

(٤) اسم ورتبة وصفة الضابط الموقع للشهادة.

(٥) الاشارة الى السلطة التي منحت الشهادة.

الملحق رقم (٥)

جوقة الشرق: العديد النظامي لأفواج المسير

أركان الجيش - قسم إفريقيا (مكتب الشرق) -

في ٦ أيار/ مايو عام (١٩١٨)

- العديد:

١ - فوج من كتيبتين:

فوج من كتيبتين	الضباط		الجند		ملاحظات
		رتباء	عرفاء	أفراد	
- أركان الفوج	٦ (١)	٦	١	١٢	(١) منهم: ١ بيطري
- أركان الكتيبة الأولى وفصيلة خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	١ طبيب
- أركان الكتيبة الثانية وفصيلة خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	٢ ترجمان
- سرايا المشاة للكتيبة الأولى (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	(٢) منهم: ١ طبيب
- سرايا المشاة للكتيبة الثانية (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	(٣) منهم: ٣ ضباط مساعدين
- سرايا الرشاش للكتيبة الأولى (سرية)	٣	٨	١٤	١٣٩	(أ) يضاف إلى هذا الفوج:
- سرايا الرشاش للكتيبة الثانية	٣	٨	١٤	١٣٩	فصيلة ٣٧ ملم: ١ ضابط ٢ رتباء ٣ عرفاء ١٩ جندياً
المجموع (مع فصيلة ٣٧ ملم)	١+٤٤	٢+١٣٠	٣+١٥٧	١٩+١٥٣٦	

المجموع العام: ٤٥ ضابطاً + ١٨٤٧ رتيباً وعريفاً وجندياً

٢ - فوج من ٣ كتائب:

فوج من ٣ كتائب	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	أفراد	
- أركان الفوج	٦ (١)	٦	١	١٤	(١) منهم: ١ بيطري
- أركان الكتيبة الأولى وفصيلة خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	١ طبيب
- أركان الكتيبة الثانية وفصيلة خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	٢ ترجمان
- أركان الكتيبة الثالثة وفصيلة خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	(٢) منهم: ١ طبيب
- سرايا المشاة للكتيبة الأولى (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	(٣) منهم: ٣ ضباط مساعدين
- سرايا المشاة للكتيبة الثانية (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	(أ) يضاف إلى هذا الفوج:
- سرايا المشاة للكتيبة الثالثة (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	
- سرايا الرشاش للكتيبة الأولى (سرية)	٣	٨	١٤	١٣٩	- فصيلة ٣٧ملم:
- سرايا الرشاش للكتيبة الثانية (سرية)	٣	٨	١٤	١٣٩	١ ضابط
- سرايا الرشاش للكتيبة الثالثة (سرية)	٣	٨	١٤	١٣٩	٣ رتباء ٤ عرفاء ٢٦ جندياً
المجموع	٦٣	١٩٢	٢٣٥	٢٣٠٠	
فصيلة ٣٧ ملم =	١	٣	٤	٢٦	
المجموع (مع فصيلة ٣٧ ملم) =	٦٤	١٩٥	٢٣٩	٢٣٢٦	

المجموع العام: ٦٤ ضابطاً و٢٧٦٠ رتيباً وعريفاً وجندياً

٣ - فوج من ٤ كتائب:

فوج من ٤ كتائب	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	أفراد	
- أركان الفوج	٦ (١)	٦	١	١٤	(١) منهم:
- أركان الكتيبة الأولى وسرية خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	١ بيطري
- أركان الكتيبة الثانية وسرية خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	١ طبيب
- أركان الكتيبة الثالثة وسرية خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	٢ ترجمان
- أركان الكتيبة الرابعة وسرية خدمات	٤ (٢)	٩	١٣	١١٩	(٢) منهم:
- سرايا مشاة الكتيبة الأولى (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	١ طبيب
- سرايا مشاة الكتيبة الثانية (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	(٣) منهم:
- سرايا مشاة الكتيبة الثالثة (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	٣ ضباط مساعدين
- سرايا مشاة الكتيبة الرابعة (٣ سرايا)	١٢ (٣)	٤٥	٥١	٥٠٤	
- سرايا رشاش الكتيبة الأولى (سرية)	٣	٨	١٤	١٣٩	
- سرايا رشاش الكتيبة الثانية (سرية)	٣	٨	١٤	١٣٩	
- سرايا رشاش الكتيبة الثالثة (سرية)	٣	٨	١٤	١٣٩	
- سرايا رشاش الكتيبة الرابعة (سرية)	٣	٨	١٤	١٣٩	
المجموع =	٨٢ ضابطاً	٢٥٤	٣١٣	٣٠٦٢	
المجموع العام =	٨٢ ضابطاً	و٣٦٢٩ رتيباً وعريفاً وجندياً			

٤ - كتيبة من ٤ سرايا:

كتيبة من ٤ سرايا	الضباط	الجند			ملاحظات
		رتباء	عرفاء	أفراد	
- أركان وفصيلة خدمات	٤ (١)	٩	١٣	١١٥	(١) منهم:
- ٣ سرايا مشاة	١٢ (٢)	٤٥	٥١	٥٠٤	١ طبيب
- سرية رشاش	٣	٨	١٤	١٣٩	(٢) منهم ٣ ضباط
					مساعدين
مجموع عديد الكتيبة	١٩ ضابطاً	٦٢	٧٨	٧٦٢	
المجموع العام =	١٩ ضابطاً و٩٠٢ رتيباً وعريفاً وجندياً				

SHAT. Son outre-mer, Carton 2Lo.

الملحق رقم (٦)

التعزيزات المتتالية للمفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا (DFPS)

أ - العناصر القديمة في المفرزة:

العناصر		العديد			الانتقال		
	مركز التجمع	ضباط	رتباء وأفراد	حيوانات	المكان	التاريخ	الوصول المتوقع الى فلسطين
							عادوا الى فلسطين
- الكتيبة السابعة من فوج الرماة الأول (٣ سرايا+سرية رشاش)		٢١	٧٧٠	١٢٠			في ١٩١٧/٤/٢١
- الكتيبة التاسعة من فوج الرماة الثاني (٤ سرايا)		١٨	٨٢٠	٧٠			
- الكتيبة الخامسة من الفوج ١١٥ الاقليمي (٣ سرايا)		١٣	٥٨٠	٧٥			
- سرية سورية		٣	٢٢٠	١٥			في ١٩١٨/٢/٢٣
- كوكبة من فوج السباهي الاول		٢	٠٣٦	٦٠			في ١٩١٧/٦/١٠
- سرية هندسة		٢	٣٢٠	٧٠			في مكانها
- سيارة إسعاف وفصيلة إستشفاء		٨	١٣٠	٩٠			في مكانها
		٦٧	٢٨٨٦	٥٠٠			

II - عناصر التعزيز:

العناصر		العديد			الانتقال		
	مركز التجمع	ضباط	رتباء وأفراد	حيوانات	المكان	التاريخ	الوصول المتوقع الى فلسطين
- أركان مجموعة الخيالة - ٣ كوكبات من فوج السباهي الاول - سريتان من الفوج الرابع لقناصة افريقيا	بيزرت	١٧	٤٥٠	٤٨٠	بيزرت	١١آذار/مارس	١٩ آذار/مارس ١٩١٨ في بور سعيد
- أركان فوج المسير - الكتيبة الاولى (٣ سرايا وسرية رشاش ثقيل) - سرية رشاش ثقيل من الكتيبة الثانية - النقل	قبرص	٣٠	١٣٠٠	٣٥٠	قبرص	٢٥آذار/مارس	٦ أيار/مايو ١٩١٨ ٢٨حزيران/يونيو ٨ نيسان/أبريل ٢٩ حزيران/يونيو
- البطارية ١٤ من مدفعية الميدان عيار ٨٠ ملم	بورسعيد	٣	١٦٠	١٨٠	بورسعيد	؟	١٩آذار/مارس
- جوقة الشرق (الكتيبة الثانية: ٣ سرايا)	قبرص	١٥	٦٥٠	-	قبرص	؟	٢٠ نيسان/أبريل
- أركان كتيبة المدفعية	نيس (NICE)	٤	١٧	١٥	مرسيليا	نحو ٥ نيسان/ابريل	٢٥ أيار/مايو
- فصيلة مختلطة للذخيرة من الكتيبة الثانية للمدفعية الجبلية	نيس	٣	١١٠	١٢٩	مرسيليا	آخر آذار/مارس	٢٥ أيار/مايو ١٩١٨

العناصر		العديد			الانتقال		
	مركز التجمع	ضباط	رتباء وأفراد	حيوانات	المكان	التاريخ	الوصول المتوقع الى فلسطين
- اركان فوج المسير للرماة	أوباني (AUBAGNE)	٤	١٢	٧	مرسيليا	نحو ١٠ نيسان/ابريل	٩حزيران/يونيو١٩١٨
- تعزيزات لفوجي الرماة	إكس (AIX)	١٠	٣٦٦	---	=	=	=
- سرية رشاش ثقيل للكتيبة التاسعة من فوج الرماة الثاني	إكس	٣	١٥٩	٦٥	=	=	=
- كوكبة من قطعتي ٣٧ ملم	المنطقة١٥	١	٢١	٦	مرسيليا	نحو١٠ نيسان/ابريل	٩حزيران/يونيو١٩١٨
- الكتيبة ٣٠ من مدفعية ٦٥ ملم جبلية	نيس	٣	٢٠٣	١١٦	مرسيليا	اول نيسان/ابريل	٢٥ أيار/مايو
- بطارية ٥٨ ملم للخنادق	؟	٣	١٩١	٨٧	مرسيليا	١٥ نيسان/ابريل	٢٥ أيار/مايو
- فصيلتا سيارات نقل	؟	٢	١٠٠	-	مرسيليا	٢٠ نيسان/ابريل	١٤ حزيران/يونيو
- سرية من فوج السباهي الرابع	بيزرت	٥	١٥٨	١٧٥	بيزرت	٢٠ نيسان/ابريل	٢٥ حزيران/يونيو
- كوكبة رشاش ثقيل من الفوج الرابع لقناصة افريقيا	بيزرت	٢	٧٩	٣٢	بيزرت	٢٠ نيسان/ابريل	٢٥ حزيران/يونيو
- سرب طائرات	؟	١٠	١٠٠	-	مرسيليا	اول أيار/مايو	١٥ أيار/مايو ١٩١٨
المجموع		١١٥	٤٠٧٦	١٦٢٤			
المجموع العام لكامل الجدول (I و II)		١٨٢ ضابطاً	٦٩٦٢ رتيباً وفرداً	٢١٤٢ حيوان			

ملاحظة:

I - لم يدخل في العديد، في هذا الجدول، مصالح المفرزة وكانت قيد الإنشاء، لذا تضاف الى العديد، وهي، على وجه التقريب:

العناصر	ضباط	رتباء وأفراد	حيوانات
- القوامه	٣	٥٠	٦
- الصحة	٨	٢٥٠	٩٠
- الاموال والبريد	١	٢	-
- القضاء العسكري	-	١٥	٢
المجموع	١٢	٣١٧	٩٨

II - حسبت التواريخ، مع الأخذ بالاعتبار:

١ - التأخير المحتمل في الإعداد.

٢ - التأخير المحتمل في النقل.

٣ - البقاء نحو ٨ أيام في بور سعيد.

٤ - ٥ أيام للانتقال من بور سعيد الى فلسطين.

الفصل السابع

الإحتلال

سقوط سوريا بيد الحلفاء وقيام الحكومة العربية:

دخلت قوات الجنرال البريطاني «أللنبي» (وكانت تدعى: الحملة المصرية Egyptian expeditionary force أو Corps expéditionnaire d'Egypte) الى سوريا عبر بوابتها الجنوبية (معان)، ومعها قوات الأمير فيصل، وفوج قتال من الخيالة الفرنسية مفصول من «المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا Détachement français de Palestine - Syrie, DFPS» الى «فرقة الخيالة الاوسترالية»[1] التابعة لقوات الحملة (قوات أللنبي). وقد أسهمت قوات فيصل إسهاماً فعالاً في الهجوم الذي شنه «أللنبي» على سوريا، إذ كانت مهمة هذه القوات حماية ميمنته، وشاركت في العمليات العسكرية عن طريق تدمير طرق المواصلات وخطوط السكة الحديدية التي تستخدمها القوات العثمانية المرابطة في الجزيرة العربية وجنوب سوريا، لتلّقي الإمدادات التموينية والتعزيزات العسكرية، كما انها أسهمت في احتلال مناطق معان وعمّان، واحتلت درعا وازرع، وكانت أول قوات حليفة تدخل دمشق (صباح ١ تشرين الأول/اكتوبر عام ١٩١٨) بعد خروج العثمانيين منها، حيث رفعت هذه القوات العلم العربي المربع الألوان على المباني والمؤسسات الحكومية في المدينة، وشكّل فيصل أول حكومة عربية في سوريا (برئاسة علي رضا باشا الركابي)، وذلك بعد مرور

اربعة قرون من الاحتلال العثماني. وتوغلت قوات فيصل، الى جانب قوات «أللنبي» في سوريا، شمالاً، حتى حلب، فالمسلمية، فمُدروس (Moudros)، حيث وقعت اتفاقية الهدنة بين السلطنة والدول المتحالفة (في ٣٠ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨)، إلا ان وقف اطلاق النار لم ينفذ، عملياً، الا في اليوم التالي (٣١ منه) في الساعة الثانية عشرة ظهرا[٢].

في الوقت نفسه، كانت قوات من الفيلق البريطاني الحادي والعشرين، التابع للحملة نفسها، ومعها معظم قوات «المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا» بقيادة الكولونيل الفرنسي «دي بييباب De Piépape» تشن هجوماً، باتجاه الشمال، على الطريق الساحلي، من حيفا الى عكا فصور فصيدا، دون ان تواجه أية مقاومة، حتى دخلت بيروت في ٨ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨ ووصلت الى طرابلس «قبل إعلان الهدنة مباشرة»[٣].

ولكن فرنسا، التي لم تكن تنتظر توقيع اتفاقية الهدنة مع السلطنة، سارعت الى تنفيذ معاهدة «سايكس-بيكو»، إذ رست سفن حربية فرنسية في ميناء بيروت، بتاريخ ٧ تشرين الأول/أكتوبر، أي قبل يوم واحد من دخول قوات «أللنبي» الى بيروت، و«في اليوم التاسع عشر من الهجوم العام» الذي كان «أللنبي» قد بدأه على سوريا. ويذكر «دي هاي Du Hays»، نقلاً عن محفوظات البحرية الفرنسية[٤]، ان «الشعب الذي تجمع على أرصفة الميناء، تظاهر بحماسة، وأحاط بضباط البحرية (الفرنسية) وجنودها، الذين نزلوا الى البر، وهو يصيح: تحيا فرنسا، كما اجتاحت وفودٌ العمارة البحرية (الفرنسية) وهي تحمل الزهور وشرائط مثلثة الألوان (إشارة الى العلم الفرنسي)»[٥]. ولكن «لونغريغ» يشير الى «اللهجة العنيفة» التي ظهرت في «العرائض المضادة لفرنسا» والتي رفعها «بعض الأهالي» ضد الضباط الفرنسيين الذين تسلموا

إدارة البلاد، كما يشير الى ما رافق ظهور الضباط الفرنسيين في صيدا وصور من احتجاجات واضطرابات أثارها القوميون العرب في هاتين المدينتين(٦). وفي صباح اليوم التالي لوصول تلك السفن الى ميناء بيروت (أي صباح ٨ تشرين الاول/أكتوبر)، أبرّت «الفرقة السابعة للمشاة الهنود»(٧)، ودخلت بيروت، كما دخلها، في مساء اليوم نفسه «الجنرال بولفين Bulfin» قائد الفرقة ٢١ البريطانية، مصحوباً بالكولونيل دي بييباب قائد المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا. وكان الجنرال «أللنبي» قائد الحملة قد أمر، فور وصول قواته الى بيروت، بإنهاء الحكم العربي فيها، وفي بعبدا (مركز متصرفية جبل لبنان سابقاً)، كما أمر بإنزال العلم العربي عن سرايا المدينة والمؤسسات الرسمية فيها، وبإنهاء مهمة «شكري باشا الأيوبي» المكلف، من قبل الأمير فيصل وحكومته، الإشراف على حكم بيروت والجبل. وفي ١١ تشرين الأول/أكتوبر، أمر «أللنبي» بتعيين الكولونيل الفرنسي «دي بييباب» حاكماً لبيروت، وقد انتقل هذا الى السراي لكي يمارس مهماته منها، بينما استمر «جورج بيكو» (وهو موظف مدني فرنسي كان قد اشترك مع المندوب البريطاني «مارك سايكس» في المفاوضات التي انتهت بعقد المعاهدة التي سميت باسميهما) في وظيفته الأساسية كمفوض سام(٨)، فكان ذلك إشارة واضحة من القائد البريطاني للبدء بتنفيذ ما اتفقت عليه الدولتان الحليفتان (بريطانيا وفرنسا) في مؤامرتهما ضد سوريا، عام ١٩١٦(٩).

وفي اليوم نفسه (١١ تشرين الاول/أكتوبر) وصل الى بيروت، من حيفا، عن طريق البحر، ما تبقى من عناصر «المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا» وهو: «عناصرمن الفوج ١١٥ للمشاة الإقليميين، والقناصة الافريقيين، والسرية السورية»، ولحقت بهم، في ١٧ منه الكتيبة الارمنية الثالثة التابعة «لجوقة

الشرق» والتي انشئت بقبرص، كما لحق بهم، في ٢٤ منه، «فوج قتال الخيالة المختلط»[١٠].

منذ وصول الجيش الفرنسي الى بيروت، بدأت فرنسا تثبت أقدامها في المنطقة الساحلية من سوريا، منشغلة عما عداها (سوريا الداخلية) حيث الحكم العربي مستمر (برعاية بريطانية، كما يرى الجنرال فيليب غورو حفيد الجنرال هنري غورو الذي حكم المنطقة الساحلية من سوريا، أو ما سمي بلبنان الكبير، نحو أربع سنوات، من عام ١٩١٩ وحتى عام ١٩٢٣)[١١]، فعُيّن «دي بيبياب»، بعد ايام، فقط، من تعيينه حاكماً لبيروت، (أي بتاريخ ١٧ تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٨)، حاكماً إدارياً للمنطقة الساحلية من سوريا، حيث دخل، ضمن اهتماماته فيها، كل ما له علاقة «بالمال والعدل والتعليم والاشغال العامة والصحة والزراعة والشرطة...»[١٢]، وكان عليه ان ينظم هذه الامور «أو ان يراقبها»، فاستعان، لأجل ذلك، بعدد من ضباط مفرزته «١٦ ضابطاً وطبيبان»[١٣].

وجدير بالذكر ان الحكومة العربية، في دمشق، بقيادة الأمير فيصل، كانت راغبة في ان تبسط سلطانها على كل سوريا، بما فيها المنطقة الغربية (جبل لبنان والمنطقة الساحلية) ولأجل هذا، كانت قد أ وفدت، الى بيروت، ممثلاً عنها (هو شكري باشا الأيوبي) الذي، ما أن وصل الى بيروت، حتى جمع أعيانها، من مسلمين ومسيحيين، وعلى رأسهم «عمر بك الداعوق» (الذي كان قد أعلن قيام حكومة عربية باسم الأمير فيصل، منذ ان تسلّم سلطة الحكم في هذه المدينة، بتاريخ ١ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨، وبعد خروج الوالي العثماني «اسماعيل حقي بك» منها). وأبلغهم قيام حكومة عربية في كل سوريا. وبتاريخ ٤ تشرين الاول/اكتوبر، رفع الأيوبي العلم العربي على سراي الحكومة

في بيروت وبعبدا، وعلى المؤسسات الحكومية فيهما، معلناً إلحاق هذه المنطقة بحكم الأمير فيصل في دمشق، مما شكل «صدمة كبيرة للرأي العام الماروني» في بيروت وجبل لبنان، وكان البطريرك الماروني قد رفض، اساساً، إلحاق هذه المنطقة بالحكم العربي في دمشق[١٤]. ولكن، ما أن تولى «أللنبي» القائد العام للجيوش الحليفة في سوريا، زمام الأمور في هذه البلاد، حتى أمر بإلغاء الحكم العربي في هذه المنطقة -كما قدمنا - وسلّمها الى الفرنسيين، دون ان يمسّ، من قريب أو بعيد، حكم الأمير فيصل في منطقة سوريا الداخلية.

ما الذي جرى، إذن، وفي هذه الأثناء، في منطقة سوريا الداخلية ؟

كان على الأمير فيصل ان يحتج، بشدة، على تصرف «أللنبي» تجاه المنطقة الغربية من سوريا، ولكن «أللنبي» الذي لم يكن يعترف بسلطة فيصل على سوريا، وبحكومته، كان لا يزال يرى، في نفسه، القائد العام للقوات الحليفة في سوريا، وبالتالي، الحاكم الفعلي لها. وقد اعتبر فيصل سحب ممثله من بيروت مساً بكرامته الشخصية «وبالقضية التي يحميها» ولكن «أللنبي» لم يأبه لإعتراضاته، كما انه لم يأبه لاعتراضات فرنسا، لدى «أللنبي» نفسه، على إعلان فيصل لحكومته، في دمشق، حيث تعتبر تلك المنطقة (سوريا الداخلية) من حصتها، وفقاً لاتفاقات «سايكس - بيكو»[١٥]. إلا ان ذلك لم يمنع فرنسا من ان تحتل، بجيوشها، الساحل السوري، شمالاً، حتى انطاكية، على الحدود الشمالية لسوريا، وقد تم ذلك بموافقة بريطانية، إذ «أُبعد ممثلو الحكومة العربية في المناطق الساحلية الأخرى التي أعلنت السيادة العربية، واستبدلوا بهم حكاماً فرنسيين، فاستدعي هنانو الى حلب، وانسحبت قواته من انطاكية وحارم وسلمت للفرنسيين، وفي اللاذقية، نزلت القوات الفرنسية، وأزيحت الاعلام العربية، والتحق اعضاء حكومتها بحكومة دمشق»[١٦].

أما في دمشق، فكان الأمير فيصل قد بدأ ينغمس في شؤون المفاوضات حول سوريا، والتي كانت قد بدأت في فرنسا (باريس)، كممثل لوالده الملك حسين، ملك الحجاز، فسافر في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨ للدفاع عن وجهة النظر السورية امام المحفل الدولي المؤلف من الدول المنتصرة في الحرب، وكان يقوم مقامه، في الحكم بسوريا، رئيس الحكومة «علي رضا باشا الركابي»، وكان هذا على علاقة حسنة «بالكولونيل كورنواليس» ضابط الارتباط البريطاني الذي كان، بدوره، يقوم مقام «أللنبي» الذي عاد الى القاهرة ليتخذها مقراً له. وكان سلوك الركابي في الحكم وتعاونه الوثيق مع الكولونيل البريطاني، بالإضافة الى حزمه في «إدارته الحسنة التي لم يشبها أدنى خلل» كما يرى معاصره «يوسف الحكيم»[١٧]، قد جعلت «كورنواليس» يمحض الركابي ثقته التامة، بل إنه «لم يتدخل في أي شأن من شؤون الحكومة»، وكان يحيل أي مراجع له من الاهالي الى «رئيس الحكومة، باعتباره المرجع الاكبر الوحيد في سوريا»[١٨].

ولكن الدهاء البريطاني كان اعمق من ان يدركه «القوميون العرب» في سوريا، الذين انتشوا بفرحة النصر واعتقدوا ان بريطانيا جادة، فعلاً، في منحهم الحق بالسيادة وتقرير المصير بحرية. ويشهد على ذلك الدهاء ما حدثنا به «يوسف الحكيم» عندما زار «أللنبي» دمشق في شهر شباط/فبراير عام ١٩١٩ وشهد حفل تكريم إقامه له النادي العربي بدمشق، وكان من بين خطباء هذا الحفل «أفرام برصوميان مطران السريان الارثوذكس» في دمشق، الذي قال: «لا تحول مسيحيتي دون اعتناقي دين الوحدة العربية الذي يجمع ابناء البلاد على صعيد واحد من الإخاء والمساواة»، فما كان من «أللنبي» إلا ان وقف، بعد ان انتهى المطران من خطابه، وصافحه بحرارة قائلاً: «انني،

بصفتي مسيحياً، أشكر لك عواطفك، واتمنى لبني قومك السوريين مستقبلاً مجيدا»، ولكن هذا البريطاني المسؤول لم ينس ان يشير، ولو بالتلميح دون التصريح، الى مصير هؤلاء القوميين العرب في سوريا، والى مصير بلادهم، إذ قال في خطبة جوابية ألقاها في الحفل نفسه: «لحظت ان الحماسة والعزة الوطنية قد بلغا منكم حداً بعيداً، ربما وصل بكم الى درجة التهور الذي لا يستغرب حصوله في مثل حالتكم الحاضرة. لذا، ارى واجباً عليّ ان انصحكم بالاعتدال واتخاذ التؤدة والرفق دليلاً لكم في الطريق السياسي المفتوح أمامكم، مؤكداً لكم انكم ستحصلون على امانيكم الوطنية المعقولة إذا طلبتموها بالحكمة والتعقل، اما اذا تطرفتم في طلبكم، فيصبح الوصول اليه أمراً مشكوكاً فيه، واوصيكم، في الختام، بالاعتماد على مؤتمر الصلح، ونائبكم الأمير فيصل عضو فيه»(١٩).

بهذا الاسلوب المغرق في الدهاء والحنكة والتبصر وبعد النظر، حكم «أللنبي» سوريا في الفترة الحرجة، ما بعد الحرب، وفي أثناء مفاوضات «باريس» لتقرير مصير سوريا. ولا شك في ان السوريين بدأوا يدركون معاني هذه الكلمات عندما بدأت الصعوبات تعترض استقلالهم (الموعود من قبل بريطانيا والمنشود من قبلهم) في تلك المفاوضات الصعبة، (وهو ما سنتحدث عنه في فصل لاحق).

إلا انه، وعلى اساس الوعود البريطانية الفرنسية المتكررة، وآخرها ذلك الذي صدر في ٧ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨، وجاء فيه: «إن السبب الذي من اجله حاربت فرنسا وانكلترا، في الشرق... انما هو لتحرير الشعوب التي رزحت اجيالاً تحت نظام الترك، تحريراً، تاماً نهائياً، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الاهالي الوطنيين اختياراً حراً. ولقد أجمعت

فرنسا وانجلترا على ان تؤيدا ذلك بأن تشجعا وتعينا على إقامة هذه الحكومات والإدارات الوطنية في سوريا والعراق، المنطقتين اللتين أتم الحلفاء تحريرهما، وفي الاراضي التي ما زالوا يجاهدون في (سبيل) تحريرها، وان تساعدا هذه الهيئات وتعترفا بها عندما تؤسس فعلا»، وتؤكد كل من فرنسا وانكلترا، في هذا البيان، ان ليس من اهدافهما «أن تُنزلا اهالي هذه المناطق على الحكم الذي تريدانه»، ولكنهما ترغبان في مساعدة «الحكومة والادارات التي يختارها الاهلون من ذات انفسهم»[٢٠]. واستناداً الى هذه الوعود، بدأت حكومة الامير فيصل، في دمشق، تنظيم الادارة، في البلاد، دون أي اعتراض من المحتل، وقد قامت السلطة العربية، في دمشق، على الشكل التالي:

- الحاكم العسكري العام (رضا باشا الركابي) ويعاونه «مديرون عامون... للداخلية والمالية والعدلية والحربية والصحة والتعليم والأشغال العامة والزراعة والقبائل».

- مجلس شورى، مركزه دمشق، ويتبع، في تنظيمه، «مجلس شورى الدولة في الآستانة».

- محاكم ومجالس إدارية وبلدية.

- تنظيم جباية الضرائب.

- ديوان شورى حربي برئاسة «ياسين باشا الهاشمي» عهد اليه أمر تنظيم الجيش العربي، بعد ان حلّ جيش الثورة وعاد الضباط السوريون الى ديارهم[٢١].

واستمرت الامور، في دمشق، على هذا المنوال، حتى إعلان «المملكة العربية السورية» في آذار/مارس عام ١٩٢٠، وبعدها، حتى سقوط هذه المملكة في تموز/يوليو من العام نفسه.

اما في بيروت وجبل لبنان، فقد عيّن «حكام عسكريون» فرنسيون، في جميع المناطق، الى جانب الموظفين المحليين، وقد اتخذ هؤلاء الحكام الأجانب لقب «مستشارين» لأولئك الموظفين، الا انهم كانوا، في حقيقة الأمر، الحكام الفعليين لهذه المناطق.

وكانت الحكومة الفرنسية قد ارتأت تعيين ضابط عام على رأس «المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا» التي كان يقودها الكولونيل دي بيبباب، نظراً للمهمات العسكرية والادارية الكبيرة التي كانت ستوكل الى هذه المفرزة، والتي تتطلب وجود ضابط عالي الرتبة، فعينت «الجنرال هاملان Gl. Hamelin» قائداً لهذه المفرزة (وصل الى بيروت في /أكتوبر عام ١٩١٨ وتسلم مهماته فوراً)، وكانت اولى مهمات هذا القائد «توسيع الحضور الفرنسي»[٢٢]، وقد باشر مهمته هذه، فوراً، وعلى الشكل التالي:

- بتاريخ ٢٩ تشرين الاول/أكتوبر عام١٩١٨، قامت سرية من القناصة الافريقيين بعملية امنية في منطقة صيدا - مرجعيون، وعادت في ٨ تشرين الثاني/نوفمبر، بعد ان تركت فصيلة في مرجعيون.

- في تشرين الثاني/نوفمبر، ارسلت حاميات عسكرية الى طرابلس واللاذقية.

- من ١٠ الى ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر، قام رتل صغير بعملية امنية في منطقة زحلة (ضد اعمال العصابات في المنطقة)، وزار الجنرال «هاملان» زحلة بهذه المناسبة (في ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر) حيث «استقبل استقبالاً حماسيا»[٢٣].

- بعد أيام، قررت الحكومة الفرنسية التوغل شمالاً، والوصول الى «اسكندرون» واحتلالها، باعتبارها ضمن «المنطقة الزرقاء» التي اعطيت

لفرنسا وفقاً لمعاهدة «سايكس - بيكو»، فأمر «كليمنصو» وزير الحربية الفرنسية، بعد التشاور مع وزارة الحرب البريطانية، «الجنرال هاملان» بوضع «سريتيين» بتصرف «الأميرال فارني L'Amiral Varney» قائد الفرقة البحرية الفرنسية بسوريا، لكي تشكلا «غالبية» المفرزة (الفرنسية - البريطانية) التي ستحتل هذه المدينة، وقد تم تنفيذ ذلك بتاريخ ٩ تشرين الثاني/نوفمبر، حيث أبرّت قوات بريطانية وفرنسية، في هذه المدينة، واحتلتها دون أي عائق[٢٤].
وكانت قوات حليفة (بريطانية وفرنسية) لا تزال ببيروت، مستعدة للانطلاق الى «اسكندرون» بقيادة النقيب الفرنسي «ماتيوت Mathiot» وقد تألفت هذه القوات من:

- الكتيبة التاسعة من فوج قتال الرماة الفرنسي.
- كوكبة من الخيالة الفرنسية.
- مفرزة من الهندسة الفرنسية.
- مفرزة طبية.
- عناصر من التلغرافيين الانكليز.
- ١٢ دليلاً أرمنيا.
- ١٩١ حيواناً و ٣١ سياره.

وبناء لأوامر الجنرال «بولفين»، قائد الفيلق البريطاني الحادي والعشرين، أبحرت هذه القوات من بيروت بتاريخ ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر، ووصلت الى مياه «اسكندرون» في اليوم التالي (١٣ منه) حيث أبرّت في المدينة «بلا أي حادث، واستقبلت استقبالاً حماسيا»، اما الفرقة التركية الواحدة والاربعون التي كانت لا تزال في ضواحي المدينة، فقد انسحبت باتجاه الحدود التركية، بينما قام النقيب الفرنسي «ماتيوت» قائد القوات المتحالفة في

«اسكندرون» بالتوغل، شمالاً، حتى «باياس Payas» ثم عاد الى «اسكندرون» بتاريخ ١٧ منه، بعد ان ترك حامية في «باياس» نفسها[٢٥].

ولأسباب تتعلق بالعلاقة بين الجنود الارمنيين والأهالي ببيروت[٢٦]، قررت القيادة الفرنسية إبعاد العسكريين الارمنيين عن «المراكز الكبرى في سوريا ولبنان» فعمدت الى نقل عسكريي الكتيبة الاولى الارمنية (من جوقة الشرق) الى «اسكندرون»، حيث تم نقل قسم منها الى هذه المدينة بتاريخ ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر، ثم نقل الباقي بعد ايام قليلة، مما سمح لحامية اسكندرون «بتوسيع اهتماماتها، ومتابعة انكفاء القوات التركية». وفي اواخر شهر تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨، أصدر قائد موقع اسكندرون تعليمات الى الأتراك يطلب منهم الانكفاء، شمالاً، وفق البرنامج التالي:

- حتى ١٢ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩١٨: الى غرب نهر جيحون (جيحان).
- حتى ١٧ منه: حتى غرب نهر سيحون (سيحان)، وشمال خط سكة الحديد طرسوس - أضنه.
- حتى ٢٦ منه: الى غرب بوزانتي[٢٧].

وقد أصدر قائد الفيلق الحادي والعشرين البريطاني اوامره الى «المفرزة الفرنسية» بمتابعة انسحاب الأتراك شمالا «بواسطة دوريات معززة من مفرزة اسكندرون»، وهكذا، وبتاريخ ٧كانون الاول/ديسمبر، احتلت القوات الحليفة انطاكية، ثم احتلت باياس ودورتيول (Deurtyol) وأرزين (Erzin) بتاريخ ١١ منه.

إلا انه «إذا كان الاتراك قد بدوا طيّعين وليني العريكة في تنفيذهم لأوامر الانسحاب، فإن الامر لم يكن كذلك بالنسبة الى الشريفيين الذين زعموا انهم نالوا، بحق، بأن يقيموا، في انطاكية، حامية من ٤٠٠ رجل، وذلك قبل وصولنا

(الفرنسيين)، وانهم لن يخرجوا منها إلا في كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩، وبعد أمر صريح من السلطات البريطانية»[٢٨].

وتشير الوثائق الفرنسية التي عاينها «دي هاي» الى زيارة قام بها الجنرال «هاملان» بتاريخ ٢٣ - ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨ الى اسكندرون وانطاكية وطرابلس، وقد لحظت هذه الوثائق درجات مختلفة من استقبال الشعب لهذا القائد الفرنسي، حيث كان استقباله «متحفظاً» في اسكندرون، و«جيداً، إلا انه متردد» في اللاذقية «حيث بعض الأعيان، الذين لا يزالون يعملون مع الشريفيين، يأملون بالاستقلال»، و«ممتازاً» في طرابلس «حيث يخشى الأهالي، فقط، ان تتركهم فرنسا»[٢٩]. ولا يمكننا الركون الى هذه الانطباعات طالما انها ترتكز على تقارير تتأثر بمزاج واضعيها ونظرتهم الى الأمور من زاوية معينة، ثم إن أي تقدير سليم لمشاعر الناس وأحاسيسهم يجب ان يبنى على الأسس العلمية التي تعتمد، عادة، لمثل ذلك، كالإحصاءات أو استطلاعات الرأي العام أو ما شابه.

وهكذا، لم يمر ثلاثة أشهر على احتلال فرنسا لبيروت، حتى كان جيش (المفرزة الفرنسية لفلسطين- سوريا) قد تمركز «في كل مكان يرى ضرورة للتمركز فيه» فتمركز في «بيروت، وصور وصيدا، وطرابلس والحصن (قرب تلكلخ) واللاذقية، وانطاكية، واسكندرون»، كما تمركزت الكتيبتان الأرمنيتان الثانية والثالثة التابعتان «لجوقة الشرق» في اماكن متعددة من كيليكيا (Cilicie)، بهدف إبعاد الكتائب الارمنية عن سوريا واستخدامها «في منطقة العمل التي حددت لها» وفقاً للمادة العاشرة من اتفاقية الهدنة في «مُدروس».

بعد هذه التدابير، سميت «المفرزة الفرنسية لفلسطين-سوريا» باسم «قوات المشرق الفرنسية Trouples fr. du levant T.F.L»، حيث اخذت هذه

القوات تتنامى، ببطء ربما، ولكن باطّراد. ومنذ ١٤ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩ أخذت هذه القوات، «توسّع، تدريجاً، مناطق نفوذها، بفضل التطور البطيء، والمتواضع ...اتها»، حتى أضحى بوسعها أن تحل محل القوات البريطانية المتمركز... ي المناطق الواقعة ضمن مسؤولية فرنسا، وفقاً لاتفاقية «سايكس - بيكو»[٣٠].

منذ ان احتلت القوات الفرنسية المناطق الغربية من سوريا، الى ان حان وقت إسقاط الحكومة العربية، ثم المملكة العربية، التي قامت في المناطق الشرقية منها، تعامل الفرنسيون مع حكومة الأمير فيصل، ومع القوات الانكليزية التي كانت متمركزة في تلك المناطق، بكثير من الروية والحكمة... والخبث، وذلك لأنه لم يكن بإمكان تلك القوات ان تقدم على احتلال سوريا الداخلية وطرد البريطانيين والشريفيين منها، كما ان السند القانوني الدولي لم يكن قد توافر، بعد، لها، ولم يتوافر لها ذلك السند إلا بعد الاتفاقات التي تمت بين الدول المنتصرة، في الحرب، خلال مؤتمري باريس وسان ريمون، كما سنرى.

ومنذ ذلك الحين، والى ان توفر لها السند الشرعي الدولي لمتابعة توسعها، انشغلت القوات الفرنسية في إدارة البلاد المحتلة، وفي تعزيز قدراتها القتالية بتطويع العديد من العسكريين من اهل تلك البلاد، وذلك بهدف استخدامها في مهمة احتلال ما تبقى من سوريا، عندما يحين أوان ذلك، وفي ضرب الحركات الثورية وحركات المقاومة التي بدأت تقوم، في وجهها، في معظم أنحاء البلاد.

ولا شك في ان الصراع الخفي الذي كان يدور بين الحليفتين الكبريين، بريطانيا وفرنسا، حول سوريا، لم يكن خافياً على المتتبعين للأحداث

السياسية في هذه البلاد، ففرنسا ترى، في ارتباطها المادي بسوريا (اكثر من ١٠٠ مؤسسة خيرية وانسانية وصحية، ونحو ٤٠ ألف طالب في نحو ٧٤ مدرسة فرنسية، وأعمال عمران وبناء وكهرباء ومواصلات في مختلف انحاء سوريا وبين مدنها، وعلاقات تجارية مزدهرة بين البلدين)[٣١]، وفي ارتباطها المعنوي (مع كاثوليك سوريا، وجبل لبنان خصوصاً) ما يدفعها لأن تتمسك بأطماعها في علاقات متينة وصارمة مع هذه البلاد، وفقاً لماتم الاتفاق عليه عام ١٩١٦ (اتفاقية سايكس - بيكو)، بينما ترى بريطانيا، التي نسجت علاقات حميمة مع ملك نجد (عبد العزيز)، ومع ملك الحجاز (الشريف حسين) ان إقامة حكم عربي، في سوريا الداخلية، يصلها بالعراق شرقاً وبفلسطين والاردن وجزيرة العرب جنوباً، سوف يوفر لها نفوذاً كبيراً، في هذه البلاد، لا يضاهيه النفوذ الفرنسي (الذي سيظل منحصراً في المنطقة الغربية من سوريا)، خصوصاً ان بريطانيا ترى انها هي التي تحملت دون سواها (والمقصود فرنسا)، مخاطر الحرب وتكاليفها البشرية والمادية، في الهجوم الكبير الذي قاده «أللنبي» لاحتلال سوريا، حيث لم يكن للفرنسيين، في تلك الحملة، اكثر من «مفرزة» صغيرة وضعيفة تعمل بإمرة القوات البريطانية (هي المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا)، كما ان ذلك سيجعل بريطانيا وفية لحلفائها العرب (الشريفيين) الذين قاتلوا الى جانبها في سبيل الحصول على دولة مستقلة لهم.

لماذا، إذن، لم تتمسك بريطانيا بموقفها هذا، ولم تصرّ على الوفاء بقسطٍ من الوعود التي بذلتها للشريف حسين وللعرب؟ بدلاً من ان توقع، مع فرنسا، الاتفاقية الغادرة (سايكس - بيكو) التي انتزعت من سوريا أجمل أحلامها وأعز أمانيها: السيادة والاستقلال؟

هنا، لا يجد المرء جواباً شافياً سوى ان كل ما قيل عن تمسك بريطانيا بوعودها للعرب كان هراءً، وان اتفاق «سايكس - بيكو» كان ساري المفعول منذ اللحظة الاولى لانتهاء الحرب.

منذ ان وضعت الحرب أوزارها في سوريا، بدأ التنازع المرير بين بطلي الصراع على النفوذ، في ساحتها: أللنبي القائد العام للجيوش الحليفة، وجورج بيكو المفوض السامي لفرنسا في سوريا، وكان واضحاً انتصار «أللنبي» عندما تم اتفاق بين الدولتين، بتاريخ ٣٠ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٨ اعتبر بموجبه «بيكو» مستشاراً سياسياً لأللنبي، وليس اكثر، مما اضعف وضع «المفوض السامي Haut-Commissaire» لدولة فرنسا، بل أضعف وضع فرنسا ذاتها.

وفي ٢٤ تشرين الاول/اكتوبر من العام نفسه (١٩١٨)، أصدر القائد العام للقوات الحليفة «الجنرال أللنبي» قراراً قسم، بموجبه، أراضي البلدان (السورية) المحتلة الى ثلاثة اقسام:

١ - المنطقة الجنوبية: وتكون تحت الإدارة البريطانية.

٢ - المنطقة الشمالية: (المنطقة الساحلية وجبل لبنان): وتكون تحت الإدارة الفرنسية (ولم تكن كيليكيا قد ضمت بعد، الى «البلدان المحتلة»).

٣ - المنطقة الشرقية: وتكون تحت الإدارة العربية. كما عين الكولونيل «دي بيباب» مديراً للمنطقة الشمالية. وهو ما اعتبرته فرنسا انتقاصاً من حقوقها، في سوريا، المعترف بها بموجب معاهدة سايكس-بيكو.

أما من الناحية العسكرية، فلم يكن «الجنرال هاملان» قائد المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا «سوى تابع، من بين التابعين للقائد الاعلى (الجنرال أللنبي)، يتلقى منه الاوامر»، وكانت مهمته عسكرية بحتة، وكان يعود «للمفوض السامي» (جورج بيكو) لوحده، أمر التدخل «لكي تأتي الشروط العامة

لاستخدام المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا)، منسجمة مع نوايا الحكومة الفرنسية»[٣٣].

وهكذا، فقد كانت العلاقات الادارية والعسكرية، بين الدولتين اللتين تحتلان سوريا، قائمة على التراتب التالي، و«في إطار الحملة المصرية» (أي المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا):

١ - «تراتب عسكري لا يكون فيه للمفرزة الفرنسية DFPS (ثم قوات المشرق الفرنسية TFL) من أهمية سوى ما يكون للواء عادي.

٢ - «تراتب اداري متميز يكون للضباط الفرنسيين موقعهم فيه (في المنطقتين الشمالية والغربية، وفقاً لتسمية عام ١٩١٩).

٣ - «لا يكون للمفوض السامي الفرنسي، تجاه القائد العام الانكليزي، أي دور محدد.

٤ - «أما الجنرال هاملان، فينحصر دوره في العمليات العسكرية التي لم تكن تتم إلا بأمر من رئيسه البريطاني، بحيث لا يستطيع تحريك وحدة عسكرية، مهما كانت اهميتها، إلا بإذن منه»[٣٤].

ولم يكن هذا الوضع ليرضي الجنرال «هاملان» القادم حديثاً، من فرنسا الى بيروت، لتسلم مهماته كقائد «للمفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا DFPS» خلفاً للكولونيل «دي بييباب» الذي عين حاكماً لبيروت (بأمر من الجنرال أللنبي القائد العام) ومديراً للاراضي المحتلة. وقد كتب «هاملان» بتاريخ /أكتوبر عام ١٩١٨ وفور وصوله الى بيروت، تقريراً برقياً عن وضع القوات الفرنسية فيها، الى وزير الحربية، جاء فيه: «لقد وجدت الوضع كالتالي: يقوم الكولونيل دي بييباب بمهمة مدير الاراضي المحتلة في «المنطقة الزرقاء» (منطقة سوريا الساحلية من صور حتى مرسين، ومنطقة كيليكيا، وفقاً لتقسيمات اتفاقية

سايكس - بيكو) حيث استثنيت منها، موقتاً، اقضية بعلبك وحاصبيا وراشيا. وهو (أي الكولونيل دي بيبباب) يخضع للسلطة المباشرة للجنرال أللنبي الذي يفرض طرائقه في الادارة، وليس له (أي للكولونيل دي بيبباب) أية سلطة على القوات الفرنسية (المفرزة الفرنسية).

«إن قيادة المفرزة الفرنسية التي أمارسها، ابتداء من اليوم، لا تخولني التدخل في إدارة الاراضي المحتلة. وتخضع هذه القيادة لأوامر الجنرال «بولفين Bulfin» قائد الفيلق البريطاني الحادي والعشرين.

«أما النقيب كولوندر (Coulondre) فهو قد عين مستشاراً سياسياً للجنرال أللنبي، كممثل للحكومة الفرنسية، وليس لديه أية صلاحيات إدارية.

«سأتقدم، قريباً جداً، من الجنرال أللنبي والجنرال بولفين، وسأستطيع موافاتكم، بعد ذلك، باقتراحات لتحسين هذا الوضع الذي لا يستجيب لرغباتكم»[٣٥].

إلا ان هذا الوضع سوف يستمر الى حين جلاء القوات البريطانية عن سوريا، ووصول الجنرال «هنري غورو H. Gouraud» الذي جمع اليه مهمات «المفوض السامي والقائد الأعلى» ودفع بقواته الى «العمل السياسي - العسكري» الفرنسي في المشرق[٣٦].

ولكن الوضع الذي كانت عليه قوات المشرق الفرنسية لم يكن بسبب ضعف في قيادة هذه القوات وقائدها الجنرال «هاملان» أو بسبب ضعف المفوضية السامية الفرنسية وعليها السياسي القدير «جورج بيكو» بقدر ما كانت تعود الى ضعفها في العناصر البشرية والمعدات العسكرية، مما جعلها في علاقة «تبعية ضيقة للقيادة البريطانية»، مما أوقع ضرراً بالغا «بهيبة فرنسا تجاه أهالي البلاد» وذلك بسبب التناقض الحاصل بين «غنى الجيش البريطاني وفقر المفرزة الفرنسية» وبالتالي «قوات المشرق الفرنسية»[٣٧].

ولم يقصّر كل من قائد القوات الفرنسية والمفوض السامي في لفت نظر الحكومة الفرنسية لهذا التقصير، فقد أرسل «بيكو» برقية الى وزارة الخارجية الفرنسية، بتاريخ ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩١٨ يشكو فيها ضعف هذه القوات وافتقارها الى الضروري من العناصر البشرية والمعدات، ويطلب إرسال ٢٠ ألف رجل «من اصل فرنسي» دون إبطاء»، مما سوف يمكّن القوات الفرنسية من «احتلال البلاد والطلب الى الانكليز ترك تلك المهمة للفرنسيين». ولكن هذا الطلب لم يجد آذاناً صاغية في وزارة الخارجية الفرنسية. يضاف الى ذلك ان العناصر الفرنسية التي يجب ان تشكل «ملاكات Cadres» هذه القوات لم تكن متوافرة، مما حدا بالجنرال البريطاني «بولفين» الى ان عاب على القيادة الفرنسية (في لقاء بينه وبين هاملان في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨) ان ليس لديها، في بيروت «أية قوات فرنسية» وان ليس لها، في بيروت وسوريا، «سوى عناصر جزائرية وتونسية وارمنية وسورية». ومما قاله «بولفين» للجنرال الفرنسي، بهذا الصدد: «انكم ترتكبون خطأً سياسياً إذ تمتنعون عن إرسال قوات فرنسية الى هنا (سوريا)، فذلك يذهب بهيبتكم، لذا، يجب ان يكون لكم، ببيروت، فوج من الفرنسيين الأصليين، على الأقل، مع موسيقى»، وهذا ما دفع بالمسؤولين الفرنسيين، في بيروت، لأن يطالبوا بتعزيز قواتهم، في سوريا، بالعناصر الفرنسية، ولكن «التعزيزات التي أعلن عنها في كانون الأول/ديسمبر عام ١٩١٨، لم تكن قد وصلت بعد الى بيروت، بتاريخ ٢٧ آذار/مارس عام ١٩١٩». كما جاء في رسالة وجهها الجنرال «هاملان» الى وزارة الحربية الفرنسية بالتاريخ نفسه[٣٨].

وفيما يلي نبذة عن التواجد العسكري الفرنسي، في سوريا، بدءاً من مطلع العام ١٩١٩.

قوات المشرق الفرنسية (Troupes françaises du Levant) في سوريا:

في العاشر من شهر كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩، وبناء لاقتراح الجنرال «هاملان Hamelin» سميت «المفرزة الفرنسية لفلسطين-سوريا» باسم «قوات المشرق الفرنسية .TFL» وخلال الشهر نفسه (كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩)، تعززت «قوات المشرق» هذه بما يلي:

«- البطارية الخامسة عشرة للمدفعية عيار ٧٥ ملم، من الكتيبة الخامسة لإفريقيا.

«- مستودع للخيل، متحرك، من الكتيبة الرابعة لقناصة افريقيا.

«- ملاكات فصيلة سيارات»(٣٩).

وفي الأول من شباط/فبراير عام ١٩١٩، كان عديد «قوات المشرق الفرنسية» قد اصبح على الشكل التالي (إستناداً الى جدول العديد الصادر في ١ شباط/فبراير وجدول التمركز الصادر في ٥ شباط/فبراير ١٩١٩):

التشكيل	الوحدات	العديد ضباط	العديد جند	التوزيع
قوات المشرق الفرنسية:				
- الأركان والمقر العام		١٣	١٧	بيروت
- فوج قتال الرماة:	- الأركان، فصيلة رشاش ٣٧	٥	٢١	بيروت
المقدم رينييه Lt.Col.Régnier	- الكتيبة السابعة من فوج الرماة الأول:	١٢	٦٥١	
	- الأركان، فصيلة خدمات (السرية ٢٧)			بيروت
	- السرية ٢٥			صور
	- السرية ٢٦			صيدا
	- سرية رشاش ثقيل ٧			بيروت-دمشق
	- السرية ٢٨ (مستودع)			بيروت

التشكيل	الوحدات	العديد		التوزيع
		ضباط	جند	
	- الكتيبة التاسعة من فوج الرماة الثاني:	٢٠	١٢٣٢	
	- الأركان، فصيلة خدمات			إسكندرون
	- السرية ٣٣			إنطاكيه-بيلان
	- السرية ٣٤			إسكندرون
	- السرية ٣٦			بالرتـــل (رتل الشتاء)
	- سرية رشاش ثقيل ٩			إسكنـــدرون-إنطاكيه-بيلان
	- السرية ٣٥ (مستودع)			
	مجموع فوج قتال الرماة	٣٧	١٩٠٤	
- الفوج ١١٥ للمشاة الاقليميين	- السرية ١٨	١	٢١٧	بيروت (ستُحل في ١ آذار)
- فوج الجوقة الأرمنية	- الاركان (الكتيبة الثانية)			أضنه
	- الكتيبة الأولى:	١٨	٩٠٦	
المقدم روميوLt.Col.Romieu	- الأركان، فصيلة خدمات (السرية الثالثة وسرية رشاش ثقيل ١)			الحميديـة (جيحون)
	- السرية الأولى			طبرق كاليه
	- السرية الثانية			إصلاحية
	- الكتيبة الثانية:	٢٦	١١٢٦	
	- الاركان، فصيلة خدمات (السريتان ٥ و٦، وسرية رشاش ثقيل ٢)			أضنه
	- السرية الرابعة			الحميديــه (جيحون)

التشكيل	الوحدات	العديد		التوزيع
		ضباط	جند	
	- الكتيبة الثالثة:	١٨	٩١٤	
	- الأركان، فصيلة خدمات (سرية رشاش ثقيل ٣)			طرسوس
	- السرية السابعة			مرسين
	- السرية الثامنة			بوزانتي
	- السرية التاسعه			طرسوس، ينيدجه
	- الكتيبة الرابعة: مستودع	٤	١٤٢٢	إسكندرون
	- السرية الحادية عشرة			كيريك خان
	مجموع الجوقة الأرمنية	٦٦	٤٣٦٨	
- الكتيبة السورية:	- الأركان، فصيلة خدمات،			
النقيب آونغ Cne.Aweng	- السريتان ٢١ و ٢٣	١٢	٦٩٥	بيروت،اللاذقية بعبدا، بيت الدين
- فوج الرماة الرابع:	- سرية رشاش ثقيل	٣	١٠٦	العربية-بور سعيد
- فوج القتال المختلط للخيالة:	- الأركان	٥	٢١	بيروت
	- السرية الأولى لقناصة افريقيا	٣	١٨١	صيدا، صور، مرجعيون
	- السرية الثانية لقناصة افريقيا	٤	٢١١	بيروت، اسكندرون
	- السرية الثالثة للسباهي	٥	١٥٤	طرابلس-اللاذقية
	- السرية الرابعة للسباهي	٣	١٥٤	بيروت
	مجموع فوج القتال المختلط للخيالة	٢٠	٧٢١	

التشكيل	الوحدات	العديد		التوزيع
		ضباط	جند	
- المدفعية:	- الأركان	٧	١٩	بيروت
الرائد ليفافاسير	- البطارية ١٤ للمدفع عياره ٧٥ ملم	٣	١٢١	بيروت
C.E.Levavasseur	- البطارية ١٥ للمدفع عيار ٧ ملم	٣	١٣٥	بيروت
	- البطارية ٣٠ للمدفع عياره ٦٥ ملم	٣	١٨٠	بالرتل (رتل الشتاء)
	- الفصيلة ٣٠ للذخائر	٣	١٥١	بيروت
	- رحبة المدفعية	٣	٣٣	بيروت
	- البطارية ٣٢ للمدفع ٦٥ ملم	٥	١٨٣	العربية وبور سعيد
	مجموع المدفعية	٢٧	٨٢٢	
- الهندسة:	- الادارة - رئاسة مكتب الهندسة			
Lt. Col. Godegrog	العسكرية	٤	١	بيروت
المقدم غوديغروغ	- السرية ٦/١٩	٥	١٣٦	بيروت
	- فصيلة اتصال تلغرافي	١	٧٤	بيروت
	- رحبة هندسة	١	٤	بيروت
	- مفرزة للعربية	-	٧٥	العربيه، بور سعيد
	مجموع الهندسة	١١	٢٩٠	
- الطيران:				
النقيب دي براكيانج Cne. de Braquillanges	- السرب ٥٧٥	٢	٧١	بور سعيد
- مصلحة السيارات:	- فصائل	٤	١٨١	بيروت
	- صحيه	-	٥٧	بيروت
- مستودع الخيل: (رباط الخيل)	- السرية ١٨ من الفوج الرابع لقناصة افريقيا	١	٤٠	بيروت
- القوامة:	- ادارة، مواد، لباس، خبازون، عمال، عبور (ترانزيت)، كتّاب ومستخدمون	٨	١٢٢	بيروت

التشكيل	الوحدات	العديد		التوزيع
		ضباط	جند	
- مصلحة الصحة:	- إدارة	٤	-	
الطبيب دلماس	- إسعاف	١٢	٨٠	
Med. Dalmas	- نقل (السرية ١٥)	-	١٤٣	بيروت
	- مستشفى ميداني وإجلاء (٢)	٧	٧٦	
	- إحتياط معدات	٣	-	
	مجموع مصلحة الصحة	٢٧	٢٩٩	
- مصلحة الطب البيطري:		١	-	بيروت
- مجالس الحرب:	عديد تابع لأفواج الرمي والجوقة الأرمنية	للتذكير	-	بيروت-مرسين
- شرطة الجيش:	- ١ لواء راجل			
	- ٢ لواء خيالة	-	١٥	بيروت-صيدا
	- ١ لواء خيالة			
- خزانة المال والبريد:		٧	-	بيروت
- مصلحة الجغرافيا والسينما		١	١٠	بيروت
- قاعدة مرسين:	رائد	٢	٣	-
- قاعدة إسكندرون:	رائد	٢	-	-
- قاعدة بور سعيد:	القيادة	٥	٤٣	
	- مشاة: - مستودع ملحق	٦	٤٠٧	
	- رحبة مدفعية	١	١٢	
	- رحبة هندسة	١	١٢	
	- قوامة	٢	١٠	
	- مصلحة صحة	٥	٣١	
	- مصلحة سيارات	-	٧	
	- مصلحة بريد	٣	٧	
	مجموع قاعدة بور سعيد	٢٣	٥٢٩	
	المجموع العام	٢٦٨	١٠٤٦٧	(٤٠)

ومنذ شهر شباط/فبراير عام ١٩١٩ حتى آخر تشرين الأول/أكتوبر من العام نفسه، تلقت «قوات المشرق الفرنسية» تعزيزات متتالية وصلت، بحراً، الى المشرق، على الشكل التالي:

الوحـدة	تاريخ الإبـرار	مكان الإبرار/ملاحظات
- فوج المشاة ٤١٥	٢٨ شباط/فبراير و١٩ آذار/مارس و١٢ نيسان/أبريل	بيروت
- فصائل هندسة وتلغرافيين	١٩ آذار/مارس و٣٠نيسان/ابريل	بيروت
- سرية النقل ١٠١	٣٠ نيسان/ابريل	بيروت
- الكتيبة (ف) من فوج الزواف الرابع	١٩ أيار/مايو	بيروت (تشكل هذه الكتيبة، مع كتيبتي رماة فوج القتال، الفـوج المختلط للرماة والزواف)
- فوج القتال الثاني المختلط لخيالة المشرق	٣١ أيار/مايو	مرسين
	و ٩ حزيران/يونيو	إسكندرون
- فوج المشاة ٤١٢	٢٣ أيار/مايو	إسكندرون
	و٢٥ حزيران/يونيو	مرسين
	و٨ آب/أغسطس	مرسين
- فصائل سيارات	كانون الثاني/يناير وأيار/مايو	بيروت
- سرية هندسة	تشرين الأول/اكتوبر	إسكندرون
- البطاريتان، الأولى والثانية، من الكتيبة الثانية للمدفعية الجبلة	تشرين الأول/أكتوبر	إسكندرون

في هذه الفترة، كان عديد «الجوقة الارمنية» يتناقص تدريجاً، بينما كان عديد «الجوقة السورية» يزداد تدريجاً. وفي اول تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٩، دمجت سرية الشركس بالجوقة السورية[٤١]. وفيما يلي جدول بالتغيّرات التي طرأت على عديد «قوات المشرق الفرنسية» اعتباراً من كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٨ حتى تشرين الاول/أكتوبر عام ١٩١٩:

اليوم الأول من الشهر	ضباط	جند	خيول	بغال	سيارات	ملاحظات
كانون الاول/١٩١٨	٢٣٠	٩٥٠٠	-	-	-	ارقام تقديرية
كانون الثاني/١٩١٩	٢٥٠	٩٩٠٠	٨٥٠	٢٣٨٠	٤٠٠	تضخم جوقة الشرق
شباط/فبراير	٢٧٠	١٠٥٠٠	١١٢٠	٢٤٠٠	٣١٧	تضخم جوقة الشرق
آذار/مارس	٢٩٠	١٠٤٠٠	١٠٧٥	٢٣٣٠	٣٣٣	تسريح وإنهاء عقود في جوقة الشرق
نيسان/أبريل	٣٥٠	١٠٢٠٠	١٠٨٥	٢٦٠٥	٥٣٧	تسريح وإنهاء عقود
أيار/مايو	٤٣٠	١٢٦٠٠	١١٦٤	٢٧٦٠	٥٩٧	
حزيران/يونيو	٥٠٠	١٥٠٠٠	١٤٤٦	٢٨٣٠	٧٢٦	
تموز/يوليو	٥٥٠	١٦٠٠٠	-	--	--	أرقام تقديرية
آب/اغسطس	٥٤٠	١٥٦٦٠	أعداد غير معروفة			
أيلول/سبتمبر	٥٤٦	١٤٨٤٠	٢٠٦٤	٣٢٩٤	٨٠٨	تسريح عناصر
تشرين الأول/أكتوبر	٥٥٠	١٣٥٠٠	-	-	-	تسريح عناصر
تشرين الثاني/نوفمبر	٦٧٠	١٨٦٠٠	أعداد غير معروفة، وصول وحدات جديدة[٤٢]			

وهذه مقارنة موجزة بين العديد القانوني والعديد الحقيقي (أو الواقعي) لـ«قوات المشرق الفرنسية»، بتاريخ اول حزيران/يونيو عام ١٩١٩ (باستثناء المرضى والمأذونين)، مأخوذة عن مقارنة مفصلة مدرجة في محفوظات «المصلحة التاريخية لجيش البر الفرنسي» بفنسين SHAT:

القطعة	العديد				الفرق			
	القانوني		الحقيقي		بالناقص		بالزائد	
	ضباط	جند	ضباط	جند	ضباط	جند	ضباط	جند
- أركان المشرق الفرنسية (TFL)	–	–	١٣	٢٣	–	–	–	–
-سرية النقل ١٠٢ (سرية المقر العام)	–	–	١	١١	–	–	–	–
- الفوج ٤١٢ مشاة (١ كتيبة)	١٩	٧٨٤	١٧	٧٩٤	٢	–	–	١٠
- الفوج ٤١٥ مشاة: (أركان، ٣ كتائب بـ ٣ سرايا، سرية رشاش ثقيل، سرية مستودع)	٦٧	٢٦٠٤	٦٧	٢٢٨٩	–	٣١٥	–	–
- الفوج المختلط للرماة والزواف: (الأركان، الرماة الأول، الرماة الثاني، الكتيبة (ف) من الزواف الرابع)	٧٠	٢٩١٦	٦٤	٣٠٩٣	٦	–	–	١٧٧
- الجوقة الأرمنية: (أركان، ٣ كتائب، فصيلة ٣٧ ملم، سرية مستودع، مكتب محاسبة)	٧١	٢٩٥٢	٥٧	٢٦٥٤	١٤	٢٩٨		

القطعة	العديد				الفرق			
	القانوني		الحقيقي		بالناقص		بالزائد	
	ضباط	جند	ضباط	جند	ضباط	جند	ضباط	جند
- الجوقة السورية: (كتيبة بـ ٤ سرايا، سرية خيالة)	٣٢	١١٥٥	٢٥	٨٥٩	٧	٢٩٦		
- فوج الخيالة المختلط: (أركان، ٤ سرايا وفصيلة رشاش ثقيل، من: الفوج الرابع للرماة الافريقيين، ومن: فوجي السباهي الأول والرابع)	٢٩	٧٦٤	٢٤	٥٣٨	٥	٢٢٦		
- فوج الخيالة المختلط: (سريتان من فوج القناصة الخامس)	١٥	٢١٦	١١	٣١٩	٤	-	-	٣
- المدفعية: (١ بطاريتان ٢,٧٥ ملم وبطاريتان ١,٦٥ ملم، ورحبة ببيروت)	-	-	٣٨	٩٧٤	-	-	-	-
- هندسه: (ادارة، ورئاسة مكتب في بيروت واسكندرون، ورحبة ببيروت)	-	-	٣١	٥٥٥	-	-	-	-
- طيران: (سرب ٥٧٥)	٣	٨٢	٩	٤١	-	٤١	٦	-
- قفل النقل والتموين: (السرية ١٠١ من الكتيبة ١٥)	٦	٢٥٥	٦	٢٣٤	-	٢١	-	-
- مصلحة السيارات:	-	-	١٠	٣٤٣	-	-	-	-

القطعة	العديد: القانوني – ضباط	القانوني – جند	العديد: الحقيقي – ضباط	الحقيقي – جند	الفرق: بالناقص – ضباط	بالناقص – جند	الفرق: بالزائد – ضباط	بالزائد – جند
– مستودع خيل متحرك: (السرية ١٨ من الفوج الرابع لقناصة افريقيا، وملحق مرسين)	٤	١٤٦	٢	٤٠	٢	٨٤	–	–
– مصلحة القوامة:	–	–	١٥	٢١٦	–	–	–	–
– مصلحة الصحة: (ادارة، إسعاف، عديد طبي السرية ١٥ للنقل)	٢٣	٢٦٣	٢٢	٢٢٤	١	١٣٩	–	–
– مصلحة الطب البيطري:	١	١	١	–	–	١	–	–
– شرطة الجيش:	٢	٤٠	–	٢٨	٢	١٢	–	–
– القضاء العسكري:	٢	٤	٢	–	–	٤	–	–
– خزانة المال والبريد:	–	–	٧	–	–	–	–	–
– قاعدة بور سعيد:	–	–	٢٥	١٦٩	–	–	–	–
– قاعدة اسكندرون:	–	–	٢	–	–	–	–	–
– قاعدة مرسين:	–	–	٢	–	–	–	–	–
المجموع العديد الحقيقي	٢٤٤	١٤٠٨٢	٤٥١	١٣٦٠٤	–	٤٨٧	١٠٧	–(❖) (٤٣)

في اول حزيران/يونيو عام ١٩١٩

(❖) لم يرد في الوثيقة الفرنسية مجاميع العديد القانوني ومجاميع الفرق، فاستكمناه (المؤلف).

ويبين الجدول التالي عديد «قوات المشرق الفرنسية»، بتاريخ أول حزيران/يونيو عام ١٩١٩ (ويشمل هذا البيان المرضى والمأذونين)، كما يبين مصدر هذه القوات (فرنسية أم محلية) وموقع كل وحدة منها:

أولاً: العناصر المتحركة:

القطعة	الضباط		الجند		الحيوانات		السيارات	الموقع
	فرنسيون	محليون	فرنسيون	محليون	خيول	بغال		
- الجنرال «هاملان» قائد قوات المشرق الفرنسية وقائد اللواء								
- أركان القوات (قائد الكتيبة باسهاي Baspail)	١٣	-	٢٠	-	١٢	-	-	بيروت
- السرية ١٠٢ للنقل (سرية المقر العام)	١	-	١١	-	١	٨	٣	بيروت
- المشاة:								
- الفوج ٤١٢ مشاة								
- الكتيبة الثالثة	١٧	-	٨٢٣	-	-	٦٨	١٧	اسكندرون
- الفوج ٤١٥ مشاة (العقيد جيزار Gizard)								
- الاركان والكتيبة الرابعة	١٥	-	٢٣٤	-	٤	١٤	٣	بيروت
- الكتيبة الاولى	١٥	-	٧٧٦	-	٧	١٧٠	٢٤	عاليه
- الكتيبة الثانية	١٩	-	٧٣٢	-	٩	١٥٦	٣٠	بيروت
- الكتيبة الثالثة	١٩	-	٧٢٦	-	٩	١٦٠	٣١	عاليه وصيدا وصور
- مجموع الفوج ٤١٥ مشاة	٦٨	-	٢٣٦٩	-	٢٩	٥٠٠	٨٨	

القطعة	الضباط		الجند		الحيوانات		السيارات	الموقع
	فرنسيون	محليون	فرنسيون	محليون	خيول	بغال		
- الفوج المختلط للرماة والزواف (المقيد ديبوي Dupuis)								
- الاركان	٤	–	–	–	٥	–	–	طرابلس
- فصيلة ٣٧ ملم	١	–	٢	١٥	–	٨	٢	طرابلس
- الكتيبة السابعة لفوج الرماة الاول	٣٤	٣	٢٣٨	١٢٠١	١٢	١٩٠	٤٣	طرابلس وتلكلخ وطرسوس وبور سعيد وبيروت
- الكتيبة التاسعة للرماة الثاني	٢١	٣	٢٣١	١٣٦٨	١٧	٦٤	٣٣	اسكندرون وبيلان وانطاكية واللاذقية
- الكتيبة (ف) من فوج الزواف الرابع	١٠	–	٦٨٥	–	٦	٢٤	١٧	بيروت
مجموع الفوج المختلط للرماة والزواف	٧٠	٦	١١٥٦	٢٥٨٤	٤٠	٣٨٦	٩٥	
- الجوقة الأرمنية (قائد الكتيبة بوجيه Pauget)								
- الكتيبة الاولى	٢٠	–	٨٩	٨٤٨	١٢	١٤٢	١٨	كورك قولاق
- أركان الفوج والسرية الرابعة	١٨	١	١٠٩	٣٣٥	٤٠	٩٧	٢	أضنه
- الكتيبة الثانية	١٥	١	٨٢	٦٤٧	٢٢	١٣٠	١٠	عيران
- الكتيبة الثالثة	٢٢	–	٩٢	٧٧٤	٢٣	٨٠	١٧	المربية ومرسين وبور سعيد

القطعة	الضباط		الجند		الحيوانات		السيارات	الموقع
	فرنسيون	محليون	فرنسيون	محليون	خيول	بغال		
- سرية مستودع	٣	-	٢٠	٧٤٦	-	-	-	
مجموع الجوقة الارمنية	٧٨	٢	٣٩٢	٢٦٠٤	٩٧	٤٤٩	٤٧	
- الجوقة السورية								
(العقيد جان)								
- الكتيبة الاولى	٢٣	-	٨٤	٨٤٨	٩	١١٦	٢٢	بيروت وبيت الدين وجبله وبعبدا
- الخيالة:								
- فوج القتال المختلط الأول للخيالة (العقيد لوبون Lebon)								
- أركان الفوج	١١	-	٣٦	-	٢٦	١٨	٥	بيروت
- السرية الاولى (قناصة)	٥	-	١٥٢	-	١٤٢	٣٧	٩	صور وصيدا والجديدة (مرجعيون) والنبطية
- السرية الثانية (قناصة)	٦	-	١٥١	-	١٣٤	٤٣	٩	بيروت والقدس واسكندرون
- السرية الثالثة (سباهي)	٤	-	٤٢	١١٥	١٤٣	٢٣	٦	طرابلس واللاذقية وتلكلخ
- السرية الرابعة (سباهي)	٣	١	٣٧	٩٨	١٥٥	٢٧	٨	بيروت وطرابلس
مجموع فوج الخيالة الاول	٢٩	١	٤١٨	٢١٣	٦٠٠	١٤٨	٣٧	

القطعة	الضباط		الجند		الحيوانات		السيارات	الموقع
	فرنسيون	محليون	فرنسيون	محليون	خيول	بغال		
- فوج القتال المختلط الثاني للخيالة (العقيد كابيتريل Capitrel)								
- أركان الفوج	٢	-	٢٠	-	١٧	-	-	مرسين
- السرية الاولى (قناصة)	٥	-	١٥٠	-	١٤٤	-	-	مرسين
- السرية الثالثة (قناصة)	٤	-	١٤٩	-	١٤٦	-	-	مرسين
مجموع فوج الخيالة الثاني	١١	-	٣١٩	-	٣٠٧	-	-	
- المدفعية: (العقيد غريبينيه Grepinet)								
- أركان المدفعية	١٤	-	١٠	٧	٣	-	-	بيروت
- أركان الكتيبة	١٠	-	٧	٦	٧	-	٣	بيروت
- البطارية ١٤ ميدان (من الكتيبة الخامسة الافريقية)	٤	-	٩٣	١٠٠	٩٦	٥٧	٢٩	دمشق وتلكلخ
- البطارية ١٥ ميدان (من الكتيبة الخامسة الافريقية)	٣	-	١٠٥	٨٥	٣٤	١١٧	٢٩	بيروت
- البطاريتان ٢٠ و٣٣ حبلية (من الفوج الثاني جبلي)	٨	-	١٨١	٢٦٢	٢٧	١٩٦	١٨	بيروت
- الفصيلة ٣٠ جبلية (من الفوج الثاني جبلي)	٣	-	٦٢	٢٠١	٣٠	٢٢١	٦٤	بيروت
- رحبة المدفعية	٤	-	١٠٧	٢	٣	-	١١٥	بيروت ومرسين واسكندرون
مجموع المدفعية	٤٦	-	٥٦٥	٦٦٣	٢٠٠	٥٩١	٢٥٨	

القطعة	الضباط		الجند		الحيوانات		السيارات	الموقع
	فرنسيون	محليون	فرنسيون	محليون	خيول	بغال		
- الهندسة:								
(العقيد غودفروا)								
- الادارة	٣	-	-	-	-	-	-	بيروت
- رئاسة مكتب بيروت	١١	-	-	-	٢	-	١٨	بيروت
- رئاسة مكتب اسكندرون	٤	-	-	-	-	-	-	اسكندرون
- سرية هندسة	٥	-	٢٤٥	١٠٦	٩	٥١	-	بيروت واسكندرون ومرسين
- سرية تلغراف	٦	-	٢١٥	-	٨	٤١	١٤	بيروت وتلكلخ واللاذقية
- رحبة هندسة	١	-	-	-	١	-	-	بيروت
مجموع الهندسة	٣٠	-	٤٦٠	١٠٦	٢٠	٩٢	٣٢	
- الطيران:								
- سرب ٥٧٥	٩	-	٤١	-	-	-	-	بيروت
- قافلة النقل والتموين	٦	-	٤٢	٢٠٧	١٧	١٥٣	٧٨	بيروت
- مصلحة السيارات	١١	-	٣٨٤	-	-	-	-	بيروت
- مستودع الخيول	٢	-	٢٧	١٦	٥٧	١٩٩	١٤	بيروت ومرسين
- مصلحة القوامة:	١٥	-	٩١	١٢١	٤	١٠	٤	بيروت
- مصلحة الصحة: (الطبيب دلماس)	٢٣	-	١٦٤	٦٦	٣١	١١٢	٣١	أضنه وبيروت

القطعة	الضباط		الجند		الحيوانات		السيارات	الموقع
	فرنسيون	محليون	فرنسيون	محليون	خيول	بغال		
مصلحة الطب البيطري	١	–	١	–	١	–	–	تحسب على المدفعية
– المجلس الحربي (بيروت)	١	–	١	–	–	–	–	يحسب على الجوقة السورية
– المجلس الحربي (أضنه)	١	–	١	–	–	–	–	يحسب على الجوقة الارمنية
– شرطة الجيش	١	–	٣٦	٤	١٨	–	–	بيروت وكيليكيا
– خزانة المال والبريد	٧	–	–	–	–	–	–	بيروت وكيليكيا واسكندرون
– مصلحة الجغرافيا	١	–	٤	–	–	–	–	بيروت
– مصلحة السينما	–	–	٤	–	–	–	–	بيروت
ثانياً: قاعدة بور سعيد: (قيادة القاعدة، المشاة، المدفعية، الهندسة، القوامة، مصلحة الصحة، مصلحة السيارات، خزانة المال والبريد)	١٨	–	١٥٨	١١	–	–		

وبناء على اقتراح من قائد قوات المشرق الفرنسية، الجنرال هاملان، وبتاريخ ٢٠ آب/ أغسطس عام ١٩١٩ صدر عن رئيس الأركان العامة للجيش، قسم افريقيا، الجنرال آلبي (Alby)، قرار يتعلّق بتنظيم قوات المشرق الفرنسية (TFL) وتعويضات الخدمة المخصّصة لهذه القوات، وفيما يلي نص القرار:

«- يحذف إستخدام «مساعد الجنرال قائد قوات المشرق الفرنسية».

«- بأمرٍ من الجنرال قائد قوات المشرق الفرنسية، تقسم قوات المشرق الفرنسية إلى لواءين مختلطين، وإلى قوى تتعلّق، مباشرة، بقائد قوات المشرق الفرنسية.

«- يؤمن قيادة كلّ لواء مختلط عميد أو عقيد، يعاونه ضابطان أو ثلاثة مفصولون من القطع بأمر من الجنرال قائد قوات المشرق الفرنسية، ولا يستبدل هولاء الضباط في قطعهم.

«- لتسوية المسائل الشخصية ومسائل التعليم، وبصرف النظر عن الإستخدام التكتي للقوات، تخضع أفواج الخيالة، عند دمجها في الألوية، لتفتيش يقوم به مسؤول يعيّنه الجنرال قائد قوات المشرق الفرنسية، وذلك بموجب أمر مهمّة ينظّمه للفترة الفعلية للتفتيش.

«- في نهاية التفتيش، يرفع المفتش، إلى الجنرال قائد قوات المشرق الفرنسية، تقريراً يقدّر فيه، على الأقل، قادة القطع.

«- يخصّص قادة الألوية المختلطة بتعويض خدمة يبلغ ٦٧٠،٥ فرنكاً فرنسياً شهرياً، ويخصّص مفتش الخيالة بتعويض خدمة يبلغ ١٥،٤٠ فرنكاً فرنسياً لكلّ يوم في مهمته.

«- تطبّق هذه التدابير إعتباراً من أول تموز/يوليو عام ١٩١٩».

باريس في ٢٠ آب/أغسطس عام ١٩١٩

أمين سر الإدارة	العقيد	الجنرال
آبرامي Abrami	رئيس قسم إفريقيا	رئيس الأركان العامة للجيش
	أورو Auroux	ألبي Alby

وبتاريخ ١٤ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩١٩ أصدر الجنرال «هاملان»، قائد قوات المشرق الفرنسية، جدول تمركز «قوات المشرق الفرنسية» (رقم ٦/١٥٧٤، وكان قد بدأ التمركز بتاريخ ٩ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩١٩)، على الشكل التالي:

اللواء الأول المختلط: أركانه ببيروت

التشكيلة	الوحدة أو المفرزة	الموقع	ملاحظات
	الأركان	عاليه	
فوج المشاة ٤١٥	الكتيبة الأولى	بيروت	
	الكتيبة الثانية(*)	طرابلس	- ناقص سرية الرشاش المفصولة إلى رتل النصيرية
	الكتيبة الثالثة	عاليه	- ناقص سرية في صور وسرية في صيدا وفصيلة في القدس
	مستودع المتعزلين	بيروت	
- فوج مختلط من	الأركان	طرابلس	
الزواف (Zouaves)	الكتيبة السابعة(**)		في رتل النصيرية
والرماة	الكتيبة التاسعة	الإسكندرون	- ناقص فصيلة في باباتًا وفصيلة في بانياس وفصيلتان في قيموس Kaimus و٣ فصائل في انطاكية وفصيلتان في كيريك خان وفصيلتان في الحمّان El-Hamman وحارم Harim.

التشكيلة	الوحدة أو المفرزة	الموقع	ملاحظات
	سرية المستودع ٢٨	بيروت	
	سرية المستودع ٢٥	بيروت	
	كتيبة زواف (Zouaves)	عاليه	- ناقص سرية في سوق الغرب وسرية في طرابلس وحارم.
الجوقة السورية	الأركان	بيروت	
	السرية الأولى(***)		في رتل النصيرية
	السرية الثانية	جبليه	- ناقص فصيلة في بانياس
	السرية الثالثة	بيروت	- ناقص فصيلة في بيت الدين
	السرية الرابعة	بعبدا	
الفوج الأول المختلط لخيالة المشرق	الأركان	بيروت	
	سرية الخيالة الأولى (الخامس قناصة افريقية)	صور	
	سرية الخيالة الثانية (الخامس قناصة افريقية)	بيروت	
	سرية الخيالة الثالثة (الأول سباهي)		- فصيلتان في الرتل، وفصيلة في اللاذقية وأخرى في بانياس
	سرية الخيالة الرابعة (الرابع السباهي)	بيروت	- ناقص فصيلة في طرابلس.

اللواء المختلط الثاني: أركانه في أضنه

التشكيلة	الوحدة أو المفرزة	الموقع	ملاحظات
	الأركان	أضنه	
فوج المشاة ٤١٢	الكتيبة الأولى	أضنه	- ناقص فصيلة في تشلميدان
	الكتيبة الثانية	طرسوس	- ناقص ٢/١ سرية في مرسين وسرية و ٢/١ في آرابلار Araplar
	الكتيبة الثالثة	الإسكندرون	- ناقص فصيلتين في دورتيول (Deurtyol)
الجوقة الأرمنية	الأركان	أضنة	
	الكتيبة الأولى	كورت كولاك Kurt-Kulac	
	الكتيبة الثانية	عيران Airane	- ناقص سرية في أضنه
	الكتيبة الثالثة	آرابلار	- ناقص سرية في مرسين
	منازل المراحل	جيحون Jihun	
	سرية المستودع (السرية الثالثة عشرة)	أضنه	
الفوج الثاني المختلط لخيالة المشرق	الأركان	أضنه	
	سرية الخيالة الأولى (الخامس قناصة افريقيا)	أضنة	
	سرية الخيالة الثانية (الخامس قناصة افريقيا)	سيس (Sis)	- ناقص فصيلة في أضنه
	سرية الخيالة الثالثة (الأول سباهي)		- فصيلة في اكبس (Ekbes) وفصيلة في اسلاهيت وفصيلة في كاسّا وفصيلة في دورتيول
	سرية الخيالة الرابعة	إسكندرون	- ناقص فصيلة في انطاكية وفصيلة في معسكر الينابيع (Camp des Sources)

العناصر الداخلة في الألوية:

التشكيلة	الوحدة أو المفرزة	الموقع	ملاحظات
المدفعية	الأركان	عالية	
	بطارية ٧٥ ملم الـ١٤	طرابلس	- ناقص النصف في دمشق
	بطارية ٧٥ ملم الـ١٥	بيروت	
	بطارية ٦٥ ملم الـ٣٠	عبيه	
	بطارية ٦٥ ملم الـ٢٢	طرسوس	- ناقص قطعة في بيروت
	فصيلة ٣٠ ذخيرة	عبيه	- ناقص قطعتين في الرتل (****)

العناصر غير الداخلة في الألوية:

التشكيلة	الوحدة أو المفرزة	الموقع	ملاحظات
الهندسة	سرية ١٩/٦ي	بيروت	- ناقص مفارز في عاليه وأضنه وطرطوس واسكندرون
	سرية تلغرافية	بيروت	- ناقص فصيلة في أضنه واسكندرون
نقل العتاد	سرية ١٠١	بيروت	- ناقص فصيلتين في رتل النصيرية(♦♦♦♦)
	سرية ١٠٢	عالية	- سرية مقر عام
الطيران	سرب ٥٧٥	بيروت	
مصلحة الصحة	صحية ٣ ل	بيروت	- ناقص مفرزة في رتل النصيرية(♦♦♦♦)
	صحية ٢ ل	أضنه	
	مستشفى ميداني (HOEZ)	بيروت	
	مصلحة صحة (SSA451)	بيروت	
الشرطة العسكرية	٤ ألوية (المقصود مخفر)	بيروت	
	١ لواء	مرسين	
	٢ لواءان	أضنه	
مصلحة السيارات	فصائل ١٣٠٦-١٣٠٧ ١٣٠٨- ١٣٠٩-١٣١٢	بيروت	- ناقص مفرزة في عاليه وأخرى في كيليكيا وفي سنجق إسكندرون

بيروت في ٩ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩١٩

الجنرال قائد جيش المشرق

عنه: رئيس الأركان

SHAT. Son outre-mer.

(♦) في طريق العودة إلى بيروت (تصل في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر).

(♦♦) تأخذ مواقعها لاحتلال سنجق اللاذقية (الأركان وسريتان في طرطوس، وسرية في اللاذقية).

(♦♦♦) تتمركز في طرطوس.

(♦♦♦♦) في طريق العودة إلى بيروت (تصل في ٢٠ تشرين الأول/ اكتوبر).

تقسيم تركة «الرجل المريض»:

في مطلع العام ١٩١٩ بدأت المفاوضات العسيرة في مؤتمر الصلح بباريس، وقد اشترك، في هذه المفاوضات، الدول المنتصرة في الحرب، بالإضافة الى الامير فيصل ممثلاً لوالده الملك حسين، ملك الحجاز، وكان التنافس على أشدّه بين الدول الراغبة في الحصول على حصص من تركة «الرجل المريض» وخصوصا «بريطانيا وفرنسا» اللتان كانتا تتطلعان الى استعمار البلدان العربية، وخصوصاً سوريا والعراق، وقد ظهر ذلك جلياً في المعاهدة التي عقدتها الدولتان عام ١٩١٦ (وسوف نبحث موضوع مؤتمر الصلح في باريس في فصل لاحق).

في هذه الأثناء، كانت كل من فرنسا وبريطانيا تشتركان في حكم سوريا، فتحكم الأولى، مباشرةً، سوريا الغربية (ومنها الساحلية) التي سميت، فيما بعد «لبنان»، بينما تسيطر الثانية على حكم سوريا الداخلية، حيث تقوم الحكومة العربية بقيادة الامير فيصل، وعلى جنوب سوريا (فلسطين وشرق الاردن)، وكانت العلاقات بين الدولتين، في هذه المناطق من سوريا، تراوح بين التشنج والتفاهم، وفقاً للظروف، إلا ان الغلبة كانت لبريطانيا التي تتمتع بقوة عسكرية مرموقة، في هذه البلاد «بقيادة أللنبي»، ويعود اليها، وليس لفرنسا، فضل طرد الاتراك منها.

ولأجل هذا، كانت الإمرة السياسية والعسكرية، للقيادة العسكرية البريطانية، كما سبق ان شرحنا.

ولكن فرنسا لم تكن لتتوانى عن تعزيز قواتها العسكرية في المشرق، وخصوصاً سوريا وكيليكيا، مما أخذ يعزز نفوذها، شيئاً فشيئاً، وخصوصاً في الساحل وفي جبل لبنان. إلا انه كان على القوات البريطانية ان تنسحب، عاجلاً أم آجلاً، من سوريا الداخلية والشمالية (وتبقى في سوريا الجنوبية، أي

فلسطين وشرق نهر الاردن)، وذلك عملاً باتفاقية «سايكس - بيكو» التي وزعت سوريا حصصاً بين الدولتين.

ولم تألُ فرنسا جهداً في تثبيت أقدامها في سوريا الغربية، فكانت ترسل أرتالاً عسكرية الى الداخل، جنوباً وشمالاً وشرقاً، الى النبطية ومرجعيون وزحلة والبقاع وجبل لبنان، بهدف الدعاية والرقابة وتأكيد السيادة ومراقبة نشاط الجماعة «الشريفية» التي كانت لا تزال تحلم بإقامة دولة عربية في سوريا الموحدة، بقيادة الأمير فيصل. وبين يدينا مراسلة من الجنرال «هاملان» قائد «القوات الفرنسية للمشرق» الى «وزارة الحربية الفرنسية، قسم إفريقيا، بباريس». بتاريخ ٢٥ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩، أتت تأكيداً لبرقية مرسلة الى هذه الوزارة بتاريخ ٢٠ منه، وقد جاء في هذه المراسلة: «لا يزال رتل لبنان الجنوبي يجمع، للقضية الفرنسية، معظم الأهالي المترددين، وقد التحقتُ به، اليوم، في النبطية (٣٠ كلم جنوب شرقي بيروت)، التي هي مركز مهم للمتاولة الشيعة الذين تاثروا، كثيراً، بنشاط العملاء الشريفيين.

«لم تتمكن السلطات (المحلية) من الإمتناع عن تنظيم التظاهرات والاستقبالات، ولكنها بدت أكثر من متحفظة، إلا انها ترغب، بلا شك، ان تضمن لنفسها اعتباراً تجاه سلطات الغد.

«لم يحضر الزعيمان الرئيسيان (في البلدة) الينا. ومن الثابت ان الاهالي السوريين منقسمون الى فئتين: المؤيدين لفرنسا، والشريفيين. وبما ان الفرنسيين قد قدموا انفسهم على اساس انهم حماة للكاثوليك، فإن كل من هو غير كاثوليكي رأى نفسه منساقاً باتجاه الشريفيين وانكلترا. وتظل تظاهرة القوة العسكرية الفرنسية افضل وسيلة ممكنة لوقف هذا النفور».

بيروت في ٢٥ كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩

التوقيع: هاملان(٤٥)

كانت العلاقة القائمة بين فرنسا، من جهة، وبين بريطانيا والامير فيصل، من جهة اخرى، في سوريا، مشوبة «بالعداء وعدم الثقة»، فقد كان الامير فيصل، وفقاً للمصادر الفرنسية، «يسعى الى طردنا من منطقتنا» بذريعة انه يريد «طرد الأتراك من الأراضي العربية»، ولأجل هذا، فهو بعث «شكري باشا الايوبي» الى بيروت ومعه حاشية من «١٠٠ خيال»، حيث «تمركز في السراي، كحاكم باسم الملك حسين». وقد وقعت «أحداث مشابهة في صور وصيدا، مع عملاء شريفيين كانوا يحرّضون على القيام بحركة لجمع الأنصار لملك الحجاز، ويرفعون العلم الشريفي»، ولم يكن بإمكان «الكولونيل دي بيبياب» ممارسة مهماته في الحكم ببيروت، بوجود شكري باشا، لولا ان قام الانكليز بطرده منها[٤٦]. ولم يكن ما فعله الانكليز، تجاه فرنسا ببيروت، تعبيراً عن تعاطف معها وتأييداً لسياستها، بقدر ما كان اعترافاً منهم بما تزعمه حقاً لها في حكم سوريا الغربية (الساحل وجبل لبنان)، بل كان الفرنسيون يعتبرون الانكليز، في سوريا، متحالفين مع فيصل ومتساهلين معه، خصوصا انهم (أي الانكليز) كانوا يرفضون ان يمتد نفوذ فرنسا الى مناطق حاصبيا وراشيا وبعلبك بحجة «مقتضيات عسكرية». ورغم ان بريطانيا كانت قد أصدرت قراراً بمنع فيصل من الدعاوة لسياسته القومية الوحدوية، فإن ذلك لم يمنعها، في نظر الفرنسيين، عن ان تغضّ الطرف عن عملائه «الذين كانوا يجوبون المنطقة شرق (جبل) لبنان لتحريض الأهالي على استقبال الأمير استقبال المنتصر، كما كان العلم الشريفي مزروعاً في اماكن عدة»، حتى ان فيصلاً امتدح جبل لبنان، في خطاب له في «المعلقة» بتاريخ ٥ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨، قائلاً إنه «درة في تاج الأمبراطورية العربية»[٤٧].

إلا ان فيصلاً كان يُظهر، في بعض الأحيان، «وداً حاراً تجاه فرنسا» كما صرّح في حديثٍ له مع ضابط الارتباط الفرنسي بدمشق، كما نقل عنه انه قال لهذا الضابط، في حديث معه عن سوريا الساحلية وموقفه منها: «في محادثات جدة (مع والده الملك حسين)، كانت مسألة سوريا الساحلية مسألة مستبقاةً على حدة، فانكلترا، وفرنسا، وانا، أشبه بتجار تجاه مالٍ بلا مالك، أو ليس من المنطقي ان يحرص كل منا على ان يتقدم الآخرين لكي يمتلك هذا المال؟»(٤٨). إذا كان ما نقل على لسان الأمير فيصل صحيح، فإن هذا الأمر أخطر من ان يتصوره أي عربي، أو سوري، إذ يكون الأمير، في هذه الحالة، قد تنازل عن حقه، وبالتالي حق أمته، في هذه الأرض، واعتبرها مشاعاً يتنافس عليه مع آخرين لا حق لهم، على الإطلاق، بملكيتها.

ذلك هو الوضع الذي كان قائماً بين السلطات الثلاث القائمة على ارض سوريا، في ذلك الحين، وطوال عامي ١٩١٨ و١٩١٩، واستمر، كذلك، الى حين جلاء البريطانيين عنها.

كان مؤتمر الصلح في باريس قد بدأ يبحث مصير البلدان التي كانت خاضعة للحكم العثماني قبل الحرب، ونصيب كل دولة من الدول المنتصرة من هذه البلدان، وكانت فرنسا وبريطانيا تصران على تنفيذ اتفاقية «سايكس - بيكو» التي اتاحت للدولتين تقاسم سوريا (بكاملها) والعراق فيما بينهما، ولأجل هذا نرى «لويد جورج»، رئيس الحكومة البريطانية، يقول في إحدى جلسات المؤتمر السري الذي عقد في ٢٠ آذار/مارس عام ١٩١٩: «لقد أظهرنا (نحن البريطانيين) ان لا أرب لنا (في سوريا) في سنة ١٩١٢، وكذلك نحن اليوم، لا أرب لنا - عام ١٩١٩ -. ولو سألنا المؤتمر: هل تحبون أخذ سوريا؟ لأجبناه بالنفي»، ثم يستطرد قائلاً: «لقد عزمت الحكومة البريطانية، عزماً قاطعاً،

على أن لا يكون لها شأن بسوريا»[٤٩]. إلا أن «لويد جورج»، لم ينفِ، إطلاقاً، عزم بلاده على ان يكون لها شأن في جنوب سوريا، أي في فلسطين وشرق نهر الاردن، وكذلك في العراق. وكان ذلك اعترافاً صريحاً من بريطانيا باستمرار عزمها على تقاسم تلك البلاد مع فرنسا، وفقاً لمعاهدة سايكس - بيكو عام ١٩١٦.

وعلى هذا، تم الاتفاق، بين الدولتين، على البدء بتنفيذ تلك المعاهدة، بصورة تدريجية، وذلك بناء لاقتراح تقدم به «لويد جورج» الى «كليمنصو»، ويقضي هذا الاقتراح بما يلي: «سحب الحاميات البريطانية من سورية وكيليكيا، وإحلال الكتائب الفرنسية محلها في كيليكيا (المحتلة الشمالية) وسوريا الغربية (المحتلة الغربية)، وإحلال القوات العربية في سوريا الشرقية (أي المحتلة الشرقية)». وكان الدافع الى هذا الاقتراح هو رغبة بريطانيا في تخفيف التكاليف المادية التي تترتب على وجود قواتها في سوريا، وبالتالي تخفيف العبء الضريبي عن المواطن الانكليزي[٥٠]، فوافقت فرنسا على هذا الاقتراح، شرط ان تدرك بريطانيا ان هذه الموافقة مرحلية، وانها لن تؤثر «في التسوية النهائية لشؤون الانتداب وتقرير الحدود»، وان فرنسا مصرة على ان «تبسط انتدابها على سوريا الشرقية-أخيراً- وانها أبعد من ان ترضى ببقائها دولة عربية مستقلة عن سيطرة فرنسا»[٥١]. وعلى هذا الأساس، تم الاتفاق على ان تباشر بريطانيا سحب قواتها من سوريا وكيليكيا في مطلع شهر تشرين الثاني/نوفمبر (عام ١٩١٩). ويقول الجنرال فيليب غورو (حفيد الجنرال هنري غورو) في ذلك: « في ايلول/سبتمبر عام ١٩١٩، طلب منا الانكليز ان نأخذ على عاتقنا المنطقة العائدة لنا، وفي ١٥ منه، جرى اجتماع حكومي (بين الدولتين)، تم، على أثره، تحديد يوم الأول من تشرين الثاني/نوفمبر موعداً

للبدل. ورغم ان المهلة كانت قصيرة جداً، فإن «كليمنصو»، رئيس الوزراء، رفض طلب تمديدها»(٥٢). وفي الموعد المحدد، كانت القوات البريطانية قد انسحبت من سوريا ن سلّمت مهماتها الى الشريفيين (في سوريا الداخلية) والفرنسيين رفي سوريا الساحلية).

وفي الثامن من شهر تشرين الاول/أكتوبر (عام ١٩١٩) صدر مرسوم بتعيين الجنرال «هنري غورو» مفوضاً سامياً لفرنسا في سوريا وكيليكيا، وقائدا «لجيش المشرق»، وقد طلبه رئيس الحكومة الفرنسية «كليمنصو» بهذه المناسبة وقال له إن مهمته هي «إقامة مركز إشعاع فرنسي في قلب المتوسط، وانها لمهمة كبيرة وجميلة تلك التي أسندها اليك». وفي ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩، وصل الجنرال غورو الى بيروت حيث تسلم مهماته(٥٣).

– تقرير قيادة «قوات المشرق الفرنسية عن الأوضاع في سوريا غداة وصول غورو إلى بيروت:

ما هي الأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت سائدة في سوريا غداة وصول الجنرال غورو إلى بيروت؟

في كانون الأول/ديسمبر عام ١٩١٩، وكانون الثاني/يناير عام ١٩٢٠، رفعت قيادة «قوات المشرق الفرنسية» تقريراً، الى المسؤولين الفرنسيين، عن الأوضاع السياسية والعسكرية، في هذه البلاد، جاء فيه:

«أ - وصول الجنرال غورو:

«لقد بيّنّا الوضع السياسي والعسكري الذي وجده الجنرال غورو، المفوض السامي للجمهورية الفرنسية، في سوريا وكيليكيا، فور إبراره بتاريخ ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩.

«لقد كان دخول الجنرال الى بيروت موضع تظاهرات حماسية من المسيحيين الذين يرون فيه رمزاً لقوة فرنسا الحامية لهم، كما كانت موضع تصريحات ولاء من بعض المسلمين، ولكنها كانت، كذلك، موضع مقالات صحفية عنيفة، كصدى لما ظهر في دمشق، ومنشورات ألصقت على أبواب المساجد، وهي تعبر عن عداء بعض العناصر التي أثار وصول قائد عسكري بعض الأفكار لديها[٥٤].

«II - التدابير المتخذة بشأن البدل في البقاع:

«إن اول سؤال يطرح هو ذلك المتعلق باستبدال القوات الانكليزية في البقاع، فرغم البرقية المرسلة من السيد «كليمنصو»، يظل الوطنيون في دمشق يتصدون لهذه العملية باعتبارها، ليست «تدبيراً موقتاً» وانما هي تطبيق لاتفاقات سرية بين الحلفاء يستبق قرارات مؤتمر السلم. وكما رأينا، فإن المتطرفين يحلمون بان يقاوموا، حتى بالقوة، هذه العملية.

«لن يجري البدل في المنطقة الغربية، وفي البقاع، باستثناء اربع مدن هي: حلب وحماة وحمص ودمشق، حيث للانكليز، حتى الآن، قوات مهمة:

«- في حلب: ٥ أفواج خيالة و٤ بطاريات مدفعية وكتيبة مشاة + سرية، وسرية هندسة.

«- وفي حماة: فوجا خيالة وسرية «ايومانري Yeomanry».

«- وفي حمص: فوجا خيالة وبطاريتا مدفعية.

«- وفي دمشق: فوجا خيالة، وبطاريتا مدفعية، ولواء مشاة (ناقص سريتين)، وكتيبة مرممين وسرب طائرات.

«أما في البقاع، فقد كان، للبريطانيين:

«- في رياق: كتيبة مشاة.

«- وفي بعلبك: - كتيبة مشاة و٣ بطاريات مدفعية ومفرزة هندسة.

«أما في المنطقة الغربية، حيث لنا: ٦ كتائب (مختلطة) وفوج خيالة و٤ بطاريات مدفعية، فإن للانكليز:

«- في طرابلس: ٥ سرايا مشاة وسرية مرممين.

«- وفي بيروت: المقر العام لفرقة المشاة السابعة الهندية، وكتيبة ونصف مشاة،وفوج «إيومانري»، وكتيبتا مرممين.

«وباستثناء القوات المذكورة اعلاه (٦ كتائب و٤ سرايا و٤ بطاريات) تابعة «لقوات المشرق الفرنسية»، كان لدينا، في آخر تشرين الثاني/نوفمبر (١٩١٩)، الفوج التاسع عشر للرماة الجزائريين (19RTA) الذي أبرّ في ٥ و٦ تشرين الثاني/نوفمبر (١٩١٩).

«وبصدد البدل، فإن رتلاً قوياً من ٥ كتائب و٣ بطاريات وسريتين، احتشد في زحلة بتاريخ ٢٤ و٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر (١٩١٩) بإمرة الكولونيل جيزار Gizard. وقد اعطيت، لهذا الضابط الكبير، تعليمات بأن البدل المنتظر هو «عملية حساسة» بالنسبة الى الانكليز، وهناك بعض الشك الذي لا يزال يخيّم على شروط البدل،....... والتاريخ الذي يجب ان ينفذ به..... والتاريخ الذي سوف تحضر فيه القوات الفرنسية. وبما ان القوات الانكليزية لم تتلق، بعد، امر الجلاء، فإن المفرزة الفرنسية سوف تتمركز الى جانب المفرزة الانكليزية حتى تسوّي القيادة العليا الأمر. ومهما كانت الظروف، فإن العلاقات الاكثر ودية هي التي يجب ان تستمر بين الضباط الفرنسيين والانكليز.

«أما بالنسبة الى الشريفيين، فإن النية ليست متجهة نحو حرب مع الحكومة الشريفية.... وليس هناك من سبب بأن علاقة حسن التفاهم التي كانت قائمة بين السلطات الشريفية والمراكز الانكليزية لا تستمر معنا. إلا انه، وبعد الموقف الذي لاحظناه، حتى الآن، من قبل السلطات الشريفية بدمشق، فمن الممكن ان يكون دخول القوات الفرنسية الى البقاع إشارة للعداء، حيث نتعامل، إما مع القوات الشريفية النظامية، وإما مع عصابات يسلحها الشريفيون.

«وبسبب الوضع العام، فإن الرتل المحتشد في زحلة سوف ينتقل بكامله، اولاً، الى رياق أو الى جوارها، حيث يترك مفرزة للقيام بعملية البدل، ثم يتابع، من هناك، نحو بعلبك.

«وبعد التنفيذ الجيد لعملية البدل في بعلبك وفي رياق، تقوم مفرزة «مونديت Munditte»، بالعملية نفسها في حاصبيا وراشيا (وهذه المفرزة مؤلفة من: كتيبتي مشاة، وفصيلة ٦٥ ملم، ونصف سرية،وكلها من رتل جيزار).

«لقد أجلت عملية البدل، لأول مرة، من ٢٢ إلى ٢٧ (تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩). ولدعم رتل «جيزار»، فقد تقرر تشكيل مفرزة تضم الفوج الثاني والعشرين للرماة الجزائريين (الذي أبرّ من ١٨ إلى ٢٢ منه)، وبطارية ٧٥ ملم وكوكبة خيالة، وسوف تنتشر هذه المفرزة، بتاريخ ٣٠ منه، بين عين صوفر وبيروت.

«وأخيراً، فإن العمليات التي كانت مقررة للبقاع بتاريخ ٢٨ منه قد تأجلت.

«III - الاتفاق مع الشريفيين حول البقاع:

«في الأيام الأخيرة من شهر تشرين الثاني/نوفمبر (عام ١٩١٩) لم يزل الوضع، في دمشق، يتفاقم، فبسبب توقيف ياسين باشا (الهاشمي)، رئيس اركان الجيش الشريفي، وهو قومي عنيف، بأمر من السلطات البريطانية، بلغ الهيجان ذروته، وجرت تظاهرات مهمة تهجّم المتظاهرون، خلالها، على «الاستعماريين»، ولأول مرة، على انكلترا. وكان ليل ٢٨ - ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر، خصوصاً، مضطرباً، إذ إن أعضاء المنتدى العربي، وبعض الضباط، أخذوا يجوبون المدينة داعين المتطوعين الى السلاح، ومطلقين عيارات نارية، ومعلنين ان الاعمال العدائية قد بدأت، بين الفرنسيين والعرب، في منطقة بعلبك. وقد أرسلت برقيات الى حمص وحماة وحلب تدعو المتطوعين الى الالتحاق، مباشرة، بالقوات المتمركزة على الحدود.

«في هذا الوقت، حاولت حكومة دمشق، الخائفة قليلاً، والضعيفة،....... إنقاذ ماء الوجه، لا بمواجهة هذه الحركة، مواجهة مفتوحة، وانما بالسعي الى نفي مسؤوليتها عما يجري والظهور بمظهر الاستسلام، بأسفٍ، الى التيار الذي يجرّ الشعب.

«أما الجنرال نوري السعيد، الذي عاد من باريس بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر، فقد استخدم سلطته لتهدئة الاضطرابات، باذلاً جهوده لتحاشي الصدام الدموي. ففي ٢٨ منه، أعطى القوات الشريفية، التي كانت في طريقها الى البقاع، أمراً بالعودة الى دمشق، ثم انتقل الى بيروت، مكلفاً من قبل الحكومة (الشريفية) إعلام الجنرال، القائد الأعلى، بالأخطار التي يمكن ان يجرّها احتلاله لشتورا ورياق وبعلبك.

«بعد هذه المقابلة، جرى اتفاق بأن نؤجل احتلال البقاع، بشرط ان تجلو عنه القوات الشريفية كذلك، مباشرة، وضمن ضمانات اهمها:

«١ - إحتلال رياق من قبل سرية فرنسية مكلفة حراسة المعدات ومستودع المعسكر والمستشفى.

«٢ - إرسال ضابطي اتصال فرنسيين الى بعلبك وراشيا.

«٣ - منع الشريفيين من القيام بأقل عائق لمنع عمل سكة الحديد.

وفي ٦ كانون الأول/ديسمبر (عام ١٩١٩) إحتلت محطة رياق سرية من الفوج ٤١٥ مشاة.

IV - تنظيم جيش المشرق:

«بتاريخ ١١ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩ صدرت تعليمات تحدّد «القوى المكوّنة لجيش المشرق»، وهذه القوى هي:

« - مشاة:

- فوج المشاة ٤١٢	موجود في قوات المشرق الفرنسية (TFL)	كيليكيا	فرنسي (Métropole)
- فوج المشاة ٤١٥	موجود في قوات المشرق الفرنسية (TFL)	سوريا	فرنسي (Métropole)
- الفوج المختلط الثالث للزواف (Zouaves) والرماة (Tirailleurs)	موجود في قوات المشرق الفرنسية (TFL)	سوريا	فرنسي (Métropole)
- الفوج ١٨ للرماة الجزائريين (TA)	أبّر في ٢٧ تشرين الأول	كيليكيا	جيش الشرق (A.O.)
- الفوج ١٩ للرماة الجزائريين (TA)	أبّر في ٦ تشرين الثاني	سوريا	جيش الشرق (A.O.)
- الفوج ١٧ (٤ كتائب) للرماة الجزائريين (TA)	قيد النقل	كيليكيا	فرنسي

- الفوج ٢٢ (٤ كتائب) للرماة الجزائريين (TA)	؟	؟	جيش الشرق
- الفوج ٢١ (٤ كتائب) للرماة الجزائريين (TA)	؟	؟	جيش الشرق
- فوج المشاة الخاص بالمستعمرات	؟	؟	جيش الشرق
- الجوقة السورية (كتيبة)	جاهزة في آخر كانون الأول	سوريا	فرنسي
- الجوقة الأرمنية (٣ كتائب)	موجودة في قوات المشرق الفرنسية (TFL)	كيليكيا	مشكّلة في مكانها
- الجوقة الأجنبية (قيد التشكيل)	موجودة في قوات المشرق الفرنسية (TFL)	كيليكيا	مشكّلة في مكانها

د - خيالة:

- الفوج الأول المختلط لخيالة المشرق	موجود في قوات المشرق الفرنسية (TFL)	سوريا	فرنسي فرنسي
- الفوج الثاني المختلط لخيالة المشرق	موجود في قوات المشرق الفرنسية (TFL)	كيليكيا	فرنسي
- الفوج الثالث للسباهي (Shahis) الجزائريين			جيش الشرق
- الفوج الأول لسباهي المشرق	جاهز في آخر كانون الأول؟	؟	فرنسي
- فوج سباهي (١)	جاهز في آخر كانون الأول؟	؟	فرنسي
- فوج قناصة افريقيين (١)	جاهز في آخر كانون الأول؟	؟	فرنسي
- سريتا خيالة شركس	واحدة موجودة في قوات المشرق الفرنسية	سوريا	مشكلة في مكانها
	وواحدة قيد التشكيل	سوريا	مشكلة في مكانها

(١) إن تشكيل هذين الفوجين لم يكن ملحوظاً، وبسبب صعوبة تكوين عديد خيالة، فقد بحث في إمكان استبدالهما بفوج مشاة (الفوج الثاني المختلط، زواف ورماة)، وهو الفوج الذي لحظ تكوينه الجنرال نيفل Nivelle

•- مدفعية:

- مجموعة (Groupe) (أو كتيبة) مدفعية ميدان (٤ بطاريات)	موجودة في قوات المشرق الفرنسية	سوريا	فرنسي
- بطاريتا مدفعية جبلية	أبّرتا في ١٨ تشرين الأول	سوريا	جيش المشرق
- مجموعتا مدفعية مختلطة (٨ بطاريات)	؟	؟	- منها بطاريتان
- بطاريتا مدفعية جبلية	جاهزة في آخر كانون الأول	فرنسي	جبليتان وبطاريتان عيار
- بطاريتا مدفعية جبلية	؟	؟	١٥٥ ملم

•- هندسة:

- سرية نقابين لغامين	موجودة في قوات المشرق الفرنسية	سوريا	فرنسي
- سرية نقابين تلغرافيين	موجودة في قوات المشرق الفرنسية	سوريا	فرنسي
- سرية هندسة محلية Indigène	أبّرت في ١٥ تشرين الأول	كيليكية	جيش الشرق (A.O)
- سرية ١٦/١	قيد النقل	سوريا	فرنسي
- سرية ١٧/١	جاهزة في ١٥ كانون الأول	؟	فرنسي
- سرية	؟	؟	جيش الشرق (.A.O)

•- الملاحة الجوية (Aéronautique):

- سرب عدد ١	موجود في قوات المشرق الفرنسية	سوريا	فرنسي
- سرب عدد ٢ (١)	؟	؟	فرنسي (١) كانت: سرب عدد ٣ وصححت ٢ على الأصل (المؤلف)

•- جند ومصالح الجيش = مدفعية الإقتحام (Aie d'Assant) | | | فرنسي

- كتيبة (سريتان) (٢)	واحدة جاهزة في ١٥/١٠	؟	(٢) كانت: ٣ سرايا وصححت ٢ على الأصل (المؤلف)

•- المدفعية ذاتية الحركة (Auto-Canons):

- مجموعة من ٣ فصائل	جاهزة	؟	فرنسي

•- المصالح:

إن المصالح الموجودة في قوات المشرق الفرنسية (TFL) أو التي هي قيد النقل أو قيد التشكيل كافية لتجهيز كلّ فرقة وتكوين مصالح الجيش»[٥٥].

وفي اول كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٩، صدر الأمران العامان ٣ و٤ اللذان حددا تكوين فرقتي المشاة لجيش المشرق:

«- فرقة كيليكيا، بقيادة الجنرال ديفيو Dufieux، ومقرها العام في أضنه(٥٥ مكرر).

«- فرقة سوريا، بقيادة الجنرال دي لاموت De Lamothe، ومقرها العام في زحلة.

«وقد نظم الأمران العامان ١ و٢ الأمور الإدارية لهاتين الفرقتين.

«تأليف تفصيلي للفرقتين:

فرقة مشاة	مشاة	خيالة	مدفعية	هندسة	ملاحظات
كيليكيا(٥٥)	اللواء ٢١١ - الفوج ١٨ للرماة الجزائريين - الجوقة الارمنية اللواء ٢١٢ - فوج المشاة ٤١٢ - الفوج ١٧ للرماة السنغاليين	- فوج القتال الثاني (٤ سرايا) منها: - سريتا قناصة - وسريتا سباهي	- ٤ بطاريات ٥٦ ملم - ٥ بطاريات ٧٥ ملم	- سرية - سرية رحبة	
سوريا	اللواء الأول - الفوج الثالث المختلط - الفوج ٢٢ للرماة الجزائريين - الجوقة السورية اللواء الثاني:- فوج المشاة ٤١٥ - الفوج ١٩ للرماة الجزائريين	- فوج القتال الاول (٤ سرايا) منها: - سريتا قناصة - وسريتا سباهي	- ٤ بطاريات - ٦٥ ملم(١) - ٥ بطاريات ٧٥ ملم - بطاريتا ١٥٥ملم - الفصيلة الثلاثون للذخائر	- سرية(٢)	(١) تأتي بطاريتان من جيش الشرق (Armée de l'orient) (٢) سوف تبّر قريباً»

- إنشاء كتيبة من الجوقة الأجنبية في جيش المشرق:

وتنفيذاً للأمرين العامين (٣ و٤) السابقين، وبتاريخ ١٠ شباط/ فبراير عام ١٩٢٠، أرسل وزير الحربية الفرنسية (ليفيفر Le Fèvre) إلى «الجنرال المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سوريا، قائد جيش المشرق الفرنسي ببيروت»، أمراً (رقم ١٦١١ - ١/١١) بإنشاء كتيبة من «الجوقة الأجنبية» في جيش المشرق، وهذا نصّه:

وزارة الحربية
أركان الجيش — الجمهورية الفرنسية
مكتب التنظيم والتعبئة في الجيش — باريس/ ١٠ شباط ١٩٢٠
رقم ١٦١١ - ١/١١

من وزير الحربية إلى الجنرال المفوض السامي للجمهورية الفرنسية
في سوريا
قائد جيش المشرق في بيروت

الموضوع: إنشاء كتيبة من الجوقة الأجنبية في المشرق:

«بسبب الظروف التي تطوّع بها عناصر الجوقة الأرمنية، بدأت هذه الجوقة تفقد الكثير من عديدها بعد توقيع معاهدة الصلح مع تركيا.

«ولتلافي النقص الذي سيحصل من جراء ذلك، يظهر أنه من الممكن أن نعمد إلى التطويع من الموارد المحلية (Indigènes) حيث يظهر أن بعض هذه العناصر يمكن أن تكون من العسكريين الجيدين، وخاصة المسلمين من مختلف الأصول، ما عدا العنصر العربي الصرف.

«إن العناصر التي يمكن أن تطوّعوها بهذه الطريقة يجب أن تتطوّع بصيغة «جوقي أجنبي «Lègionnaire étranger» ويكون لهؤلاء العسكريين القانون نفسه المعمول به للجوقيين (تعليمات ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٠٢، ومرسوم ١٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩).

«يجمع هؤلاء الرجال في كتيبة أخوّلكم إنشاءها وتحمّل الرقم ٣ من الفوج الثاني الأجنبي، وهي كتيبة سبق أن لحظ إنشاؤها في المراسيم التي تعنى بتنظيم الجوقة الأجنبية.

«تؤخذ ملاكات هذه الكتيبة من العسكريين الذين يفيضون عن الجوقة الأرمنية بعد تخفيضها قريباً، ويمكن، بهذه المناسبة، أن تعيّنوا، في البدء، إثنين من هذه الملاكات ممن سبق لهم وبرزوا في الجوقة الأجنبية.

«إذا لم يكن لديكم أي اعتراض على التدابير المذكورة أعلاه، أرجوكم أن تتفضّلوا، منذ الآن، بأخذ التدابير المناسبة لوضعها موضع التنفيذ، وإفادتي، تحت العنوان نفسه، عن التدابير المتخذة بهذا الصدد.

«ترفع المحاضر المتعلّقة بإنشاء هذه الوحدة إلى عنوان المديريتين الأولى والخامسة.

«يجب أن يكون مفهوماً أن الكتيبة المنشأة هذه يمكنها، كباقي الكتائب في الجوقة، أن تستعمل، عند الضرورة، في الجزائر، وعلى أي مسرح عمليات خارجي غير المشرق»[٥٦].

التوقيع: ليفيفر Le Fèvre

والملفت انه، رغم التوتر الذي ساد علاقات القيادتين الفرنسية والشريفية في سوريا، فإن التعامل المتبادل بينهما لم ينقطع، ويؤكد ذلك برقية هاتفية صادرة بتاريخ ١٦/١٢/١٩١٩ عن وزير الحربية الفرنسية، الى مدير مستودع الاحتياط في بورج (Bourg) بفرنسا، واستناداً الى قرار وزاري رقم ٢٨٢ ٨٧-٣/٢ تاريخ ١٨/١٢/ ١٩١٩، وقد جاء في البرقية ما يلي:

«من رئيس مجلس الوزراء، وزير الحربية، الى مدير مستودع الإحتياط العام في بورج.

«الموضوع: معدات لشريف مكة.

«أرجو ان ترسلوا الى رحبة المدفعية ببيروت، بطريق الترانزيت، من رحبة المدفعية في موقع مرسيليا:

«- هاون ٥٨ عدد ٢ كامل.

«- هاون فان دورن (Van Deuren) كامل، للأمير فيصل».

وفي برقية صادرة عن باريس، كذلك (الشعبة الثانية، عدد ١١/SC2/٢٢٨، تاريخ ٤ آذار/مارس عام ١٩٢٠): «من وزير الحربية - الاركان العامة للجيش- الشعبة الثانية) الى الجنرال غورو والمفوض السامي الفرنسي في سوريا، بيروت: أتشرف بأن اعلمكم انه، بالاتفاق مع وزير الخارجية، قررت أن أهدي الى الامير فيصل مجموعة من الأسلحة.... الخ...»[٥٧].

- تعزيز جيش المشرق بقوات من أهل البلاد (Indigènes):

ما ان تسلّم الجنرال غورو قيادة «جيش المشرق» حتى بدأ بتنظيمه لكي يستوعب نحو ٣٥ ألف رجل، وفقاً لقرار المارشال «فوش» المبني على تقرير

الجنرال «أللنبي» القائل بأن هذا العدد ضروري «لحفظ الأمن، إذا كانت البلاد هادئة، ولكنه غير كاف في حالة هجوم خارجي»(٥٨).

وقد رأى غورو أنه من الضروري، لأجل ذلك، أن تجهز سوريا بقوّة حقيقية مؤلّفة من الجند المحليين، تكون رديفاً للجيوش المساعدة (الجوقة السورية)، وللجندرمة السورية، وتساعدها على حفظ الأمن والنظام العام في البلاد، لذا، شكّل لجنة مهمتها درس التدابير الواجب اتخاذها لتحقيق هذه الغاية، وقد قدمت هذه اللجنة تقريرها إلى الجنرال «قائد جيش المشرق» بتاريخ ٢ شباط/ فبراير عام ١٩٢٠، الذي رفعه، بدوره، إلى وزارة الحربية الفرنسية، حيث اتخذ وزير الحربية قراراً «بإعادة تنظيم» تلك القوات، على ضوء هذا التقرير.

وكانت اللجنة قد توصّلت إلى النتائج التالية:

١ - يجب إعادة النظر بالتنظيم القائم للجوقة السورية وسرايا الخيالة السورية والجندرمة السورية وإجراء تعديلات جذرية على تنظيم هذه القوات.

٢ - يجب إتخاذ تدابير خاصة لتكثيف التجنيد وإنشاء ميليشيا وأنصار، يعاونون الجندرمة والقوات المساعدة في مهماتها.

وسنستعرض، في ما يلي، أهم ما ورد في تقرير هذه اللجنة من اقتراحات تتعلّق بالجوقة السورية وبسرايا الخيالة السورية وبالميليشيا والأنصار.

أ - الجوقة السورية وسرايا الخيالة السورية:

«كانت هذه الجوقة (والسرايا) قد شكّلت وفقاً للتعليمات الوزارية الصادرة في ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩١٦، والتعليمات الموقتة الصادرة في ٢٨ آذار/ مارس عام ١٩١٩، وهي ذات تشكيل مشابه تماماً لتشكيل الجيوش الفرنسية، ولا توفّر، من هذه الناحية، أية ملاحظة إجمالاً.

«من الوجهة القانونية، يمكن لهذه القوات أن تستخدم على كلّ أراضي المشرق. وعندما يصبح عديدها وتدريسها كافياً، فسوف تشكّل فرقاً قادرة على مساندة أعمال الجندرمة والميليشيا حيثما تدعو الحاجة، وذلك إما منعزلة، أو بالتعاون مع عناصر فرنسية.

«ويعود النقص في مردود هذه العناصر، قبل كلّ شيء، إلى ضعف عديدها والنقص في تدريبها، أما العديد فهو مسألة تتعلّق بالتجنيد.

«وفيما يختص بسرايا الخيالة السورية، فقد سمحت التجربة بالإستنتاج أنه لا يمكن الحصول على نتائج كافية إلا إذا كانت مستودعات الخيل قادرة على تقديم الخيول الضرورية.

«يجب إنشاء سرية خيالة من الموازنة، حيث يقدّم كلّ خيال كفيلين على عدّة الركوب التي تسلّم إليه، وهذا ما يجري في الجندرمة. وفيما بعد، وبحذر، يمكن أنه تمتد هذه التدابير لتشمل سرايا خيالة الشركس والدروز.

«أما فيما يختص بالنقص في التدريب، فيمكن إرجاعه إلى استخدام أولى الوحدات التي جنّدت، إذ انه، ما أن تمّ تشكيل هذه الوحدات، حتى استخدم بعضها في الميدان ولم يعط إلاّ خيبة الأمل، وربما نكون قد استنتجنا، متسرّعين، أن جميع العناصر السورية لا يمكن اعتبارها قوات مقاتلة. وهكذا، فقد استخدمت هذه العناصر، فيما بعد، في الخدمات الثانوية، كحجّاب، ومنصبين، وفي أشغال الطرقات، الخ... ومن الممكن إجراء محاولة قانونية لتبيان مدى ما يمكن أن تعطيه وحدة سورية مدرّبة، في القتال. ولذلك، فإن ملاك السرية (الأولى) قد أخذ إلى طرابلس حيث يجب أن تكتمل بتجنيد المتاولة والنصيرية وتتفرّغ للتدريب فقط، وما أن تكتسب (هذه السرية) التدريب اللازم، حتى تساهم في أعمال الشرطة، وسوف يحكم على كفاءتها،

وبالتالي، على المردود الذي يمكن أن يعطيه المجنّدون المحليون، من وضع هذه السرية في القتال.

«وإذا لم تنجح هذه المحاولة، فسوف يظل هؤلاء المجندون يمارسون الأعمال المنوطة بهم حالياً» (انتهى القسم، من التقرير، المتعلّق بالجوقة السورية وبالخيالة السورية).

الرواتب والمخصصات المقترحة لمصلحة خيالة الجوقة والمساعدين السوريين: (Auxiliaires)

تهدف التدابير المقترحة إلى إعطاء العسكريين السوريين الرواتب نفسها التي تعطى للرماة الجزائريين، مع حذف الإضافة التي يقبضها هؤلاء الأخيرون للخدمة في أرض أجنبية.

يمكن أن يضاف إلى راتب الخيال الذي يؤمن عدّة الركوب بنفسه: فرنكاً واحداً يومياً، وذلك بدل إستهلاك عدة الركوب التي تظل ملكاً لصاحبها.

بدل التطوع وتجديد التطوع:

- التطوع لمدة سنتين: ٢٠٠ فرنك
- التطوع لمدة ٣ سنوات: ٣٥٠ فرنك
- التطوع لمدة ٤ سنوات: ٤٠٠ فرنك
- تجديد التطوع لمدة ٤ سنوات للمرة الأولى: ٣٥٠ فرنك
- تجديد التطوع لمدة ٤ سنوات للمرة الثانية: ٢٥٠ فرنك
- تجديد التطوع لمدة ٤ سنوات للمرة الثالثة: ٣٠٠ فرنك
- تجديد التطوع لمدة سنتين: ١٥٠ فرنك(*).

(*) - SHAT, Son outre-mer, Vincennes.

وبتاريخ الخامس من آب/اغسطس عام ١٩٢٠ صدرت عن «جيش المشرق الفرنسي» وكانت قيادته بعاليه، مذكرة خدمة (تحمل الرقم ٢/٤٢٦ل) تقضي بإعادة تنظيم «الجوقة السورية» اعتبارا من ١٦ آب/اغسطس من العام نفسه، على شكل فوج مؤلف من:

- أركان الفوج.
- وسرية مستودع.
- وكتيبتين مختلطين.

أما توزع هذه الوحدات وتمركزها فكان كما يلي:

- أركان الفوج
- سرية المستودع في بيروت

- **الكتيبة الاولى:**
- أركان الكتيبة: في طرابلس
- السرية الاولى: في طرطوس
- السرية الثانية: في جبله وبانياس
- السرية الثالثة: في تلكلخ (السرية الخامسة سابقاً)
- السرية الرابعة: في طرابلس (قيد التأليف)

- **الكتيبة الثانية:**
- أركان الكتيبة: في صيدا (قيد التأليف)
- السرية الخامسة: في النبطيه (السرية الثالثة سابقاً)
- السرية السادسة: في صور (السرية الرابعة سابقاً)
- سرية الخيالة: في صيدا

إلا انه، بتاريخ ٣٠ أيلول/سبتمبر عام ١٩٢٠، وبعد شهر من إعلانه «دولة لبنان الكبير» بعث الجنرال غورو، قائد جيش المشرق الفرنسي، الى وزير الحربية بباريس، تقريراً(٥٩) يشرح فيه وضع الجوقه السورية بالتفصيل، وفيما يلي أهم ما ورد في هذا التقرير:

«ان مختلف التقارير المتعلقة بتنظيم القوات المساعدة في المشرق أظهرت ان العائق الأساسي لتطور هذه القوات يكمن في حالة الاضطراب القائمه في البلاد بسبب الدعاوة الشريفيه وبسبب القلق من المستقبل بصدد النظام السياسي الذي سيقوم في سوريا. وفي الوقت الذي اختفى فيه هذان السببان، جزئيا، فإنه يبدو من المفيد ان نلقي نظرة الى الوراء لنقيس نتائج التدابير المتخذة حتى هذا الحين، وخصوصاً لتحديد التدابير التي يجب ان نواجهها في المستقبل بغية الحصول على مردود افضل.

«**الجوقة السورية: - المشاة، - العديد**، ان وعود عدد من الشخصيات الفاعلة، وكذلك تسريح الجيش السابق في دمشق، على أثر عمليات ٢٠ تموز/يوليو عام ١٩٢٠(٦٠)، ان هذه الوعود خلقت الأمل بوجود عدة موارد للحصول على جند ينخرطون في الجوقة السورية، إلا انه، حتى هذا اليوم، ورغم التدابير الوزارية التي سمحت بتشكيل ٣ كتائب(٦١)، وسرية مستودع، لا يوجد سوى ٦ سرايا وسرية مستودع يظهر توزيعها وملاكها وعديدها في الجدول المرفق (الملحق رقم ١)(٦٢). ولكن، في هذا الحين، تبرز حركة مؤيدة للتجنيد، ومن الممكن ان نحصل على مردود افضل حيث نتمكن من تشكيل الكتيبة الثانية بالكامل قبل فصل الشتاء، وتظهر هذه الحركة خصوصاً في منطقة البقاع، وفي مدن حمص وحماة، وقد تمركزت مفرزة من الجوقة السورية في زحلة، كمركز للتجنيد، وارتفع عدد العناصر المنخرطة فيها الى نحو ماية رجل في بضعة ايام(٦٣).

«الملاك» ولكن المشكلة التي تعاني منها الجوقة السورية حاليا هي فقدان الملاك، فملاك الضباط، وكذلك الرتباء، لا يزال دون التحديد الموجود في جدول العديد بسبب النقص في إرسالهم من فرنسا، نضيف الى ذلك انه، بالرغم من ان وحدات الجوقة لم تسهم في عمليات كبرى، فهي تشهد في ملاكها نقصا جديا، فالأحداث العسكرية التي اتسمت بها الفترة ما بين حزيران/يونيو وايلول/سبتمبر عام ١٩٢٠، اضطرتنا لأن نرسل، الى داخل سوريا، كل القوات الفرنسية والافريقية. وقد كان احتلال المناطق الساحلية خلال فصل الصيف من مهام المجندين السوريين، من هنا كان هذا النقص الذي وقع، مع الأسف، بوحدات منشأة حديثا، وبحاجة الى ركائز قوية. ولا يمكن ان يسد النقص بالأخذ من وحدات الجيش الفرنسي للمشرق (AFL) التي تعاني، هي ايضا، وخصوصاً في ملاكاتها، من حالة هي اشبه بتلك التي تعاني منها الجوقة السورية، ولا يمكن تلافي هذا النقص إلا بإيفاد عدد كبير من الضباط والرتباء لهذه الغاية.

«يضاف الى ذلك انه يمكن الاستعانة برتباء متطوعين من أفواج الرماة الجزائريين، فهؤلاء يمكن ان يؤدوا خدمات جلى في الجوقة السورية، لأن أغلبية هذه الجوقة من المسلمين. وهكذا، فإن بوسعنا استدعاء متطوعين من هذه الأفواج لسد النقص الحاصل في ملاكات الجوقة السورية.

«- **الخيالة:** كانت الخيالة السورية، حتى هذا التاريخ، لا تتعدى سريتي خياله، واحدة شركسية واخرى درزيه، ولم تعط أي منهما نتيجة تذكر، فالأولى (الشركسية) سرحت بسبب الحالة الفكرية الرثة التي كانت تسيطر باستمرار عليها، فعناصرها، وهم استقلاليون بطبيعتهم، لم يتمكنوا من الخضوع للحد الأدنى من تدابير الانضباط، وبسبب اعتيادهم على النظام التركي، فهم، قادةً

وجنداً، لم يتوانوا عن تشكيل كتل متميزة حيث يتاجرون بطاعتهم ويساومون للحصول على منافع مادية عند اقل خدمة تطلب منهم.

«اما الثانية (الدرزية) فبعد ان تخلصت من العناصر المقلقة فيها، واصبحت حالياً تعدّ ٦٠ خيالا، فقد أُلحقت بالكتيبة الثانية من الجوقة السورية، وهي تحوز على رضى القيادة، ولكن ندرة الخيول في البلاد الساحلية، وبالتالي اسعارها المذهلة، لا تسمح ابدا بأي أمل في سد النقص قبل مضي بعض الوقت. وبما ان على الخيالة ان يجهزّوا انفسهم بعدة الركوب، فإن هذا التجنيد لا يمكن ان يكثّف إلا عندما يتمكن عملنا السياسي في داخل البلاد، حيث تكثر الخيول، من ان يربح الشعب الى جانبنا. ولكن يجب ان لا نتصرف، من اجل ذلك، إلا بأقصى الحذر، وبطريقة تدريجية جدا، إذا كنا نريد تنظيم سرايا خيالة قابلة للإستمرار، ونستطيع امتلاكها بقبضتنا، كما يجب ان نتحاشى الوقوع في الأخطاء التي ظهرت في عمليات التجنيد الاولى.

«المساعدون: وفقا للتدابير الواردة في القرار الوزراي رقم ١١/٧٣٩ تاريخ ١٢ شباط/فبراير عام ١٩٢٠ فإن السوريين المتطوعين كعسكريين في الجوقة السورية قد فصلوا الى القطع والمصالح التالية:

المدفعية:١، - النقل،٢ - الهندسة،٤ - مصلحة الصحة،٥٢ - مصلحة الخيل،٨٢ - مصلحة السيارات ٤٣. ورغم ان حماستهم للعمل وانضباطهم لم يجعلا منهم ابدا عسكريين كفوئين، فإنهم، في الفترة الحرجة من تسريح بعض الفئات، أمنوا اشتغال المصالح بشروط اقل رداءة.

«- **انتقال عناصر الجيش الشريفي السابق الى الجوقة السورية:** لم تستفد الجوقة السورية إلا قليلاً من تصفية الجيش الشريفي السابق من ناحية الأفراد، إذ إن جميع المجندين الذين يشكلون مجموع هذا الجيش تقريبا، ليس

لهم، منذ إلغاء تجنيدهم، ألا همّ واحد، هو عودتهم الى قراهم، ولم يبق في الخدمة إلا عد قليل جداً من المتطوعين.

«- **الضباط:** وبعكس ذلك، ورغم تسريح العراقيين والفلسطينيين، وجميع الذين تجاوزت خدماتهم الـ ٢٥ سنة، فإن الضباط الباقين بدون عمل، وهم كثر، يطلبون ان يخدموا في الجوقة السورية، وقد تبين انه من المفيد ان نوافق على عدد من هذه الطلبات، لسد النقص الحاصل في ملاكات الجوقة من جهة، ومن جهة اخرى، كي لا تظل، بدون عمل، طاقات وكفاءات يمكن ان تنحرف لخدمة أي سبب آخر (أنظر الملحق رقم ١).

«وبالنتيجة، فإن ضباط الخدمة الفعلية الحائزين على شهادة المدرسة الحربية قد سمح لهم بالخدمة في الجوقة السورية بصفة مؤقتة، وحتى موافقة الوزير على تسميتهم ضباطا مساعدين، وسوف توضع قريبا اقتراحات بهذا الصدد وترسل الى وزارة الحربية في فترة قصيرة»[٦٤].

التوقيع: غورو

(انظر الملحق رقم ٢ عن عديد الجوقة السورية، وهو ملحق بالتقرير).

وألحق الجنرال غورو تقريره هذا باقتراح إعادة تشكيل الجوقة السورية وتوزيعها على الشكل التالي:

- المشاة:

- كتيبة لبنان الكبير: ٣ سرايا
- كتيبة بلاد العلويين: كاملة، بالاضافة الى
  - كتيبة اشورية كلدانية
  - سرية عرب طرطوس

- كتيبتان لدولة دمشق:
  - واحدة لمنطقة دمشق
  - واحدة لمنطقة حمص
- كتيبة دولة حلب

- **الخيالة:**
- سرية خيالة لبنان الكبير
- سرية خيالة دولة دمشق
- سرية خيالة دولة حلب

- **الهندسة:** سرية

- **القوات الخاصة:**
- سريتا هجانه
- سرية بغاله (ملحقة بكتيبة دمشق)

- **كتيبة الجوقة الاجنبية:** دولة حلب[٦٥]

وفي ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه (١٩٢٠) صدر عن قيادة الجيش الفرنسي للمشرق (AFL)، تنفيذا لتعليمات وزارية سابقة، مذكرة يعاد بموجبها تنظيم الجوقة السورية، وفقا لتوقعات عام ١٩٢١، على ان تتضمن هذه الجوقة ٦ كتائب و٤ سرايا خيالة، موزعة كما يلي:

- لبنان الكبير
  - كتيبة
  - سرية خيالة
- دولة دمشق
  - كتيبتان (واحدة منها في منطقة حمص - حماه)
  - سرية خيالة

- دولة حلب - كتيبتان (و احدة منها في منطقة لواء اسكندرون)
- سرية خيالة

- بلاد العلويين - كتيبة
- سرية خياله

وبغية تحقيق ذلك، فتحت مراكز للتطوع في كل من دمشق وحمص وحلب واسكندرون، على ان ينشيء كل من هذه المراكز واحدة من المجموعات المذكورة اعلاه[٦٦].

وقد ارتأت اللجنة إعادة تنظيم «الجندرمة السورية» وفق أسس جديدة[٦٧]، وإنشاء «ميليشيا وأنصار» من عناصر محلية، ووفقاً للأسس التالية:

II - الميليشيا:

تُنشأ قوة محلية جديدة مهمتها ملء الوظائف التي سوف ترفع عن عاتق الجندرمة وفقاً للتنظيم الجديد، وكذلك مساندة هذه الجندرمة عند الضرورة، وتكون لهذه الميليشيا المهمات التالية:

١ - تأمين الشرطة في المناطق التي تخرج عن نطاق المخافر الثابتة، وتعزيز هذه المخافر عند الحاجة.

٢ - تعتبر اول احتياط جاهز لقمع العصيان السياسي أو العصابات السياسية، وذلك بعمليات منظمة، ويمكن لهذه القوى، في الحالات التي تحددها القيادة، ان تساعد الجيوش النظامية.

وتنشأ هذه الميليشيات في السناجق (واحدة في كل سنجق) ولا يتوقع تدخلها، مبدئيا، إلا في نطاق السنجق، إلا انه يمكن ان يطلب تدخل الميليشيا،

أو جزء منها، في عمليات ضمن سنجق مجاور، ولا يتم ذلك إلا بأمر من المفوض السامي.

تتمركز هذه الميليشيات بمجموعات داخل كل سنجق، وتخضع لأوامر المصادرة التي تصدر عن ضباط المصالح الادارية الذين هم مستشارون في السناجق والاقضية حيث تتمركز هذه المجموعات.

أما تشكيلها فتحدده المهمات التي تناط بها، كقوى متحركة، ضمن نطاق عملها الجغرافي، وهي تشكل مبدئياً، من مجموعتين:

- مجموعة رئيسية (خيالة).
- مجموعة مساندة (مشاة).

وأما النسبة بين هاتين المجموعتين من حيث العديد وقوة النار، فهي متغيرة تبعا لما يلي:

- اختلاف السناجق.
- سهولة استخدام اسلحة المشاة والخيالة.
- اختلاف مساحة المنطقة التي يوكل اليها امر حراستها.
- نمط العصيان المنتظر في كل منطقة.

وتعتبر الميليشيا، بتشكيلها المبين اعلاه، قوة جاهزة للانطلاق عند اول إشارة، وتتألف نواتها الاولى من العناصر المتوافرة نتيجة تخفيض عديد الجندرمة.

أما ملاكها فيتألف من:

- ضابط قائد (.off. sup)، من الخياله، قائداً عاماً للميليشيا.
- ضابط في كل سنجق، قائداً لميليشيا السنجق، وضابط معاون.

- ضابط في كل قضاء.

- رتباء من المشاة والخياله، يختلف عددهم تبعاً لاختلاف قوة الميليشيا في كل سنجق أو قضاء[٦٨].

وتطبيقاً لهذه المقترحات التي قدمتها اللجنة المذكورة، وبموجب القرار رقم ٧٦ تاريخ ١٤ شباط/فبراير عام ١٩٢٠ (والملحق المضاف اليه بتاريخ ١٥ شباط/فبراير عام ١٩٢٠). شكلت الميليشيا السورية على الوجه التالي:

السنجق	مشاة	خياله
- اللاذقية	١٥٠	٤٠٠
- طرابلس	١٥٠	٤٠٠
- اسكندرون	١٠٠	٤٠٠
- صيدا	-	٢٠٠
المجموع	٤٠٠	١٤٠٠

يضاف الى ذلك:

- قيادات المجموعات:	١٢٠
- رؤساء الفصائل:	٠٤٥
- رؤساء الميليشيا:	٠١٤
المجموع:	١٧٩

فيكون المجموع العام:

١٤٠٠ + ٤٠٠ + ١٧٩ = ١٩٧٩ متطوعاً

اما اركان الميليشيا فقد تمركزت في بيروت وتألفت من:

- ضابط قائد خيال، مفتشا للميليشيا.

- ضابط معاون، مكلفا مركزة Centralisation ادارة الميليشيا ومراقبتها.

- ٢ رتباء.

وقد نص القانون الخاص بهذه الميليشيا على ما يلي:

أ - **الوضع الاداري:** - يعتبر الضباط والرتباء الفرنسيون الملحقون في ملاك الميليشيا مفصولين من قطعهم.

ب - **التسلح:** - يتسلح الخياله بالكارابين (البندقية الخفيفة) أو الموسكتون (البندقية القصيرة) مع ماية طلقة، أما المشاة فيتسلحون بالبندقية (fusil) والحربة، مع ماية طلقة.

- ينشأ في عاصمة كل قضاء أو سنجق احتياط اسلحة وذخيرة، بمعدل ١/٢٠ من عديد السلاح و١٠٠ طلقة لكل فرد من الميليشيا، بالإضافة الى إحصاص (Ration) قدره ٢٠ طلقة لكل فرد، باسم الخدمة العادية، ولتعليم الرمي.

مبدئيا، تقدم وزارة الحربية الاسلحة على سبيل الاعارة، وتؤخذ قيودها لدى مفتش الميليشيا، أما الذخيرة فتعطى مجانا وبواسطة قسائم نظامية.

ج - **المعدات:** تعار عدة الركوب، أو السيارات، في بعض الحالات الخاصة، للميليشيا، بأمر من الجنرال قائد جيش المشرق الفرنسي[٦٩].

وقد صدر هذا القانون عن قيادة جيش المشرق الفرنسي، ووقعه الجنرال غورو قائد هذا الجيش والمفوض السامي الفرنسي بسوريا ولبنان[٧٠].

III - الانصار:

وهم قوات اضافية تتضمن جيشا من «المناصرين» الذين يعملون بقيادة رؤساء قبائلهم أو من يمثل هؤلاء الرؤساء، ويقاتلون إما منعزلين أو بالتعاون مع المجندين النظاميين وفقاً لتوجيهات القيادة الفرنسية.

وترى اللجنة ان دروز حوران، مثلا، يمكنهم ان يلتزموا بالتعاقد في مثل هذا الجيش، وان يضعوا بتصرف القيادة الفرنسية في سوريا، وبناء لطلب القائد، عددا من المجندين يحدد مسبقا. ولكن اللجنة تعود فتستطرد: «إلا ان هذه مسألة سياسية اكثر منها مسألة تجنيد، لذا تكتفي اللجنة بأن تعتبر هذا الموضوع من قبل الإيحاء البسيط». وفقد وافق الجنرال غورو قائد جيش المشرق على اقتراحات اللجنة فيما يختص بالميليشيا وبإعادة تنظيم الجندرمة، أما الأنصار فلم نجد بين الوثائق ما يثبت تبني القيادة الفرنسية لهذا النوع من الجيوش في سوريا(٧١).

المدفعية والبحرية:

من بين الأسلحة التي نشأت في الفترة الاولى للاحتلال، قبيل إعلان دولة لبنان الكبير، وضمن تشكيل جيش المشرق الفرنسي، بالإضافة الى سلاحي المشاة والخيالة اللذين يشكلان جوقة الشرق والجوقة السورية، نذكر سلاحي المدفعية والبحرية.

I - المدفعية:

ظهرت عناصر مدفعية فرنسية في المشرق في ايار/مايو عام ١٩١٧، حيث ضمت المفرزة الفرنسية لفلسطين- سوريا (Détachement français de

Palestine- Syrie, DFPS)، بالإضافة الى كتائبها الثلاث، بطارية مدفعية جبلية(٧٢).

وبعد أن عززت هذه المفرزة عام ١٩١٨ بثلاث كتائب، وفوج خياله، وبطاريتي مدفعية ٧٥ ملم، شاركت في عمليات فلسطين، إذ أسهمت البطاريات الثلاث في معركة رفح (١٩ أيلول/سبتمبر عام ١٩١٨)، وفي عمليات استهدفت خط المواصلات للجيش التركي (الخط الحديدي بين المدينة المنورة ودمشق).

وفي ٢٤ حزيران/يونيو عام ١٩١٩، تلقى قائد قوات المشرق الفرنسية بالقاهرة، من وزارة الحربية الفرنسية بباريس، برقية (مشفّرة) تتضمن التعليمات التالية:

«١ - ستنظَّم قيادة مدفعية لقوات المشرق الفرنسية، وقيادة ثانية لكتيبة مدفعية (Cdement de Groupe)، والقيادتان مع أركان، تعليمات تكميلية تتبع.

«٢ - تنظم رحبات مدفعية لقوات المشرق الفرنسية كما يلي:

«- رحبة في بيروت، مع ملحق بالمحاسبة في بور سعيد، وملحق بالمحاسبة في اسكندرون، ومخزن في مرسين. يحقق هذا التنظيم ابتداء من اول تموز/يوليو (١٩١٩) وذلك بواسطة المصادر المتوافرة حاليا لديكم، وتقدمون لنا، بهذا الصدد، اقتراحات تكميليه.

عن رئيس المجلس - وزير الحربية

بأمره، الجنرال مدير المدفعية. التوقيع

«موران Maurin»(٧٣)

وفي تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه (١٩١٩)، جمعت المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا في لبنان، لكي تحل وتدمج في «جيش المشرق الفرنسي» وقد تضمنت مدفعية هذا الجيش، أساساً، ٦ بطاريات ٦٥ ملم جبلية، وبطاريتي ٧٥ ملم ميدانية، موزعة على فرقتين.

وبعد معركة كيليكيا، وتوسع الفرنسيين في الاحتلال ما بين اول عام ١٩٢٠ ومنتصف (آب/اغسطس عام ١٩٣٠)، عززت مدفعية الجيش الفرنسي للمشرق حتى بلغت ٣٥ بطارية، وهو الحد الاقصى الذي بلغته[٧٤].

II - البحرية: إنشاء قاعدة بحرية ببيروت:

انشئت هذه القاعدة عام ١٩١٨ لتموين المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا، وقد أخذ عديدها وعتادها من قاعدتي اللد وبور سعيد.

ففي الحادي عشر من تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨، ارسل كليمنصو، رئيس مجلس الوزراء ووزير الحربية الفرنسي، الى الجنرال سبيرز، رئيس البعثة العسكرية البريطانية لدى الحكومة الفرنسية بباريس، برقية هذا نصها:

«لي الشرف ان احيطكم علما انه، نتيجة لدخول المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا (DFPS) الى سوريا، وتلبية للرغبة التي طالما عبرت عنها السلطات البريطانية بدخول هذه البعثة، وتأمينا لخط مواصلات مستقل، فإن الحكومة الفرنسية قد قررت إنشاء قاعدة بحرية في بيروت.

«وسأكون شاكرا لكم ان تُعلموا وزارة الحربية البريطانية بذلك».

التوقيع «كليمنصو»[٧٥].

وقد رفع الجنرال رئيس الأركان العامة للجيش، بعد إرسال البرقية الآنفة الذكر الى السلطات البريطانية، وبتاريخ ١٥ من الشهر نفسه (تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨)، الى رئيس مجلس الوزراء، وزير الحربية، تقريرا يقترح فيه ان تتضمن القاعدة المزمع إنشاؤها ببيروت:

- قاعدة عسكرية تكلف القيام بعمليات ارضية (استقبال، تخزين، إعادة تصدير الى الداخل).

- قاعدة بحرية مجهزة بالعديد والمعدات البحرية اللازمة للقيام بعمليات إبرار. وقد حظي الاقتراح بموافقة الوزير المذكور(٧٦).

وعلى أثر ذلك، وبتاريخ ١٦ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨ وجهت برقية مستعجلة من وزير الحربية بباريس الى قائد المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا (DFPS) بواسطة قاعدة بور سعيد، وبرقية اخرى مماثله الى قائد قاعدة بور سعيد، ونثبت فيما يلي نص البرقيتين:

البرقية الاولى:

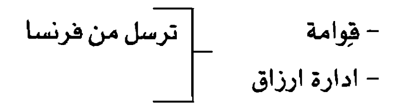
«من وزير الحربية، الى قائد المفرزة الفرنسية لفلسطين - سوريا، بواسطة قاعدة بور سعيد.

«اتخذوا التدابير المباشرة لنقل القاعدة المتقدمة في اللد الى بيروت.

«تتالف قاعدة بيروت من:

- قيادة
- رحبة مدفعية
- رحبة هندسة

تستعمل، في البدء، اجهزة قاعدة اللد التي تعزز فيما بعد، وفي القسم الاكبر منها، بما ينقل اليها من بور سعيد.



- قِوامة
- ادارة ارزاق

ترسل من فرنسا

- إدارة ألبسة ومعدات ميدان
- مركز طبي مع احتياط ادوية ومعدات صحية

تستعمل في البدء أجهزة قاعدة اللد التي تعزز فيما بعد، وفي القسم الاكبر منها، بما ينقل اليها من بور سعيد.

- مكتب دفع — يرسل من فرنسا.
- قائد القاعدة: Cdt De Létoile

«تنشأ سرية من ٢٥٠ جوقي سوري (Légionnaire syrien) يجندون حاليا، بطريقة التطويع الاختياري، لمدة ٦ شهور قابلة للتجديد، ويطبق عليها النظام الاداري نفسه المطبق على جوقة الشرق، وتفصل السرية الى مستودع هذه الجوقة.

«ينقل هذا المستودع من قبرص الى بيروت»(٧٧).

والبرقية الثانية:

من وزير الحربية، الى قائد قاعدة بور سعيد.

«تنشأ في بيروت قاعدة مستقلة عن قاعدة بور سعيد، وذلك لخدمة المفرزة الفرنسيه لفلسطين-سوريا، (الباقي كما ورد في البرقية السابقة).

«نبحث في نقل مستودع جوقة الشرق من قبرص الى بيروت وإلغاء المستودع الصغير في بور سعيد».

وزير الحربية

بإمره: الجنرال القائم بوظيفة رئيس الأركان العامة

«ألبي Alby»(٧٨).

– المساومات بين فرنسا وبريطانيا حول سوريا:

ولكن، ما الذي جرى على جبهة سوريا الداخلية، وقبيل الانسحاب البريطاني من سوريا الساحلية والداخلية؟

نعلم ان اتفاقية «سايكس-بيكو» قد قسمت سوريا والعراق الى خمسة اقسام يقع اربعة منها تحت النفوذين: البريطاني والفرنسي (سوريا الساحلية وسوريا الداخلية لفرنسا، والعراق الساحلي والعراق الداخلي لبريطانيا، وفقاً للتقسيم المبين في الخارطة المرفقة بالاتفاقية)، أما القسم الخامس، وهو سوريا الجنوبية، فيقع تحت إدارة دولية. وذلك يعني ان سوريا، بكاملها، (ما عدا فلسطين والضفة الشرقية لنهر الاردن، ويشكلان سوريا الجنوبية)، وكذلك كيليكيا، هما من نصيب فرنسا، وان وجود الجيش البريطاني في سوريا هو تدبير باق من مخلفات الحرب، وان على بريطانيا ان تنسحب منها، عاجلاً أم آجلاً، وتتركها لفرنسا، بموجب اتفاقية سايكس-بيكو. وكانت الموصل، بموجب هذه الاتفاقية، ضمن سوريا الداخلية، بينما كانت الأقضية الاربعة (بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا)، وبموجب الاتفاقية نفسها، ضمن سوريا الساحلية، الا ان هذه الأقضية كانت تابعة لقيادة الجنرال أللنبي الذي وضعها ضمن إدارة الشريفيين (أو الحكومة العربية). وكانت بريطانيا ترغب في وضع فلسطين تحت انتدابها لتسهيل إنشاء وطن قومي لليهود فيها (وقد نص على ذلك، بصورة واضحة، صك الانتداب)، كما كانت تطمع في ضم الموصل الى العراق كي تبقى تحت حمايتها، مقابل ذلك، فهي كانت على استعداد لسحب قواتها من سوريا، والتخلي، نهائياً، عن تدخلها في المسألة السورية، لأسباب عديدة أهمها: تقرير لجنة «كينغ-كراين» الاميركية الذي اتى لصالح استقلال سوريا، والحدّ من النفقات التي كانت ترهق خزينة الدولة البريطانية. واهمها: نفقات

قواتها المتمركزة في سوريا، والاضطرابات المتعددة التي بدأت تقوم في وجهها في كل من مصر والعراق وإيرلندا، والحالة الاجتماعية التي بدأت «تهدد بالإنفجار» في بريطانيا نفسها[٧٩].

وجرت مساومات بين الدولتين الحليفتين انتهت بأن تنازلت فرنسا عن مطالبتها بالموصل، ووافقت على ضمها الى العراق الواقعة تحت الحماية البريطانية، وتنازلت عن مطالبتها بفلسطين (باعتبارها جزءاً من سوريا الطبيعية) ووافقت على وضعها تحت الانتداب البريطاني، مقابل تنازل بريطانيا عن اهتمامها بالمسألة السورية برمتها، ومقابل تخليها عن الوعود التي كانت قد قطعتها للعرب بإقامة دولتهم المستقلة في سوريا، (بل انها كانت قد رعت قيام حكومة عربية بزعامة الأمير فيصل في سوريا خلال عامي ١٩١٨ و١٩١٩)، ومقابل إقرارها بحق فرنسا في حكم سوريا كلها، وحقها في إدخال قواتها الى الأقضية الاربعة الواقعة غرب خط سايكس - بيكو، عندما تتخلى هي عنها، وتنسحب منها[٨٠]، وهذا ما حاولت فرنسا ان تقوم به عند انسحاب تلك القوات من الأقضية الاربعة في مطلع العام ١٩٢٠ كما سبق أن رأينا[٨١].

وبينما كانت بريطانيا تستعجل خروجها من سوريا، للأسباب التي سبق ان ذكرناها، كانت فعاليات فرنسية، اجتماعية وتربوية واقتصادية، مدنية (غرفة التجارة في ليون ورئيس الإرسالية اليسوعية في سوريا) تستحث فرنسا وتستعجلها لاحتلال سوريا كلها، بل تعتبر ان معاهدة «سايكس-بيكو» قد ألحقت إجحافاً كبيرا «بالحق الطبيعي والتاريخي» لفرنسا في هذه البلاد، رافضة اقتطاع أي جزء منها، لمصلحة أي كان، عربياً أم انكليزياً[٨٢].

إلا ان اتفاقاً آخر تم بين لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية، وكليمنصو رئيس الحكومة الفرنسية، في أيلول/سبتمبر عام ١٩١٩، وقبيل

انسحاب القوات البريطانية من سوريا (في اول تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩)، ففي ١٣ أيلول/سبتمبر، قدم لويد جورج الى كليمنصو مذكرة تبين سياسة انكلترا تجاه سـ ـيـ' وتتضمن:

«أولاً: سحب القوا ـ البريطانية من كيليكيا وسوريا ابتداء من اول تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩.

«ثانياً: تسليم الحاميات العسكرية في كيليكيا وسوريا الغربية (غرب خط سايكس - بيكو، أي سوريا الساحلية من حدود فلسطين الى كيليكيا، بما في ذلك جبل لبنان) الى الجيش الفرنسي.

«ثالثاً: تسليم الحاميات العسكرية في سوريا الشرقية (شرق خط سايكس-بيكو) إمتداداً من مدينة العقبة جنوباً، ومروراً بعمان ودمشق وحمص وحماه وحلب، وما يليها الى الشرق،الى حكومة فيصل العربية.

«رابعاً: لا تتحمل بريطانيا أية مسؤوليات في المناطق التي تجلو قواتها عنها.

«خامساً: تحتفظ بريطانيا بقواتها في فلسطين والعراق».

وقد وافق المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح (السلم) بباريس، على هذه المذكرة في اجتماعه بتاريخ ١٥ منه، مع اعتبارها «تدبيراً عسكرياً موقتاً لا يمس جوهر التسوية النهائية التي سيتم التوصل اليها»[٨٣].

كان يمكن لفرنسا ان ترفض هذا الاتفاق، وان تتمسك بأن تحل محل القوات البريطانية المنسحبة في كل من سوريا وكيليكيا، لولا ان عقبتين اعترضتاها، بالإضافة الى موافقة المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح عليه، وهاتان العقبتان هما:

قواتها المتمركزة في سوريا، والاضطرابات المتعددة التي بدأت تقوم في وجهها في كل من مصر والعراق وإيرلندا، والحالة الاجتماعية التي بدأت «تهدد بالإنفجار» في بريطانيا نفسها(٧٩).

وجرت مساومات بين الدولتين الحليفتين انتهت بأن تنازلت فرنسا عن مطالبتها بالموصل، ووافقت على ضمها الى العراق الواقعة تحت الحماية البريطانية، وتنازلت عن مطالبتها بفلسطين (باعتبارها جزءاً من سوريا الطبيعية) ووافقت على وضعها تحت الانتداب البريطاني، مقابل تنازل بريطانيا عن اهتمامها بالمسألة السورية برمتها، ومقابل تخليها عن الوعود التي كانت قد قطعتها للعرب بإقامة دولتهم المستقلة في سوريا، (بل انها كانت قد رعت قيام حكومة عربية بزعامة الأمير فيصل في سوريا خلال عامي ١٩١٨ و١٩١٩)، ومقابل إقرارها بحق فرنسا في حكم سوريا كلها، وحقها في إدخال قواتها الى الأقضية الاربعة الواقعة غرب خط سايكس - بيكو، عندما تتخلى هي عنها، وتنسحب منها(٨٠)، وهذا ما حاولت فرنسا ان تقوم به عند انسحاب تلك القوات من الأقضية الاربعة في مطلع العام ١٩٢٠ كما سبق أن رأينا(٨١).

وبينما كانت بريطانيا تستعجل خروجها من سوريا، للأسباب التي سبق ان ذكرناها، كانت فعاليات فرنسية، اجتماعية وتربوية واقتصادية، مدنية (غرفة التجارة في ليون ورئيس الإرسالية اليسوعية في سوريا) تستحث فرنسا وتستعجلها لاحتلال سوريا كلها، بل تعتبر ان معاهدة «سايكس-بيكو» قد ألحقت إجحافاً كبيرا «بالحق الطبيعي والتاريخي» لفرنسا في هذه البلاد، رافضة اقتطاع أي جزء منها، لمصلحة أي كان، عربياً أم انكليزياً(٨٢).

إلا ان اتفاقاً آخر تم بين لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية، وكليمنصو رئيس الحكومة الفرنسية، في أيلول/سبتمبر عام ١٩١٩، وقبيل

انسحاب القوات البريطانية من سوريا (في اول تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩)، ففي ١٣ أيلول/سبتمبر، قدم لويد جورج الى كليمنصو مذكرة تبين سياسة انكلترا تجاه سـ ـيـ' وتتضمن:

«أولاً: سحب القوا ـ البريطانية من كيليكيا وسوريا ابتداء من اول تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩.

«ثانياً: تسليم الحاميات العسكرية في كيليكيا وسوريا الغربية (غرب خط سايكس - بيكو، أي سوريا الساحلية من حدود فلسطين الى كيليكيا، بما في ذلك جبل لبنان) الى الجيش الفرنسي.

«ثالثاً: تسليم الحاميات العسكرية في سوريا الشرقية (شرق خط سايكس-بيكو) إمتداداً من مدينة العقبة جنوباً، ومروراً بعمان ودمشق وحمص وحماه وحلب، وما يليها الى الشرق،الى حكومة فيصل العربية.

«رابعاً: لا تتحمل بريطانيا أية مسؤوليات في المناطق التي تجلو قواتها عنها.

«خامساً: تحتفظ بريطانيا بقواتها في فلسطين والعراق».

وقد وافق المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح (السلم) بباريس، على هذه المذكرة في اجتماعه بتاريخ ١٥ منه، مع اعتبارها «تدبيراً عسكرياً موقتاً لا يمس جوهر التسوية النهائية التي سيتم التوصل اليها»[٨٣].

كان يمكن لفرنسا ان ترفض هذا الاتفاق، وان تتمسك بأن تحل محل القوات البريطانية المنسحبة في كل من سوريا وكيليكيا، لولا ان عقبتين اعترضتاها، بالإضافة الى موافقة المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح عليه، وهاتان العقبتان هما:

الأولى: عسكرية، وتتلخص بعدم وجود القوات العسكرية الكافية لدى فرنسا، في سوريا، لسدّ النقص الذي سوف يحصل من جراء انسحاب القوات البريطانية، مما سوف يؤثر سلباً على أمن هذه القوات، ولذلك سارعت القيادة الفرنسية الى سحب المفرزة التي كانت لديها في سوريا الداخلية، الى بيروت، ما أن رحلت القوات البريطانية عنها[٨٤].

والثانية: سياسية، ذلك ان صعوبات أمنية وسياسية كبيرة سوف تعترض احتلال فرنســا للمناطق التي يحتلها الشريفيون، خصوصاً ان المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح لم يتخذ، بعد، قراره بالموافقة على وضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي.

ولذلك، فقد تم الاتفاق بين فرنسا وانكلترا على ما يلي:

١ - تنسحب القوات الانكليزية، من سوريا الساحلية، عن طريق طرابلس - بيروت، بحيث تخلي هذه القوات بيروت حتى اواخر كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٩، ولا يعود لها أي تواجد في هذه المنطقة حتى ٢ شباط/فبراير عام ١٩٢٠.

٢ - تنسحب القوات الانكليزية من بعلبك ورياق (حيث كان للانكليز قوات)، وذلك حتى اول كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٩ (وكان قد حدد موعد انتهاء انسحابها حتى ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٩، إلا انه تم تأجيله)، وتحلّ محلها قوات فرنسية[٨٥].

إلا ان تنفيذ البند الثاني لم يكن ممكناً بسبب اعتراض الأمير فيصل على دخول قوات فرنسية الى الأقضية الاربعة باعتبارها داخلة ضمن منطقة حكمه منذ خروج العثمانيين من سوريا، ولم يكن من السهل، على القوات الفرنسية،

ان تخوض حرباً، لهذا السبب، مع الأمير فيصل وحكومته. فاختارت، لأجل ذلك، حلاً وسطاً هو: إجلاء القوات الشريفية عن البقاع، وإرسال سرية فرنسية الى رياق لحراسة المعدات ومستودع المعسكر، وإرسال ضابطي إتصال فرنسيين الى بعلبك وراشيا[٨٦].

٣ - تنسحب القوات الانكليزية من مدن دمشق وحمص وحماة وحلب في سوريا الداخلية، وتحل محلها القوات الشريفية. ولم يكن بإمكان فرنسا ان تتصرف بغير هذا الشكل بسبب العوائق (العسكرية والسياسية) التي ذكرناها آنفا.

وهكذا وجدت فرنسا نفسها وحيدة، بعد انسحاب القوات البريطانية من سوريا الداخلية والساحلية، تجاه القوات الشريفية والحكومة العربية التي ظلت تدير سوريا الداخلية بعزيمة أقوى، ولكن بقلق أشد، بينما كان الأمير فيصل يتابع مساعيه مع مؤتمر الصلح في باريس من جهة، ومع الحكومتين البريطانية والفرنسية، من جهة اخرى، لعله يتوصل الى تحقيق نزر يسير من طموحات شعبه.

ومع انسحاب القوات البريطانية من سوريا ومحاولة التمدد العسكري الفرنسي من سوريا الساحلية وجبل لبنان الى الأقضية الأربعة (البقاع وبعلبك وراشيا وحاصبيا)، ازداد القلق السوري على مصير البلاد، فرفض الأمير فيصل مذكرة ١٣ أيلول/سبتمبر، وأرسل الى «لويد جورج» ردّاً على هذه المذكرة تضمن «عدم شرعية» القرارات المتخذة من الحلفاء، والمطالبة «بانسحاب الفرنسيين، مع البريطانيين، من سوريا»، أو إلغاء ما ورد في المذكرة من ترتيبات «حتى يقرر مؤتمر السلم مصير البلاد»[٨٧]. وتكثفت، إثر ذلك، نشاطات القوى القومية في دمشق وجميع المدن السورية

الكبرى، في الوقت الذي كانت لجنة «كينغ - كراين» الاميركية تعلن ان «هناك بعض نقاط لا يتنازع في صحتها، منها، الرغبة الشديدة في توحيد سوريا بأكملها، مع فلسطين، ونيل الاستقلال في أقرب وقت مستطاع»، وهذا هو «تعبير عنيف عن الشعور الوطني لم نكن نتوقعه، ورفض جازم لفكرة جعل البلاد مستعمرة لأية دولة، ورفض جازم لفكرة الانتداب الفرنسي»[٨٨]، باستثناء رغبة «جماعات كبيرة» في المنطقة الغربية من سوريا بأن «تعطى وصايةٌ على لبنان (غير مكبّر) بالإنفراد عن سوريا»، وان تعطى هذه الوصاية لفرنسا[٨٩].

وسوف نعود للتوسع في بحث هذه الأمور في فصل مستقل لاحق.

حواشي الفصل السابع

(١) Du Hays, Les Armées françaises au Levant, 1919 - 1939, T1, P. 19. -

(٢) انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ص ٣٣٣ - ٣٤٢، و:
Longrigg, Syria and Lebanon under French mandate, PP.63 - 65 et du Hays, op. cit. P. 19.

(٣) Du Hays, op. cit. P. 19 et Longrigg, op. cit. P. 65. ولكن معظم المفرزة الفرنسية لم يصل الى بيروت حتى ٢٠ منه، وقد تركت سريةً من رماتها في مدينتي صور وصيدا (Du Hays, Ibid).

(٤) Archives du Service Historique de la Marine, Chronologie des opérations,no.531 du 6 Décember 1918, (Carton SA 17).

(٥) Du Hays, op. cit. T. 1, P. 19.

(٦) Longrigg, op. cit. P. 66.

(٧) يشير «لونغريغ» الى ان سفناً بريطانية كانت ترسو، في ميناء بيروت، الى جانب السفن الفرنسية، إلا انها لم تنزل أية قوات (Longrigg, op. cit. P. 65).

(٨) Du Hays, op. cit. T. 1, P. 19 et Longrig, op. cit. P.76.

(٩) يتصور الجنرال «فيليب غورو» ان الانكليز قد ندموا على اشتراكهم، مع فرنسا، في توقيع اتفاقية «سايكس - بيكو» وانهم كانوا جادين في تنفيذ وعدهم للشريف حسين بإقامة مملكة عربية في سوريا، كما انهم، «عملوا كل ما في وسعهم لإلغائها، وحرضوا العرب» على الفرنسيين
(Gouraud, Ph, Le Général H. Gouraud au Liban et en Syrie, 1919 - 1923, P. 29).
ولكننا نرى ان هذا التصور بسيط وسطحي، إن لم يكن ساذجاً.

(١٠) Du Hays, op. cit. T. 1, PP. 19 - 20.

(١١) Gouraud, Ph. op. cit. PP. 29 - 30.

(١٢) Du Hays, op. cit. T. 1, P. 20.

(١٣) وكان قد فصلهما بتصرفه منذ تاريخ ١٣ تشرين الاول/اكتوبر (Ibid, P 21).

(١٤) Longrigg, op. cit. P. 66. ويذكر «نجدة صفوة» في مقدمته لمذكرات رستم حيدر، أن الأمير فيصلاً، بعد دخوله دمشق (في ٣ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٨)، أوفد اللواء شكري باشا الايوبي الى بيروت، وبرفقته رستم حيدر، «لإعلان الحكومة العربية فيها، بناء على طلب اهلها» (حيدر، رستم، مذكرات رستم حيدر، مقدمه نجدة فتحي صفوة، ص ٢٣). ويقول حيدر، في مذكراته ليوم الاثنين في ١٩١٨/١٠/٧: «دخولنا مهيج حتى ساعة البرج، ركز العلم (العربي) في موقع الشهداء، ازدحام، ثم في (دار) الحكومة». وفي (٨ منه): «في دار حكومة (جبل) لبنان، اجتماع مع حبيب باشا (السعد)... جمع غفير، إعلان الحكومة (العربية)، يمين الإخلاص.... ثم رجعنا الى بيروت... اهل بيروت يريدون الحاكم منهم في كل الظروف... اهل (جبل) لبنان ارتاحوا للصلاحيات المعطاة لهم... حب الأهالي نحونا» (م.ن. ص. ١٩٢ -١٩٤).

(١٥) قاسمية، خيريه، الحكومة العربية في دمشق، ١٩١٨ - ١٩٢٠، ص ٥٨.

(١٦) قاسمية، م. ن. ص. ن. عن مقابلة خاصة مع «محمد الشريقي».

(١٧) الحكيم، يوسف، سوريا والعهد الفيصلي، ص. ٥٨ - ٥٩.

(١٨) م. ن. ص. ٥٩.

(١٩) م. ن. ص. ٦٠.

(٢٠) سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، جـ ٢: ٥ - ٦.

(٢١) قاسمية، المرجع السابق، ص ٦١.

(٢٢) Du Hays, op. cit. T. 1, PP. 21 - 22.

(٢٣) Ibid, P. 22.

(٢٤) كان قائد الموقع التركي لا يزال في المدينة عندما وصلت، قبالتها، سفينة حربية تقل القوات المشتركة، وقد تذرع بأنه لم يعرف بأن اتفاقاً بالهدنة قد وقّع، وان الخليج، على الساحل مقابل المدينة، مزروع بالألغام، فرست النسافة البحرية «كوتيلا Torpilleur Coutelas» أمام المدينة، بتاريخ ٩ تشرين الثاني/نوفمبر، وبعد توقيع اتفاقية مع قائد الموقع التركي، نزل الجنود الفرنسيون والبريطانيون الى البر وتمركزوا في المدينة ورفعوا على مؤسساتهم أعلامهم الوطنية (Ibid.P. 22).

(٢٥) Ibid, PP. 22 - 23.

(٢٦) راجع Du Hays, Ibid, P. 23.

(٢٧) Ibid. تجدر الإشارة أن النص الفرنسي ذكر «جيحون وسيحون» إلا اننا لم نجد هذين الإسمين على الخارطة، وانما وجدنا «نهر جيحان» الذي يأتي من شمال تركيا، فيمر «بجيحان» ويصب عند «مضيق جيحان» في «خليج اسكندرون» و«نهر سيحان» الذي يأتي من شمال تركيا، فيمر «بأضنة» ويصب في البحر المتوسط عند «رأس دلي» في «خليج مرسين».

(٢٨) Ibid, P. 24.

(٢٩) Ibid

(٣٠) Ibid, PP. 24 - 26.

(٣١) Ibid, P. 29.

(٣٢) Ibid, P. 30.

(٣٣) Ibid, P.P. 32 - 33، وكان المقصود حينئذ «بالمنطقة الشمالية» المنطقة الساحلية مع جبل لبنان، إلا ان هذه التسمية تغيرت في كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩ وبعد أن ضمت كيليكيا الى «البلدان المحتلة» فأصبحت تعرف «بالمنطقة الشمالية» بينما أصبحت المنطقة الساحلية وجبل لبنان تعرف «بالمنطقة الغربية» Ibid, P. 33.

(٣٤) Ibid p. 33.

(٣٥) Ibid, P. 34.

(٣٦) Ibid, PP. 34 - 35.

(٣٧) Ibid, P. 35.

(٣٨) Ibid.

(٣٩) Ibid, PP. 75 - 76

(٤٠) Ibid, PP. 111 - 114.

(٤١) Ibid, PP. 76 - 77.

(٤٢) Ibid, P. 79، ويذكر واضع هذه الإحصاءات ان أخطاءً ربما وردت فيها (Ibid)

(٤٣) SHAT, Section outre-mer.

(٤٤) Ibid.

(٤٥) مراسلة صادرة عن قيادة «جيش المشرق الفرنسي» في بيروت، وتحمل الرقم ١/١٥٧٢ تاريخ ١٩١٩/١/٢٦ (SHAT, Section outre-mer, carton 449 dossier 1).

(٤٦) Du Hays, op. cit. T 1. P.P. 39 - 40. من تقارير كتبت في شهر تشرين الأول/اكتوبر عام ١٩١٨ (Ibid. P. 40).

(٤٧) Ibid, P. 40. وتذكر هذه المصادر انه، في اليوم الثاني لإلقاء فيصل خطابه في المعلقة (في ٦ تشرين الاول/اكتوبر) قتل، في دمشق، وعلى يد «الجندرمة الشريفية»، الأمير عبد القادر (حفيد الأمير عبد القادر الجزائري)، «وكان حليفاً مخلصاً لفرنسا»، كما اعتقل شقيقه الأمير سعيد (Ibid).

من تقارير كتبت في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨ (Ibid, P. 40).

(٤٨) Ibid, P. 41. من تقرير كتب في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٨ (Ibid).

(٤٩) انطونيوس، المصدر السابق، ص.٤٠١. وما ذكره «لويد جورج» عما جرى عام ١٩١٢هو أن «أدوار غراي» وزير الخارجية البريطانية، في ذلك العام، أكد «لبوانكاريه» وزير الخارجية الفرنسية «تأكيداً قاطعاً»، ان بريطانيا «لم تنوِ، ولن تنوي، ان تطالب بأي نفوذ سياسي في الشام»(م. ن. ص. ٢٣٩).

(٥٠) انطونيوس، م. ن. ص. ٤١٢.

(٥١) م. ن. ص. ٤١٣.

(٥٢) Gouraud, Ph., Le Général H. Gouraud au Liban et en Syrie, 1919 - 1923, P. 32.

(٥٣) Ibid, PP. 16 - 34.

(٥٤) ولد الجنرال «هنري جوزف غورو» في باريس عام،١٨٦٧ وتخرّج ضابطاً من مدرسة «سان سير Saint-Cyr» العسكرية، ثم تدرّج في الرتب العسكرية حتى رتبة «فريق أول Général d'Armée» عام ١٩١٢. قاتل في عدة بلدان افريقية منها:

السودان، حيث شارك في انتصار الجيش الفرنسي في ساموري عام ١٨٩٨، والنيجر وتشادوموريتانيا، وكان مساعدا للجنرال «ليوتي Lyautey»، والمغرب، منذ عام ١٩١١ وحتى عام ١٩١٤. وخلال الحرب العالمية الاولى، قاد الحملة الفرنسية في الدردنيل،حيث جرح جرحاً بليغاً، عام ١٩١٥، فقد بسببه، ذراعه اليمنى، كما قاد «الجيش الرابع» الفرنسي وانتصر في معركة «شامباني Champagne» ضد الالمان عام ١٩١٨. وخاض، كذلك، معارك منتصرة في وجه الجيوش الالمانية في فرنسا (وخصوصا معركتي ريمس Reims والمارن الثانية La Marne). وقد نال ثناء الجنرال «باتون» قائد الجيوش الفرنسية في الحرب العالمية الأولى، وجاء في هذا

الثناء: «ضابط عظيم، ذو قدر أدبي سام، أضاف الى تاريخ حياته، المملوءة أعمالاً بهية، صفحة مجد لا يُبارى». وبتاريخ ٨ تشرين الاول/اكتوبر عام ١٩١٩ عين «مفوضاً سامياً Haut-commissaire» لفرنسا في سوريا (ولبنان)، وقائدا «لجيش المشرق» فيها، وقد ظل في مركزه هذا حتى عام ١٩٢٣. وكان قد أعلن استقلال لبنان، في احتفال مهيب في قصر الصنوبر ببيروت، في اول أيلول/سبتمبر عام ١٩٢٠. وفي عام ١٩٢٢ عيّن حاكماً عسكرياً لباريس، ثم تقاعد، بعدها، عام ١٩٣٧، (وكان قد عين عضواً في الاكاديمية الادبية الفرنسية) ووافته المنية بباريس عام ١٩٤٦ عن عمر يناهز التاسعة والسبعين.

(جريدة «البشير» بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر عام،١٩٢٠ ص ١ و:

(- Arbid, Walid, La représentation diplomatique de la France au Liban, P. 56)

et: - Encyclopédi Quillet: Goureaud, Henri Joseph).

وقد تحدثت جريدة «لسان الحال» واصفة استقبال «الجنرال غورو» عند وصوله الى مرفأ بيروت (بتاريخ ١٩١٩/١١/٢١) فقالت: «إنبلج فجر أمس، على بيروت، وهي بارزة بأبهى مجالي الزينة، فالاعلام كانت تخفق فوق البيوت والشرفات والشبابيك، وعلى مفارق الطرق، والأسواق مزدانة بالرياحين والأزهار. وعند الساعة السابعة صباحاً، رفع العلم الفرنسي فوق السراي القديمة على عزف الموسيقى بحضور حضرات الحاكم العسكري القومندان دوازله وقومندان الموقع وانطوان افندي عرب وجان بك عسلي من أعضاء البلدية، وبعض الضباط وشراذم من الجنود الفرسان والمشاة.

«وباكراً، خف الى الرصيف، لمقابلة القائد العظيم، حضرة الحاكم العسكري وأعضاء البلدية، ثم تلاهم جماهير الضباط والقواد والسراة والأعيان، يتقدمهم سعادة الوزير المفوض المسيو بيكو (جورج) وهيئة القومسيرية، والجنرال هاملان، والأميرال مورني، والقائد الانكليزي، والمعتمد العربي، وقناصل الدول، وكانت العساكر مصطفة على جانبي الطريق الذي سار فيه الموكب من الرصيف الى ساحة الاتحاد، حيث ازدحمت جماهير الأهالي على الأرصفة واكتظت بهم الشرفات والشبابيك والسطوح، ثم بدأت جنود البر والبحر من فرسان ومشاة تفد الى الساحة، فضربت نطاقاً، وأقبل ثلاثة أوتوموبيلات تقل جنوداً انكليزية للإشتراك بالاحتفال.

«وفي الساعة التاسعة والربع، اطلقت المدافع إيذاناً بنزول حضرة الجنرال الى البر، فنزل على قارب بخاري يحرسه، من ورائه، طراد حربي يقل أركان حربه. ولدى وصوله الى البر، قدم اليه أعضاء البلدية، فصافحهم، وركب جواده، ومن حوله أركان حربه، وأقبل الى ساحة البرج في شارع أللنبي، أما سائر المستقبلين فركبوا سيارات وعادوا من شارع السراي القديمة.

«وقد جلس، على المنصة التي أقيمت في ساحة الاتحاد، بدعوة خاصة، حضرات الوزير المسيو جورج بيكو والأميرال مورني والجنرال فاين وجنرالية آخرون من فرنسويين وانكليز، والكولونيل نيجر الحاكم الإداري العام، وكبار الموظفين العسكريين والملكيين (أي الاداريين) وهيئة المجلس البلدي، وكبار رجال الدين، وممثلو الدول، ومديرو المصارف، وأرباب الصحافة، وعدد من سراة المدينة، وقد حضر، من لبنان، رئيس مجلس ادارته.

«وفي الساعة العاشرة، تماوجت الجموع المتراصة على ساحة البرج، وتطاولت الأعناق، إذ أقبلت طلائع القائد الكبير قادمة من الجهة الغربية، وهو على جواده، وحوله أركان حربه وشرذمة من فرسان المغاربة. وعند وصوله بحذاء المنصة، ترجل وصافح القواد والضباط الموجودين هناك». وتستطرد «لسان الحال»: «ثم قُدم اليه الغلام كلوفيس نجل الشهيد المرحوم الشيخ فيليب الخازن، يصحبه الشيخان بديع وصالح الخازن، باسم عائلة الخازن الكريمة، فقدم اليه باقة زهر، وفاه بالعبارة التالية: يا حضرة الجنرال، إن ابن فيليب الخازن، الذي أعدم والده، في أثناء الحرب، لمحبته فرنسا، يتشرف ان يقدم لكم هذه الباقة، باسم العائلة التي هي اول عائلة لبنانية أحرزت شرف رفع علم الزنبقة الفرنسوي. فأجابه الجنرال: أشكرك، وأنا أعلم محبة وتعلّق عائلتك بفرنسا، ثم قبّله. وعقب ذلك تلامذة وتلميذات المدارس الوطنية، يحملون باقات الزهر، فكان القائد يتلطف بالسؤال عن كل بمفرده، ويصافحهم، ويقبّل الأحداث منهم.

«وبعد ذلك، أقبلت الموسيقى العسكرية تصدح بأطرب الألحان، فقابلتها الجموع بالهتاف الحاد والتصفيق، وتلاها قائدان فرنسويان ممتطيان جواديهما وحولهما أركان حربهما. وبدأ حضرة الجنرال يستعرض الجنود، فكانت الفرق المختلفة تمر أمامه بمشهد يخلب الألباب، فأقبلت البحارة والمشاة، ومشاة الجنود المغاربة، ففرقة السنغال من فرسان ومشاة وموسيقاها، ففرقة الجندرمة السورية، فالمتطوعون السوريون، فجنود المغاربة، فالجنود الفرنسوية من فرسان ومشاة بمدافعها الصغيرة. وكان يتقدم كل فرقة علمها وقائدها، فيحيي الجنرال التحية العسكرية، فيرد لهم التحية. ثم استعرضت رجال المدفعية بكامل عددها ومعداتها، تجر عجلاتها البغال، وبعدها فرسان السباهي، وفرسان المغاربة والجركس. وكانت الطيارات تحوم فوق الساحة، مما زاد المشهد إجلالاً وعظمة.

«وعلى أثر ذلك، أقبلت سيارة الجنرال وهي مزدانة بالأزهار والرياحين والأعلام، فركبها وبصحبته المسيو بيكو وبعض أركان حربه، وبرحت ساحة البرج على أنغام الموسيقى والهتاف والتصفيق، تقله الى منزله، وسار في إثرها صف من السيارات تقل القواد والضباط والحكام وكبار المأمورين، وأرفضّ الجمع المحتشد»

(لسان الحال، عدد ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٢٠ ص ١).

SHAT, Son outre - mer. (٥٥)

(٥٥ مكرر) يذكر «لونغريغ» ان القيادة الفرنسية كانت قد دفعت بالقوات الارمنية، عام ١٩١٨، الى منطقة كيليكيا، فأثارت هذه القوات إستياء القيادة الفرنسية لإخفاقها وعدم انضباطها، ولكنها ظلت في مواقعها حتى استبدلت، في اوائل العام،١٩١٩ بقوات بريطانية (Longrigg, op. cit. PP. 77 - 78).

SHAT. Section outre-mer. (٥٦)

Ibid. (٥٧)

Gouraud, Ph. op. cit. P. 34. (٥٨)

وكانت «قوات المشرق الفرنسية» في سوريا، قبل وصول غورو ورحيل القوات البريطانية، تساوي ما نسبته «جندي فرنسي واحد مقابل ثلاثة من البريطانيين» (قاسميه، خيريه، المرجع السابق، عن: Haut Commissariat de la république française en Syrie et au Liban, Paris,1922, P. 42).

- Rapport N°. 609/2L. daté du 30 septembre 1920. (٥٩)

(٦٠) يقصد الجيش الشريفي الذي سرح بعد وقعة ميسلون واحتلال فرنسا لسوريا في ٢٤ تموز/يوليو عام ١٩٢٠ (المؤلف).

(٦١) يبدو انه صدر قرار بتشكيل كتيبة ثالثة في الجوقة السورية لم نعثر على وثيقة تتعلق بها بين الوثائق المتوافرة لدينا (المؤلف).

(٦٢) الملحق رقم (٢) في هذا الفصل.

(٦٣) نكرر هنا ان المقصود بالجوقة السورية وبالسوريين، سوريا ولبنان معا (المؤلف).

-SHAT. Vincennes. Son outre-mer, Carton 4LO. (٦٤)

- SHAT. Vincennes, Son outre-mer, Carton 4Lo. (٦٥)

- Ibid, Carton 4LO. (٦٦)

مع الإشارة الى ان سوريا قسمت في بدء الاحتلال الفرنسي لها الى ٤ دويلات: دولة دمشق، ودولة حلب، ودولة العلويين، ودولة جبل الدروز، وسنجق اسكندرون. إلا ان هذه الدويلات لم تعش طويلا، إذ ألغيت وأعيد تكوين الدولة السورية بعد ان سلخ عنها لواء اسكندرون وألحق بتركيا.

(٦٧) أعيد تنظيم الجندرمة السورية في الامبراطورية العثمانية عام ١٩٠٨ وظلت الأسس التي وضعت لها في ذلك الحين قائمة حتى الوقت الذي وضعت فيه هذه اللجنة تقريرها، حيث اعيد تنظيم الجندرمة في سوريا بعد ذلك، ويمكن الرجوع الى التنظيم الجديد في وثائق عديدة ومفصلة لا مجال لبحثها هنا (SHAT. Son outre-mer).

(٦٨) SHAT. Vincennes. Son outre-mer. -

(٦٩) Note de Sce. N°. 4225/4S, datée du 3 Juin 1920. -

(٧٠) SHAT. Son outre-mer, dossier 159. -

(٧١) SHAT, Son outre-mer. -

والجدير بالذكر ان هذه اللجنة لحظت في تقريرها، وفي الفقرة المتعلقه بالجوقة السورية وسرايا الخيالة السورية انه «يجب إنشاء سرية خياله من «الموارنة»، حيث يقدم كل خيال كفيلين على عدة الركوب التي تسلم اليه وفقا لما يجري في الجندرمه، وفيما بعد، وبحذر، يمكن ان تمتد هذه التدابير لتشمل سرايا خيالة الشركس والدروز» (التقرير نفسه).

(٧٢) كانت هذه المفرزة تقدر بلواء، وكان قسم منها قد دخل سوريا، عن طريق معان، مع «الجنرال أللنبي»، كما دخلت غالبيتها، بقيادة الكولونيل «دي بيبياب» عن طريق الساحل، مع الفيلق البريطاني الحادي والعشرين. وقد عين قائد هذه المفرزة «الكولونيل دي بيبياب» اول مسؤول اداري عن المنطقة الساحلية الممتدة من الناقورة الى اسكندرون. (Longrigg, op. cit. pp. 65 - 66).

(٧٣) SHAT, Son outre-mer. Dossier 1-C2.

(٧٤) في الأصل، لا علاقة لهذه المدفعية بالتشكيلات اللبنانية – السورية في عهد الانتداب، إلا انها كانت، ولا شك، أساسا لمدفعية الجيوش الوطنية المستقلة فيما بعد، كما سنرى.

(٧٥) Télégraphe N°. 7162-9/11 daté du 11 Octobre 1918. -
SHAT, Son outre-mer Dossier 172.

(٧٦) SHAT Son outre-mer. Dossier 172.

(٧٧) Tél. N° 7285-9/11 daté du 16 Octobre 1918. -
SHAT. Son outre-mer. Dossier 172.

(٧٨) Tél. N° 7286-9/11 daté du 16 Octobre 1918. -
SHAT. Son outre-mer. Dossier 172.

(٧٩) جحا، شفيق، معركة مصير لبنان، ج ١: ١٣٣ - ١٣٤، وسوف نتعرض لأعمال لجنة «كينغ - كراين» في فصل لاحق.

(٨٠) جرت هذه المساومات بين كل من «لويد جورج» رئيس الحكومة البريطانية و «كليمنصو» رئيس الحكومة الفرنسية، وقد استمرت طوال العام ١٩١٨، ويذكر «زين زين» ان اجتماعاً عقد في بيت الرئيس الاميركي بباريس، وحضره كل من الرؤساء ويلسون وكليمنصو ولويد جورج، وشكا كليمنصو، في هذا الاجتماع، ان لويد جورج لا يفي بوعوده،وروى انه قصده في خريف عام ١٩١٨ الى لندن ليفهم منه ما يريد فأجابه لويد جورج: «أريد الموصل وفلسطين» وان كليمنصو وافق على طلب لويد جورج شرط ان تطلق يد فرنسا في سوريا، وتم الاتفاق، يومذاك، بين الطرفين، على «أن تكون سوريا من نصيب فرنسا والموصل من نصيب بريطانيا، وبما ان الموصل جزء جغرافي طبيعي من العراق، فينبغي ان تكون جزءاً لا ينفصم من العراق، ويكون البلدان من نصيب بريطانيا» هذا ما قاله لويد جورج في الاجتماع المشار اليه (زين، الصراع الدولي في الشرق الاوسط، ص ١١٧).

كما يذكر «سليمان موسى» ان اتفاقاً شفهياً تم، في لندن، وفي اول كانون الأول/ديسمبر عام ١٩١٨، بين كليمنصو (ويرافقه الجنرال فوش). وبين لويد جورج على ان تضم منطقة الموصل الى العراق، التي تخضع، مع فلسطين «من دان الى بئر السبع، للحكم البريطاني» (موسى، الحركة العربية، ص ٤٢٦). وجدير بالذكر ان فرنسا تقاضت ثمناً لتنازلها عن الموصل لبريطانيا، وكان ذلك الثمن حصةٌ لها في نفط الموصل.

(٨١) سبق ان مر معنا (في التقرير الذي رفعته قيادة جيش المشرق الى المسؤولين الفرنسيين عن الوضع السياسي والعسكري في سوريا لدى وصول الجنرال غورو، كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٨ - كانون الثاني/يناير عام ١٩١٩) ان اتفاقاً تم بين هذه القيادة والقيادة الشريفية على آلية التواجد في الأقضية الاربعة.

(٨٢) انظر: كوثراني، وجيه، «فرنسا ضد سايكس-بيكو، لماذا نكتفي ببيروت ونعطي حيفا لبريطانيا»؟ وذلك من خلال مذكرتين رفعتا الى وزارة الخارجية الفرنسية، الأولى بتاريخ ٢٥ تشرين الاول/اكتوبر، والثانية بتاريخ ٣٠ منه عام ١٩١٨، (جريدة السفير بتاريخ ١٨/٦/١٩٩٩). ولكن «فيليب خوري» يرى ان «عدداً قليلاً فقط من الفرنسيين، لا يمثلون سوى مجموعة ضيقة من المصالح في فرنسا، كانوا ملتزمين إضافة هذه الرقعة (سوريا) الى الامبراطورية الفرنسية، وكانوا ينشطون من اجل ذلك» (خوري، فيليب، سوريا والانتداب الفرنسي، ص ٤٩).

(٨٣) جحا، المرجع السابق، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٨٤) - Du Hays, op. cit. T 1. p. 172.

(٨٥) Ibid, PP. 172 - 173.

(٨٦) انظر تقرير الجنرال غورو الى المسؤولين الفرنسيين عن شهري كانون الاول/ديسمبر عام ١٩١٩ وكانون الثاني/يناير عام ١٩٢٠. وفي تقرير نصف شهري بتاريخ ١٩١٩/١١/٢٥، أفيدت القيادة الفرنسية ان الجيش الشريفي (ومقره العام في دمشق) يتألف من ٣ ألوية متمركزة في دمشق ودرعا وحلب، وان عديد الجيش الشريفي النظامي يصل الى: ٤ عمداء أو ألوية (جنرال) و٦ عقداء (كولونيل) و ٨ مقدمين، ومجموع الضباط ٧٥٦ ضابطاً، ومجموع الرتباء والجنود ٦٢٠٠ رجل. أما سلاح هذا الجيش فيتألف من: ٥٠ مدفعاً و ١٣٩ رشاشاً ثقيلاً، و٤٠ سيارة و٦٠ شاحنة. ويوجد، بالإضافة الى هذه القوات النظامية للجيش الشريفي: ٦ آلاف جندرمة. ويستطيع هذا الجيش ان يجنّد ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف رجل خدموا في الجيش العثماني، وما بين ١٥ الى ٢٠ ألف رجل غير نظامي، وغير مدربين عسكرياً.

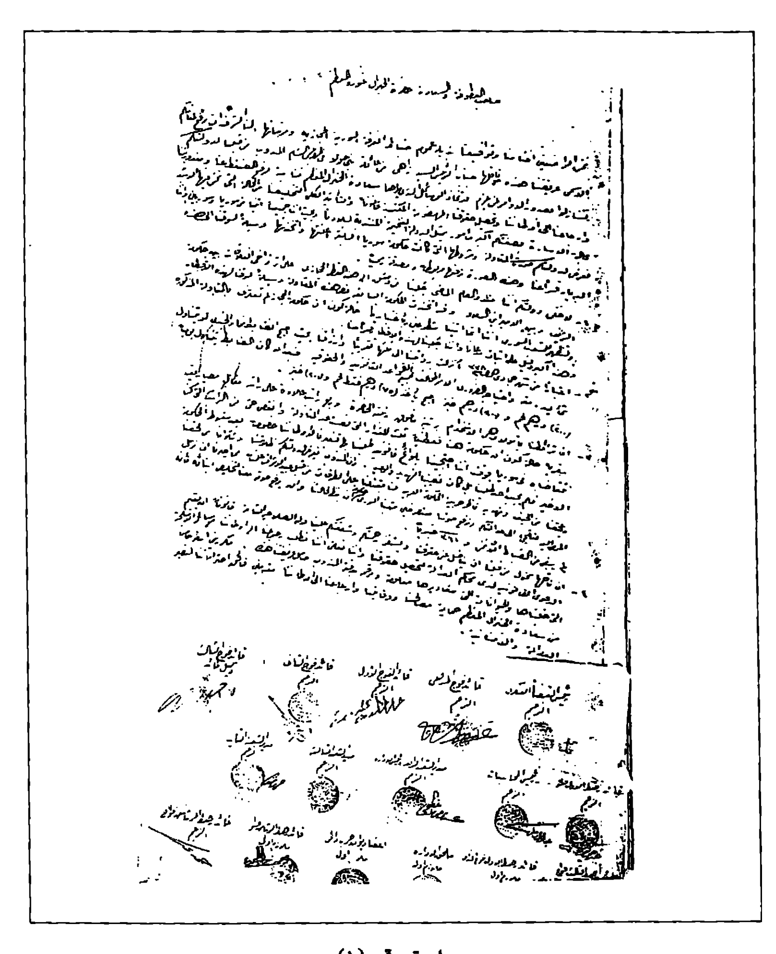
(SHAT, Section outre-mer, côte n° 7N1641).

(٨٧) موسى، سليمان، الحركة العربية، ص ٥١١.

(٨٨) جحا، المرجع السابق، ص. ١٣٣.

(٨٩) سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، ج ٢: ٨٣.

ملاحق الفصل السابع



ملحق رقم (١)

وثيقة

طلب استرحام مرفوع إلى الجنرال غورو من ضباط في الجيش الشريفي (عام ١٩٢٠)

ملحق رقم (٢)

الملحق رقم (١) بتقرير الجنرال غورو رقم ٦٠٩/2ـا تاريخ ٣٠ أيلول ١٩٢٠ (الجوقة السورية)

الوحدة	الملاك الفرنسي		المساعدون			ملاحظات
	الموقع	ضباط	أفراد	ضباط	أفراد	
- الأركان (أركان الفوج)	بيروت	٤ فرنسيين (مقدم،رائد، م أ، طبيب)	٦	١	-	
- سرية مستودع	بيروت	٢ فرنسيين (نقيب و٢م أ)	١٨	٨ (١)	٥٢٣	(١) ٢ أطباء و٣ بيطريين و٢ ضباط: ضابط مدفعية، وضابط هندسة
-الكتيبة الأولى:						
- الاركان وفصيلة الخدمة	طرابلس	٢ فرنسيان (نقيب و م أ)	٧	-	١٤	
- السرية الاولى	طرطوس	٢ م أ فرنسيان	٣٠	-	١٣٥	
- السرية الثانية	جبلة وبانياس	٢ فرنسيان (نقيب وملازم اول)	٢٢	-	١٣٦	
- السرية الثالثة	طرابلس وتلكلخ	٢ فرنسيان (نقيب وملازم اول)	٢٤	-	١٨٦	
- السرية الرابعة	طرابلس وزحله	٢ فرنسيان(٢) (نقيب وملازم اول)	٧	-	٤٣(٣)	(٢) مركز التطويع في زحله (٣) لا يدخل في هذا الرقم:

الوحدة	الملاك الفرنسي		المساعدون			ملاحظات
	الموقع	ضباط	أفراد	ضباط	أفراد	
-الكتيبة الثانية:						
- الاركان وفصيلة الخدمة	صيدا	٢ فرنسيان (نقيب وم أ)	٢	-	٥	
- السرية الخامسة	النبطية والجديدة (مرجعيون)	٢ فرنسيان (نقيب وم أ)	١١	-	١٠٣	
- السرية السادسة	صور	٢ فرنسيان (ملازم اول)	١٩	-	١٣٢	
المجموع		٢٣ ضابط فرنسي	١٤٦ جندي فرنسي	٩ ضباط سوريون	١٢٨٧ جندي سوري	

ملحق رقم (٣)

تدابير العرض العسكري ببيروت

في ١٤ تموز/يوليو عام ١٩١٩

صادرة عن أركان قوات المشرق الفرنسية ـTFL)

الموضوع: عرض ١٤ تموز:

١ - تجري القوات، في بيروت وعاليه، عرضاً في ١٤ تموز الساعة السابعة أمام الجنرال قائد الجيوش الفرنسية الحرة (TFL). ويجري العرض في ساحة البرج بحضور المفوض السامي بعد تقليد الأوسمة.

٢ - الوحدات المشتركة بالعرض:

- قائد القوات: العقيد جيزار Gizard قائد الفوج ٤١٥ مشاة.
- الضباط بدون قوات: على يمين المنصة، باتجاه الجنوب.
- البحرية: مفرزة.
- الهندسة: سرية.
- المشاة: التشكيلة ٤١: العلم، الموسيقى، الطبول والأبواق من الكتيبة الأولى، الفوج ٤١٥ مشاة، سريتان، من الكتيبة الثالثة، تأتيان من عاليه لبيروت في ١٣ تموز.
- الفوج المختلط للزواف والرماة (RMZT):
  - كتيبة الزواف.
  - السرية ٣٥ من الرماة.
- الجوقة السورية: ١ سرية.

- المدفعية: بطاريتان جبليتان وبطارية ٧٥ ملم، تعرض القطع الخمس الأولى منها.

- الخيالة: سرية مختلطة.

- سلاح النقل البري: فصيلة راجلة.

- البزة: بزة الميدان، بدون حقيبة، على أن تكون موحدة، بالوحدة. تُملأ المطرات عند الإنطلاق.

٣ - تشكيلة العرض: القوات منسقة على الجهة الجنوبية من ساحة البرج، والشارع المؤدي إلى السوق، والجادّة التي هي قيد البناء والموصلة من السوق إلى المرفأ، وشارع الجمرك.

(أ) في ساحة البرج:

- مفرزة البحرية في الجهة الشرقية من الساحة (باتجاه الغرب).

- سرية من الفوج ٤١٥ على خط الإنتشار، محيطة بعلم الفوج (الجهة الجنوبية من الساحة باتجاه الشمال) والعلم مقابل وسط المنصة.

- الموسيقى وجوقة الكتيبة ٤١٥ على يسار هذه السرية وعلى يمين باقي القوات.

(ب) - على الشارع المؤدي للسوق، وعلى خط الإنتشار باتجاه الشمال: سرية الهندسة.

- الكتيبة الأولى من الفوج ٤١٥.

(ج) - على الجادة التي هي قيد البناء، وعلى خط الإنتشار، باتجاه الشرق: جوقة الزواف. - كتيبة الزواف. - السرية ٣٥ من الفوج الثاني للرماة. - سرية سورية. - فصيلة من سلاح النقل البري. - بطاريتا ٣٠ و٣٥ الجبليتان.

(د) - على علو شارع الجمرك، باتجاه الجنوب: بطارية ٧٥ ملم.

البطارية ٧٥ ملم بتشكيلة القتال (تستعمل، في العمق، شارع بنك سوريا).

(هـ) - على شارع الجمرك، بتشكيلة القتال باتجاه الجنوب: موسيقى الخيالة، والسرية المختلطة.

٤ - تقليد الأوسمة: تقلّد الأوسمة في ساحة البرج، مباشرة بعد العرض، ولذلك، فبعد أن يستعرض الجنرال القوات، يتقدّم أصحاب الأوسمة والمداليات (الذين سيُقلّدونها)، إلى ساحة البرج باتجاه العلم، أما الذين هم أبعد من السوق فيبقون مع وحداتهم.

٥ - تشكيلة الإستعراض Défilé:

بعد تقليد الأوسمة، .... تستعدّ الوحدات للاستعراض، فتأخذ تشكيلة الإستعراض، الدليل إلى اليسار.

- القوات الراجلة: بالفصائل، على خط الفصائل الرباعي.

- المدفعية: بالفصائل، بتشكيلة القتال (Ordre de bataille).

- الخيالة: على همّة قائد القطعة.

- موسيقى الفوج ٤١٥: تعزف أثناء استعراض القوات الراجلة والمدفعية الجبلية.

- جوقة الزواف: تمشي على رأس كتيبتها ولا تعزف إلاّ بعد أن تجتاز ساحة البرج بـ٢٠٠ متراً وتستمرّ في العزف حتى نقطة تفرّق القوات.

- المسالك: ساحة البرج، شارع طرابلس، طريق النهر، شارع المدرسة الداخلية لراهبات العائلة المقدّسة، الشارع الممتد من الجهة الشمالية للسراي القديمة، طريق المنارة، شارع كنيسة القديس ايليا المارونية، ويتمّ التفرّق باتجاه القِوامة، حيث تلتحق القوات بمخيماتها.

٦ - يلتئم الضباط بدون قوات والمشابهون لهم في ساحة البرج، الجهة الغربية، حيث يحتفظ لهم بمكان خاص بهم.

٧ - في الساعة ٥،٣٠ يلتحق ضابط ومؤرِّفان اثنان من كلّ قطعة أو وحدة تشكّل قطعة، مشتركة بالعرض، بالنقيب .... من الأركان والموضوع لهذا الغرض بتصرّف العقيد جيزار، الذي يدلّهم على أمكنة وحداتهم.

٨ - يكلّف ضابط يعيّنه ناظر الموقع بالتعرّف على مجمل المسالك ويقود رأس الرتل إنطلاقاً من ساحة البرج.

٩ - يكلّف ناظر الموقع تأمين النظام في ساحة البرج وفي الشوارع التي ستستعمل في العرض والإستعراض.

١٠ - يتمّ الطواف بالمشاعل مساء يومي ١٣ و١٤ وفقاً لمذكرة الخدمة ١٠٦٠١/٣ تاريخ ١٢ تموز.

١١ - الموسيقى في دار المفوض السامي من الساعة ١٠،٣٠ حتى الظهر.

الجنرال هاملان قائد قوات المشرق الفرنسية

عنه، رئيس الأركان

التوقيع: راسباي Raspail

المرسل إليهم:

الفرقة البحرية

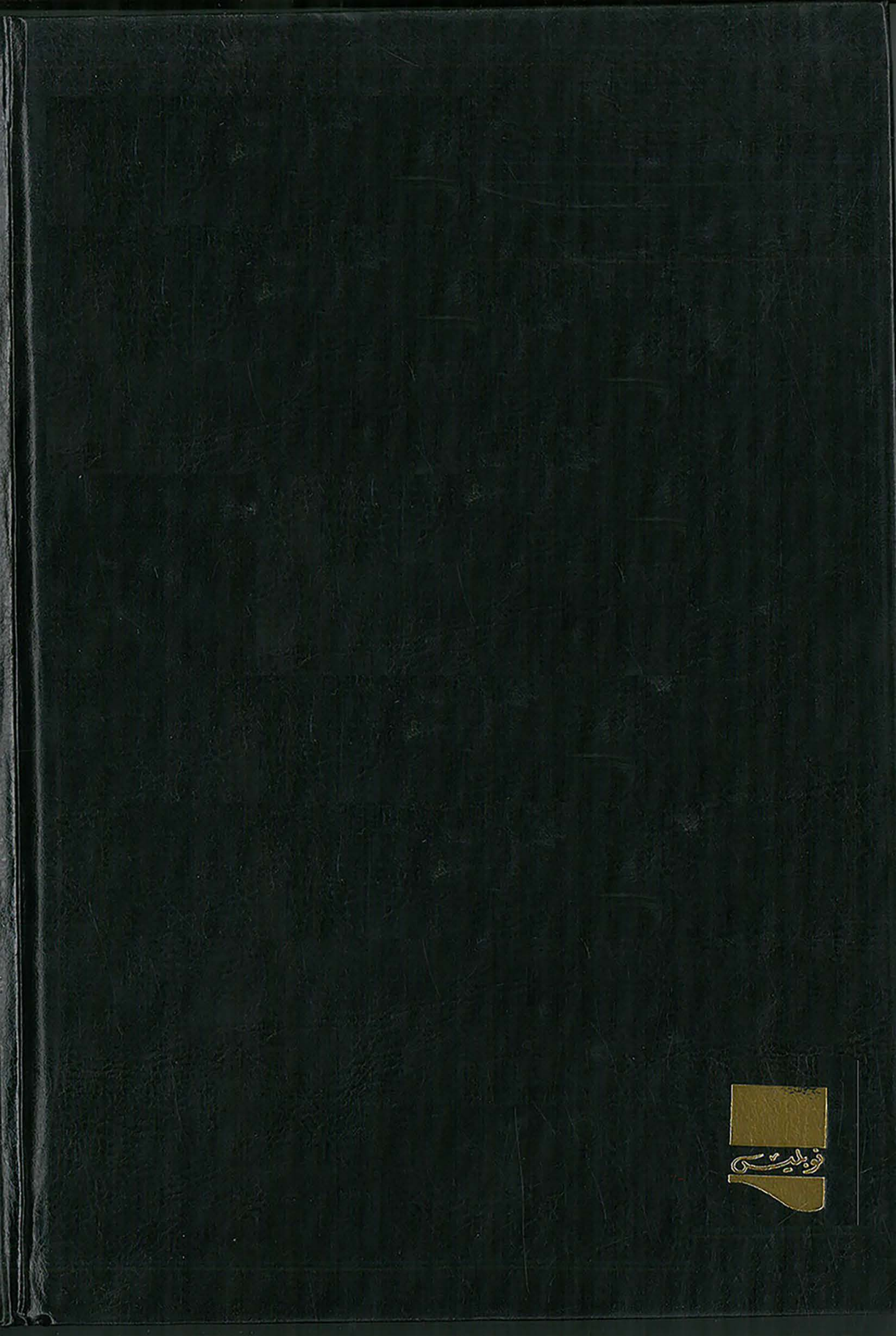
- البحرية
- الزواف
- السرايا ٢٨ و٣٥ رماة
- مصلحة السيارات
- المقر العام
- الشرطة العسكرية
- الخزانة والبريد

- الفوج ٤١٥ مشاة
- الجوقة السورية
- الفوج الأول مختلط خيالة (IRMC)
- الهندسة
- مصلحة التلغراف
- الملاحة الجوية
- سلاح النقل البري
- القِوامة
- مصلحة الصحة
- مصلحة الطب البيطري

- مصلحة الشؤون الجغرافية
- القاعدة
- الحاكم المدفعية
- ناظر الموقع
- الرئيس الإداري
- المفوض السامي للجمهورية
- الفرقة السابعة مشاة

(للافادة)

- SHAT, Son moderne, Carton 4H3, Dossier 4.


نوبليس